



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الدراسات العليا - ماجستير
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جهود ومنهج الشيخ جمال الدين القاسمي

بِسْمِ اللَّهِ

في الدعوة إلى الله تعالى

(دراسة تحليلية)

مرسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في تخصص الدعوة الإسلامية

إعداد

الطالب / محمد بن سامي منياوي

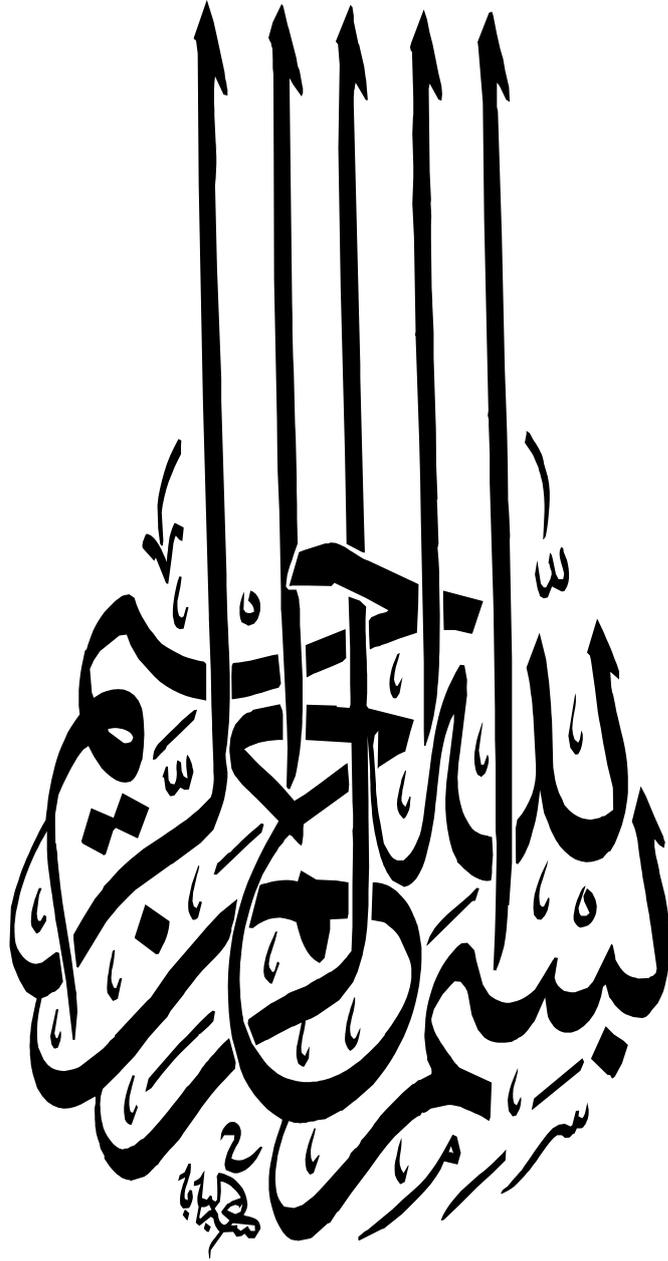
الرقم الجامعي: ٤٢٩٨٠٤٨٠

لعام ١٤٣٣هـ / ١٤٣٤هـ

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور / حسن بن عائض آل عبد الهادي

رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية



فاتحة القول

اللهم أمد لنا برؤيتك فيمن زجت بالعلوم
عقولهم وأحلامهم، وأبيضت به ليالهم
وأشرق بنوره أيامهم، ورفع لهم علم الهداية
فنتنمروا إليه، ووضع لهم الصراط المستقيم
فقاموا واستقاموا عليه

جمال الدين القاسمي

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فهذه رسالة علمية بعنوان: جهود ومنهج الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى-دراسة تحليلية، وتهدف إلى دراسة حياته الشخصية والعلمية، وبيان منهجه وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى، ومعرفة آثار تلك الجهود وأوجه الاستفادة منها العصر الحاضر، وقد جاءت الرسالة في خمسة فصول، يسبقها مقدمة وتمهيد، ويتلوها خاتمة وفهارس.

أما المقدمة فقد احتوت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة له، ومنهج البحث فيه، وأهدافه، وتساؤلاته، ومفرداته، وأما التمهيد فقد احتوى على ذكر الأوضاع السياسية والعلمية والدينية في الشام في عصر الشيخ القاسمي.

وأما الفصل الأول: حياة الشيخ القاسمي الشخصية والعلمية، وفيه مبحثان: الأول: حياة الشيخ القاسمي الشخصية. الثاني: حياة الشيخ القاسمي العلمية.

وأما الفصل الثاني: جهود الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله، وفيه مبحثان: الأول: جهود الشيخ القاسمي النظرية. الثاني: جهود الشيخ القاسمي التطبيقية.

وأما الفصل الثالث: منهج الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله، وفيه مبحثان: الأول: أصول منهج الشيخ القاسمي. الثاني: معالم منهج الشيخ القاسمي.

وأما الفصل الرابع: آثار جهود الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله، وفيه مبحثان: الأول: آثار جهود الشيخ القاسمي النظرية. الثاني: آثار جهود الشيخ القاسمي التطبيقية.

وأما الفصل الخامس: الدروس والعبر المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر، وفيه مبحثان: الأول: الدروس والعبر النظرية. الثاني: الدروس والعبر التطبيقية.

ثم جاءت الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات، ويليهما عدد من الفهارس المساعدة.

الباحث: محمد بن سامي منياوي.

المشرف: د. حسن بن عائض آل عبد الهادي. رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية.

Summary of the Study

Praise be to God god of the two worlds, and the prayer and the peace on the more honorable prophets and sender, as for after:

So this scientific letter in address: Efforts and method Sheikh of beauty of the debt Al-Qasimi in the invitation to Allah rose - analytic study, study about life of Sheikh aims personal and scientific, and his statement of method and his efforts in the invitation to Allah rose, and knowledge effects of that efforts and faces of the benefit from her the present era, and the letter in five chapters came, precedes her introduction and facilitating, and follows her last. As for offered losing contained on importance of the subject, and his reasons of choice, and the previous studies for him, and method of the research in him, and his goals, and his inquiries, and single his. As for the facilitating losing contained on the political and scientific and religious statuses in Al-Sham in era Sheikh of Al-Qasimi. As for the chapter first: Life Sheikh of personal and scientific Al-Qasimi, and in him two topics: First: Life Sheikh of personal Al-Qasimi. aalthaany: Life Sheikh of scientific Al-Qasimi. As for the chapter second: Efforts of Sheikh aalqaasmyfy the invitation to Allah, and in him two topics: First: Efforts Sheikh of theoretical Al-Qasimi. Second: Efforts Sheikh of applied Al-Qasimi. As for the chapter third: Method of Sheikh aalqaasmyfy the invitation to Allah, and in him two topics: First: Method Sheikh of Al-Qasimi roams. Second: Guideposts method Sheikh of Al-Qasimi. As for the chapter fourth: Effects efforts of Sheikh aalqaasmyfy the invitation to Allah, and in him two topics: First: Effects efforts Sheikh of theoretical Al-Qasimi. Second: Effects efforts Sheikh of applied Al-Qasimi. As for the chapter fifth: The lessons and the benefited scent efforts Sheikh of Al-Qasimi currently, and in him two topics: First: The lessons and the theoretical scents. Second: The lessons and the applied scents. Then the end came and in her the more important results and the recommendations, ylyhaae'ddmnaalfhaars the assistant.

The researcher: Muhammad sami Minyawli.

supervisor: Dr. Hassan Bin Eaayd Abdelhadi. Head of department of the invitation and the Islamic culture.

المقدمة

«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١)، ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَنَحْوٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٢)، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٣)، أما بعد^(٤):

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي أشرف الوظائف وأرفعها درجة وأعلاها منزلة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥)، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من العلماء والدعاة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٦)، والله جل جلاله جعل سبب خيرية

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧١، ٧٠.

(٤) هذه خطبة الحاجة المأثورة عن النبي ﷺ، وكان يفتح بها كل أمر ذي بال، وقد رواها الإمام الترمذي في سننه برقم ١١٠٥، أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ٤٠٤/٢، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٥٦٠/١، وقد جمع الشيخ الألباني الأحاديث الواردة في خطبة الحاجة وتتبع طرقها وأثبت صحتها في رسالة عنوانها "خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه"، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٠هـ.

(٥) سورة فصلت: ٣٣.

(٦) سورة يوسف: ١٠٨.

هذه الأمة وتفضيلها على سائر الأمم بالدعوة إليه، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وقد سار العلماء والدعاة على حمل راية خيرية هذه الأمة، واعتنوا بالدعوة إلى الله تعالى، وذلك منذ زمن الصحابة رضوان الله عليهم وأرضاهم، وحتى زمننا الحاضر هذا، والأمثلة على أولئك العظماء كثيرة متوافرة، ومن أمثلة من حمل هذه الراية في زمننا الحاضر في بلاد الشام المباركة، وكان له الأثر البالغ على أهل عصره، الشيخ: جمال الدين القاسمي رحمته الله عالم الشام ومفتيها، والذي عاش في زمن تتقاذفه الاضطرابات السياسية والعلمية والفكرية والاجتماعية، إلا أنه ومع ذلك أعاد بعث روح الدعوة السلفية السليمة في أهل عصره، وبذل جهدا واضحا في الدعوة إليها.

ولإبراز ذلك الجهد المبارك، وإدراكا للحاجة إلى نماذج بارزة للدعوة في العصر الحديث، جاءت فكرة المشاركة بكتابة علمية في هذا الموضوع؛ رغبة في التزود من العلم النافع، وإسهاما بمسيرة الدعوة إلى الله تعالى، وخدمة للدعاة والعاملين للدين، وقد استقر الموضوع على العنوان التالي:

(جهود ومنهج الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى)

(دراسة تحليلية)

❖ أولاً: أهمية الموضوع.

تبرز أهمية الكتابة في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

١. مكانة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله العلمية والدعوية، وكونه من كبار رواد العلم

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

والدعوة في زمانه.

٢. اهتمام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله بنشر الدعوة السلفية السليمة.

٣. كثرة الصعوبات والمعوقات والمحن التي واجهت الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله، وكيف استطاع مواجهتها والتغلب عليها.

٤. حاجة الدعوة في هذا العصر إلى الأمثلة الدعوية المعاصرة، لتكون قدوة وأسوة دعوية عملية.

٥. توضيح أثر العلم في البناء والنهضة بالدعوة إلى الله تعالى.

❖ ثانياً: أسباب اختيار الموضوع .

تتضح أسباب الكتابة في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

١. أهمية الموضوع، والحاجة إليه خاصة في عرض الأمثلة الدعوية المعاصرة.

٢. الوقوف على الآثار المشرقة لدعوة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله داخل الشام وخارجها، وجوانب التجديد الذي تميزت بها.

٣. عدم الكتابة في هذا الموضوع كرسالة علمية جامعية، وفق طرائق البحث العلمي الصحيح، واتباع لأساليبه المناسبة مع طبيعة الموضوع.

٤. الإسهام في خدمة المجال الدعوي من خلال البحوث والدراسات الدعوية المفيدة.

❖ ثالثاً: الدراسات السابقة للموضوع.

بعد البحث عن الدراسات السابقة للموضوع تبين عدم وجود رسالة علمية في جهود ومنهج الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى، وكل ما وجد فإنه متعلق بتخصصات أخرى كالعقيدة والتفسير والتربية، ويمكن عرض هذه الدراسات والمقارنة بينها وبين هذه الرسالة فيما يلي:

(١) جمال الدين القاسمي علمه ودعوته.

وهو بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، مقدم لقسم الدعوة والاحتساب، بكلية الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤٠٧هـ، وهو للباحث:

عبد العزيز بن إبراهيم الأحيدي، وبإشراف الدكتور: فضل إلهي، ويقع البحث في ١٤٤ صفحة، وقد قسم الباحث بحثه إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل الأول فهو عن سيرة القاسمي، وفيه مبحثان، أما المبحث الأول فهو عن حياة القاسمي الشخصية، وذكر فيه عصره، واسمه، ونسبه، ومولده، وهيبته، ووفاته، والمبحث الثاني عن حياة القاسمي الاجتماعية، وذكر فيه زواجه، وأخلاقه، وأما الفصل الثاني فهو عن حياة القاسمي العلمية، وفيه مبحثان، أما المبحث الأول فهو عن تكوين القاسمي العلمي، وذكر فيه نشأته، وشيوخه، وأقرانه، ورحلاته، ومذهبه العقدي والفقهية، والمبحث الثاني عن آثار القاسمي، وذكر فيه أفكاره وآراءه، ومؤلفاته، ومكتبته، وثناء العلماء عليه، وأما الفصل الثالث فهو عن حياة القاسمي الدعوية، وفيه مبحثان، أما المبحث الأول فهو عن الدعوة النظرية، وذكر فيه فكره عن الدعوة، وأسلوبه، والمبحث الثاني عن الدعوة العملية، وذكر فيه طريقته في التدريس، واضطهاده، ورسائله، ثم الخاتمة، والبحث في مجمله يعد سيرة ذاتية عن حياة الشيخ جمال الدين القاسمي، مع ذكر شيء من النواحي العلمية والدعوية، وهو في مجمله مناسب لمقصد البحوث التكميلية، لكنه لم يأت على قضايا دعوية مهمة أستدرکها عليه في النقاط التالية، موضحة الفرق بين هذا البحث التكميلي وبين هذه الرسالة العلمية:

١. أن الرسالة توضح الأوضاع الدينية والعلمية والسياسية في الشام في عصر الشيخ جمال الدين القاسمي، وهو ما لم يتطرق إليه البحث التكميلي.
٢. أن الرسالة تغطي جانباً أوسع عن حياة الشيخ جمال الدين القاسمي الشخصية والعلمية.
٣. أن الرسالة تتطرق للجهود الدعوية النظرية والتطبيقية عند الشيخ جمال الدين القاسمي دراسة وتحليلاً، مثل: نشره للعلم، وتأليفه للكتب والرسائل، وبذله النصح والتوجيه العام، ونشره الدعوة السلفية، ومحاربه للبدع، ورده على المخالفين، وإنكاره للمنكرات، وكل هذا لم يتطرق إليه البحث التكميلي.
٤. أن الرسالة تبحث آثار الجهود الدعوية النظرية والتطبيقية عند الشيخ جمال الدين القاسمي

وهو ما لم يتطرق إليه البحث التكميلي.

٥. أن الرسالة تربط الجهود الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي بالواقع المعاصر، وكيفية الاستفادة منها، وهو ما لم يتطرق إليه البحث التكميلي^(١).

٢) منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة.

وهي رسالة علمية لنيل درجة الماجستير، مقدمة لقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١٢ هـ، وهي للباحث: محمد بن أحمد خضي، وإشراف الدكتور: علي بن حسن عسيري، ويقع البحث في ٤٧٩ صفحة، وقد قسم الباحث رسالته إلى مقدمة وتمهيد وباين وخاتمة، أما التمهيد فهو عن عصر القاسمي من الناحية الاجتماعية والسياسية والعلمية، وعن حياة الشيخ القاسمي الشخصية والعلمية، وأما الباب الأول فهو عن منهج القاسمي في تقرير أصول الاعتقاد، وفيه تمهيد وستة فصول، أما الفصل الأول فهو عن الإيمان بالله ﷻ، والفصل الثاني عن الإيمان بالملائكة، والفصل الثالث عن الإيمان بالكتب، والفصل الرابع عن الإيمان بالرسول، والفصل الخامس عن الإيمان باليوم الآخر، والفصل السادس عن الإيمان بالقدر، وأما الباب الثاني فهو عن مسائل متفرقة في العقيدة، وفيه أربعة فصول، أما الفصل الأول فهو عن نواقض الإيمان، والفصل الثاني عن مذهب القاسمي في الصحابة، والفصل الثالث عن مذهب القاسمي في الاستدلال بخبر الواحد، والفصل الرابع عن مذهب القاسمي في التوسل، ثم الخاتمة، والبحث بشكل عام يهتم بالمنهج العقدي عند الشيخ القاسمي، ولم يتطرق لأي من الجوانب الدعوية بشكل تفصيلي مثل هذه الرسالة^(٢).

(١) البحث غير منشور، وهو محفوظ بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٤٨٧٥٠.

(٢) البحث غير منشور، وهو محفوظ بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٦٧٧٧٢.

٣) القاسمي ومنهجه في تفسيره محاسن التأويل.

وهي رسالة علمية لنيل درجة الماجستير، مقدمة لقسم القرآن وعلومه، بكلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٨هـ، وهي للباحث: إبراهيم بن علي بن صالح الحسن، وبإشراف الدكتور: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ويقع البحث في ٤٧٢ صفحة، وقد قسم الباحث رسالته إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة، أما التمهيد فهو عن عصر القاسمي من الناحية السياسية والدينية والعلمية والثقافية، وأما الباب الأول فهو عن حياة القاسمي وآثاره، وفيه تمهيد وثلاثة فصول، أما الفصل الأول فهو عن القاسمي ونشأته، والفصل الثاني عن أعماله ومواقفه، والفصل الثالث عن مكانته العلمية وآثاره، وأما الباب الثاني فهو عن مصادر القاسمي في التفسير، وفيه تمهيد وفصلان، أما الفصل الأول فهو عن مصادره من كتب التفسير، والفصل الثاني عن مصادره من الكتب الأخرى، وأما الباب الثالث فهو عن منهج القاسمي في التفسير، وفيه تمهيد وستة فصول، أما الفصل الأول فهو عن عنايته بالأثر، والفصل الثاني عن مراعاته للنظر، والفصل الثالث عن اهتمامه باللغة العربية، والفصل الرابع عن عنايته بالعقيدة، والفصل الخامس عن موقفه من آيات الأحكام، والفصل السادس عن موقفه من المدرسة العقلية، ثم الخاتمة، والبحث بشكل عام يهتم بمنهج الشيخ القاسمي في التفسير، وأقواله في كتابه "محاسن التأويل"، ولم يتطرق لأي من الجوانب الدعوية بشكل تفصيلي مثل هذه الرسالة^(١).

٤) الجوانب التربوية عند جمال الدين القاسمي.

وهي رسالة علمية لنيل درجة الماجستير، مقدمة لقسم التربية، بكلية الدعوة وأصول الدين، بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، سنة ١٤٢٤هـ، وهي للباحث: علي مهاما ساموه، وبإشراف الدكتور: خالد بن حامد الحازمي، ويقع البحث في ٣٧٨ صفحة، وقد قسم الباحث

(١) البحث غير منشور، وهو محفوظ بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٥٠٦٩٨.

رسالته إلى مقدمة وتمهيد وثمانية فصول وخاتمة، أما التمهيد فهو عن حياة الشيخ القاسمي الشخصية وجهوده العلمية، وعن عصر القاسمي من الناحية السياسية والدينية والثقافية والاجتماعية، وأما الفصل الأول فهو عن التربية عند القاسمي، مفهومها، ومسؤوليتها، ومعوقاتها، والفصل الثاني عن التربية العلمية عند القاسمي، مفهوم العلم وفضله، وصفات المعلم الذاتية والمهنية، وآداب المتعلم، وأهم القواعد التعليمية التربوية، والفصل الثالث عن التربية الإيمانية عند القاسمي، مفهوم الإيمان وأهميته، وطرق التربية الإيمانية، وآثار التربية الإيمانية على الفرد والمجتمع، والفصل الرابع عن التربية التعبدية عند القاسمي، مفهومها، وأسسها، وآثارها التربوية، والفصل الخامس عن التربية الفكرية عند القاسمي، مفهومها، ضوابطها، وسائلها، والفصل السادس عن التربية الأخلاقية عند القاسمي، مفهومها، أصولها وقواعدها، وسائلها، والفصل السابع عن التربية الجسمية عند القاسمي، مفهومها، حاجاتها، آدابها، والفصل الثامن عن التربية المهنية عند القاسمي، مفهومها، أهميتها، أخلاقياتها، ثم الخاتمة، وهذا البحث يهتم بالجوانب التربوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي، ولم يتطرق لأي من الجوانب الدعوية بشكل تفصيلي مثل هذه الرسالة^(١).

٥) الفكر التربوي عند محمد جمال الدين القاسمي، من خلال كتابه "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب".

وهو بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، مقدم لقسم التربية الإسلامية والمقارنة، بكلية التربية بجامعة أم القرى، سنة ١٤٢٧هـ، وهو للباحث: عالي بن محمد القرني، وبإشراف الدكتور: نايف بن حامد الشريف، ويقع البحث في ١٥١ صفحة، وقد قسم الباحث بحثه إلى خمسة فصول، أما الفصل الأول فهو الفصل التمهيدي، والفصل الثاني عن عصر القاسمي وشخصيته وكتابه "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، والفصل الثالث عن نظرة القاسمي

(١) البحث غير منشور، وهو محفوظ بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم ٩٤٩٢.

إلى النفس البشرية، والفصل الرابع عن أهم الأفكار التربوية عند القاسمي، والفصل الخامس عن آداب العالم والمتعلم عند القاسمي، ثم الخاتمة، وهذا البحث يهتم بالجوانب التربوية عند الشيخ جمال الدين القاسمي، من خلال كتابه "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، ولم يتطرق لأي من الجوانب الدعوية بشكل تفصيلي مثل هذه الرسالة^(١).

❖ رابعا: تساؤلات البحث.

يقوم البحث على تساؤل عام هو: ما هي الجوانب الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي؟، ويتفرع من هذا السؤال عدة أسئلة، هي على النحو التالي:

١. ما حياة الشيخ جمال الدين القاسمي الشخصية؟
٢. ما حياة الشيخ جمال الدين القاسمي العلمية؟
٣. ما هي جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله؟
٤. ما هي جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله؟
٥. ما أصول الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله؟
٦. ما معالم الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله؟
٧. ما هي آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله؟
٨. ما هي آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله؟
٩. ما الفائدة من دراسة الجهود الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي في العصر الحاضر؟

❖ خامسا: أهداف البحث.

من خلال الإجابة على تساؤلات البحث، يمكن تحقيق الهدف العام منه، وهو: معرفة الجهود الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي، والوصول إلى الهدف العام يتم من خلال تحقيق الأهداف الفرعية التابعة، وهي:

(١) البحث غير منشور، وهو محفوظ بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى برقم ٣٧٧١.

- ١ . معرفة حياة الشيخ جمال الدين القاسمي الشخصية.
- ٢ . معرفة حياة الشيخ جمال الدين القاسمي العلمية.
- ٣ . الاطلاع على جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله.
- ٤ . الاطلاع على الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله.
- ٥ . بيان أصول منهج الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله.
- ٦ . بيان معالم منهج الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله.
- ٧ . الوقوف على آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله.
- ٨ . الوقوف على آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله.
- ٩ . الافادة من دراسة الجهود الدعوية للشيخ جمال الدين القاسمي في العصر الحاضر.

❖ سادسا: منهج البحث.

بعد الاطلاع على طبيعة موضوع البحث يمكن للباحث أن يحدد المنهج المناسب للموضوع، والذي سيسلكه في بحثه، والذي يظهر لي مناسبة المنهج الوصفي لطبيعة موضوع هذا البحث، لأن هذا المنهج يقوم على وصف وتفسير وتحليل العلوم الإنسانية، سواء كانت دينية أو اجتماعية أو ثقافية، كما أنه يقوم على ملاحظة الأحداث التي وقعت، ووصفها، وتعليلها، وتحليلها، ومعرفة التأثيرات أو التطورات المتوقعة، كما يصف الأحداث الماضية، وتأثيرها على الحاضر، ويهتم أيضًا بالمقارنة بين أشياء مختلفة أو متجانسة، ذات وظيفة واحدة، أو نظريات مسلمة^(١)، وهو بهذا يتناسب مع البحث في هذا الموضوع، فهو يعين على استخراج جهود ومنهج الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال الرجوع إلى كتبه ومؤلفاته، وكتب التراجم التي ترجمت له.

وسيكون منهج الباحث في كتابة الموضوع وفق النقاط التالي:

(١) انظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: د. عبد الوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ط٦، ١٤١٦هـ، ص٣٣.

١. قراءة كتب ومؤلفات الشيخ جمال الدين القاسمي، ثم جمع النصوص المتعلقة بالبحث، ودراستها، والافادة منها، ووضعها في المكان المناسب لها في البحث، وقد أكرر المعلومة في أكثر من موضع إذا تطلب مضمونها ذلك.
٢. الاطلاع على الدراسات ذات العلاقة بموضوع البحث، واستقراءها بشكل شامل؛ للخروج منها بما يتعلق بالموضوع من معلومات.
٣. إرجاع كل معلومة لمصدرها بشكل دقيق، وفق المنهجية العلمية المعروفة، مع ذكر اسم المؤلف، والكتاب، ورقم الجزء والصفحة، وبطاقة الكتاب كاملة عند أول ذكر له.
٤. عزو الآيات القرآنية إلى سورها، وذكر اسم السورة، ورقم الآية في الهامش، مع الحرص على كتابة الآيات بالرسم العثماني من مصحف المدينة النبوية مشكلة.
٥. تحريج الأحاديث النبوية، الواردة في البحث من كتب السنة، مع ذكر رقم الحديث، وعنوان الكتاب الباب الوارد فيه، ورقم الجزء والصفحة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بعزوه إلى موضعه فقط، وإذا لم يكن في الصحيحين أعزوه إلى موضعه مع نقل قول الشيخ الألباني في الحكم عليه، مع ذكر اسم الكتاب الذي ورد الحكم فيه مع رقم الجزء والصفحة.
٦. الترجمة للأعلام المؤثرين في شخصية البحث ترجمة موجزة عند أول ذكر لهم، مع عدم الإشارة إلى موضع الترجمة في الهامش عند تكرار ورود اسم العلم، ولم أترجم للأعلام المشهورين، سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو من الأئمة الأعلام.
٧. الاعتناء بعلامات الترقيم، ووضع الأقواس المزهرة للآيات القرآنية، والأقواس المزدوجة للأحاديث النبوية، وعلامة التنصيص لما سوى ذلك إذا كان منقولاً بنصه.
٨. وضع الفهارس اللازمة للبحث، وهي: فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث النبوية، فهرس الآثار، فهرس الأعلام، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

❖ سابعاً: مفردات البحث .

يحتوي البحث في هذا الموضوع على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وهي على

النحو التالي:

- المقدمة.
- وفيها ذكر لأهمية الموضوع، والأسباب التي أدت إلى اختياره، والدراسات السابقة فيه، والأسئلة التي تدور حوله، والأهداف المرجو تحقيقها منه، والمنهج المتبع للكتابة فيه.
- التمهيد: الأوضاع الدينية والعلمية والسياسية في الشام في عصر الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله.
- الفصل الأول: حياة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله الشخصية والعلمية. وفيه مبحثان:
 - المبحث الأول: حياة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله الشخصية.
 - المبحث الثاني: حياة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله العلمية .
- الفصل الثاني: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله. وفيه مبحثان:
 - المبحث الأول: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله النظرية.
 - المبحث الثاني: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله التطبيقية.
- الفصل الثالث: منهج الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله. وفيه مبحثان:
 - المبحث الأول: أصول منهج الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله.
 - المبحث الثاني: معالم منهج الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله.
- الفصل الرابع: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله. وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله النظرية في الدعوة إلى الله.
- المبحث الثاني: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله التطبيقية في الدعوة إلى الله.
- الفصل الخامس: الدروس والعبر المستفادة من جهود الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله في العصر الحاضر.
وفيه مبحثان:
 - المبحث الأول: الدروس والعبر النظرية المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر.
 - المبحث الثاني: الدروس والعبر التطبيقية المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر.
- الخاتمة، وفيها:
 - أهم النتائج التي ينتهي إليها البحث.
 - أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث.
- الفهارس. وتشمل الفهارس التالية:
 - فهرس الآيات القرآنية.
 - فهرس الأحاديث النبوية.
 - فهرس الآثار.
 - فهرس الأعلام.
 - فهرس المصادر والمراجع.
 - فهرس الموضوعات.



شكر وتقدير

أولاً: الحمد لمصاحب الحمد، والشكر لمستحق الشكر، فيا رب لك الحمد كثيرا كما تنعم كثيرا، ولك الشكر يا رب كثيرا كما تتفضل كثيرا، يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانتك.

ثانياً: أرفع أبر معاني الشكر الجزيل وأجمل عبارات الثناء العاطر لوالدي الكريمين، وأبوي العزيزين، جزاكم الله عني خير الجزاء، وأجزل لكما المثوبة والعطاء، وأمد في عمريكما على طاعته. ولا أنسى مربيتي ومؤدبتي (أم محمد) أسعدتكم المولى في الدارين وأبدل جزتك بسرورين.

ثالثاً: أرفق معاني الحب لزوجتي وخليعة روعي (أم يوسف) على صبرها، وتشجيعها لي على إتمام هذه الرسالة، أسأل الله لك بيتا في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب. ولا أنسى الدعاء لوالدي وفليحة كبدي (يوسف) حقق الله فيك آمال الأمة، وجعلك قرة عين لي ولوالدتك، ورزقك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا صالحا متقبلا.

رابعاً: أبحث أندي عبارات الشكر والعرفان لمن سلك بي طريق العلم، أساتذتي وشيوختي، من علماء أفاضل، وأساتذة مربون، ثقل الله لكم الموازين، وجعلكم في جوار النبيين والصدقيين، وأخص منهم مشرفي وشيخي فضيلة الدكتور: حسن بن عائض آل عبد الهادي، على توجيهاته وملاحظاتة، وكذلك كرمه، وسعة صدره، وصبره، وأراني عاجزا أمامه عن الوفاء، فليس من رداً لمعرفه إلا بالدعاء، فأقول له وأبلغ الثناء، جزاك الله عني خير الجزاء، ولا أنسى اسداء الشكر والتقدير للشيخين الفاضلين أ.د. محمود بن جابر الجارثي، و د. عبد الله بن صالح الخضير، أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة وتقويم محتواها.

خامساً: أشكر جامعتي الخالية (أم القرى) على أفضالها المتكررة علي، طالبا في مرحلة البكالوريوس، ثم معيدا في كلية الدعوة، ثم طالبا في مرحلة الماجستير، فالشكر لها متواليا، فالفضل ليس خافيا، وأخص كلية الدعوة وأصول الدين، وعلى رأسها فضيلة عميدها د. محمد بن سعيد السرحاني، وبقية أعضاء هيئة التدريس بها وزملائي فيها.

تمهيد

الأوضاع السياسية والعلمية والدينية في الشام في عصر الشيخ جمال الدين

القاسمي

لاشك أن المحيط الذي يعيش فيه الفرد له تأثير مباشر على شخصيته وفكره وتحصيله العلمي، ومن هنا فإنه كان من الجدير الوقوف على أهم الأوضاع الدينية والعلمية والسياسية في الشام وما حولها في العصر الذي عاش فيه الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله؛ بغية الوصول إلى أهم المؤثرات في شخصيته وفكره وتحصيله العلمي، وفهم طريقة حياته وأسلوب تصرفاته ومباعث تفكيره.

(١) الوضع السياسي في الشام في عصر القاسمي.

عاش القاسمي رحمه الله في الفترة ما بين سنة (١٢٨٣-١٣٣٢هـ) أي أنه عاش ما بين نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى نهاية الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري. وتعتبر فترة حياة القاسمي رحمه الله هي فترة تأخر وضعف للدولة العثمانية بشكل عام، فالحرابات فيها كانت معدومة، والأقلام مغلولة، والعقول مقيدة، والصحافة مكبلة، والأحرار مطاردون، والدستور معلق، والظلم شائع، والعدالة مفقودة، وأعوان السلطان منتشرون في كل مكان يحاسبون على الهمة، والنظام القضائي تابعا لا مستقلا، والرشوة منتشرة بين موظفي الدولة العثمانية^(١).

وقد استغلت الدول الكبرى^(٢) فترة ضعف الدولة العثمانية فأخذت بمناوئتها، ففي سنة ١٢٩٣هـ اندلعت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وانتهت بهزيمة العثمانيين، وتم توقيع

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط١، ١٣٨٥هـ، ص ١٥.

(٢) أكبر الدول الغربية في تلك الفترة هي: بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا، وأكبر الدول الشرقية هي: روسيا.

معاهدة بين الطرفين، سميت بـ "معاهدة سان استيفانو"^(١)، وكان من أهم بنود هذه المعاهدة: استقلال بعض الدول الأوروبية من حكم الدولة العثمانية لصالح روسيا، وفتح المضائق العثمانية لروسيا وقت السلم والحرب، ودفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها ٢٥٠ مليون ليرة ذهبية، ويحق لروسيا أن تتسلم بعض الأراضي بدلا من هذه الغرامة، إلا أن هذه المعاهدة المجحفة لم يعمل بأي مادة من موادها، حيث أن الدول الأوروبية رفضتها رفضا شديدا؛ لأن المعاهدة تعطي روسيا أحقية التدخل بشكل واضح في الأراضي الأوروبية، والدول الأوروبية لا ترغب في تدخل روسيا؛ لأنهم يروا أنهم أحق بهذه الدول من روسيا، خاصة مع ضعف الدولة العثمانية، والتي أصبحت تسمى "رجل أوروبا المريض" والذي ينتظر الجميع موته؛ لتقسيم تركته الكبيرة، لذلك عدلت الدول الأوروبية هذه المعاهدة بمعاهدة أخرى بعد ٤ أشهر و ١١ يوما، وسميت بـ "معاهدة برلين"، إلا أن النتيجة النهائية من كلا المعاهدتين هو استقلال عدد من الدول الأوروبية من الدولة العثمانية، وقيام حكم ذاتي فيها، والدول المستقلة هي: رومانيا، و صربيا، والجبل الأسود، وبلغاريا، والبوسنة والمهرسك، وجزيرة قبرص^(٢).

وكذلك استغلت الدول الكبرى ضعف الدولة العثمانية في هذه الفترة العصبية، فأخذت تستولي شيئا فشيئا في أزمنة متتالية على الدول العربية التي كانت تحت حكم الدولة العثمانية، ففي سنة ١٢٤٥هـ استولت فرنسا على الجزائر، وفي سنة ١٢٥٤هـ استولت إنجلترا على عدن، وفي سنة ١٢٩٧هـ احتلت فرنسا تونس، وفي سنة ١٢٩٨هـ احتلت إنجلترا مصر، وفي سنة ١٣٣٠هـ استولت إيطاليا على ليبيا^(٣).

(١) سميت بذلك نسبة إلى المكان الذي تم توقيعها فيه، وهي ضاحية "سان استيفانو" غرب اسطنبول بتركيا. انظر:

الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية العالمية (ويكيبيديا).

(٢) انظر: تاريخ الدولة العثمانية: شكيب أرسلان، دار ابن كثير، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٨٠٨ وما بعدها.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٠٨ وما بعدها.

وفي فترة الضعف السياسي العام هذه عاش الشيخ القاسمي رحمته الله، ولقد مرَّ في زمانه بمرحلتين سياسيتين للدولة العثمانية، هما: مرحلة السلاطين، والمرحلة التركية، أما المرحلة الأولى فقد أدرك رحمته الله منها ثلاثة سلاطين، هم: عبد العزيز الأول^(١)، ومراد الخامس^(٢)، وعبد الحميد الثاني^(٣)، وأما المرحلة الثانية فقد تسلم بها زمام القيادة الحقيقية زعماء "حزب الاتحاد والترقي"^(٤) وأدرك الشيخ رحمته الله منهم السلطان محمد رشاد^(٥) الخامس^(٦).

وكانت سوريا في فترة حياة الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله ولاية عثمانية، وقد تعاقب

(١) عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني، استوى على الملك بعد وفاة شقيقه عبد المجيد الأول ١٢٧٨هـ، ومكث في السلطة ١٥ عامًا حتى خلعه وزراهه وسائر رجال الدولة سنة ١٢٩٣هـ، وتوفي بعد عزله بـ ٤ أيام، وقيل: انتحر أو قتل. انظر ترجمته: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ، ص ٥٣٠ وما بعدها.

(٢) مراد بن السلطان عبد المجيد الأول، استوى على الملك بعد خلع عمه عبد العزيز الأول سنة ١٢٩٣هـ، ومكث في السلطة ٣ أشهر، حتى خلعه وزراهه وسائر رجال الدولة، بعد أن طرأ اختلال في قواه العقلية، توفي عام ١٣٢١هـ. انظر ترجمته: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي ص ٥٧٩ وما بعدها.

(٣) عبد الحميد بن السلطان عبد المجيد الأول، استوى على الملك بعد خلع أخيه السلطان مراد الخامس سنة ١٢٩٣هـ، خلع بعد سلطنة طويلة سنة ١٣٢٦هـ، توفي سنة ١٣٣٦هـ. انظر ترجمته: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي ص ٥٨٧ وما بعدها.

(٤) حزب سياسي، تأسس في بادئ الأمر تحت اسم "جمعية الاتحاد العثماني" سنة ١٣٠٦هـ من قبل طلبة طب بينهم "إبراهيم ساتروفان" و"عبدالله جودت". وهي أول حركة معارضة وأول حزب سياسي في الدولة العثمانية تدعو إلى تفعيل الدستور والعمل به، ومناهضة الحكم الملكي. تحولت الجمعية إلى منظمة سياسية على يد "بهاء الدين شاكر"، ووصلت إلى سدة الحكم في الدولة العثمانية بعد تحويل السلطنة إلى ملكية دستورية، وتم تقليص سلطات السلطان آنذاك عبد الحميد الثاني في انقلاب سنة ١٣٢٦هـ. انظر: (ويكيبيديا).

(٥) محمد رشاد بن السلطان عبد المجيد الأول، استوى على الملك بعد خلع أخيه السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣٢٦هـ، وتوفي سنة ١٣٣٦هـ. انظر ترجمته: تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي ص ٧٠٩ وما بعدها.

(٦) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٨هـ، ص ١٧.

على ولايتها ١٩ واليا فترة حياة القاسمي رحمه الله، معظمهم ممن حملوا لقب "باشا"^(١)، وكانت الدولة العثمانية ما تلبث أن تعين واليا حتى تعود وتعزله مرة أخرى بعد فترة وجيزة؛ حتى تضمن ولاء المجتمع لها وحدها لا للولاية^(٢).

وقد كانت الولايات العربية في مرحلة السلاطين تعد جزءا من الدولة العثمانية الكبرى، لها ما للولايات التركية من حقوق، وعليها ما عليها من واجبات، دون اختلاف أو تفريق، وكانت الولايات العربية تعطى كامل الحرية في اللغة العربية وتعليمها بمدارسها بوصفها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي اللذين تعزز بهما الدولة. وقد تقلد العرب في هذه المرحلة أرفع المناصب السياسية و الدينية كمنصب الصدر الأعظم "رئيس الوزراء"، وعضوية مجلس المبعوثان أو مجلس الشعب "البرلمان"، ومنصب شيخ الإسلام "مفتي السلطنة".

وأما في المرحلة التركية فقد نادى الاتحاديون باللغة التركية، وجعلوها لغة رسمية لجميع الولايات، وحاربوا اللغة العربية، وأخذوا بسياسة التريك، وبقي الأمر كذلك حتى اضطر الاتحاديون بعد "المؤتمر العربي الأول"^(٣) المنعقد بباريس سنة ١٣٣١هـ إلى الرضوخ لطلب

(١) كلمة فارسية الأصل، مركبة من جزأين، "با" بمعنى قدم، "شا" بمعنى الملك، وهو لقب كان يطلق على حامل حذاء الملك، وله لفظ شبيه في اللغة التركية، وهو "باش" وتعني الكبير، وهو لقب فخري في الدولة العثمانية يمنحه السلطان العثماني إلى السياسيين البارزين، والقادة العسكريين، والشخصيات الهامة، وحكام الولايات. انظر: الألفاظ الفارسية المعربة: أدى شير، دار العرب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م، ص ١٦.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٩.

(٣) مؤتمر دعت إليه "جمعية العربية الفتاة" التي تأسست سنة ١٣٢٦هـ في باريس على يد مجموعة من الطلبة العرب، وكان أعضاء الجمعية على صلة بالجالية العربية في باريس، فدعتهم إلى اجتماع هدفه بحث الشؤون الخاصة بالعرب في تلك الفترة، وفي الاجتماع تم الاتفاق على إقامة مؤتمر في باريس للمثقفين العرب، وقام الحضور بانتخاب لجنة لتولي إدارة المؤتمر. وتقرر أن يناقش المؤتمر أربع قضايا: (١) الاحتلال الأجنبي والنضال الوطني. (٢) حقوق العرب في الإمبراطورية العثمانية. (٣) ضرورة الإصلاح والحكم الذاتي. (٤) الهجرة من وإلى سوريا. وقد أقيم المؤتمر في سنة ١٣٣١هـ، في قاعة الجمعية الجغرافية في باريس، وكان من أهم النتائج التي خرج بها المؤتمر: (١) على الدولة العثمانية أن

المؤتمرين بجعل اللغة العربية لغة التعليم في البلاد التي ينطق سكانها بالعربية^(١). وكان أول الولاة العثمانيين على الشام في زمن الشيخ القاسمي رحمه الله والذي ولد القاسمي في ولايته الوالي محمد راشد باشا^(٢)، وآخرهم والذي توفي القاسمي في ولايته الوالي عارف بك المارديني^(٣)، وقد اختلفت سير هؤلاء الولاة، ففيهم العفيف المستقيم العارف بأمور السياسة والإدارة، وفيهم غير ذلك، إلا أن من أبرز من قدّم خدمات للشام وأهلها الوالي مدحت باشا^(٤)، والذي كانت ولايته سنة ١٢٩٤هـ، وقد عرف بخدماته العظيمة لدمشق، فقد أسس مكتب "مدرسة" للصنائع والحرف، وأنشأ دار للكتب العمومية، جمع فيها الكتب والمخطوطات الموقوفة وأودعها في المكتبة الظاهرية - وهي موجودة إلى اليوم وسميت بمكتبة الأسد - وأنشأ السوق المشهور والمنسوب إليه "سوق مدحت باشا" - وهو موجود إلى

تسمح للعرب بالمشاركة بالحكم فعلياً، وعليها أن تضمن لهم التمتع بحقوقهم السياسية. (٢) على الدولة العثمانية أن تسمح بتكوين حكم ذاتي في الولايات العربية. (٣) يجب اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في مجلس النواب العثماني إلى جانب التركية، وأيضاً اعتبارها اللغة الرسمية في الولايات العربية. (ويكيبيديا).

(١) النور والنار في مكتب عنبر: مطبع المرباط، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩١م، ص ٢١.
(٢) تولى ولاية دمشق ١٢٨٣هـ، وبقي فيها ٥ سنوات و٣ أشهر، اهتم بالإصلاحات الداخلية، نشر العلم، وأنشئ عدداً من المطابع والصحف، وكان من أهم ما فعله هو تشكيل ديوان للتمييز في دمشق. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ، ٢/٦٩١.

(٣) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.
(٤) مدحت بن حاجي حافظ أشرف أفندي، ولد في اسطنبول سنة ١٢٣٨هـ، كان أبوه قاضياً، تعلم العربية والفارسية، عين في أعلى الوظائف كرئاسة مجلس شورى الدولة، والصدارة العظمى، وتولى عدداً من الولايات العثمانية كولاية الدانوب وبغداد والشام، اعتقل وحوكم بتهمة المشاركة في قتل السلطان عبد العزيز وحكم عليه بالإعدام. ثم اكتفى بنفيه إلى قلعة الطائف بالحجاز، وفيها قتل سنة ١٣٠١هـ. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ٧/١٩٥. علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ٢/٧٤٦.

اليوم- وأنشأ دوائر العدل والشرطة. ومن الولاة البارزين أيضا أحمد حمدي باشا^(١) وقد تولى مرتين في عامي ١٢٨٦هـ و١٢٩١هـ، وفي عهده أمّن السبل وقضى على اللصوص، وأنشأ عدد من المدارس وكثير من المكاتب الابتدائية للذكور والإناث بدمشق وما حولها، ومهد الطرقات لسير العجلات، وبنى عددا من الجسور والمعابر على الأنهار الكبيرة، وفي ولايته على سورية أنشأ المرفأ البحرية في بيروت وعكا واللاذقية وطرابلس، ومدّ بعض السكك الحديدية، وشيد عدد من الأبنية، كدائرة الحكومة في كل من بانياس وطرابلس وبيروت وجنين، ودائرة للعدلية في الشام، وحصون ومعامل لقيام قوات الجند، كما مدّ الأسلاك البرقية إلى جميع الأفضية التي لم يكن فيها سلك برقي، وأنشأ مراكز للتلغراف في كثير من الأفضية والنواحي. ومن الولاة البارزين أيضا الوالي حسن رفيق باشا^(٢)، والذي كانت ولايته سنة ١٣١١هـ، وقد أنشأ مكتب "مدرسة" لتخريج المعلمين لمدارس الدولة، وأعاد عمارة الجامع الأموي بعد احتراقه سنة ١٣١٠هـ، وعمّر طريق الأربعين في جبل قاسيون، ومدّ خط السكة الحديدية بين بيروت ودمشق. ومن الولاة البارزين أيضا الوالي حسين ناظم باشا^(٣)، وقد تولى عدة مرات في أعوام ١٣١٢هـ و١٣٢٦هـ و١٣٢٨هـ، وقد أنشأ حي المهاجرين وشجع على البناء فيه وسكنه، وأسس دائرة الحكومة "السراي"، وأنشأ مستشفى الغرباء، وجلب ماء عين الفيحة

(١) أحمد حمدي بن يحيى بن أحمد باشا، ولد في اسطنبول سنة ١٢٤٢هـ، كان جده وزيرا وكذلك أبوه، نبغ في التركية وتعلم العربية والفارسية، تقلب في عدد من الوظائف حتى وصل أعلاها، كرئاسة مجلس شورى الدولة، ثم رقي إلى الصدارة العظمى، تولى عددا من الولايات العثمانية كولاية أيدين والشام وبغداد. توفي في بيروت سنة ١٣٠٣هـ. انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ، ١/١٣٤-١٤٠. علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٢/٨١٧. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢، ١٩٧٢م، ص٣١٢.

(٢) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.

(٣) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.

إلى دمشق، ووضع السبيل على الطرق، وأنشأ خط البرق بين دمشق والمدينة المنورة، وجعل سقوف الأسواق الكبيرة من حديد لمنع سريان الحريق إليها، وبنى الثكنة الحميدية، وعمّر سوق الخجا، وأدخل الكهرباء. ومن الولاة البارزين أيضا الوالي إسماعيل فاضل باشا^(١)، والذي كانت ولايته سنة ١٣٢٧هـ، وقد عمّر مدرسة دار المعلمين في فناء التكية، ثم صارت بعد ذلك معهدا للحقوق ثم وزارة المعارف، ونظّم حديقة الأمة. ونظرا لأعمال هؤلاء الولاة شهدت دمشق وما حولها نهضة وتقدما ملموسا، وقد ظهر أثره على كافة نواحي الحياة^(٢).

٢) الوضع العلمي في الشام في عصر القاسمي.

انحصر مدُّ الحركة العلمية في الشام في أوائل عصر القاسمي رحمه الله، وصار الناس يتهاونون بالعلم والتعليم، وأصبح الجهل متفشيا، والأمية ظاهرة، وكان الذي يعرف الكتابة والقراءة في القرى والأطراف قلة قليلة، والتي كانت تفتقر إلى شخص يستطيع قراءة رسالة والرد عليها^(٣). ومع أن الوضع العلمي في عصر القاسمي كان أفضل من العصر الذي سبقه بشكل عام، إلا أن أثر ذلك بقي محدودا ومنحصرا، والسبب في ذلك؛ سوء الأحوال السياسية والاجتماعية والدينية التي حفت بالدولة العثمانية في أواخر عهدها، بالإضافة إلى عدة معوقات أدت إلى تأخر الحركة العلمية في المجتمع الشامي خاصة، من أهمها ما يلي:

أ- إحلال اللغة التركية مكان اللغة العربية في المدارس العثمانية.

بعد انتصار جيش الوالي المصري محمد علي باشا بقيادة ابنه القائد إبراهيم باشا بين عامي ١٢٤٥-١٢٥٠هـ على جيوش الدولة العثمانية بالشام، تبين للحكومة العثمانية أن سبب تقدم ونجاح الجيش المصري المنتصر هي الطريقة الحديثة في تعليم العلوم، فأرادت الحكومة العثمانية

(١) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٩-٣١.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٥٧.

أن تدخل التعليم الحديث إلى ولاياتها، فأحدثت في دمشق مدارس مدنية وأخرى عسكرية، ومع الأسف الشديد فلم تسهم هذه المدارس في تقدم ونهضة الحركة العلمية بشكل كبير؛ وذلك نتيجة للتدريس فيها باللغة التركية فقط، ومنع تدريس العلوم باللغة العربية، حتى أن قواعد النحو العربي كانت تُدرّس فيها باللغة التركية!!، وقد أضعفت هذه السياسة التعليمية العثمانية إقبال أبناء العرب على الدراسة في هذه المدارس، فقد كان لا يُقبلُ عليها إلا من يرغب الالتحاق بالوظائف الحكومية أو العسكرية، والتي تشترط على المتقدم لها التخرج من هذه المدارس^(١).

وكانت من أوائل المدارس النظامية التي افتتحتها الحكومة العثمانية وفق هذه السياسة: "المكتب الإعدادي الملكي"، وهي المدرسة الإعدادية الأولى في الولاية الشامية، ثم أصبحت مدرسة ثانوية فيما بعد، وقد افتتحت سنة ١٣٠٥هـ، وقد اشتهرت باسم "مكتب عنبر"^(٢)، ومنها أيضاً: "المدرسة التجهيزية الأولى"، أو "مدرسة التجهيز الأولى"، وهي أول مدرسة ثانوية رسمية في دمشق، وقد افتتحت المدرسة سنة ١٣٥٥هـ، وقد اشتهرت فيما بعد باسم

(١) انظر: النور والنار في مكتب عنبر: مطبع المرابط ص ٢٣.

(٢) تقع شرقي الجامع الأموي، وهي بالأصل منزل شيد على الطراز الدمشقي، وقد بناه الثري "يوسف عنبر" سنة ١٢٨٨هـ، وقد آل المنزل إلى ملك الحكومة نتيجة دين على صاحبه، ثم تم تحويله إلى مدرسة أو كما سمي إلى "المكتب" أي: مكان الكتابة أو الدراسة، "الملكي" عبارة لتفريق المدارس المدنية عن العسكرية. وهي من أقدم المدارس في سوريا، وكانت الدراسة تصل فيه إلى الصف التاسع فقط، فأكمل الاتحاديون صفوفه إلى الصف الحادي عشر، فغدا ثانوية كاملة، وأصبح اسمه "سلطان مكتبي"، وفيها بعد نقل إلى مبنى جديد، وأطلق عليه اسم "مدرسة التجهيز الأولى" بدلاً من "سلطاني مكتبي"، ومبناه موجود إلى زماننا هذا، لكنه تحول إلى متحف شعبي سمي بـ "قصر الثقافة الشعبية". انظر: النور والنار في مكتب عنبر: مطبع المرابط ص ٢١-٣٥. مكتب عنبر: ظافر القاسمي، المطبعة الكاثوليكية، دمشق، ط ١، ١٩٦٤م. خطط الشام: محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ط ٣، ١٤٠٣هـ، ١٠٢/٦.

"ثانوية جودت الهاشمي"^(١)، و قد تخرج من هاتين المدرستين الآلاف ممن يمثلون الرعيل الأول من رجالات سوريا، والذين تبوؤوا المناصب الإدارية والسياسية الهامة^(٢).

وفي مقابل الحجر العلمي في المدارس الحكومية العثمانية على اللغة العربية، ظهرت الحاجة إلى وجود مدارس تُدرّس علوم اللغة العربية وآدابها، فانبرى لهذه الفكرة الشيخ طاهر الجزائري^(٣) -رائد النهضة العلمية في الشام- واستطاع إقناع الوالي العثماني مدحت باشا بضرورة إنشاء مثل هذه المدارس، خاصة مع وجود مدارس للإرساليات الأجنبية "المدارس التنصيرية"، والتي عنيت بتدريس اللغة العربية وقواعدها وآدابها؛ رغبة في جذب الطلاب إليها، لتشر فيهم أفكارها الفاسدة ومذاهبها السياسية المنحرفة، فيتزعزع تماسك المجتمع المسلم، وهذا أمر لا يسر الدولة العثمانية ولا يرضيها، وقد استجاب الوالي العثماني مدحت باشا لهذه الفكرة، إلا أنها لم تتحقق في فترة ولايته، لأنه قد عزل، وتولى بعده الوالي حمدي باشا، فتابع معه الشيخ طاهر الجزائري الطريق، فأنشئت جمعية شبه رسمية، وسميت باسم "الجمعية الخيرية"، وأعاتتها الحكومة بالمال، وأسندت إليها مهمة إنشاء هذه المدارس، وخصصت لها أبنية وقفية وحكومية لتفتتحها فيها، فافتتحت الجمعية ٩ مدارس في دمشق، اثنتين منها للبنات، وألحقت بها المطابع لطبع الكتب الدراسية وغيرها، وعيّن الشيخ طاهر الجزائري

(١) تقع على شارع الملك فؤاد، وقد بنيت سنة ١٣٥٢ هـ بناءً على أمر الشيخ تاج الدين الحسيني ثالث رئيس للجمهورية السورية، وبقي البناء شاغراً، لتهيئته لنقل طلاب "مكتب عنبر" إليه، فاغتنمت الحكومة فرصة خلو المبنى، واستخدمته لتجهيز معرض دولي للمنتجات السورية، فأخذت المدرسة اسم "تجهيز المعرض" حتى غلب عليها، وبقي هذا الاسم ملازماً لها حتى حملت اسم "ثانوية جودت الهاشمي"، وهو أستاذ لمادة الرياضيات في "مكتب عنبر"، والذي أصبح مديراً لها، وما زالت باقية إلى هذا الزمان بنفس الاسم. انظر: النور والنار في مكتب عنبر: مطبع المرباط ص ٣٥، موقع "ثانوية جودت الهاشمي" على الشبكة العنكبوتية العالمية. (ويكيبيديا).

(٢) انظر: النور والنار في مكتب عنبر: مطبع المرباط ص ٢١-٣٥، خطط الشام: محمد كرد علي ١٠٢/٦.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن أصدقاء الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من الفصل الأول ص ١٠٩.

مفتشا للمعارف على دمشق ثم باقي الولاية الشامية، وقد أقبل الطلبة من جميع أنحاء الولاية الشامية على هذه المدارس^(١).

ب- قلة الانتفاع بدور الكتب العامة والخاصة.

على الرغم من دخول دور الكتب إلى بغداد والقاهرة في القرن الثالث والرابع الهجري، إلا أن دخولها إلى دمشق تأخر إلى القرن الخامس الهجري، وكانت دور الكتب في دمشق على نوعين: دور كتب خاصة، ودور كتب عامة، وغالبا ما تكون العامة ملحقة بالمدارس؛ لأن إلحاقها بالمدارس أعظم نفعا، فهو يسد حاجة الطلاب والمعلمين للمراجع، كما أنه يكثر مرتادها^(٢)، ومن أمثلة دور الكتب الخاصة: وخزائن كتب آل البيطار، وآل القاسمي، وآل عابدين، وآل المبارك، وآل العطار، وغيرهم، ومن أمثلة دور الكتب العامة: خزانة المدرسة المرادية^(٣)، وخزانة المدرسة السليمانية^(٤)، وخزانة المدرسة العبدلية^(٥)، وخزانة المدرسة الإسماعيلية^(٦)، وخزانة دار الأشرافية^(٧)، وغيرها^(٨).

(١) انظر: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة، دار الفكر، دمشق، ط ١،

١٤٠٦ هـ، ١/٣٦٦ وما بعدها.

(٢) انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ١٩٠/٦.

(٣) تقع جنوب الظاهرية الجوانية، أنشأها الشيخ مراد المرادي سنة ١١٣٢ هـ. انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ١٠٠/٦.

(٤) تقع في باب البريد، أسسها الوالي سليمان باشا العظم، سنة ١١٥٠ هـ. انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ١٠٠/٦.

(٥) تقع في سوق السلاح، أسسها الوالي عبد الله باشا العظم، سنة ١١٩٣ هـ. انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ١٠١/٦.

(٦) تقع في سوق الخياطين، أسسها الوالي إسماعيل باشا العظم، سنة ١١٤١ هـ. انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ٦٧/٦.

(٧) دار حديث، تقع جوار باب القلعة الشرقي، غربي "العصرونية"، اشتراها الملك الأشرف موسى بن العادل، أنجز بناؤها

سنة ٦٣٠ هـ، درس بها جلة من العلماء، مثل: ابن الصلاح، وأبي شامة، والنووي، والحافظ المزي، والسبكي، وابن كثير

وغيرهم، سكنها المحدث الكبير الشيخ بدر الدين الحسيني، وجعلها مقرا تقرأ فيها دروسه، احترقت في حريق سنة

١٣٣٠ هـ، ودمر ما فيها، ثم رمت ترميماً خفيفاً، وعاد بعض الطلبة الغرباء فسكنوها، انظر: خطط الشام: محمد كرد

علي ٧٣/٦.

ومع وجود هذا القدر من دور الكتب، إلا أنها لم تكن تقوم بالنهضة العلمية اللازمة لأهل دمشق كما وكيفاً، فمن ناحية الكم فقد كانت دور الكتب في دمشق قليلة مقارنة بغيرها من الولايات العثمانية، ومقارنة بحاجة الشاميين لدور الكتب آنذاك، وأما من ناحية الكيف فإن أكثر دور الكتب تلك كانت موقوفة، ولم تكن هذه الأوقاف تحظى بعناية واهتمام ناظرينها، فأدى ذلك الأمر إلى قلة انتفاع الناس بها، بل عدم الانتفاع بها في أكثر الأحيان، لأن أكثر دور الكتب تلك تبعثت أو أتلقت، وبعضها سرقت أو نُهبت، وبعضها احترقت^(١).

ولأجل هذا الأمر جاءت مساعي مجموعة من العلماء الدمشقيين وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري في إنشاء دار عمومية للكتب، يجمع فيها آلاف الكتب والمخطوطات النادرة المفرقة في جوامع ومدارس دمشق في مكان واحد؛ خوفاً عليها من الضياع، وزيادة في الاستفادة منها والانتفاع بها، وبعد موافقة والي سورية العثمانيين مدحت باشا ومن بعده حمدي باشا، أنشئت دار عامة للكتب سنة ١٢٩٦هـ، وأُخذَ شطر من المدرسة الظاهرية^(٢) مقراً لها، واشتهرت بعد ذلك باسم "المكتبة الظاهرية"، فجمع فيها ما تفرق من الأسفار مما أبقى عليه الأيام، بعد ممانعات شديدة، وعداوة كثيرين ممن استحلوا أكل الأوقاف، حتى وصل بهم الأمر إلى تهديد الشيخ طاهر بالقتل!!، ولكن المكتبة أنشأت رغماً عنهم، وعين الشيخ طاهر أميناً لها، فجاءت مؤلفة من ٢٤٥٣ كتاباً ومخطوطة متنوعة، عدا الكراريس والأوراق المتفرقة، حتى إذا كانت سنة ١٣٣٧هـ والتي أنشأ فيها مجمع اللغة العربية بدمشق، نقلت إليه مهمة

(١) انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ٦/٢٠٤-٢٠٥.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٥١.

(٣) مدرسة ودار حديث، تقع داخل باب الفرج والفراديس، جوار الجامع الجواني، اسمها "الظاهرية الجوانية"، وهي مدرسة للحنفية والشافعية، أنشأها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ، ودفن بفنائها هو وابنه الملك سعيد. خطط الشام: محمد كرد علي ٦/٨٣.

الإشراف على المكتبة الظاهرية، فبذل المجمع عناية وجهدا لا يتبع أو استهداء الكتب العربية المخطوطة والمطبوعة للمكتبة، فناهز عدد المخطوطات ٤ آلاف عدا المجاميع-الأجزاء الحديثة المختلفة- وعدد المطبوعات ١٣ ألفاً، عدا الكتب الخاصة بالمجمع^(١)، وقد استحالت جميع الكتب والمخطوطات النادرة في كامل القطر السوري إلى عهدة مكتبة الأسد-المكتبة الوطنية السورية-، والتي تم افتتاحها سنة ١٤٠٥هـ، وهي باقية إلى زماننا هذا^(٢).

ج- قلة المطابع النافعة.

على الرغم من دخول المطابع إلى الأستانة ولبنان وحلب منذ القرن الحادي عشر الهجري، إلا أن دخولها إلى دمشق تأخر حتى سنة ١٢٧٢هـ، وفيها تأسست أول مطبعة، وهي مطبعة الدوماني، وقد انتشرت المطابع في القطر السوري كافة، وتعددت أشكالها وأنواعها، إلا أنها كانت في أكثرها لا فائدة منها ولا نفع لها على الناس، بل أحيانا كان ضررها أكثر من نفعها، والسبب في هذا يرجع لأمرين، الأول: أن هذه المطابع لا تنظر إلى حاجة الناس العلمية والفكرية، بل تنظر إلى مكاسبها المادية البحتة، لذا كانت أكثر طباعة هذه المطابع من القصص المعربة والروايات وكتب الأدب ودواوين الشعر القديم والحديث ونحوها مما يسهل بيعه ويعظم كسبه، والسبب الآخر: أن بعض هذه المطابع كانت تخدم فكراً خاصاً، وتسعى إلى كل ما يخدم فكرتها ولو كان عديم الفائدة أو قليلها، ويأتي على رأس هذه المطابع الفكرية، مطابع الإرساليات التنصيرية، والتي كان الغرض الأول منها: نشر الكتب المقدسة، والدعاية إلى إنجيل المسيح بين أبناء العرب، ثم خدمة ونشر الثقافة الإنكليزية والفرنسية، وأقوى شاهد على أنها كانت تراعي نشر المبدأ الذي تريده قبل أن تراعي خدمة البلد ولغته: الكتب العلمية

(١) انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ٦/٢٠٤-٢٠٦.

(٢) انظر تاريخ المكتبة في: الموقع الرسمي لمكتبة الأسد الوطنية على الشبكة العنكبوتية العالمية.

العربية الحديثة التي طبعتها^(١).

ومع وجود هذا القدر من المطابع، إلا أنها لم تكن تقوم بالنهضة العلمية اللازمة لأهل دمشق كما وكيفاء، فمن ناحية الكم فإن الكتب التي صدرت عن تلك المطابع قليلة ومحدودة جدا وتعد بالعشرات، بخلاف ما كانت عليه المطابع في مصر والدول الغربية من نشاط، وأما من ناحية الكيف فإن الإبداع العلمي في الكتابة والتأليف كان نادرا وقليلًا، فقد زهد عدد من علماء دمشق بالتأليف، ونادرا ما كان يصدر عن أحدهم كتاب جديد، رغم سقم الكتب التي بين أيديهم وحاجتها إلى التجديد، بل كانت حلقات العلم تعتمد في التدريس على كتب قديمة بعينها لا تخرج عنها، ولم يكن كثير من المدرسين يجاوزون عباراتها، وبهذا فإن الحاجة للكتب لم تسد في القطر السوري، وبقيت الشام في المطبوعات عالية على دور الكتب المصرية والغربية^(٢).

٣) الوضع الديني في الشام في عصر القاسمي.

انعكست آثار ضعف الوضع العلمي في الشام في عصر القاسمي على الوضع الديني فيها، ويمكن بيان الحالة الدينية في الشام في عصر القاسمي ﷺ من خلال النقاط التالية:

أ- العلماء وطلاب العلم.

غلب الجمود على القديم على أكثر العلماء وطلابهم في الشام في عصر القاسمي، واقتصروا على متون يُحفظونها طلابهم دون فهم، وحواش يقرؤونها تزيد من اضطراب عقولهم، وكانوا لا يقرؤون كتب الحديث في الأغلب إلا للتبرك لا للفائدة، وكتب التفسير فممتنع قراءتها عن الخاصة فضلا عن العامة، وكتب اللغة والنحو والصرف والأدب يقرأها بعض الطلاب لفهم نصوص الكتاب والسنة لكن لا يستخدموها، وحسب الطالب أن يقرأ

(١) انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ٩٥/٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩٥/٤. جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٦٠.

بعض كتب الفقه ليلبس العمامة، ويقال له "عالم"، وكان بعض العلماء يطرحون للعامّة مناقشات فقهية طويلة، ذات مواضيع تافهة، لا تقدم ولا تأخر في تقدم المجتمع الإسلامي، مثل: هل فضلات الأنبياء طاهرة أم لا؟، وهل الملائكة ذكور أم إناث؟، وهل تعلم الجغرافيا أو الكيمياء أو الفيزياء حلال أم حرام؟^(١).

ولقد انتشر بين العلماء وطلاب العلم في الشام زمن القاسمي داء التعصب المذهبي، وهو الذي أدى بهم إلى الإغراق في قراءة المتون والحواشي دون فهم أو اعتبار، ودون إعمال للذهن في الأدلة الشرعية، حتى كثروا وظهروا، ووصفوا بـ "الحشوية"^(٢)، وكانوا كلما رأوا عالما في الشام يُدرّس الناس ويدعو إلى الإصلاح وهو على غير طريقتهم، يكيّدون له، ويألّبون عليه العامّة، ويوشون به إلى الوالي، ويتهمونه باتهامات باطلة، ومما ساعد في ظهورهم وانتشارهم سياسة عثمانية، وهي أن كل من يخرج عن المذهب الحنفي يعد مرتكبا لجريمة توجب عليه التحقيق والعقوبة^(٣). يقول الشيخ محمد كرد علي رحمته الله^(٤) في مجلة "المقتبس"،

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٦-١٧.

(٢) أصل الكلمة مأخوذ من الحشو، وحشو الكلام هو: الفضل الذي لا يعتمد عليه، وحشو الناس: أرذلهم، وقد أكثر المبتدعة من إطلاقه بهذا المعنى على مخالفيهم من أهل السنة، خاصة من الحنابلة والمحدثين. وقيل المقصود به: من يحشو رأسه بكلام لا يفهمه، ولا يعمل عقله فيه، مبتعدا عن المنهج العلمي في الاستدلال، ومكتفيا بظاهر النص فقط، وهو المراد هنا. انظر: شرح لقطّة العجلان: جمال الدين القاسمي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ط ١، ١٣٢٣ هـ، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٣.

(٤) محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، أحد كبار الكتاب، ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه، أصله كردي، ولد في دمشق سنة ١٢٩٣ هـ، توفي والده وعمره ١٢ عاما، فأقبل على المطالعة والدروس الخاصة، وأحسن التركية والفرنسية والفارسية، أنشأ مجلة "المقتبس"، وقام بإنشاء وتحرير عدد من الجرائد في مصر والشام. أبرز ما قام به في حياته تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٣٧ هـ، وتولي وزارة المعارف مرتين في عهد الاحتلال الفرنسي، له مؤلفات كثيرة منها: مجلة "المقتبس"، و"خطط الشام"، وغيرها. توفي بدمشق سنة ١٣٧٢ هـ. انظر ترجمته: الأعلام:

واصفا حال العلماء في ذلك العصر: "ومنذ أن جاء القرن العاشر والذي يليه من القرون، أصبحت العلوم رسمية، والمدارس صورية، والأوقاف المحبوسة على العلماء مأكولة مهضومة -منذ جرى كل هذا- والأمة لا تكاد تفرح لها بعالم حقيقي يكسر قيود التقليد ويقول بالأخذ من كل علم، فندر النبوغ لأنه ندر أن يلقي العالم ما يُنشطُ عزيمته، وكان قصارى من تسمو به المهمة إلى أخذ نفسه بمذاهب التعلم والتعليم أن يقتبس من كتب الفروع ما لا يخرج به عن مألوف معاصر به، ومن حَكَمَ عقله في بعض المسائل كان اتهامه بأمانته من أيسر الأشياء، وطرده من حظيرة الحظرة لدى العامة ومن سَمَّوا أنفسهم بالخاصة من الأمور المتعارفة، أما التضليل والتكفير والتبديع والتفسيق فهذا لا يخلو منه عالم يريد أن يخرج بالناس من الظلمات إلى النور"^(١).

وبالرغم من انتشار هذا الداء العضال إلا أن ثلثة من العلماء المجتهدين قاموا في وجهه، كأمثال الشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ عبد الرزاق البيطار^(٢) وغيرهم، وكان لهم موقف واضح، حيث أنهم نادوا بالأخذ بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، سواء أكان ذلك في الأحكام الفقهية أو المسائل العقديّة، مع البيان للناس أهمية اتباع الدليل الصحيح، وقد لقوا في سبيل ذلك بلاء وأذية، فاتهم الشيخ القاسمي بتهمة تأسيس مذهب فقهي جديد يسمى "المذهب الجمالي"، إلا أن الغلبة في نهاية الأمر كانت له ولأمثاله من العلماء العاملين، الذين ظهر أثرهم في رجوع الأمة إلى جادة الصواب^(٣).

خير الدين الزركلي ٦/ ٢٠٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ، ٣/ ٤٠٦.

(١) مجلة المقتبس: العدد ٨٥ ص ٤٧، مقال بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي.

(٢) ستأتي ترجمته ضمن أصدقاء الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من الفصل الأول ص ١١٣.

(٣) انظر: الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي، دار كنوز أشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ،

ونتيجة لكل ما سبق فقد ضعفت الدعوة الإسلامية، وكانت حقيقتها العظيمة، وأهدافها السامية، وغاياتها العالية، غائبة عن رجال الدين، ولم يكن أحد منهم عارفاً بها، أو مهتماً بنشرها، أو داعياً للأخذ بأسبابها، بل كانوا مشغولين عنها إلا قليلاً منهم^(١).

ب- المجتمع الدمشقي.

كانت الأخلاق الإسلامية شائعة عند الناس، وذلك على سبيل العادة التي يتوارثها الأبناء عن الآباء عن الأجداد، كالصدق، والعفة، والتعاون، والرحمة، والكرم، وتعاطف الجيران، وإغاثة الملهوف، وإعانة المعسر، والترحيب بالضيف، وغيرها من الأخلاق التي صارت طبعاً للدمشقيين وغيرهم من أهل البلدان الإسلامية، وما يقع خلاف تلك الأخلاق فهو شاذ لا عبرة لوقوعه^(٢).

ومع شيوع الأخلاق الإسلامية الراقية، إلا أنه قد طغى على المجتمع الديني في الشام في عصر القاسمي أفكار دخيلة، وعقائد فاسدة، وبدع ضالة، فقد كانت الطرق الصوفية المبتدعة منتشرة، ولها اتجاهات متعددة، شوهدت صورة الدين الإسلامي، وأوقعت في نفوس الناس الوهن والكسل، وأشغلتهم بالسخافات والخرافات الباطلة، وجعلتهم يركنون إلى الأمانى والأهواء المزيفة، مما دفع الأعداء المتربصين إلى الطمع في أراضيهم وممتلكاتهم والاستيلاء عليها بحجة الاستعمار، وكانت الطرق الصوفية لها رجال وزعماء، يجمعون الناس حولهم، ويشغلونهم عن العمل النافع وحلّ مشكلات مجتمعهم بخرافات وبدع لا يصدقها العقل، وذلك بحجة أنه لا حلّ لمشكلات المجتمع إلا بأهل الفتح من أرباب الكشف، وكانت تقوم بينهم الخصومات والاتهامات في سبيل التفاف الناس حولهم، وكانت أكثر الطرق انتشاراً في

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨.

(٢) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٥٧.

دمشق في زمن القاسمي الطريقة النقشبندية ثم الطريقة الشاذلية^(١).

وبسبب فشو الجهل والأمية، ثم بانتشار التصوف المبتدع، لم يفهم كثير من العامة حقيقة العبودية لله ﷻ، فانتشرت فيهم الضلالات الشركية المتنوعة، وأصبح العامة يعظمون قبور الصالحين، ويقدمون لها النذور والقرايين، ويستعينون بأصحابها في قضاء الحاجات وتفريج الكروب وشفاء الأمراض، كما أنهم يعتقدون بالتائم والرقى وأن لها تأثيرا في جلب النفع أو دفع الضر^(٢).

وقد تسللت الأفكار الغربية الدخيلة إلى المجتمع الشامي في عصر القاسمي، فقد ظهرت بعض المبادئ الغربية والتيارات الفكرية الهدامة، كالعلمانية والقومية والاشتراكية والرأسمالية وغيرها، مما أدى إلى انصراف بعض الناس إليها، والانبهار بالحضارة الغربية بسببها، وأدى ذلك إلى التشكيك في العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس المسلمين، وزعزعة أصول الدين لديهم^(٣).

ونتيجة لذلك الاتجاه نحو الإضرار بالدين، وزعزعة العقيدة في نفوس المسلمين، هبّ العلماء المصلحون لدعوة الناس إلى العودة إلى الدين الصحيح، ونبذ الخرافات والبدع المنتشرة، والتحذير من الأفكار الغربية الهدامة، وكان الشيخ القاسمي ﷺ في طليعة أولئك العلماء المصلحين، وقد حاول الإصلاح بكل وسيلة أمكنته، حتى أنه أودي واتهم بـ"الوهابية" في سبيل ذلك^(٤).

وبعد: ففي هذا الجو الخانق العصيب، والمتخلف في جميع النواحي، السياسية والعلمية

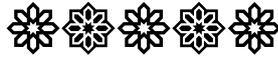
(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٧، جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٥٥.

(٢) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٥٦.

(٣) انظر: الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي ص ٤٠.

(٤) المرجع السابق ص ٤٠.

والدينية، نشأ الشيخ القاسمي رحمته الله، فكان كالطائر المغرد في غير سر به، الغريب عن أهل زمانه، فزاده ذلك إقداما في دعوته، وقناعة برسالته، وسعيا في نشرها، وضرورة العمل لها، والمضي في تبليغها، ولم يبالي في ذلك تكفيره واتهامه وأذيته وإيقافه ومحاكمته وسجنه، بل لم تزد له المواقف إلا قوة وعزيمة ويقينا، ولم تنتج الصدمات إلا تصميما وشجاعة وفناء، حتى يصل إلى المثل الأعلى الذي يريد تحقيقه^(١).



(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨، ١٩.

الفصل الأول

حياة الشيخ جمال الدين القاسمي

الشخصية والعلمية.

وفيه مبحثان :

■ المبحث الأول : حياة الشيخ جمال الدين القاسمي

الشخصية.

■ المبحث الثاني : حياة الشيخ جمال الدين

القاسمي العلمية.

المبحث الأول

حياة الشيخ جمال الدين القاسمي الشخصية

وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: اسم القاسمي ومولده.
- المطلب الثاني: أسرة القاسمي.
- المطلب الثالث: زواج القاسمي وأبناءه.
- المطلب الرابع: صفات القاسمي وشمائله.
- المطلب الخامس: وفاة القاسمي وراثؤه.

المطلب الأول

اسم القاسمي ومولده

أ- اسمه.

هو أبو الفرج^(١) محمد جمال الدين^(٢) بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر الكيلاني أو الجيلاني، وقد عرفت عائلته بعائلة القاسمي نسبة إلى جدهم "قاسم" المعروف بالحلاق^(٣)، ويتصل نسبهم بشرف النسب النبوي، فهم من أحفاد الشيخ السيد عبد القادر الجيلاني الحسني^(٤) من سلالة الحسن بن علي - رضي الله عنهما^(٥)، إلا أن الشيخ سعيد

(١) هذه الكنية جاءت على عادة بعض أهل العلم في ذلك الزمان، ولم يكن له ولد بهذا الاسم، وقد تكنى بها قبل زواجه.
(٢) الصواب في اسمه أنه "محمد جمال الدين" ومن الخطأ تسميته "محمد" أو "جمال الدين محمد" كما ذكر ذلك بعض المترجمين له أو الناقلين عنه؛ لأن اسمه إما أن يكون مركبا من جزأين "محمد جمال الدين"، وإما أن إضافة اسم "محمد" جاء على عادة أكثر أهل البلاد الإسلامية آن ذاك من إضافتها للتبرك، كاسم أبيه "محمد سعيد"، وأخوته "محمد عيد" و"محمد قاسم" وما يؤكد ذلك: (١) أن والده كان يكنى بـ"أبي جمال" وليس بـ"أبي محمد". (٢) ترجمته لنفسه التي خطها بيده، وترجمة ابنه ظافر له، وترجمة تلميذه العلامة خير الدين الزركلي له في كتابه الأعلام، حيث ذكروا أنه "جمال الدين أو محمد جمال الدين". (٣) ما سطره بخطه في مؤلفاته، فيذكر فيها أنه "جمال الدين أو محمد جمال الدين". (٤) إطلاق بعض معارفه ومن حوله عليه اسم "جمال" مما يدل على أن هذا اسما لا كنية.

(٢) أفاد الشيخ عبد الرحمن الباني الدمشقي رحمه الله أن الشيخ جمال الدين القاسمي هو أول من شهر هذه النسبة عن أسرته، وكانت أسرته تعرف قبل ذلك بأسرة الحلاق. انظر: القاسمي ومنهجه في تفسيره محاسن التأويل: إبراهيم بن علي بن صالح الحسن ص ٢٤.

(٤) عبد القادر بن عبد الله بن جنكي الحسني الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، شيخ الحنابلة ببغداد، ولد في جيلان سنة ٤٧١هـ، وتوفي ببغداد سنة ٥٦١هـ. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء: الإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ، ٢٠ / ٤٣٩. الأعلام: خير الدين الزركلي ٤ / ٤٧.

(٥) انظر: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ص ٢٦ نقلا عن ورقات تثبت النسب الحسني بخط الشيخ: أحمد بن محمد القاسمي مدير الأوقاف الإسلامية بسورية، وهو ابن عم الشيخ جمال الدين القاسمي، وقد ذكر النسب كاملا موصولا إلى الحسن بن علي - رضي الله عنهما - في

القاسمي -والد الشيخ جمال الدين القاسمي- قد حظي بهذا الشرف من جهتين، فهو شريف النسب من جهة آبائه كما ذكر، كما أنه شريف النسب من جهة أمه -جدة القاسمي- فهي عائشة بنت أحمد جبينه الدسوقي، وأمها فاطمة ابنة السيد الشيخ محمد الدسوقي^(١)، من أحفاد السادة الدسوقية الحسينية من سلالة الحسين بن علي -رضي الله عنهما-^(٢)، فبذلك يكون الشيخ جمال الدين القاسمي قد حاز الشرف من طرفين، لأنه من أصلاب البيت النبوي ومن أسباطه.^(٣)

ب- مولده.

ولد الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله ضحى يوم الاثنين الثامن من شهر جمادى الأولى

كتاب: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ٦٦٦/٢.

(١) الصحيح أن هذه جدة الشيخ القاسمي وليست أمه؛ وأن التقاء الشرفين كان عند والده لا عنده هو، لأن هذا هو المثبت بخط القاسمي في سلسلة نسبه، والتي أوردها في كتابه شرف الأسباط ص ٦٣، والتي وقّع عليها كبار نقباء الأشراف في كل من مصر والشام في زمانه، وقد أخطأ بعض الباحثين والمؤلفين في ذلك، وذكروا أن أمه-أم القاسمي-"عائشة"، وجدته "فاطمة"، وليس الأمر كذلك، بل الصواب أن جدته لأبيه "عائشة" وأمها "فاطمة" وكلاهما من نسل السادة الدسوقية، ومما يؤكد ذلك: أن القاسمي ترجم لوالده وجدته وأحوال والده، ويذكر عند كل ترجمة درجة صلتهم بأسباطهم من العائلة القاسمية السعيدية، ولكن الغريب أن ظافرا ابن الشيخ القاسمي قد وقع في هذا الخطأ أيضا، وكل من أخطأ من الباحثين كان قد نقله عنه، ولولا وجود شجرة النسب والتراجم المذكورة دليلا على صحة ما ذكرت؛ لكان الخطأ خطأي، والله أعلم بالصواب.

(٢) انظر: شرف الأسباط: جمال الدين القاسمي، مطبعة الترقى، دمشق، ط ١، ١٣٣١ هـ، ص ٦٣، وقد أورد شجرة النسب كاملة موصولة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما، موقعة ومختومة من السيد عبد الحميد البكري نقيب الأشراف في الشام وفي مصر في زمانه.

(٣) شرف النسب النبوي من طرفيه إنما هو خاص بوالد القاسمي وذريته فقط، لأن الجد قاسم كان قد تزوج أربع نسوة، إحداهن حفيذة السادة الدسوقية، ولم تنجب سوى ولد ذكر واحد فقط، وبذلك يكون شرف النسب النبوي من طرفيه خاصا به وبذريته من بعده، وقد أوضح ذلك بالتفصيل الشيخ جمال الدين القاسمي، وذكر أن شرف هذا النسب خاص بالعائلة القاسمية السعيدية أسباط السادة الدسوقية، وقيده بالسعيدية نسبة لأبيه محمد سعيد؛ احترازا عن القاسمية غير السعيدية، انظر: شرف الأسباط: جمال الدين القاسمي ص ٦٣.

سنة ١٢٨٣هـ، بدمشق الشام، في مسكن والده الواقع بزقاق المكتبي ظاهر باب الجابية في محلة القنوات، وقد رآه جده "قاسم" ووضعه في حجره ودعا له بما يرجو حصول بركته^(١).



(١) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ،

المطلب الثاني

أسرة القاسمي

أصل أسرة الشيخ القاسمي رحمه الله من بغداد، وكانت تعرف بأسرة الكيلاني، وقد هاجرت منها قبل ولادة الشيخ القاسمي رحمه الله بـ ٣٠٠ سنة تقريباً، فقد هاجر جدُّه السادس أبو بكر قاسم بن عمر الكيلاني هو وأخ له يسمى محمداً، فلما وصلا إلى حدود الشام نزل أبو بكر قاسم بقرية "دير عطية" في جبال القلمون، فحطَّ رحاله بها وأحبها وتوطنها، في حين أن أخوه مضى إلى قرية قريبة منها تسمى "حلى" من أعمال قضاء النيك، فسكنها واستقر بها، وأنشأ كل واحد منهما أسرة كانت لها ذرية من بعده. وكان أبو بكر قاسم صاحب علم، فأخذ ينشره في "دير عطية"، وأقبل عليه الطلبة حتى اشتهر، وعرف طلابه بتلامذة الشيخ بكر، وبقي الشيخ في "دير عطية" على حاله حتى مات ودفن بها، وأصل أسرته باق فيها إلى الآن، ويعرفون بأسرة بكر. ثم إن فروعا من ذرية الأخوين المهاجرين رحلوا إلى دمشق وسكنوها، وأخذ بعضهم بحظ وفير من العلم، وقد أصبحت ذرية الأخوين أسرتين كبيرتين في عاصمة الشام مع مرور الأيام، عرفت ذرية الأخ أبي بكر قاسم فيما بعد بأسرة القاسمي بدلا من الكيلاني؛ نسبة لجدهم قاسم، وعرفت ذرية الأخ محمد فيما بعد بأسرة الخطيب بدلا من الكيلاني؛ لكثرة توليهم الخطابة، خاصة الخطابة والتدريس بالجامع الأموي^(١).

أ- جدُّ القاسمي.

الشيخ قاسم بن صالح بن إسماعيل بن أبي بكر الدمشقي الشافعي الشهير بالخلّاق، ولد بدمشق سنة ١٢٢١هـ، فقيه الشام وصالحها في عصره، اشتغل أول أمره بمهنة الخلاقة حتى

(١) انظر: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٦٦٦/٢. آل القاسمي

ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٢٦.

بلغ سنَّ الأربعين واشتهرت أسرته بها، ثم انصرف عنها وأقبل على العلم والعلماء، حتى أصبح عالماً مفسراً فقيهاً محدثاً ناظماً ناثراً، أخذ العلم عن كبار مشايخ الديار الشامية في زمانه، أمثال الشيخ السيد صالح الدسوقي^(١)، والشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبري^(٢)، وغيرهما، ولم يعرف أحد من أجداده بخدمة العلم حقاً إلا هو، فهو الذي غرس المجد لسلالته بدمشق، وقد حصل الشيخ قاسم على إجازات متعددة من علماء مصر والشام، كما أنه اهتم بالتصوف على نحو ما كان شائعاً في عصره، فلم يكتف بأن يكون قادرياً، بل نقشبندياً، ثم رفاعياً، وقد أمَّ الناس في جوامع متعددة، كان آخرها جامع "السنانية" بدمشق، وتولى حلقة الدرس فيها، كان ورعاً زاهداً صالحاً عابداً حسن الخلق، له مؤلفات مفيدة وأشعار حميدة، ومن مؤلفاته: "إعانة الناسك على أداء المناسك"، و"محرمات الرضاع بنكاح أو نسب"، و"التوسلات الحسنى بنظم أسماء الله الحسنى"، و"مورد الناهل بمولد النبي الكامل"، وغير ذلك، توفي بدمشق سنة ١٢٨٤هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير^(٣).

- (١) صالح بن محمد الحسيني الدسوقي الشافعي، عالم فاضل، مشارك في بعض العلوم، سلفي المعتقد، ولد بدمشق سنة ١٢٠٠هـ، وتوفي بمكة حاجاً سنة ١٢٤٦هـ وله مؤلفات. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/ ٣٦٤. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ١٤٣. الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ١٩٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/ ٨٣٤.
- (٢) عبد الرحمن بن محمد الكزبري الشافعي، محدث الشام وصاحب أعلى إسناد في الدنيا في زمانه، ولد بدمشق سنة ١١٨٤هـ، وتوفي بمكة سنة ١٢٦٢هـ وله مؤلفات. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٢/ ٤٨٨. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ١٤٣. الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ٣٣٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ١١٢.
- (٣) انظر ترجمته: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٢٧. الأعلام: خير الدين الزركلي ٥/ ١٧٧. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٧. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٨/ ١٠٨. علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٢/ ٦٦٦. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٢٢١.

ب- والد القاسمي.

الشيخ محمد سعيد بن قاسم بن صالح الحلاق، ولد بدمشق سنة ١٢٥٩ هـ، كان فقيها أديبا، من علماء دمشق، أمّ الناس في جامع "السنانية" بدمشق خلفا لوالده وتولى حلقة الدرس فيها، اشتغل أول أمره بالتجارة ثم عزف عنها إلى العلم والقراءة، أخذ العلم عن والده، وحضر دروسه كلها في الفنون العربية والعلوم الشرعية، وتلمذ على عدد من أبرز مشايخ عصره كالشيخ سليم العطار^(١) والشيخ عمر العطار^(٢) والشيخ محمد الطنطاوي^(٣) وغيرهم، وقد كان عارفا بالأنغام الموسيقية وأصولها وألحانها ورموزها على خلاف مشايخ عصره آنذاك، ضمّ إلى ذلك صوتا شجيا عذبا في التلاوة والإنشاد، بالإضافة إلى أنه كان عارفا بالصناعات الشامية، له فيها كتاب "بدائع الغرف في الصناعات والحرف" رتبته على حروف المعجم، وبلغ فيه أواخر حرف السين ثم مات، فأكملة ابنه الشيخ جمال الدين القاسمي مشتركا مع زوج أخته خليل بن أسعد العظم^(٤)، وسمياه "قاموس الصناعات الشامية" طبع في مجلدين، ولم

(١) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ٩٥.

(٢) عمر بن طه العطار الحمصي الشافعي، فاضل من فقهاء الشافعية، عالم بالعربية، مشارك ببقية العلوم، ولد بدمشق سنة ١٢٤٢ هـ، وتوفي بها سنة ١٣٠٨ هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/١٠٢. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٣٤٨. الأعلام: خير الدين الزركلي ٥/٤٨. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/٥٦٠.

(٣) محمد بن مصطفى الطنطاوي الشافعي الأزهري، نزيل دمشق، عالم أديب، مشارك في عدة علوم، بارع في الهيئة والحساب والميقات، ولد بطنطا سنة ١٢٤١ هـ، وتوفي بدمشق سنة ١٣٠٦ هـ وله مؤلفات. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/٧٣. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٣٣٢. الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/١٠١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٥٧١.

(٤) خليل أسعد العظم، من أسرة عريقة ومشهورة، حكم منهم دمشق عدة أفراد معروفون، اشتغل بالزراعة والتجارة، وعين رئيسا لمحاسبة البلدية بدمشق، اشترك مع الشيخ جمال الدين القاسمي في إكمال الجزء الثاني من قاموس الصناعات

يكن الشيخ محمد سعيد كثير التأليف، فلم تتعد مؤلفاته بضعة كتب، منها: مجموع سماه "سفينة الفرج فيما هبَّ ودبَّ ودرج" ^(١)، و"الثغر الباسم في ترجمة والده الشيخ قاسم"، وغيرها من الكتب التي ما زالت مخطوطة ومحفوظة في خزانة آل القاسمي بدمشق، وقد جمع الشيخ جمال الدين القاسمي شعر والده في ديوان سماه "الطالع السعيد في ديوان الإمام الوالد السعيد"، توفي سنة ١٣١٧هـ ودفن في مقبرة الباب الصغير ^(٢).

ج- أعمام القاسمي.

كان للقاسمي رحمته الله ثلاثة أعمام هم: الشيخ عبدالرحمن، والشيخ محمد، والشيخ عبدالغني، كلهم إخوة غير أشقاء لوالده، وكلهم على قدر من العلم والفضل والتحصيل والعناية بالسير على خطى والدهم الشيخ قاسم.

١. الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بن صالح الحلاق القاسمي.

يقول الشيخ جمال الدين القاسمي في ترجمته له: "ولد سنة ... ^(٣) ونشأ في حجر أبيه، وأتقن القراءة والكتابة، وبعد وفاة أبيه اشتغل في التجارة، ثم ذهب إلى مكة المكرمة وجاور بها، ولاحت عليه أنوار الصلاح والهداية والفلاح، وتخلّى في الحرم للطاعة، ومكث هناك غير متخذ زوجة ولا ما يشغله عن الله، وكان برا بوالدته، وحج بها، وقام بخدمتها المرضية، وكان يتردد في أثناء مجاورته إلى الشام، ويمكث بعض أشهر وأيام، وقلبه مشوق بالبيت الحرام، ثم وردنا نعيه من مكة المكرمة في سنة ١٣٠٦هـ رحمته الله رحمة واسعة، وأفاض على ضريحه سحب

الشامية لحماه الشيخ محمد سعيد القاسمي، ولا يعرف له من المؤلفات غيره، توفي سنة ١٣٤٥هـ. لم أف على ترجمة له، وإنما ذكر طرف من حياته د. نزار أباطة، جمال الدين القاسمي ص ٧٧.

(١) طبع هذا الكتاب بدار البشائر الإسلامية ببيروت سنة ١٤٢٥هـ، في ٧١٢ صفحة، تحقيق محمد خير رمضان يوسف.

(٢) انظر ترجمته: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٠٩. معجم المؤلفين: عمر رضا

كحالة ج ١٠ ص ٣٤. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/ ١٦٩.

(٣) ترك الشيخ جمال الدين القاسمي فراغا لسنة ولادة عمه، مما يدل على عدم معرفته لتاريخ ولادته.

الرضوان الهامعة"^(١)، وقد عمل أثناء مقامه بمكة بتحفيظ الطلبة والناشئة القرآن الكريم^(٢).

٢. الشيخ محمد بن قاسم بن صالح الحلاق القاسمي.

عالم حافظ لكتاب الله متمكن من الفقه والفرائض والنحو، شافعي المذهب كوالده وبقية عائلته، يقول عنه الشيخ جمال الدين القاسمي في ترجمته: "ولد سنة ١٢٧٦هـ، توفي والده وعمره ثماني سنين، فتربى في حجر والدته، وقامت بتربيته مع إخوته أحسن قيام -جزاها الله خير الجزاء- إلى أن ترعرع، واشتغل بطلب العلم فقراً على فضلاء عصره، واشتغل أولاً على الفاضل النحرير الشيخ عمر العطار، ودأب عنده، وحضر عند العلامة بكري العطار^(٣)، ثم لازم الشيخ محمد الخاني^(٤)"، كما أنه تفقه بالشيخ سليم العطار مع قراءته عليه في بعض العلوم الأخرى، وقد جدّ واجتهد حتى تصدر للإقراء والتعليم، وبرع في العلوم العربية لا سيما في النحو والصرف والبلاغة، وقد أجازه شيوخه بذلك. وقد عاش رحمته الله زاهداً، مكتفياً براتبه الوظيفي من الأوقاف، وكان مهيباً، كث اللحية، يعتم بعمامة بيضاء على طربوش. ومن أشهر تلاميذه: المؤرخ الأديب محمد كرد علي، وغيره. وقد فجع قبل وفاته بأربع سنوات باحترق مسجده وكتبه أثناء الحرب العالمية الأولى. خلف ثلاثة أبناء، وهم: الشيخ أحمد، وبديع، ونور الدين. توفي الشيخ محمد القاسمي في ١١ من شهر محرم، سنة ١٣٣٧هـ، ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق^(٥) وقد برز من أبنائه الشيخ أحمد القاسمي، وقد عمل مديراً

(١) انظر ترجمته: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٧١.

(٢) المرجع السابق ص ١٧١.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ٩٨.

(٤) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ٩٩.

(٥) انظر ترجمته: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٧٥. تاريخ علماء دمشق في القرن

الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ١/٣٦٣.

لدائرة الأوقاف الإسلامية السورية، وقد طال عمره حتى جاوز ٩٠ عاماً^(١).

٣. الشيخ عبد الغني بن قاسم بن صالح الحلاق القاسمي.

يقول الشيخ جمال الدين القاسمي في ترجمته له: "وأما عمي الثالث عبد الغني أفندي، فإنه ولد في شعبان سنة ١٢٨١هـ في حجر والدته كأخويه السابقين، وأخذ عن بعض المشايخ المتقدمين - يقصد مشايخ أخيه الشيخ محمد، كالشيخ عمر العطار، والشيخ بكري العطار، والشيخ محمد الخاني - ثم في سنة ١٣٠٣هـ توجه إلى الأستانة، وسعي في إمامة طابور، فبعد أداء الامتحان هناك وجهت إليه إمامة طابور، وهو إمام في الشام في دائرة الاستحكام"^(٢). ويخبر ابنه الشيخ محمد القاسمي أنه عمل في إمامة طابور في الجيش العثماني نحو تسع سنوات، وأن مشايخه من آل العطار وآل الخطيب، وأنه كان مربياً مؤدباً، حازماً، لا يخاف في الله لومة لائم، يجمع بين منتهى الحنان والرحمة، والشدة والقسوة حين الحاجة إلى ذلك. خلّف ولدين هما: منير، ومحمد، توفي سنة ١٣٧٢هـ^(٣).

د- إخوة القاسمي.

رزق الله الشيخ محمد سعيد بن قاسم الحلاق خمسة أبناء، أكبرهم الشيخ محمد جمال الدين، ثم محمد عيد، ثم فاطمة، ثم محمد قاسم خير الدين، ثم صلاح الدين يوسف.

١. الشيخ محمد عيد بن محمد سعيد القاسمي.

الشيخ محمد عيد هو ثاني أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، ولد يوم عيد الأضحى من سنة ١٢٨٧هـ طلب العلم عند والده، وعند جملة من شيوخ عصره، كالشيخ عمر العطار، كما شارك شقيقه الشيخ محمد جمال الدين في بعض شيوخه، وكان يعمل محامياً، وتميز بقوة

(١) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٧٠.

(٢) آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٨٨.

(٣) انظر: المرجع السابق.

الشخصية، وكان مقداما، منتصرا للحق وأهله، محبا لأخيه الشيخ جمال الدين، مدافعا عنه، خاصة لما وقعت عليه المحن المتتالية، توفي الشيخ محمد عيد القاسمي يوم الثلاثاء ٦ من جمادى الأولى سنة ١٣٣٥ هـ، ودفن بمقبرة الباب الصغير في دمشق^(١).

٢. الشيخ محمد قاسم خير الدين بن محمد سعيد القاسمي.

الشيخ محمد قاسم خير الدين هو ثالث أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، ولد في ١٦ من شعبان سنة ١٢٩٩ هـ وسمي على اسم جده، درس على والده، ثم أخذ عن أخيه الشيخ جمال الدين كثيرا من العلوم، فقد لازمه وانتفع به، وكان يصحبه في حله وترحاله، وكان الشيخ جمال الدين يثق بعلمه وتحصيله، وكان يكلفه بإعادة دروسه بعده، والخطابة نيابة عنه، ونسخ بعض الكتب والتراجم له^(٢)، كما لازم الشيخ بكري العطار مدة ليست بالقليلة حتى أجازته، كما أخذ عن جملة من العلماء وانتفع بعلمهم حتى أجازوه، وقد تولى الشيخ قاسم التدريس في بعلبك مدة من الزمن، ثم عاد إلى دمشق ودرّس بها إلى آخر حياته، وقد أحب الشيخ محمد قاسم أخاه الشيخ جمال الدين حبا عرف واشتهر عنه، لذلك لما توفي الشيخ جمال الدين وقد خلف ذرية وراءه، كفل الشيخ محمد قاسم أبناء أخيه وأحسن إليهم، وكان يقوم على خدمتهم وراحتهم، والعناية التامة بتعليمهم وتربيتهم الصالحة، وقد كان يشعر نحوهم بعاطفة مرهفة وشفقة بالغة من اليتيم؛ حتى أنه في سبيل ذلك لم يتزوج^(٣)، ولم يتجه إلى التأليف والتصنيف رغم ضلوعه في العلم، بل انشغل برعاية أبناء أخيه وبالتدريس. ولم يعرف

(١) انظر ترجمته: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٦٨. جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٧٧.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٨، ٢١٦. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٧٠.

(٣) مكتب عنبر: ظافر القاسمي ص ٧.

له من المؤلفات غير تحقيقه لرسالة "المسح على الجورين" ورسالة "الاستئناس في تصحيح أنكحة الناس" لأخيه الشيخ جمال الدين، وشرح "العوامل" للجرجاني، وجمع مذكرة للفوائد الملتقطة من الكتب والمجلات سماه "الدر المكنون"^(١)، توفي الشيخ قاسم يوم الأربعاء ٢٦ من ذي القعدة سنة ١٣٥٧هـ^(٢).

٣. الطبيب صلاح الدين يوسف بن محمد سعيد القاسمي.

الطبيب صلاح الدين يوسف رابع أبناء الشيخ محمد سعيد القاسمي، وقد ولد يوم السبت ٢٠ من صفر سنة ١٣٠٥هـ، توفي والده وعمره ١٢ عاماً، فكفله أخوه الشيخ جمال الدين القاسمي، وقد ظهر نبوغه مبكراً، فأحاطه أخوه بكثير من عنايته ورعايته، وصرف همه إلى تعليمه، فأدخله مدارس الدولة، فتعلم التركية والفارسية والفرنسية حتى أتقنها واستطاع الترجمة منها وإليها^(٣)، وتعلم مبادئ العلوم الطبيعية، كل ذلك إلى جانب ما يتلقاه في البيت والمسجد على أخيه من علوم الدين والعربية من أمهات الكتب، وقد شجعه أخوه ودفعه منذ صباه إلى الكتابة والنظم، وروض قلمه على النثر، فكان يكتب الخطب والشعر، وقد ألف وعمره ١٥ عاماً رسالة بعنوان: "عقود جيد الوجود فيما يتعلق بالبخل والشح والكرم والجلود"^(٤)، وأنشأ مجلة "نقطة الأدب" وهو طالب في الثانوية لم يتجاوز ١٥ عاماً، وقد بدأ يكتب في المواضيع التي تهم مجتمعه العربي والإسلامي^(٥)، ولما أتم دراسته الثانوية أدخله أخوه كلية الطب، وكانت تسمى "المدرسة الطبية" إلى أن نال شهادتها سنة ١٣٣٢هـ، وكان من

(١) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٨٠.

(٢) انظر ترجمته: المرجع السابق ص ٧٨. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٧٢.

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٢.

(٤) آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٩٨.

(٥) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٢.

أوائل الأطباء في ذلك العصر^(١).

وقد أسس مع مجموعة من إخوانه وأصدقائه^(٢) "جمعية النهضة العربية" سنة ١٣٢٤ هـ، وكان لها برنامج علمي يهدف إلى نشر اللغة العربية بكل الوسائل، حتى يستيقظ العرب من رقدتهم، ويتعرفوا على تاريخهم ومجدهم، وكان لها أيضا برنامج سياسي يهدف إلى مطالبة الدولة العثمانية بضمان حقوق العرب في الحكم، واعتماد اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية، "وهذه الجمعية من أقدم ما عرف من هذا النوع في بداية النهضة العربية"^(٣)، وكان الطبيب صلاح الدين أصغر أعضائها، ولم يتجاوز ١٩ عاما من عمره، وكان أول كاتم سر لها، وكان يلقي بها المحاضرات في مواضيع مختلفة، مثل: "التعليم بالعربية، القومية في الأمم، العلم والاجتماع، الثورة الفرنسية، الخطابة والخطباء"، وغيرها^(٤).

وبعدما تخرج الطبيب صلاح الدين القاسمي من المدرسة الطبية سافر للعمل طبيا في مدن الحجاز، وهو مع سفره وبعده عن وطنه إلا أنه لم ينقطع عن الكتابة ومراسلة الصحف بالمقالات، فقد كتب مقالات عديدة أدبية واجتماعية وتاريخية وسياسية في كبريات المجالات والصحف في عصره، منها "المقتطف" و"المقتبس" وغيرها، فقد كتب مقالين يذكر فيهما تاريخ الجمعية، ومن مقالاته "الحشوية والوهابية" وقد كتبه بعد اتهام أخيه الشيخ جمال الدين بالوهابية، ومن مقالاته "ضراء العلماء" وقد كتبه في جزأين بعد المحنة التي مر بها أخوه الشيخ

(١) انظر مقدمة كتاب: الدكتور صلاح الدين القاسمي، آثاره، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٩ هـ، جمعه: مسلم القاسمي، كتب المقدمة الشيخ محب الدين الخطيب ص ٥. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٢.

(٢) كمحب الدين الخطيب، وعارف الشهابي، وشكري الجندي، وغيرهم. انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٢.

(٣) انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ٢٠٩.

(٤) انظر مقدمة كتاب: الدكتور صلاح الدين القاسمي، جمعه: مسلم القاسمي ص ٥. جمال الدين القاسمي: د. نزار أبابطة ص ٢٢، ٨١.

جمال الدين بعد اتهامه بإنشاء مذهب جديد، ومن مقالاته "الخطر الأصفهان" وفيه تحذير من خطر الصهيونية العالمية ومطامعها في أرض فلسطين، ومن مقالاته "المسألة العربية ونشأتها، العلم والعامه، فوضى الأقلام، ضائقتنا العلمية"، وغيرها^(١)، كما أنه نقد كتاب "النظرات" للمنفلوطي في دراسة أسماها "نظرة في النظرات" تناول فيها أسلوب المنفلوطي وموضوعه وآراءه ولغته ووصفه وروحه، وهذه الدراسة كانت في مقدمة الدراسات النقدية في مطلع القرن العشرين، وقد ظهرت عبقرية الطيب صلاح الدين في هذه الدراسة المبكرة، وبينت أسلوبه العلمي الرائع في البحث والاطلاع، وأما نظمه للشعر فقد كان على قلته عنوانا للشاعر المطبوع، وقد نظم الشعر في صباه ثم انقطع عنه، ولم يعد ينظم إلا في المناسبات، من ذلك رثاؤه للشيخ محمد عبده^(٢)، ورثاؤه لأخيه الشيخ العلامة جمال الدين في قصيدة سماها "الدمعة اليتيمة"^(٣).

أصيب الطيب صلاح الدين أثناء مقامه بالحجاز فجأة بخراج في الكبد، فأجريت له عملية جراحية لاستئصال الخراج إلا أن العملية لم تنجح، وتوفي على إثرها، بعيدا عن أهله، غريبا عن مسقط رأسه، وقد توفي بين شهري رمضان وشوال من سنة ١٣٣٤هـ، ودفن بالطائف في فناء مسجد الصحابي عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، وعمره ٢٩ عاما وبضعة أشهر^(٤).

وقد جمع الطيب محمد مسلم بن جمال الدين القاسمي مقالات عمه الطيب صلاح

(١) انظر: مقدمة كتاب: الدكتور صلاح الدين القاسمي، جمعه: مسلم القاسمي.

(٢) ستأتي ترجمته ضمن أصدقاء الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ١٠٣.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٢، ٨١.

(٤) انظر ترجمته: المرجعين السابقين، آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٩٨. الأعلام: خير

الدين الزركلي ٢٠٠٨/٣. (ويكيبيديا).

الدين القاسمي بإشراف من عمه الشيخ محمد قاسم في كتاب بعنوان: "الدكتور صلاح الدين القاسمي، آثاره، صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين" وقد طبع الكتاب، وقدم له كل من: الأستاذ محب الدين الخطيب^(١) - رفيق صباحه، وزميله في التعليم، وفي تأسيس جمعية النهضة العربية - والأستاذ ظافر القاسمي^(٢) - ابن أخيه جمال الدين^(٣).



(١) محب الدين بن محمد بن عبد القادر الخطيب الجيلاني الحسني، من كبار الكتاب الاسلاميين. ولد في دمشق ١٣٠٣هـ، تعلم بها وبالاستانة، تتلمذ على الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ جمال الدين القاسمي، تنقل للعمل بين صنعاء ومكة والاستانة، حتى استقر بالقاهرة، فحرر جريدة "المؤيد" و"الاهرام"، وأصدر مجلتيه "الزهراء" و"الفتح"، وتولى تحرير "مجلة الأزهر"، وكان من أوائل مؤسسي "جمعية الشبان المسلمين"، شارك سنة ١٣٢٤هـ في إنشاء جمعية بدمشق سميت "جمعية النهضة العربية"، وأنشأ "المطبعة السلفية" ومكتبها، وأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث. توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٩هـ. وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٥/ ٢٨٢.

(٢) ستأتي ترجمته ضمن أبناء الشيخ القاسمي في المطلب الثالث من هذا المبحث ص ٥٧.

(٣) انظر: مقدمة كتاب: الدكتور صلاح الدين القاسمي، جمعه: مسلم القاسمي.

المطلب الثالث

زواج القاسمي وأولاده

أ- زواج القاسمي.

تزوج القاسمي رحمه الله ليلة الجمعة ١٥ من ذي الحجة سنة ١٣٠٧ هـ من سيدة اسمها فاطمة بنت محمد أبو قورة، وكان أبوها من كرام التجار، وكانت امرأة أمية، فأخذ في تعليمها قصار السور وبعض الأدعية والأوراد المأثورة، وقد حفظتها حتى آخر حياتها، والتقطت من لسانه بعض الأبيات والفوائد وكانت ترددها بشيء من اللحن، وقد أحسن الشيخ جمال الدين معاملتها، حيث أنها عاشت معه قرابة ربع قرن، فلم تسمع منه كلمة نابية أو ملاحظة أو تهديدا أو وعيدا، ولم تر له عصبية في أي يوم أو في أي شأن من الشؤون. طلب منها ذات يوم أن تصنع له حلوى شامية، فغدرتها النار فاحترقت، فلما رأى ما صنعت بادرها بالشكر وقال لها: لقد أتعبناك منذ اليوم^(١)، وكان رحمه الله يحرص أن لا ترى منه ما تكره ولو شيئا بسيطا، فكان لا يعطيها ولا أحد أبنائه أو بناته منديله الذي يبصق به، بل يغسله بنفسه تحرزا من أن يراه أحد، وحتى لا يكلفهم شيئا يتقرزون منه^(٢).

ولقد كانت هذه الزوجة خير من حفظت أبنائها وأسرتها بعد وفاة زوجها، يقول ابنها ظافر: "عوضنا الله عن حنان الأب حنان الأم التي زينتها الفطرة، وصقلتها معاشرتها لزوجها جمال الدين، فكانت مثالا شرودا في الأمهات"^(٣)، ولقد كانت أيضا مثالا في الصبر على البلاء والشدائد، وذلك بوقوفها مع زوجها في محنة، ثم في الصبر على رحيله وهي في مقتبل الشباب، ثم في الصبر على رحيل أولادها: البكر محمد ضياء الدين، والذي يليه محمد مسلم، وقد توفيا

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٠.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ص ١٩.

(٣) مكتب عنبر: ظافر القاسمي ص ٧.

قبلها بسنوات كثيرة، وقد توفيت هذه الزوجة الصالحة -رحمها الله- سنة ١٣٦٧هـ، وبقيت تذكر زوجها بخير طوال حياتها حتى أيامها الأخيرة التي امتدت بعده ٣٤ عاماً^(١).

ب- أبناء القاسمي.

رُزِقَ العلامة جمال الدين القاسمي رحمته الله ثلاثة من الذكور وأربعاً من البنات، أما بناته فقد رباهن على الصلاح، وعلمهن مبادئ العلوم حتى أخذ بعضهن الشهادة الابتدائية التي هي غاية ما تصل إليه فتاة في دمشق وقتذاك، كما شجع بعضهن على تعلم الخياطة وإتقانها، ولا يعرف كثيراً من شؤون بناته وأزواجهن غير ابنته الكبرى السيدة منيرة، إذ أنها تزوجت من السيد حسن بركات^(٢)، وابنته الثالثة السيدة نظيمة، وتزوجت من السيد شفيق الغبرة، وهي والدة القاضي النبيل الأستاذ سميح الغبرة^(٣)، وأما بقية بناته وأزواجهن فلا يعرف عنهن

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٠، ١٩١.

(٢) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر، ولم يرد ذكره في حياة القاسمي إلا في صحبته معه في رحلة إلى المدينة المنورة سنة ١٣٢٨هـ. انظر: رحلتي إلى المدينة النبوية: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ ص ١٨.

(٣) لم أقف على ترجمة الأب -شفيق- فيما بين يدي من مصادر، أما ابنه -سميح- فقد ترجم له الشيخ محمد ناصر العجمي، لأنه كتب مقدمة كتابه: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل، فقال عنه: القاضي النبيل -حفظه الله- سميح بن شفيق الغبرة، ووالدته نظيمة بنت الشيخ جمال الدين القاسمي، ولد سنة ١٣٤٣هـ، درس في المدارس النظامية حتى نال الشهادة الثانوية، وواصل تعليمه في كلية الحقوق بتوجيه من خاله نقيب المحامين الأستاذ ظافر القاسمي حتى نال الشهادة في ذلك، ثم درس تاريخ الأدب العربي حتى نال شهادة أخرى، عمل في سلك القضاء متدرجا حتى صار رئيساً ثم مفتشاً ثم مستشاراً في محكمة النقض بدمشق حتى التقاعد، ثم أصبح مستشاراً بوزارة الدفاع. وقد اعتنى به خاله ظافر من صغره، فوجهه إلى مطالعة الكتب وقراءة الأدب وحفظ الشعر والنثر، كما وجهه إلى حضور مجالس كبار تلاميذ جده، أمثال الشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ محمد جميل الشطي، وكذلك الأستاذ الأديب محمد كرد علي، وغيرهم. وله عدد من المؤلفات التي لم تطبع. انظر ترجمته: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٤. ولم أقف على ترجمة له في غير هذا المصدر، وكان تاريخ طباعة الكتاب سنة ١٤٢٠هـ، ولا أعلم عن حياته حتى الآن.

شيئاً^(١)، أما أولاده الذكور فهم محمد ضياء الدين وهو أكبرهم ومحمد مُسَلَّم ومحمد ظافر^(٢)، وكلهم سلك مسلك العلم.

١. الشيخ محمد ضياء الدين بن جمال الدين القاسمي

ولد محمد ضياء الدين يوم الأربعاء ٢٨ رجب سنة ١٣١٥ هـ^(٣)، رباه والده تربية حسنة، وحبب إليه العلم، وسهل له طريقه، ليكون على مثاله وخليفة له في العلم، واهتم به أعمامه، فقد كفله عمه الشيخ قاسم، وأحبه عمه الطبيب صلاح الدين، وكان يرأسه وهو في الحجاز سائلاً عن دروسه وحرصه على طلب العلم، وكان ضياء الدين حينها في ١٧ من عمره^(٤). درس محمد ضياء الدين في المدرسة الرشدية، وأخذ العلم عن بعض تلاميذ والده حتى أجازوه، كالشيخ حامد التقي^(٥)، والشيخ محمد بهجة البيطار^(٦)، وغيرهم، وبعد وفاة والده عينته المحكمة الشرعية مكان والده في الإمامة والتدريس بجامعة السنانية بعد أن قدم درسا تحت نظر قضاتها، كما أنه هياً بعض مؤلفاته للطبع، كرسالة "إقامة الحجّة على المصلي جماعة قبل الإمام"، كما أنه أراد أن يبيى تفسير والده للطبع لكن لم يستطع ذلك^(٧).

توفي الشيخ محمد ضياء الدين رحمته الله يوم ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٣٤٧ هـ، وهو دون

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٩٣.

(٢) يلاحظ هنا أن جميع أولاد الشيخ القاسمي قد أضيف إلى أسماهم اسم "محمد"، وهذه عادة أكثر أهل الشام وغيرهم من البلاد الإسلامية آن ذاك من إضافتها للتبرك باسم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) انظر: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ٦٥.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١١٨. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٢٥.

(٥) ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ١٢١.

(٦) ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ١٢٤.

(٧) انظر: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٢٠.

الثلاثين، ولم يعقب إلا ابنا واحدا هو محمد سعيد^(١). يقول عنه أخوه ظافر: "أما أخونا ضياء الدين فقد سبقنا جميعا إلى الملاء الأعلى، وهو دون الثلاثين، فكان حقا من الكادحين في سبيل الحفاظ على كرامة بيت العلم وإقامة أود أفراده"^(٢).

٢. الطبيب محمد مُسَلَّم بن جمال الدين القاسمي.

محمد مُسَلَّم هو ثاني أبناء الشيخ جمال الدين القاسمي، ولد سنة ١٣٢٥ هـ، وتوفي والده وعمره سبع سنوات، وقد كفله عمه الشيخ قاسم، وتعلم عنده، وعند أخيه الأكبر الشيخ ضياء الدين القاسمي، ثم اتجه بعد دراسته للثانوية إلى كلية الطب التي كانت تسمى: "المعهد الطبي العربي" وأنهى دراسته فيها بتفوق، وقد أعجب به أساتذته فعينوه أستاذا مساعدا في الكلية^(٣)، ومنذ حداثة سنه وهو يحب الفصحى ويستعملها في حديثه مع رفاقه، وكانوا يعجبون من تدفقها على لسانه دون إعراب ولا إسفاف ولا تقعر، وكان لا يختار منها إلا السهل الممتنع، مما دعا رئيس التحرير بمجلة "المعهد الطبي العربي" بدمشق أن يفسح له مجالا على صفحاتها، فنشرت له بحوثا لغوية منذ السنة الدراسية الأولى، وقد أصدر في صباه مجلة "عبرة العرب في نقطة الأدب" أصدرها أسوة بالمجلة التي أصدرها عمه الطبيب صلاح الدين القاسمي في مجلته "نقطة الأدب"، كما أنه جمع مقالات عمه الطبيب صلاح الدين القاسمي بعد وفاته بإشراف من عمه الشيخ قاسم وطبعها^(٤).

ومع بوادر نبوغ وتفوق الطبيب محمد مُسَلَّم القاسمي إلا ان المنية وافته بعد أن نال شهادة الطب بأسابيع معدودة، فقد وافاه الأجل ﷺ بعد عدوى بداء السُّلِّ أصيب بها من

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٢٥.

(٢) مكتب عنبر: ظافر القاسمي ص ٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

زميله دون أن يعلم، وتوفي وهو في ٢٤ من عمره^(١)، وقد أهدى إليه أخوه ظافر مقدمة في كتابه "مكتب عنبر" وذكر فيها أخبارا من حياة أخيه مسلماً، حتى أصبحت مرجعا لترجمته.

٣. الأستاذ محمد ظافر بن جمال الدين القاسمي.

محمد ظافر هو ثالث أبناء الشيخ جمال الدين القاسمي، ولد يوم الخميس غرة صفر سنة ١٣٣١ هـ، وقد توفي والده وله من العمر سنة وثلاثة أشهر، فتربى في كنف عمه الشيخ قاسم وأخيه الشيخ محمد ضياء الدين، فكانا نعم المثال في التربية على محاسن الأخلاق والجد في العلم وتحصيله، وقد أخذ العلم عن عمه الشيخ قاسم، وعن بعض تلاميذ والده كالشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ حامد التقي، وغيرهما، وكان يُلزم بحفظ عيون الشعر وحكمه وحفظ المعلقات السبع وغيرها^(٢).

يقول عن نفسه: " كانت لنا -يقصد نفسه وإخوته- ساعة في النحو نقرأ فيها كتاب "شذور الذهب" على عمي الشيخ قاسم، فإذا انتهى درس النحو كان لابد لنا من درس الفقه مع الشيخ حامد التقي، فقد كان قريبا، وكان بيته قريبا، وما زالت روحه اليوم مني قريبة، كنت أضيّق بدرس الفقه، ولكنني صبرت على الدرس، ثم إذا انقضى درس الفقه كان لنا درس في الحديث والتوحيد مع علامة الإسلام في هذا الزمان الشيخ محمد بهجة البيطار نتقل فيه إلى داره بالميدان، وكفى به إماما ومرشدا"^(٣).

دخل الثانوية الرسمية المفردة في دمشق في ذاك الزمان، وهي المعروفة باسم "مكتب عنبر" وقد كانت الثانوية الوحيدة الكاملة في سوريا، وبعد تخرجه من الثانوية دخل معهد الحقوق بدمشق، وتخرج منها متفوقا سنة ١٣٥٥ هـ، ثم اتجه بعد ذلك إلى دراسة اللغة الفرنسية

(١) انظر ترجمته: المرجع السابق. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٣١.

(٢) انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ٢٣٦، آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٣٩.

(٣) مكتب عنبر: ظافر القاسمي ص ٩٢.

حتى أتقنها كتابة وتحديثاً، ثم عمل في المحاماة حتى انتخب نقيباً للمحاميين بدمشق سنة ١٣٨٦-١٣٨٧ هـ وبقي محامياً ثلاثين سنة^(١).

كان الأستاذ ظافر القاسمي محباً لأساتذته وشيوخه، كما كان وفيّاً لتلاميذ والده الشيخ جمال الدين، وقد كانوا حتى بعد وفاة شيخهم يغشون منزله لمجلس علمي أسبوعي، يقول عنه الأستاذ ظافر: "انعقد في دارنا بباب الجابية المجلس الأسبوعي الذي كان يضم فريقاً من تلاميذ والدي رحمهم الله، وتجري خلال القراءة مباحثات ومناقشات واستطرادات لغوية وأدبية وتاريخية"^(٢)، ولقد اهتم الأستاذ ظافر القاسمي باللغة العربية وعلومها وآدابها اهتماماً واضحاً في حياته، وكان يؤمن بأن فصاحة المحامي وبلاغة عبارته وعلو أسلوبه تدني منه أسباب النجاح في قضاياها^(٣).

شارك الأستاذ ظافر القاسمي في مؤتمرات المحامين الدولية، وانتخب سنة ١٣٨٣ هـ نائباً لرئيس منظمة المحامين الدولية، كما زار عدداً من البلدان العربية والعالمية، ففي سنة ١٣٨٦ هـ أدى الأستاذ ظافر فريضة الحج، واختير مستشاراً لوزارة التجارة والصناعة في المملكة العربية السعودية إلى سنة ١٣٨٧ هـ، ولما رجع تنقل بين عدد من الجامعات لتدريس الحقوق والعلوم العربية وعلوم الحضارة الإسلامية كجامعة دمشق والجامعة الأردنية والجامعة اللبنانية وغيرها، كما قام بإلقاء المحاضرات في الأدب العربي والثقافة الإسلامية في جامعة باريس كأستاذ زائر^(٤).

ترك الأستاذ ظافر القاسمي المحاماة والتفت إلى طريق آبائه وأجداده من آل القاسمي

(١) انظر: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٣٩.

(٢) مكتب عنبر: ظافر القاسمي ص ٥٧.

(٣) انظر: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٤٤.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٤٢.

فكتب وخطب وألف، حتى عرفته دور الإذاعة وقنوات التلفاز العربية محدثا بارعا، يأسر المستمعين ببساطة كلماته، وسهولة وصوله إلى غرضه، وجمال إشاراته، على عمق في الفكرة، وتنوع في الأغراض^(١).

هذا وقد ترك الأستاذ ظافر القاسمي مجموعة من الآثار النفيسة باللغتين العربية والفرنسية، تأليفاً وتحقيقاً، وكلها قد طبع، فأما المؤلفات التي باللغة العربية فهي: "مكتب عنبر، صور من حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية"، و"فصول في اللغة والأدب"، و"وثائق جديدة عن الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥-١٩٢٧م"، و"جمال الدين القاسمي وعصره"، و"نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (الحياة الدستورية)"، و"غزل من الصحراء"، و"نظرات في الشعر الإسلامي والأموي"، و"الحياة الاجتماعية عند العرب"، و"نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (السلطة القضائية)"، و"توحيد التشريع في البلاد العربية"، و"الجهاد والحقوق الدولية العامة في الإسلام"، وأما المؤلفات التي باللغة الفرنسية فهي: "مساهمة الطبقات الشعبية في الحركات الوطنية التي أدت إلى الاستقلال- سوريا في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين"، و"الهجرة من سوريا وإليها منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى اليوم"^(٢).

وبعد هذه الحياة العلمية الحافلة للأستاذ النقيب "عميد البيت القاسمي"^(٣) محمد ظافر القاسمي، وافاه أجله فجأة في باريس، إثر نوبة قلبية حادة، عن عمر يناهز ٧٣ عاماً، عصر يوم الجمعة ٦ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٤هـ، ونقل جثمانه إلى دمشق بوصية منه، ودفن في مقبرة

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٤٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٧.

(٣) لقبه بهذا اللقب، الأستاذ محب الدين الخطيب في مقدمته لمقالات الدكتور صلاح الدين القاسمي، وكذلك الشيخ على الطنطاوي في مقدمته لكتاب "مكتب عنبر".

الباب الصغير، وقد خَلَّفَ ابنين، هما: جمال الدين، وصلاح الدين^(١).



(١) انظر: آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي ص ١٦٢.

المطلب الرابع

صفات القاسمي وشأئله

أ- صفات القاسمي الخلقية

متع الله الشيخ القاسمي رحمه الله بالجمال والشكل الحسن، فكان أبيض اللون، نحيف الجسم، أسود اللحية كثيفها، رقيق البنية، نحيل الجسد، أقرب إلى القصر منه إلى الطول، غضيب الطرف، كثير الإطراق، خافض الصوت، ثقيل السمع، خفيف الروح، دائم التيسم^(١)، صاحب ذلك جسدا مقاوما لاختلاف الطقس، فكان يخالف الناس في الاحتياط الشديد للبرد، بل كان يقول لأهله: "ليكن كل جسمك وجها"، كان من يطالعه يلمح وجها نورانيا، لطيف الحلقة كاملها، محببا إلى النفس^(٢).

ب- صفات القاسمي الخلقية

رزق القاسمي رحمه الله مكارم الأخلاق، وقد عُرفَ بركة حاشيته، ولين عريكته، وبشاشته لضيفه، وتفقده لرحمه، وبره بهم، والحدب عليهم، وكان مربيا لطيف المعشر، كريم الخلق، كبير القلب، بادي الحب، واسع الحلم، لا يرى الناس منه إلا وجها طلقا، وجانبا ليئا، وأنسا ممتعا، وكان مهيب الطلعة، حسن الهندام، يُعظّمه من يراه، لا يزري بغيره، ولا يعرض بأحد، ولا يمدح نفسه^(٣).

كان الشيخ القاسمي رحمه الله فصيحاً بليغاً، يأسر انتباه سامعيه، أطاعت اللغة لسانه على شكل لم يكن مألوفاً على ألسنة كثير من أهل العلم في زمانه، ولهذا ألفه الكثيرون، وغشي

(١) مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٦٣٤، مقال بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٨.

(٣) انظر: الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ، ص ٢١.

مجلسه شباب الجيل، وكان حسن الأداء والصوت عند تلاوة القرآن الكريم^(١). كان رحمته الله كثير الإيناس لأهل بيته، لا يفتأ يربي بكثير من الرقة، يعلمهم الأدب، والمحافضة على الصلوات، وحسن معاملة الجيران، والرحمة بالفقير، وإغاثة اللفهان، والبر بالسائل، ويدخل عليهم ما يفرحهم من الطعام والشراب، حتى أنه كان يحضر الحليب والكعك للأطفال تنشيطاً وحثاً لهم على أداء الصلوات والنهوض المبكر لها، كما تميز رحمته الله بسعة الترويح والترفيه عن أهله، واستطاع أن يضبط سلوكه ومزاجه معهم على كثرة المحن والمُعكَّرات التي تمر عليه، وكان إذا دخل بيته جعل بينه وبين أعماله وخصومه ومنافسيه حجاباً لا يمكن أن يتخطى بابه الخارجي، فهو يرى أن من واجبه البشاشة والترفيه عن أهله ومشاركتهم أفراحهم ورحلاتهم ونزهاتهم لا إدخال الهم والكدر عليهم^(٢).

كان رحمته الله كثير الحب والعاطفة والتلطف على أولاده وأهل بيته، فكان يناديه أولاده بلفظ يا "سيدي" على عادة الأسر الشامية آنذاك، فكان يرد على بناته بلفظ يا "ستي" تحبياً وتلطفاً وإيناساً، لم يرفض لهم طلباً ممكناً خاصة البنات، ولم يرفع عليهم صوتاً إلا نادراً ولم يضربهم أبداً، فقد كان يربي بعيداً عن العنف؛ لأنه يرى أن يؤدي إلى نتيجة عكس الغاية المرجوة، ويعتقد أن التربية يجب أن تعتمد على الحكمة، وقد أحب بناته حباً منقطع النظير، فكان يجالسهن ويحادثهن ويعرف أمورهن، ومن فرط حبه وحنانه وعطفه أنه زوج إحداهن في سن مبكرة تلبية لرغبة أمه، فلما خلا بنفسه رأته زوجته يبكي بكاء الأطفال؛ جزعاً على ابنته، وكان يحرص على تنمية شخصيات أولاده، وتربيتهم التربية الدينية، وتعليمهم العلوم الدنيوية، ولم يكن الشيخ القاسمي رحمته الله يحنو ويعطف على أبناءه فقط، بل شمل ذلك إخوته،

(١) انظر: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٢٠٠١/١.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨١.

خصوصاً أن والده توفي تاركاً له مسؤوليتهم، فقد كان أكبرهم وعليه رعايتهم، فأشرف على تعليمهم وتربية صغيرهم، وسعى إلى تنمية أفكارهم وشخصياتهم^(١).

وكان رحمه الله يكرم ضيوفه وتلاميذه وأقرباءه من الرجال والنساء، وكان جوده وكرمه ظاهراً واضحاً، على قلة ذات يده، وكان لا يأتي وقت غداء أو عشاء وتلاميذه في داره إلا ويطعمهم مما في يأكله أهل بيته، ولهذا فقد عاش فقيراً ومات فقيراً، ولم يتمكن لفقره من أداء فريضة الحج^(٢).

عرف رحمه الله بالورع الحميد، فما تقرب إلى سلطان ولا تزلف لذوي الشأن، على شدة حاجته للمال، وأعباء نفقة العيال، وقد أثر شدة الحياة وشظف العيش على ذلك، فخرج من الدنيا ولم يترك مالا ولا عقاراً، وإنما ترك داراً اشتراها جده، وأصلحها أبوه من بعده، ثم ورثها من أبيه، ولم يعرف عنه طوال حياته إلا العيش من المال الحلال، وأداء الحقوق إلى أهلها^(٣)، ومع تميزه بالزهد والورع إلا أنه كان يدعو إلى مراعاة حسن الهندام والثياب، وأن الأناقة من الإسلام، فالله جميل يحب الجمال^(٤)، وأن ذلك ليس من البطر المذموم، بل وتعجبه العادات الجديدة في طريقة تقديم الطعام وتناوله ونحو ذلك^(٥).

كان رحمه الله كثير التوقير لشيخه، يعرف لهم حقهم، وينهض بواجبه نحوهم، ولا سيما بعد أن امتدَّ العمر بفريق منهم، كما كان كثير الحنان على تلاميذه، كثير التشجيع للنبية منهم،

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٩٢-١٩٥.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٦٨.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٥.

(٤) إشارة إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرٌ الْحَقُّ، وَعَمَّطُ النَّاسِ»، رواه مسلم في

صحيحه برقم ٩١، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ٩٢/١.

(٥) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨١.

كثير الصبر عليهم، لم يرد لأحد منهم سؤالاً، ولا ضاق بأحد منهم ذرعاً، وكانت فيه خصلة عرف بها طول حياته، وهي أنه لا يسمح لأحد بتقبيل يده لا لأهله ولا لبنيه ولا لتلامذته^(١)، مع كونها عادة مألوفة في ذلك الزمان^(٢).

كان الشيخ شديد الدقة والضبط، ذا طبعة علمية لا يسوقها هوى ولا يفسد صحتها عصبية، وكان مبالغاً في الأمانة والتحري، يسعى إلى الحقيقة كما هي، سواء كان ذلك في حياته العلمية مع طلابه وتلامذته، أو في حياته العملية مع الناس وأصحاب الحقوق المالية خاصة، وكان يجب التأنى في الأمور، ويرغب في الأناة، ويؤثر السلامة والعافية، غير أنه يغضب فيشتد غضبه إذا رأى المراء يسد مسالك الحق، والباطل يهضم جانب الإنصاف، ولا تأخذه في الله لومة لائم في الصدع بكلمة الحق^(٣).

كان الشيخ القاسمي رحمته الله مشغول الوقت، غالب عليه الجد، يتعد عن الهزل، حريصاً على الوقت إلى الغاية، ولا يعرف الملل والسأم ولا الكلاله، فهو بين مطالعة وتدريس وتأليف، ومن هنا ظهرت كثرة مؤلفاته التي جازت المئة مقارنة بعمره، وهو منذ الشباب آخذ نفسه بالجدِّ والدأب، وقد جمع مع الحرص على الوقت خصلة النظام والترتيب في أموره، فقد كان جدولته اليومي منظماً، مقسماً بين شؤون الدنيا والدين، وكان يتحسر عندما يمر أمام مقاهي دمشق، ويرى الناس يمضون أوقاتهم في لهو وثرثرة، فيتمنى لو استطاع شراء أوقاتهم منهم!!^(٤).

ومما تميز به الشيخ القاسمي رحمته الله أيضاً فضيلة الإقدام والإرادة، فهو إن خطر له خاطر

(١) لم أقف على دليل شرعي يستدل به القاسمي على المنع من هذا العمل، مع أنه كان يقبل يدي والديه وبعض شيوخه.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٢.

(٣) الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٢٢.

(٤) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢١.

اقتنع بصوابه وفائدته سارع إلى تنفيذه، دون إبطاء أو تردد، لا يثنيه عن الإرادة شيء، وقد لازمته هذه الصفة إلى آخر حياته، ولذلك تنزه عن الخور وعدم الوضوح، فكان يعرف ما يريد بخطى وثيدة ثابتة^(١).

كان ﷺ كثير الوفاء والتواضع بحق من أسدى إليه معروفا مهما قلَّ أو كثر خاصة لوالديه، لذلك كان بارا بهما وقلما ذكرهما من غير إطلاق والترضي والدعاء لهما، وكان يجانب كل ما يمكن أن يكدر على والديه من قريب أو بعيد، فقد كان مثالا عاليا في احترامهما ورفعهما في مقامهما، وما قدما له خدمة أو مكافأة إلا وانكب على يديهما يقبلهما، ويعترف بالفضل الجزيل لهما، تقديرا لمعرفتهما، وخفضا للجناح لهما، وكما كان وفيا لأبويه فقد كان وفيا لأصدقائه، حريصا على بقاء المودة والمحبة بينه وبينهم، لذا كان يسترضي الغاضب منهم ويقرب النافر، ويصلح بين المتخاصمين^(٢).

كان ﷺ عفاً للسان والقلم، لا يحب المراء ولا الجدال، يتحلى بالصبر وكظم النفس والسمو عن المهارات والخصومات خاصة مع العامة والجهلاء، وكان كثير الحلم خاصة على مخالفه، فلم يتعرض لأحد منهم بالأذى سواء في دروسه الخاصة أو العامة، وكانت له طريقة في مناقشة خصومه لم يعرف أهدأ منها، ولا أكثر صبرا عليها، وكثيرا ما يقصده البعض لا مستفيدا ولا متعلما بل محرجا، فكان يتقبله بصدرة الواسع وخلقه الكريم وعلمه العميق، فلا يصدر عنه إلا وقد أفحم وامتلاً إعجابا وتقديرا، وقد ظهر ذلك جليا يوم وفاته، فقد أجمع أعداؤه وخصومه على عظيم الخطب بفقده، وأقروا له بفضائله التي كانوا يغمطونه بها في حياته^(٣).

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٧١.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨١، ١٨٨.

(٣) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ١٧.

ج- شمائل القاسمي.

كانت للشيخ القاسمي رحمته الله شمائل حسنة، ومآثر جميلة، وسجايا كريمة، طُبعت نفسه عليها حتى ألفها، وبتلك الخصال سبق كثيرا من أفراد عصره، بل سبق زمانه الذي عاش فيه، فكان لا يشابهه من أعلام زمانه إلا القليل، ولذلك ذاع ذكره، وعلا صيته، وقد أشار إلى تلك الشمائل الكريمة مجموعة ممن خالطوه، ممن تعلّم عليهم أو تعلّموا عليه، أو صادقوه أو تعرفوا عليه، حتى نقلوا ذلك عنه، وكان ممن ذكر طرفا من تلك الشمائل صديقه الشيخ محمد رشيد رضا^(١)، حيث قال في وصف أخلاقه وعبادته وطريقة عيشه: "كان له رحمته الله دروع سابغات من أخلاقه وسيرته تقيه بغي أعداء العلم والإصلاح من حسّاده؛ إذ كان نزيه اللسان، بعيدا عن المراء والجدال، متجنباً للإزراء بغيره، والتعريض بغميزة خصمه أو مدح نفسه، غير مزاحم لوارثي العمام على الحطام، ولا مسابق لهم إلى أبواب الحكام، إلى ما كان عليه من العبادة والعفة والاستقامة، وإذا كان عمل القاسمي للإصلاح وتجديد علوم الدين صغيراً في نفسه، فهو كبير جدا في بلاده وبين قومه، فما القول فيه إذا كان عمله كبيراً في الواقع، وقد عظم المطلوب وقلّ المساعد؟. لقد أحيا السنة بالعمل والتعليم والتهديب والتأليف، وكان أحد حلقات الاتصال بين هدي السلف والارتقاء المدني الذي يقتضيه الزمن"^(٢).

ويقول الشيخ محمود مهدي الإستانبولي^(٣) عن النهضة العلمية والدينية التي قام بها

(١) ستأتي ترجمته ضمن أصدقاء الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ١٠٦.

(٢) مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٤٧٢، مقال بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقاليم، لمحمد رشيد رضا.

(٣) محمود مهدي الإستانبولي، عالم وباحث وتربوي، ولد بدمشق سنة ١٣٢٧هـ، واهتم بتحصيل العلوم الشرعية والحديث الشريف، وعمل في المجال التربوي، لازم المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وتبنى منهجه، قال عنه الشيخ علي الطنطاوي: إنه من أركان التربية في بلده، وصحب الشيخ عبد الفتاح الإمام، وأخذ عنه مبادئ السلفية، له عدد من المصنفات، توفي ١٤٢٠هـ. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري: نزار أباطة، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٢٧هـ، ص ٤٠٤. معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين: عبد القادر عياش، دار الفكر المعاصر،

الشيخ القاسمي رحمه الله: "غرس بذور الإصلاح في سوريا، وقام بنهضة عظيمة لم يسبقه إليها أحد من أساتذته ومن أبناء عصره، وكان يتصف بصفة قل من يثبت عليها وهي: أن لا يصدُّ صادُّ ولا يرُدُّ رادُّ عما يعزم ويشرع به من الإصلاح، وكان كلما ناله أذى من أعداء الإصلاح يزداد قوة ونشاطا ودعاية وكتابة، وهُمُّه الأعظم أن يجمع بين العلم والعمل الصحيح، ويثبت تأخيهما، اشتهر بحلمه مع مخالفيه، لا يجادل إلا بالتي هي أحسن مع أشد الناس خصومة له، وكان رحمه الله عالي الهمة، محبا للاطلاع، وكان حريصا على الفوائد لا تفارقه مفكرته، وكان رحمه الله عفيف النفس، لا يتهافت على وظائف الحكومة والأوقاف، ويتجنب التردد على المسؤولين وكبار الشخصيات إلا قليلا؛ تخلصا من شرهم، وكان يقول: كان السلف الصالح من العلماء يتردد على الخلفاء والولاة لوعظهم وإصلاحهم، أما نحن فقد بتنا نتردد عليهم تخلصا من شرهم، وقد كلف والي الشام مرة علماءها بالذهاب إلى أفضية دمشق وقرأها للوعظ والإرشاد في شهر رمضان براتب جيّد، وكان الشيخ القاسمي رحمه الله من جملة المرشدين الذين دُعوا لهذه المهمة، وقد اجتمع هؤلاء العلماء بالوالي بناء على طلبه قبل سفرهم؛ ليحدثهم عن مهمتهم، والغاية من تعيينهم، فدخلوا عليه، وأكثروا من مدحهم، وبقي الشيخ القاسمي رحمه الله في مكانه ساكتا، فلفت حاله نظر الوالي حيث لم يجد منه من التزلف ما وجده من غيره، فكان ذلك مدعاة لاحترامه وتقديره عليهم جميعا، ومما يروى عن عفته أن سلطان مراکش زار دمشق، فهرع إليه كثيرون رغبة في بره وهباته، ولم يخطر على بال الشيخ القاسمي رحمه الله زيارته، غير أنه بلغه أنه قد طبع كتبا مهمة في نشر الإسلام، منها تفسير البحر المنير لأبي حيان الأندلسي، والإصابة في تراجم الصحابة لابن حجر العسقلاني، وغيرها، فقصدته الشيخ وقال: علمت أنك طبعت هذه الكتب لخدمة الإسلام، فأطلب منك باسم علماء الدين العاملين أن تهديهم

هذه الكتب، فأعجب السلطان برأيه وعفته، وقال له: اكتب لي قائمة بأسماء العلماء الذين يستحقون هذه الكتب، فكتب له أسماء ٣٠ عالماً، فأمر السلطان حالاً بإحضار هذه الكتب وتسليمها لهم، وقد بلغت حصة كل منهم عشرات المجلدات^(١).

ويذكر صديقه الشيخ محمد كرد علي طرفاً من شمائله، واصفاً فيها انصرافه عن الدنيا وإقباله على العلم والتأليف، حيث يقول: "كان القاسمي رحمته الله منذ وعى على نفسه يعمل على تهذيبها، ولا يكاد يمضي عليه يوم لم يستفد منه فائدة، ولم يقيد شاردة، فظهرت عليه مخايل النبوغ ولما يبلغ العشرين، فما بالك به وقد نيف على الأربعين، وقارب أن يتم العقد الخمسين، وجماع الأسباب التي نجح بها طهارة نفسه من المطامع الأشعبية، وشغفه بالعلم لذته ونفعه في إنارة القلوب، واعتقاد أنه منج في الدنيا والآخرة، فهو لم يجعل الدين سلماً إلى الدنيا، وجسراً مؤقتاً يجتاز عليه لحيازة مظهر خلاب، والتصدر في المجالس بفخر الهدام وبراق الثياب، بل فرغ قلبه ووقته للعمل النافع، فبورك له بساعات عمره القصير، ويا للأسف، ولو عددنا ما كتبه من مصنفاته، وقسناه بالنسبة لهذا العصر الذي أضحت فيه بضاعة العلم مزجاة بائرة، لما قلَّ عن اللحاق بالمكثرتين من التأليف في المتأخرين، أمثال السيوطي، وابن السبكي، وأضرابهما، مع ملاحظة ما بين العصور والبيئات من الفوارق"^(٢).

ومن ذكر شمائل الشيخ القاسمي رحمته الله صديقه الأديب الأمير شكيب أرسلان^(٣)، حيث قال في تقديمه لكتاب "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث" للشيخ القاسمي: "إنه لم يُعطَ أحد شطر الجمال المعنوي الذي يحبه الله عز وجل ويشغف به عباد الله عز وجل بدرجة المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي، الذي كان في الحقبة الأخيرة جمال دمشق وجمال القطر الشامي

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ١٨ - ٢٠ بتصرف يسير.

(٢) مجلة المقتبس: العدد ٨٥ ص ٤٧، مقال بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي، بتصرف يسير.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن أصدقاء الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ١١٥.

بأسره، في غزارة فضله، وسعة علمه، وشفوف حسه، وزكاء نفسه، وكرم أخلاقه، وشرف منازعه، وجمعه بين الشرائع الباهية، والمعارف المتناهية، بحيث كل من يدخل دمشق ويتعرف إلى ذلك الخبير الفاضل، والجهيد الكامل، كان يرى أنه لو لم يكن فيها إلا تلك الذات البهية، المتحلية بتلك الشرائع السرية، والعلوم العبقرية، لكان ذلك كافيا في إظهار مزيته على سائر البلاد، وإثبات أن أحاديث مجدها موصولة الإسناد^(١).

كما أشار إلى بعض شرائع القاسمي رحمته الله تلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار، حيث ذكر حرصه على الوقت، وجلده في طلب العلم بقوله: "كان علامة الشام القاسمي -تغمده الله برحمته ورضوانه- آية في المحافظة على الوقت، والمواظبة على العمل، كان يُجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة، ومدونات السنة وشروحها، ومؤلفات أصول الدين، وأمّهات الفقه وأصوله، ومطولات التاريخ والأدب، وكتب المقالات والنحل، وكان يُمعن النظر في هذه العلوم والفنون، ويستخرج منها حقائق يبذل لها من نفيس وقته، وقوة طلبه، ما يشهد له به كل من وقف على مصنّفاته، ورسائله التي كانت تتهادها المجالات الكبرى في مصر والشام ولبنان، كالمنازل والمقتبس والعرفان، فكان ينشرها على صفحاتها إيمانا واحتسابا، ولم يكن يتبغي منها ولا مما يطبعه مستقبلا إلا وجه الله والدار الآخرة. وإن مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا رحمته الله هو كونه خَلَفَ زهاء مئة كتاب أو أكثر، ولم يبلغ الخمسين من عمره، وندر جدا أن ترى كتابا مخطوطا أو مطبوعا في خزائنه الواسعة حاليا من التعليقات الكثيرة، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة، ولو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا، ومن نفاسة تأليفه فوق ما شاهدنا، فإن الأستاذ كان في تجدد مستمر، استمد من علوم العصر وحقائقه،

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ، ص ١١.

وانكشف له به عن كثير من أسرار الشريعة وغوامضها"^(١).

ومن أثنى على شمائل القاسمي رحمه الله تلميذه الشيخ محب الدين الخطيب حيث قال عن الإصلاح الذي قام به: "السيد جمال الدين القاسمي رحمه الله مصباح من مصابيح الإصلاح الاسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري، فنفخ الله الناس بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم، ثم انتقل إلى رحمة الله ورضوانه تاركا من آثاره المطبوعة ما لا تكاد تخلو منه مكتبة قائل بالإصلاح في العالم الاسلامي"^(٢).

ويشير الأستاذ عاصم بن بهجة البيطار^(٣) الى سعة إطلاع الشيخ القاسمي رحمه الله على العلوم والفنون المختلفة فيقول: "إن الناظر المتأنى في ما ترك علامة الشام القاسمي من آثار وأقوال في مختلف وجوه العلم يدل على أن ثقافته كانت شيئا فريدا بين معاصريه، فقد كانت ثقافته موسوعية لم تقف عند حدود علوم الشريعة واللغة والاجتماع، بل عنيت بما استحدثه العصر من مكتشفات ومخترعات، وما وصل إليه العلم من آراء ونظريات، واستخدم الفقيه ذلك كله في خدمة الدين، وإقامة المجتمع الإسلامي على أفضل الأسس والقواعد التي لا تفقد صيغتها الإسلامية، فلا غرابة إذا حدثنا عن العمل بالبرق والكهرباء والهاتف

(١) أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٧.

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٩ هـ، ص ٦.

(٣) عاصم بن محمد بهجة البيطار، عالم لغوي مرابي، ولد بدمشق سنة ١٣٤٥ هـ، نشأ في بيت علم ودين، لأسرة مغربية الأصل، هاجرت من الجزائر ثم إلى دمشق، درس على والده، الذي كان أحد أبرز تلاميذ الشيخ جمال الدين القاسمي، كما درس على جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار وغيرهم، درس في جامعة دمشق وتخرج فيها من قسم اللغة العربية، كما نال دبلوم التربية، عمل في التدريس في ثانويات دمشق، ثم أستاذا في جامعة دمشق في كلية اللغة العربية، تنقل في أكثر من عاصمة عربية مفتشاً ومعلماً ومحاضراً وأستاذاً، ثم تم اختياره عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق، له عدد من المؤلفات، توفي بدمشق ١٤٢٦ هـ، ودفن بمقبرة بوابة الميدان. انظر ترجمته: مقال بعنوان: الأستاذ العلامة عاصم بن محمد بهجة البيطار، لخليل محمود الصادي، موقع رابطة أدباء الشام.

والاشتراكية التي بدأت مفهوماتها تصل إلى أسماع بعض الناس، وبعض المعارف الطبية، إلى جانب آثاره الجليلة في التفسير والحديث والتاريخ والأدب والاجتماع والأخلاق"^(١).



(١) مقدمة كتاب الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٢٠، كتب المقدمة الشيخ عاصم بن بهجة البيطار.

المطلب الخامس

وفاة القاسمي وراثته

أ- وفاة القاسمي.

عصفت الحمى "التيفية"^(١) بالشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله فجأة، بعد عودته من رحلة إلى فلسطين، وثقلت عليه بسرعة، فعاده طبيبه عبد الرحمن الشهبندر^(٢) يريد معالجته، فأسقط في يده، وعرف أنه في مرض الموت، وأنه يعالج السكرات، فكانت ساعة أليمة على الأهل والأصدقاء والتلاميذ الذين التفوا حوله، ففاضت روحه إلى الله مساء السبت ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٣٢هـ، وعمره ٤٩ عاماً، وكان الخبر على الناس صاعقاً ومهولاً ومفاجئاً، وصلي عليه في اليوم التالي، وخرجت له جنازة حافلة مهيبة، قلَّ أن يكون لها نظير في كثرة المشيعين، وحضرها حتى أعداؤه، ودفن في مقبرة الباب الصغير^(٣).

ب- رثاء القاسمي.

رثى الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله ونعي من أعيان وعلماء ومثقفون ومفكرون ووجهاء من بلاد العالم الإسلامي، وأسفوا لفقده ورحيله المفاجئ وهو في نشاطه في التأليف، وهمته في التعليم، وسعيه نحو التجديد، ومن روائع ما رثي به مرثية لتلميذه الشيخ محمد جميل الشطي^(٤) حيث قال:

لله فاجعة الإمام القاسمي ما كان أسوأ وقعها في العالم

(١) "التيفية أو التيفويد" هو مرض معدي قاتل، ينتج عن أكل أو شرب المواد الملوثة بأنواع معينة من البكتيريا. (ويكيبيديا).

(٢) عبد الرحمن بن صالح الشهبندر، من رجال الطب والسياسة والثقافة والخطابة، ولد بدمشق سنة ١٢٩٨هـ، تولى وزارة

الخارجية، وأسس حزب الشعب، اغتيل بدمشق سنة ١٣٥٩هـ. انظر ترجمته: معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة

.٩١/٢

(٣) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٥.

(٤) ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ١٢٨.

رزء غدا في الدين أكبر ثلثة وأتى لصرح العلم أعظم هادم

هو شيخنا وجمالنا وحبينا العالم ابن العالم ابن العالم (١)

ومما رثي به أيضا مرثية لصديقه العراقي الشيخ محمود شكري الألوسي (٢) حيث قال

فيها:

أحيا به الله الشريعة والهدى وأقام فيه شعائر الإسلام

حكّم على أهل العقول بيتها منعوتة الأوضاع والأحكام

ويريك في ألفاظه وكلامه سحر العقول وحيرة الأفهام (٣)

كما رثاه تلميذه الشاعر عبد الرحمن القصار (٤) بقوله:

على فقد ركن بالوقار مجلل قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

قفا نبك من ذكرى إمام قضى ولم يدع أملا في راحة مؤمل

قفا نبك من ذكرى عزيز قضى ولم نذق بعده إلا مرارة حنظل

قفا نبك ركذا هد ركن اصطبارنا بمعول رزء بل مصاب مزلزل (٥)

(١) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٥٣.

(٢) محمود شكري بن عبد الله الألوسي البغدادي الحسيني، ولد ببغداد سنة ١٢٧٣هـ، مؤرخ، أديب، لغوي، من علماء الدين، ومن الدعوة إلى الإصلاح، تميز باهتمامه بنشر كتب السلف، وله كثير من المؤلفات، توفي ببغداد سنة ١٣٤٢هـ.

انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/ ١٧٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/ ٨١٠.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الحميد القصار، ولد بدمشق سنة ١٢٨٠هـ، أديب، ناثر، ناظم، موسيقي، تتلمذ على الشيخ القاسمي، ودرس الفقه والتفسير والعروض والبيان، وتوفي بدمشق سنة ١٣٥٠هـ. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين

الزركلي ٣/ ٣٠٩. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ٩٢.

(٥) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٥.

ومن مراثيه مرثية تلميذه الأديب خير الدين الزركلي^(١) حيث قال فيها:

مالي أرى الكون أمسى دمه هطلا
وعمّ أنباءه الإعوال والصخب
بيكي الوجود جمال الدين أوحده
والفضل يندب والعلياء والحسب
يا أيها الموت هلا كنت مهله
حيناً لعل به تستأصل الريب
نعيت للموت ذخرا كان مدخرا
للنائبات وبحرا ليس يضطرب
لو كنت تعلم من أوديت نمت على
أجل ملتحد يُبكي وينتخب
ألم يكن سيذا طابت خلائقه
مفضلاً أنجبته سادة نجب
ألم يكن كعبته القصاد منزله
والمورد العذب ما يملّي وينتخب (٢)

ومن رثاه تلميذه الشيخ توفيق البزرة^(٣) حيث قال:

ملاً الطروس مع الصدور علوما
ومضى فأضحى في الجنان مقيما
أودعتها نورا فنارا أعجزا
أن يفصلا أبدا ولست ملوما
أنى وأنت جمال القاسمي جما
ل أهل الشام حلما واسعا وعلوما
طافت معارفك البلاد فكيف بالت
تفسير لوطاف البلاد عموما

(١) خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، ولد في بيروت سنة ١٣١٠هـ، سياسي، مؤرخ، دبلوماسي، شاعر، من رجال الثقافة والأدب، أصله كردي من أكراد دمشق، عمل في الوزارة والسفارة والإدارة، وله كثير من المشاركات السياسية والاجتماعية، وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٨/ ٢٦٧. تكملة معجم المؤلفين: محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، ص ١٧٧.

(٢) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٤٩.

(٣) توفيق البزرة، عالم مصلح، سلفي، ولد في دمشق سنة ١٢٩٩هـ، طلب العلم مبكرا على كبار علماء الشام في زمانه، وكان يكتب من عمل يده في صنع الحلوى والساكار. توفي في دمشق سنة ١٣٧٣هـ. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٢/ ٦٥٥.

إن المنيمة لا تجاوز حدها فتغادر المجد العظيم رميماً (١)

ومما رثي به أيضاً مرثية لتلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار حيث قال:
فيا أيها الأستاذ نم بسلامة وقلب ركين ثابت غير واجب
على السنة الغراء التي قد سننتها غدا كل فرد سالك غير هائب
عليك سلام الله ما ذر شارق ورحمته تنهل مثل السحائب (٢)

وقد رثاه تلميذه وأخيه صلاح الدين القاسمي بمرثية "الدمعة اليتيمة" حيث قال:
نم هنيئاً في ذممة الله نفس طلبت في حماه أسمى مقييل
قد صفت جوهرها وخضت فطارت في فضاء الفردوس للتبجيل
فاحرسيها ملائكة الله دوماً إنه كان كالملاك الجميل (٣)

ومما رثي به أيضاً مرثية للشاعر جرجي حداد^(٤) حيث قال:
أجمل عزاءك فالمصاب جليل والدمع في خطب الإمام قليل
جلّ الأسى يا قوم فاصطبروا له صبر العظام على العظيم جميل
جزعت دمشق وقد رأت علم الهدى يلوي به عادي الردى فيميل
نم يا جمال الدين غير مروع إن الزمان بما ابتغيت كفيل

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠.

(٣) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٥٠.

(٤) جرجي بن موسى حداد، شاعر سوري، اشتهر بالإنشاد، ولد في زحلة، وتعلم في دمشق، ثم كان معلماً للعربية فيها، وتولى تحرير عدد من الجرائد اليومية، حكم عليه بالإعدام مع الأحرار العرب، شق في بيروت سنة ١٣٣٦هـ. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١١٧/٢.

فستعرف الأجيال فضلك في غد إن كان لم يعرفه هذا الجيل (١)

ومن رثاه تلميذه الشيخ الشاعر مصطفى الغلاييني (٢):

مصر تحدر دمعها والشام وبكى لهول مصابه الإسلام
والعلم أقصده الردى فضواده رهن الثرى وعياله أيتام
والشرق ريع بحادث متعاضم لهب يحرق قلبه وضرام
والدين بعد جماله في غمرة شذاء ليلتها العبوس تمام
بيكي به رجل الفضيلة والعلل فهو الإمام الفاضل العالم
كنت الرجاء لأمة حادت بها عن دينها فئة تعيث طغام (٣)

وقد نعاه صديقه الشيخ محمد كرد علي، حيث قال: "ولكن إرادة المولى سبحانه قضت بأن لا تحرم هذه الأمة من أعلام يصدعون بالحق، فيجددون لها أمر دينها، ويستطيون الأذى في إنارة العقول، والرجوع بالشرع إلى الحد الذي رسمه الشارع وأصحابه والتابعون والأئمة الهاديون المهديون، ومن هؤلاء المجددين نابغة دمشق، فقيدنا العزيز، السيد جمال الدين القاسمي، الذي يعرفه قراء هذه المجلة، بما نشره في سنيها الماضية من آثار علمه وأدبه، فقد قضى حياة طيبة ولم يعقه عن الاشتغال ما لقيه من تشييط المثبتين في أول أمره، وتنغيص

(١) المرجع السابق ص ١٥٧.

(٢) مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، أديب كاتب شاعر خطيب لغوي سياسي صحفي، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي، ولد ببيروت سنة ١٣٠٣هـ، وتعلم بها وبمصر، وتلمذ للشيخ محمد عبده، عمل بالجيش والتدريس وبالقضاء، توفي ببيروت سنة ١٣٦٤هـ، وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/ ٢٤٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/ ٨٨١.

(٣) الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي ص ٧٨.

الحاسدين في أواسط عمره، ممن لا يخلو منهم مصر ولا عصر"^(١)، ويقول أيضا: "لا تحضرني عبارة تشعر بمبلغ الحزن الذي نال دمشق بفقد من كان عالمها الكبير، وأستاذها التحرير، جمال الدين القاسمي، فقد كان أحد أفراد هذا العصر المعدودين في التحقيق بأسرار الشريعة، وهو لا مرء عالم بالكتاب والسنة بلا مدافع، خلق ليعمل على بعث الدين المين خاليا من حشو المتأخرين الجامدين، وتضليل المخرفين والمبطلين"^(٢)، ويقول أيضا في تقديمه لكتاب "الوعظ المطلوب من قوت القلوب" للشيخ القاسمي رحمته الله: "رأيت رجالا كثيرين من أهل الإسلام وغيرهم، وفي مصر والشام خاصة، فلم أر همة تفوق همة صديقي الراحل، ولا نفسا طويلا على العمل ودؤوبا عليه أكثر منه، ولا غراما بالإفادة والاستفادة، ولا حبا بالعلم للعلم، فقد قضى ٤٩ عاما وخلف ما خلف من عشرات من مصنفاته الدينية العصرية النافعة"^(٣).

ومما نعي به الشيخ القاسمي رحمته الله نعي صديقه الشيخ محمد رشيد رضا، حيث قال في عزاءه لأولاد القاسمي: "إنا لا نخصكم بالتعزية، لأن المصاب بجمال الدين ليس مصابكم وحدكم، بل هو مصاب الأمة الإسلامية، ومصاب الديار الشامية، أما والله إنه ليعزُّ علي أن أعزي شقيق روعي وقره عيني وساعدي وعضيدي ونصيري، على ما تصدّيت له من خدمة السنة، ومحاربة البدعة، والرجوع بالمسلمين إلى ما كانوا عليه، إنه لا يعزيني إلا وجود مثله، وأنتى يوجد مثل القاسمي؟! وأين يوجد؟! إلا أن فقيدنا قد كان أمة وحده، بما وهبه الله عزّلك من الشمائل، وما جمع فيه من أسباب المزايا والفضائل، قلب سليم، وخلق حسن، ولسان نزيه، وذهن جوال، وقلم سيال، وهمة عالية، ونية صالحة، ومودة صادقة، وقناعة بالقليل من

(١) مجلة المقتبس: العدد ٨٥ ص ٤٧، مقال بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي.

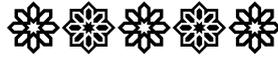
(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨.

(٣) الوعظ المطلوب من قوت القلوب: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١٤٢١هـ، ص ١٧.

المال، وطمع في الكثير من العلم"^(١).

ومن نعاه أيضا صديقه الأمير الأديب شكيب أرسلان حيث قال في تقديمه لكتاب "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث" للشيخ القاسمي رحمته الله: "وإني لأوصي جميع الناشئة الإسلامية، التي تريد أن تفهم الشرع فهما ترتاح إليه ضمائرهما، وتتعقد عليه خناصرها، أن لا تقدم شيئاً على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي، الذي قسم الله له من معرفة أسرار الشرع، ما لم يقسمه إلا لكبار الأئمة، وأحبار الأمة، والله عز وجل ينفع المسلمين بآثاره، ويهديهم في ظلمات هذه الحياة بزاهر أنواره. آمين"^(٢).

ومن نعاه أيضا صديقه الحجازي الشيخ محمد بن حسين نصيف^(٣)، حيث قال في رسالة لأولاد القاسمي: "أقاسمكم الأسف والغم على مصيبتنا ومصيبة الإسلام بفقد العلم والإصلاح، السيد جمال الدين القاسمي رحمته الله برحمته الواسعة، واحسرتاه على عدم اجتماعي به، وانتفاعي بملازمته، أسأل الله أن ينفعني والأمة الإسلامية بآثاره النافعة"^(٤).



(١) الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي ص ٧٦.

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٧.

(٣) محمد بن حسين بن نصيف. ولد في جدة سنة ١٣٠٢ هـ، عالم جدة وصدرها ومقدمها، ومن أعلام الدعوة السلفية والحركة الإصلاحية في عصره، أولع بالكتب، وحرص على نشر كتب السلف، وله دراية بعلم النسب، توفي بالطائف سنة ١٣٩١ هـ، ودفن بجدة بمقبرة الأسد. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١٠٧/٦.

(٤) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩.

المبحث الثاني

حياة الشيخ جمال الدين القاسمي العلمية

وفيه سبعة مطالب :

- **المطلب الأول: نشأة القاسمي العلمية.**
- **المطلب الثاني: عقيدة القاسمي مذهبه.**
- **المطلب الثالث: ثقافة القاسمي العامة.**
- **المطلب الرابع: أبرز شيوخ القاسمي.**
- **المطلب الخامس: أبرز أصدقاء القاسمي.**
- **المطلب السادس: أبرز تلاميذ القاسمي.**
- **المطلب السابع: آثار القاسمي.**

المطلب الأول

نشأة القاسمي العلمية

نشأ الشيخ القاسمي رحمته الله في بيت عرف بالعلم والتقوى والصلاح والورع وكرم الأخلاق، وكان ذلك له كبير الأثر في توجيهه الوجهة الطيبة، فجدده فقيه الشام وعالمها، ووالده كان كذلك أيضا بالإضافة إلى اشتغاله بالأدب، وقد ظهرت عليه أمارات النجابة والفتنة مبكرا، مما دعا والده للاهتمام به، مما كان له الأثر البارز في دفعه للعلم وحبه للقراءة وحلق الدرس، وكان يكتب له نثرا وشعرا ودعاء؛ ليحثه على العلم ويحببه فيه، وكان تعليم الأطفال في زمانه على طريقة القدماء وهي التعليم في الكتاب، والذي يكون غالبا في غرف تابعة للجوامع، فلما بلغ سنَّ التمييز دفع به والده إلى كتاب ليتعلم القرآن الكريم، فقرأه على الشيخ عبد الرحمن المصري^(١)، فلما أتم حفظه انتقل إلى تعلم القراءة والكتابة والخط على يد معلم الأطفال الشيخ عبد الرحمن القرصي^(٢)، حتى أتقن الخطين الرقعة والفارسي، ثم انتقل إلى المدرسة الظاهرية، وانتظم في صفوفها، وكان معلمه الشيخ رشيد قزيبا^(٣)، فتعلم التوحيد والنحو والصرف والعروض والبيان والمنطق وغيرها، ثم جود القرآن عند شيخ فراء الشام الشيخ أحمد الحلواني^(٤)، وقد انتظم أيضا في دروس والده في جامع السنانية للقراءة في

(١) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٢.

(٢) لم أقف على ترجمة له فيما بين يدي من مصادر، وقد قال عنه تلميذه الشيخ القاسمي في عرض ترجمته لنفسه: "أخذت في تعلم الكتابة عند الأستاذ الكامل، الشيخ محمود أفندي بن محمد بن مصطفى القرصي، نزيل دمشق، من صلحاء الأتراك وكرامهم، كان قاطنا في تربة درويش باشا في القبة التي على الساباط، جوار جامع الدرويشية على الجادة، وبها كان يعلم الأطفال وغيرهم، فمكثت عنده نحوا من ثلاث سنين، إلى أن أتقنت الخط بالقلمين، وذلك في أثناء سنة ١٢٩٥ هـ". جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤١.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٥.

(٤) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٢.

المختصرات الفقهية والحديثية والنحوية، كما انتظم أيضا في مجالس الشيخ سليم العطار^(١) في الجامع الأموي لقراءة البخاري والموطأ وغيرها من كتب الحديث النبوي، كما درس الفقه والتفسير والحديث والأصول والعقيدة والبلاغة والنحو والصرف على ثلة من كبار علماء الشام في زمانه، أمثال: الشيخ بكري العطار^(٢)، والشيخ محمد الخاني^(٣)، والشيخ حسن جبينه الدسوقي^(٤)، وغيرهم كثير، وقد نال الإجازات العامة منهم، ومن عدد من العلماء والمشايخ في دمشق وخارجها^(٥).

وهكذا غدا الطفل القاسمي رحمته الله غلاما يافعا محبا للعلم شغوبا به وبأهله، فقد كان لا يمل من القراءة المطلقة أبدا، حتى أنه قرأ كثيرا من كتب الأدب والتاريخ مما لا يحصى عدده، وقد كان يكتب الفوائد واللطائف والنوادر والأبيات الرائعة من قراءته في أوراق ودفاتر، ثم جمعها ورتبها وأخرجها في مؤلف له أسماه "السفينة" وعمره حينها ١٦ سنة، فكان ذلك أول مؤلف له^(٦)، ولم يبلغ الغلام ١٨ عاما حتى حصل على أول إجازة عامة من أحد كبار علماء الشام وشيوخها آن ذاك، وكانت مذيبة بتاريخ سنة ١٣٠١هـ، ولم يكتف الشيخ القاسمي بما أنشأه عليه والده وشيوخه، بل أخذ على تهذيب نفسه وتثقيف عقله بما يتلقاه من علوم وتجارب من الكتب، حتى ظهر نبوغه وتميزه عن غيره ولم يبلغ ٢٠ عاما من عمره، وقد كان

(١) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٥.

(٢) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٧.

(٣) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٩.

(٤) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ١٠١.

(٥) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٣.

(٦) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤١.

معلموه وأساتذته يرون فيه أن له مستقبلاً زاهراً، وقد كان^(١).

إن علامات النجابة والنبوغ صاحبت الشيخ القاسمي منذ نعومة أظفاره، فكما كان مبكراً في التعلم فقد كان مبكراً في التعليم، وكان لهذا فائدة عظيمة في بذل العلم للناس، وفي التقوي على ضبط العلم، فلما أصبح عمره ١٤ عاماً طلب لإقراء بعض الطلبة المبتدئين، فشرع في مقدمات بعض الفنون، فأقرأ متن "غاية الاختصار" - من المتون المختصرة في فقه الشافعية - مراراً^(٢)، ولما أصبح عمره ٢٠ عاماً طلب من أبيه الإمامة والصلاة بجامع "العنابة" بباب السريجة، فأرسله أبوه وأمره بالقيام بذلك بدلاً عنه، فابتهج الناس به وأحبوا مقامه فيهم، وتفرد بإقراءهم صباحاً وبين العشاءين، ولما أصبح عمره ٢٦ عاماً انتخب من أعضاء مجلس الإدارة بدمشق للعمل عند الحكومة العثمانية، وذلك لإقراء الناس الدروس العامة في شهر رمضان في أفضية ولاية سوريا، وبقي على هذه الوظيفة ٤ سنوات، حتى ألغتها الحكومة، وكان كلما أُرسِلَ إلى مكان يحرص على نشر العلم بين أهله، ويدون رحلته في مذكرات^(٣).



(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٩٣.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٥٨.

(٣) المرجع السابق.

المطلب الثاني

عقيدة القاسمي ومذهبه

أ- عقيدة القاسمي.

تأثر الشيخ القاسمي رحمته الله في بداية حياته بما كانت تموج به بلاد الشام من مذاهب ومعتقدات مخالفة لاعتقاد السلف الصالح أهل السنة والجماعة، فقد نشأ أول أمره أشعريا في العقيدة، وصوفيا نقشبنديا في الطريقة، وكان ينص على ذلك في كتبه التي ألفها قبل سنة ١٣٢٠هـ، فقد كتب في آخر كتابه "الكوكب المنير في مولد البشير النذير" ما نصه: "تم على يد مختصره الفقير إلى الغني الكبير محمد جمال الدين، أبي الفرج، القاسمي، الأشعري، الدمشقي، النقشبندي، الخالدي، في ٤ ربيع الأنور سنة ١٣٠٦هـ"^(١)، إلا أنه وبعد سنة ١٣١٠هـ تقريبا تغيرت عقيدته^(٢) بسبب اطلاعه على كثير من كتب ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم التي كانت مخطوطة ومحفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق، فأخذ في المهجر تدريجيا لكل عقيدة تخالف عقيدة السلف، وأصبحت عقيدته في آخر الأمر موافقة لعقيدة السلف الصالح أهل السنة والجماعة في أغلب مسائل الاعتقاد^(٣)، وأصبح يُحذّر في كتبه ومقالاته من

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣٧.

(٢) لم يصرح القاسمي ولا من ترجم له -حتى ابنه ظافر- بتاريخ تحوله العقدي، إلا أن د. نزار أباطة حاول الوصول الى ذلك التاريخ من خلال التتبع التاريخي لمواقف الشيخ القاسمي وربطها بالحن التي مرّ بها في حياته، خاصة المحنة المسماة بـ"حادثة المجتهدين" التي كانت سنة ١٣١٣هـ، مع ما ذكره عن نفسه من مفارقتها واعتزاله لشيخه الصوفي الشيخ محمد الخاني سنة ١٣٠٧هـ تقريبا، مع ما ذكره عن كتبه التي ألفها قبل سنة ١٣٢٠هـ حيث قال أنه له "فيها وقفة"، مع الربط لذلك كله يمكن الوصول الى أنه بدأ بالاتجاه إلى عقيدة السلف من سنة ١٣١٠هـ تقريبا، وإن كانت أفكاره السلفية اتضحت بشكل كبير سنة ١٣١٣هـ. انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٠٦.

(٣) ولم يخطئ رحمته الله إلا في مسائل قليلة، وهي لا تخرجه عن مذهب السلف، وقد نوقشت هذه المآخذ وردّ عليه فيها في رسالة علمية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عنوانها: منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة، للباحث: محمد

فساد وبدعية طرق الصوفية، ويبين مخالفتهم لطريق السلف^(١)، كما كان يُبينُ فساد مذهب الأشاعرة، ويقرر أن كثيرا من مسائلهم يرجع إلى مذهب الجهمية المبتدعة^(٢)، وهو مع رجوعه إلى مذهب السلف إلا أن أثر ما كان عليه قد بقي في بعض كلامه ومؤلفاته، ومن ذلك: تعمقه في علم الكلام^(٣)، وثناؤه على بعض المعتزلة^(٤)، واستشهاده بأقوال بعض الصوفية واعتذاره لهم وثناؤه عليهم^(٥)، وهو مع خطأه رحمته إلا أنه لم يخرج عن مذهب السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ومما يؤكد على عقيدته السلفية الصافية عدة أمور، منها:

- أ- آراؤه رحمته في تفسيره "محاسن التأويل"، حيث جاءت جميع آراؤه في جميع المباحث والأقوال العقدية موافقة لرأي السلف الصالح، حتى في آيات الصفات^(٦).
- ب- شهادة كل من ترجم له رحمته من معاصريه وأقرانه وأصدقائه وطلابه وأبنائه بسلامة عقيدته وصفائها، وأنه كان على مذهب السلف الصالح^(٧).
- ج- اعترافه رحمته بنفسه أنه سلفي العقيدة، وقال في ذلك أبياتا:
- زعم الناس بأن مذهبي يدعى الجمالي

أحمد خضي، انظر: ص ٤٠١ وما بعدها.

(١) انظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ، ١/٤٣٤، دلائل التوحيد:

جمال الدين القاسمي، دار الفنائس، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ، ص ٢٧٨.

(٢) انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ، ص ٩.

(٣) وهذا ظاهر في كتبه ومؤلفاته خاصة دلائل التوحيد ومحاسن التأويل وتاريخ الجهمية والمعتزلة.

(٤) انظر: تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي ص ٤، ١٨.

(٥) انظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٩/١٢. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي

ص ٤٤.

(٦) انظر: القاسمي ومنهجه في التفسير: ابراهيم بن علي بن صالح الحسن ص ٣٩٢.

(٧) انظر الى بعض تراجمه: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٤٣٥. تاريخ علماء دمشق في

القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ٢/٢٩٨. الأعلام: خير الدين الزركلي ٢/١٣٥.

واليه حينما أفرتي الـورى أعزومة قـالي
 لا. وعمـر الحـقق إنـي سـلفي الـانتـحـال
 مـذهبي مـايـفي كـتاب ربي المتـعـالي
 ثم مـاصـح مـن الأخبـار لا قـيل وقـال
 أقتـفـي الحـقق ولا أرضـي بـآراء الرـجـال
 وأرى التـقليـد جهـلا وعمـي في كل حـال (١)

- د- اهتمامه ﷺ بأقوال كبار علماء السلف الصالح، كأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وتقديمه أقوالهم على غيرهم من أهل البدع والأهواء^(٢).
- هـ- نشره ﷺ لكتب السلف الصالح، خاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما، وحرصه على تحقيقها وتصحيحها وطباعتها، وتحسره على ما فقد منها، وتحسره على عدم علم ومعرفة العلماء والعامّة لمكانتها وفضلها^(٣).
- و- اتباعه ﷺ رأي أهل الحديث في نظرهم إلى فقه الدليل، والقول بالاجتهاد في الدين لا العمل بالتقليد، ودفاعه عن ذلك، بل تحمله الأذى في سبيله^(٤).
- ز- أنه ﷺ هجر بعض مشايخه الذين تلقى عنهم ما يخالف عقيدة السلف، مثل: هجره للشيخ محمد الخاني^(٥)، الذي تلقى عليه الطريقة النقشبندية الصوفية، وقد قال فيه: "ومن أجلاء مشايخي صوفي عصره، الأستاذ الجليل المحقق الشيخ محمد بن محمد الخاني

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/ ٤٣٥.

(٢) سيأتي عرض ذلك في جهوده الدعوية في جانب العقيدة في المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٧٧.

(٣) سيأتي عرض ذلك في جهوده الدعوية في الجانب العقدي في المبحث الأول من الفصل الثاني ص ١٧٧.

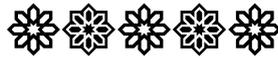
(٤) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٣ وما بعدها.

(٥) ستأتي ترجمته ضمن شيوخ الشيخ جمال الدين القاسمي في المطلب الرابع من هذا المبحث ص ٩٧.

النقشبندي، وقد كان رحمته الله لقنني ذكر الطريقة النقشبندية، ولازمت حلقتة مدة، ثم تركتها لأمر ما^(١)، وقد أجاز لي إجازة عامة^(٢)، وبهذا يتضح أن الشيخ القاسمي رحمته الله كان سلفي العقيدة، صحيح المذهب، صافي المشرب^(٣).

ب- مذهب القاسمي الفقهي.

كان المذهب الشافعي سائدا في بلاد الشام زمن الشيخ القاسمي رحمته الله، على الرغم من أن المذهب الحنفي كان هو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، إلا أن غالب تفقه المبتدئين في الطلب في الشام يكون على المذهب الشافعي، وعلى هذا نشأ القاسمي، وكان تعلمه ثم تعليمه على متون الفقه الشافعي، وقد صرح بمذهبه في مواطن كثيرة، خاصة في أوقات محتته، وكثيرا ما كان يستجوب ويحقق معه ويسأل عن مذهبه فيجيب بأنه يتبع الله على مذهب الشافعي^(٤)، وهو مع ميله للاجتهاد وذمه التقليد، إلا أن آراءه الفقهية كانت تميل إلى مذهب الشافعي، وكان ينتصر لقول الشافعي إذا وافقه الدليل، ولذلك عدّه كل من ترجم له من فقهاء الشافعية، ونسبوه كعادة السلف إلى الشافعي^(٥)، وقد غلب عليه في آخر حياته الاجتهاد في المسائل الفقهية، والنظر في الأدلة، وكان يبني أقواله على ما يترجح له منها^(٦).



- (١) لم يصرح الشيخ القاسمي بهذا السبب، بل ألمح إليه تأدبا من شيخه، وتأدبا مع أسرته التي تأثرت بالطرق الصوفية.
- (٢) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٤. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٦.
- (٣) انظر للإفادة في عقيدة القاسمي: القاسمي وآراؤه الاعتقادية: علي محمود دبدوب، دار المحدثين، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧ هـ، ص ٥١. منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة: محمد أحمد خضي ص ٦٧.
- (٤) سيأتي ذكر المحن التي تعرض لها الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من الفصل الثاني ص ٢٧٠.
- (٥) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٣١.
- (٦) انظر: الشيخ جمال الدين القاسمي واختباراته الفقهية: سامي الفريضي ص ١٤٩ وما بعدها.

المطلب الثالث

ثقافة القاسمي العامة

لم يكن لرجال الدين في عصر القاسمي رحمهم الله أي اهتمام بغير كتب الفقه وعلوم الآلة، أما الشيخ القاسمي رحمهم الله فقد صرف اهتمامه إلى جميع أنواع المعرفة التي أخذت في الانتشار في ذلك الزمان، وعزم على أن يتعلم منها ما فاته تعلمه في طفولته، فهو يرى أن العلم كله مفيد، والإنسان بحاجة إليه، ولذا فقد كان يحث طلابه على الأخذ بالعلوم والمعارف الدينية والدينية، ويقول لهم: "إن أوروبا ما غلبتنا واستولت علينا وأصبحنا عالة عليها إلا بسبب إتقانها للعلوم الكونية وإهمالنا لها"^(١)، ويقول أيضا: "إني أستحسن منهاج مدارس الحكومة لما فيه من التنوع ودراسة جميع العلوم لا الاقتصار على علم واحد، مع الحرص بعد الاطلاع على مبادئ العلوم على التخصص"^(٢)، ومما يدل على ثقافته القاسمي رحمهم الله العامة ما يلي:

أ- مؤلفاته رحمهم الله الكثيرة والمتعددة في أنواع الفنون، فقد أَلَّفَ في مواضيع يندر التأليف فيها من قبل مشايخ العلم الشرعي، فإلى جانب مؤلفاته في العقيدة التفسير والحديث والفقه والأصول، وضع كتابا في تاريخ دمشق، ورسالة في الجن، ورسالة في الشاي والقهوة والدخان، ومقالة عن القلب، ورسالة في علاج مرض "البواسير"^(٣)، وغيرها، ويكفي الاطلاع على عناوين كتبه لمعرفة مدى اتساع ثقافته^(٤).

(١) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٠٨.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٠.

(٣) البواسير هي: عبارة عن انتفاخات مؤلمة في الأوردة الموجودة بالأجزاء السفلية من المستقيم أو فتحة الشرج، وتنشأ نتيجة لتجمع الدم بطريقة غير طبيعية وغير معتادة في أوردة تلك المنطقة، مما يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم داخلها، وبالتالي لا تتحمل جدران الأوعية الوريدية ذلك الحال، وتبدأ بالتمدد والانتفاخ خارج فتحة الشرج، الأمر الذي يجعلها مؤلمة، وخاصة عند الجلوس. (ويكيبيديا).

(٤) سيأتي عرض مؤلفاته بالتفصيل في المطلب السابع من هذا المبحث ص ١٣١.

ب- مكتبته رحمته الله الخاصة، والتي حوت كتباً في فنون شتى، وكلها لم يخل واحد منها من تصحيح أو تعليق، فإلى جانب ما تحويه مكتبته من كتب في التفسير والحديث والفقه واللغة والتصوف والأدب والتاريخ، ترى كتب الفلسفة والاجتماع والرياضيات والجغرافيا، وكذلك كتب الفرق الأخرى كالشيعة والزيدية والمعتزلة والظاهرية، وكتب الديانات الأخرى أيضاً كاليهودية والنصرانية^(١).

ج- مواظبته رحمته الله على المطالعة و الكتابة للمجلات العلمية والتاريخية والأدبية التي كانت تصدر في زمانه، كـ "المقتبس" و"المقتطف" و"الهلال" وغيرها، وكان يطالع حتى ما يصدر عن الجمعيات النصرانية كمجلة "الشرق"^(٢).

د- إمامه رحمته الله بعدد من العلوم العصرية الحديثة، ومن أمثلة تلك العلوم:

١. إمامه رحمته الله بطرف من علوم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا، حيث قرأ أحد كتب الجغرافيا على الأستاذ عبد الوهاب الإنكليزي^(٣)، وهو أصغر منه سناً، إذ هو في سن تلاميذه، لكنه كان قد درس هذا العلم في المدارس الحديثة^(٤)، وقد قصده أستاذ^(٥) ماهر بالعلوم الرياضية والفلكية طالبا منه أن يدرس عليه اللغة العربية،

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٨٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٨١.

(٣) عبد الوهاب بن أحمد الإنكليزي المليحي، من أسرة عربية في دمشق تعرف بأل الإنكليزي، وتنسب إلى المليحة بغوطة دمشق، نابغة في الإدارة والحقوق، مؤرخ، عارف باللغات الفرنسية والإنكليزية والتركية، تعلم بدمشق، وتخرج بالمدرسة الملكية بالأستانة، عمل بالمحاماة بدمشق، ثم مفتشاً للإدارة الملكية في بيروت، اتهم بمعارضته للاتحادين المتغلبين على الدولة العثمانية وقتها، وحكم عليه بالإعدام، فقتل شنقاً بدمشق سنة ١٣٣٤هـ. وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٤/ ١٨٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ٣٣٨.

(٤) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٨٠.

(٥) لم أقف على اسم هذا الأستاذ.

فأجابه إلى طلبه بشرط أن يعلمه الدروس الرياضية والفلكية، وفعلا علمه^(١)، وقد ذكر الشيخ القاسمي رحمته الله من خلال تلك العلوم عددا من الأدلة، وذلك في كتابه "دلائل التوحيد"، وذلك للرد على الطبيعيين والماديين والدهريين المنكرين وجود الخالق رحمته الله^(٢).

٢. إمامه رحمته الله ببعض المكتشفات العلمية الحديثة، مثل "التلغراف"، و"الهاتف"، و"الكهرباء"، وقد ذكر طرفا مما يعرفه عنها في بحث لطيف سماه "طرف تاريخية وطرائف أدبية"، وذلك في خاتمة كتابه "إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق"^(٣)، وكان وقتئذ لم يمض على اكتشاف هذه المخترعات إلا ٣ سنوات^(٤).

٣. إمامه رحمته الله بطرف من علم الطب، والذي دفعه إلى ذلك أنه أصيب سنة ١٣١٢هـ بمرض "البواسير"، فتألم منه، ودفعه ذلك إلى بحث علمي عن هذا المرض، وتاريخ اكتشافه، وطريقة العلاج منه، ثم جمع كل ذلك في رسالة سماها "ما قاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير"^(٥).

٤. إمامه رحمته الله بطرف من علم الزراعة وما يتعلق بها، فقد عقد فصلا في كتابه "تعطير المشام في مآثر دمشق الشام" عن الزراعة في الشام، والذرائع لإصلاحها، وقد أشار إلى الأسمدة الكيماوية وأنواعها: الفسفورية، والبوتاسية، وإلى ضرورة

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ١٩.

(٢) انظر: دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي ص ٤٨ وما بعدها.

(٣) انظر: إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق: جمال الدين القاسمي، مطبعة المقتبس، دمشق، ط ١، ١٣٢٩هـ، ص ٧٤ وما بعدها.

(٤) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٨٣.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٨٤.

استعمال الآلات الميكانيكية في الحرث والحصاد، وإلى الآفات والأمراض والحشرات الزراعية وطرق مكافحتها^(١).

٥. اطلاعہ ﷺ على مصطلحات لم تكن مشهورة في عصره، بل راجت وانتشرت بعد عصره، مثل: مصطلحات الاشتراكية والديمقراطية، ولم يسمع أحد بهذه المصطلحات في زمانه فضلا عن معرفة معانيها إلا أفراد قليلون^(٢).

٦. ❀❀❀❀❀

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٨٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٨٢.

المطلب الرابع

أبرز شيوخ القاسمي

نشأ الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله في بيئة علمية تتلقى العلوم الشرعية على يدي العلماء والمشايخ في الدروس والحلق بالمساجد، وكان عصره زاخرا بمجموعة فاضلة من العلماء الأجلاء، الذين برزوا في كثير من العلوم، ولذلك حرص الشيخ القاسمي رحمته الله من صغره على الدراسة عليهم، وتلمذ على يدي كثير منهم، إلا أن مجموعة منهم ظهر تأثيرهم عليه، ووضح تأسيه بهم، وكان يذكر فضلهم عليه على الدوام، ويثنى عليهم في كل موضع يرد ذكرهم، حتى بعد أن لمع نجمه وذاع صيته وصار من كبار علماء عصره، وكان يقول رحمته الله: "إن الأساتذة آباء في الدين، فجدير بالعقل أن يقدرهم أقدارهم، وينشر آثارهم وآثارهم، ويمحضهم الشكر والدعاء لهم في السراء والضراء، والنسب الروحاني لا يقل - إن لم يتفوق - عن النسب الجسدي"^(١)، ولذلك فإنه من برّ الشيخ القاسمي رحمته الله بشيوخه، ومعرفته لفضلهم عليه، فقد ترجم لكل واحد منهم بترجمة وافية، في كتابه: "تعطير المشام في مآثر دمشق الشام"، كما اعتنى بإجازاتهم له، وجمعها في كتاب أسماه: "الطالع السعيد في مهات الأسانيد"، ومن أبرز من تلمذ عليهم الشيخ القاسمي رحمته الله من العلماء ما يلي:

١. الشيخ محمد سعيد بن قاسم الحلاق.

هو والد الشيخ القاسمي -رحمهما الله- وشيخه الأول، ويقول عنه القاسمي: "كنت في خلال ذلك شارعا في قراءة المختصرات الفقهية والنحوية أيضا عند سيدي الوالد -زيد في فضله- صباحا في دارنا مع طلبة كثيرين، ومساء أيضا في جامع السنانية، وفي مجالسه

(١) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٠٧.

الحديثية"^(١)، وقد أجازته والده إجازة عامة، وقد ألحقت بترجمته لنفسه^(٢).

٢. الشيخ عبد الرحمن بن علي المصري.

هو الشيخ عبد الرحمن بن علي بن شهاب المصري، نزيل دمشق، حافظ معمر، كان معلّم كتاب، يعلم الأطفال في حجرة قبالة جامع الشاذبكية بمحلة القنوات، وتوفي ﷺ سنة ١٣١٦هـ ودفن بمقبرة الدحداح^(٣).

وقد قرأ الشيخ القاسمي ﷺ عنده القرآن وهو طفل صغير لما أرسله والده إلى الكتاب، ويقول عنه: "وقرأ القرآن على الحافظ المعمر الشيخ عبدالرحمن بن علي بن شهاب المصري نزيل دمشق، وبعدهما كبرت حضر كثيرا من مجالس دروسي الفقهية والحديثية والتفسيرية، وكان ربما أراد تقييل يدي، فأجل ذلك لمشيخته، فينشدني صدر موال مصري، وهو: كم من صغير انتشا، باس الكبير يدا"^(٤).

٣. الشيخ أحمد بن علي الحلواني.

هو الشيخ أحمد بن علي بن محمد الحلواني الحسيني الرفاعي الشافعي، ولد بدمشق سنة ١٢٢٨هـ، وتربى برعاية والده، فحفظ القرآن الكريم، ثم أقبل على طلب العلوم الشرعية، فقرأ الحديث على الشيخ عبدالرحمن الكزبري وأجازته، وقرأ النحو على الشيخ سعيد الحلبي^(٥).

(١) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٢.

(٢) انظر نص الإجازة: المرجع السابق ص ١١٠.

(٣) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/١٥١.

(٤) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤١.

(٥) سعيد بن حسن بن أحمد الحلبي الدمشقي الحنفي، شيخ المحدثين وشيخ علماء الحنفية، ولد بحلب سنة ١١٨٨هـ، توفي بدمشق سنة ١٢٥٩هـ. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/٤٥٧. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٣٠١. الأعلام: خير الدين الزركلي ٩٣/٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٧٦٣.

وقرأ الفقه الشافعي على الشيخ عبد الرحمن الطيبي^(١)، وما زال يتلقى العلوم والفنون حتى أذن له شيوخه في التدريس سنة ١٢٥٣هـ، وقد ارتحل حاجا بيت الله الحرام مع الوفد الشامي سنة ١٢٥٣هـ، ولما وصل إلى مكة المكرمة اجتمع فيها بشيخ قراء مكة المكرمة العلامة الشيخ أحمد المرزوقي^(٢)، ولما رأى الشيخ فيه من المقدرة والتضلع من العلوم وعدم التعلق بأعمال الدنيا وخلوه من الأهل والولد، لم يأذن له بالرجوع إلى دمشق، فأقام الشيخ الحلواني بمكة، وقرأ على الشيخ المرزوقي، وتلقى عنه القراءات العشر حتى أجازها بها، بعد ٤ سنوات من مقامه بمكة، وبعدها استأذن شيخه في الرجوع إلى دمشق، وكانت خالية من علوم وعلماء القراءات فنشرها فيها، وحفظ عليه عدد كثير من أهلها، وارتفع ذكره، وعلا نجمه بين أهل العلم بالشام، وما زال مثابرا على نشر فن القراءات وتجويد القرآن إلى سنة ١٢٦٣هـ، وفيها رجع إلى مكة المكرمة، ولما بلغها نعي إليه شيخه أحمد المرزوقي، فجلس مكانه متصديا لنشر علم القراءات في البلاد الحجازية، وخرج على يديه عدد عظيم من أبنائها وأبناء البلاد الإسلامية المختلفة، وقد بقي بمكة ١٣ عاما حتى سنة ١٢٧٧هـ، وفيها رجع إلى دمشق ليستقر بها نهائيا، فأقبل عليه الناس أكثر، واشتهر أمره، وارتفع ذكره، وانتفع به الخاص والعام، وقد خرج من تحته تلاميذ أتقنوا عليه الحفظ والضبط، وأنشأ جيلا من القراء في الشام، حملوا بعده علم التجويد والقراءات، منهم: ولده الشيخ محمد سليم الحلواني^(٣)، والشيخ

- (١) عبد الرحمن بن علي بن مرعي العجلوني الشافعي الدمشقي الشهير بالطيبي، فقيه شافعي، ولد بالطيبة سنة ١١٨٤هـ، توفي بدمشق سنة ١٢٦٤هـ. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٢/٥٠٦. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٢/٨٤١.
- (٢) أحمد بن محمد بن رمضان المكي المرزوقي المالكي الحسيني، فقيه مالكي، عالم بالقراءات، ومدرس في الحرم المكي، ولد بمصر ١٢٠٥هـ، توفي بعد سنة ١٢٨١هـ، وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/٢٤٧. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٢٦٤.
- (٣) محمد سليم بن أحمد بن علي الحلواني الحسيني الرفاعي الشافعي، شيخ قراء الشام بعد والده، ولد بدمشق سنة ١٢٨٥هـ،

عبدالرحيم دبس وزيت^(١)، الشيخ جمال الدين القاسمي، وله من المؤلفات: أرجوزة في رواية ورش من طريق الأزرق وشرح لها، وله أرجوزة في علم التجويد سماها "المنحة السنية"، وشرح لها سماها "اللطائف البهية"، وقد توفي الشيخ رحمه الله عصر يوم الأحد سنة ١٣٠٧ هـ، وصلي عليه في الجامع الأموي، ودفن في مقبرة الدحداح بدمشق^(٢).

يقول عنه الشيخ القاسمي رحمه الله: "ثم جَوَّدت القرآن على شيخ القراء بالشام، الشيخ أحمد الحلواني عليه الرحمة والرضوان، وقد ترجمته في تاريخي "تعطير المشام في مآثر دمشق الشام" فقرأت عليه ختمة وأكثر من نصف أخرى على رواية الإمام حفص عليه الرحمة، وحَصَّرْتُهُ من كتب التجويد في "الميدانية" وشرح "الجزرية"، وقرأت عليه معظم شرحه على منظومته في التجويد المسمى بـ"اللطائف البهية" كل صباح الثلاثاء والجمعة، ما عدا حصة القراءة من التنزيل العزيز فإنه صباح كل يوم"^(٣)، ويقول أيضا رحمه الله في ترجمته لشيخه: "ومما امتن الله به علي قراءتي على المترجم، فإني لازمته مدة تنوف عن ثمان سنين، وأجاز لي إجازة عامة بسائر مروياته، ثم إني أحببت أن أشرح "الميدانية" فشرعت فيه، وأتممته سنة ١٣٠٤ هـ،

وتوفي بها سنة ١٣٦٣ هـ. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٦٠٣/٢.

(١) عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد القادر دبس وزيت الجليلاني الدمشقي، قارئ حافظ متقن أحد المتفردين بالقراءات بالشام، ولد بدمشق سنة ١٢٨٦ هـ، وتوفي بها سنة ١٣٤٥ هـ. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٤١٠/١.

(٢) انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٢٥٣/١. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٧٨/١. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٣٤٠. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٥٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢٨٢/١. نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر: د يوسف المرعشلي ١٨٥/١. الأعلام: خير الدين الزركلي ٢٤٧/١.

(٣) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٢.

وقابلته عليه بتمامه، فاستحسنه وقرّظ عليه، ثم أطلع عليه معظم فضلاء دمشق فكتبوا عليه، وهو أول مصنف لي ظهر للوجود، وعملت أيضا جدولا بديعا في مخارج الحروف وصفاتها أطلعت أستاذنا المترجم عليه، فأعجبه ودعا لي، جزاه الله خيرا^(١)، وقد ألحقت إجازة شيخه له بترجمته لنفسه^(٢).

٤. الشيخ رشيد بن عمر قزيها.

هو الشيخ رشيد بن عمر قزيها، الشهير بابن سنان الشاذلي الشافعي، ولد بدمشق، وتعلّم العلوم على علماء عصره، ولما شبّ برع في النحو والصرف والمنطق والأصول والعروض، تصدر للإقراء في المدرسة "العبدلية"، ثم عُيّن مدرسا في المدرسة "الظاهرية" لتعليم مبادئ العربية والفنون العصرية، وكان بارعا في أساليب التعليم، توفي رحمته الله عقيبا سنة ١٣٣٣هـ^(٣).

يقول عنه الشيخ القاسمي رحمته الله: "ثم انتقلت إلى مكتب في المدرسة الظاهرية، في إيوانها القبلي، وكان معلمي العالم الفاضل الشيخ رشيد أفندي قزيها، الشهير بابن سنان، فقرأت عنده في المكتب المذكور مقدمات فنون شتى، قراءة جدّ واجتهاد من توحيد وصرف ونحو ومنطق وبيان وعروض وغيرها"^(٤).

٥. الشيخ سليم بن ياسين العطار.

هو الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد بن عبيد العطار الدمشقي الشافعي، شيخ الشام وكبير علمائها، ولد سنة ١٢٣٣هـ، أسرته أسرة علمية عريقة بدمشق، نشأ في كنف والده

(١) تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/٣٠٢.

(٢) انظر نص الإجازة: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٥٧.

(٣) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/٣١٦.

(٤) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٢.

الصالح، وجده علامة الشام، لم يطلب العلم إلا بعد ١٥ من عمره، وذلك بعد نصيحة الشيخ رضي الغزي له بعدما رآه يلعب مع الصبيان، فجد واجتهد، وأخذ العلم عن جده، وعن الشيخ عبد الرحمن الكزبري، والشيخ عبد الرحمن الطيبي، وغيرهم، وأجازه كثير من علماء الأقطار كالشيخ محمود الألوسي^(١) في العراق، والشيخ إبراهيم الباجوري^(٢) في مصر، درس التفسير في محراب الشافعية بالجامع الأموي، وتولى تدريس البخاري في جامع "التكية السلبيانية" بعد وفاة جده، وكانت دمشق تفتخر بدرسه على سائر البلاد، وقد انتفع به خلق كثير، ونبغ عليه علماء أفاضل، وقد اشتهر من طلابه كثيرون، منهم الشيخ عبد المحسن الأسطواني^(٣)، والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم كثيرون، وقيل أن تجد طالب علم أو عالم في دمشق وجهاتها إلا وله به صلة، تعلم أو تعليماً، فكان أستاذ الأساتذة بالشام، وقد شغله التعليم عن التأليف، توفي رحمته الله بدمشق سنة ١٣٠٧هـ، وعمره ٨٠ عاماً، ودفن في مقبرة الدحداح^(٤).

(١) شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي البغدادي، مفسر محدث فقيه أديب لغوي نحوي مشارك في بعض العلوم، ولد ببغداد سنة ١٢١٧هـ، وتوفي بها سنة ١٢٧٠هـ، وله مؤلفات كثيرة. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١٧٦/٧. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٨١٥.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري الشافعي، شيخ الجامع الأزهر، ولد في باجور بالمنوفية سنة ١١٩٨هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٢٧٧هـ، وله مؤلفات كثيرة انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/٧١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٧٥.

(٣) عبد المحسن بن عبد القادر بن عبد الله بن حسن، الشهير بالأسطواني، علامة فقيه مفتي أديب مشارك بالسياسة، ولد بدمشق سنة ١٢٧٥هـ، وتوفي بها سنة ١٣٨٣هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٢/٧٧٠.

(٤) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/٨٩. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٢/٦٨٠. الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/١٤٧. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٣٣٨.

يقول عنه الشيخ القاسمي رحمته الله: "كنت أخرج من دار الأستاذ المذكور - يقصد الشيخ أحمد الحلواني - إلى دار شيخنا مسند الشام، وعمدة فضلائها الأعلام، الشيخ سليم بن ياسين بن حامد بن أحمد العطار، لقراءة حصة من الكتب المعينة وقتئذ، وقد حَصَرْتُهُ في "شرح الشذور" للمصنف وابن عقيل مع مراجعة الحواشي، وشرح "القطر" للفاكهي، و"مختصر السعد"، و"جمع الجوامع"، و"تفسير البيضاوي"، و"الشنشوري"، مع مطالعة حواشي كلٍّ، وكذا حَصَرْتُهُ في حصص من "حواشي البجيرمي" على "الإقناع"، و"الأربعين العجلونية" وأسمعته الدور الأعلى، وحَصَرْتُهُ في حصة وافرة من "صحيح البخاري" رواية، كل ذلك في داره داخل باب السلام، وسمعت منه مجالس من "البخاري" دراية، في الجامع الأموي، ليلة الثلاثاء والجمعة بين العشاءين، وفي خميس رجب وشعبان في التكية السليمانية سنين عديدة، وحَصَرْتُهُ في كتب وافرة في المشهد المعروف الآن بمشهد الحسين في الجامع الأموي؛ وذلك في رمضان، خاصة بعد العصر، فمنها حصة من "الموطأ"، و"الشفاء" بتمامه، ومعظم "مصايح السنة"، و"الجامع الصغير"، و"الطريقة المحمدية"، وغيرها، وكتب لي إجازة عامة بجميع مروياته سنة إحدى وثلاثمائة وألف^(١)، وقد ألحقت إجازة شيخه له بترجمته لنفسه^(٢).

٦. الشيخ بكري بن حامد العطار.

هو الشيخ بكري بن حامد بن أحمد بن عبيد العطار الدمشقي الشافعي، علامة الشام المفسر المحدث الفقيه الأصولي النحوي المنطقي العابد الزاهد، ولد سنة ١٢٥١هـ، أسرته أسرة علمية عريقة بدمشق، والده الشيخ حامد من العلماء العاملين، نشأ نشأة علمية ساعدت في إبراز مواهبه في وقت مبكر، تلقى "الأربعين العجلونية" و"الأربعين النووية" على والده، وعلى الشيخ المحدث عبد الرحمن الكزبري، وأجازاه إجازة عامة ولم يتجاوز ١٢ عاماً من

(١) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٣.

(٢) انظر نص الإجازة: المرجع السابق ص ١٣٢.

عمره، ثم لازم الشيخ سليم العطار - وهو ابن أخيه - في الحديث وغيره من الفنون، وقد تمكّن في الحديث النبوي وعلومه حتى أصبح من كبار المحدثين في عصره، درّس في الجامع الأموي التفسير والحديث، وتولى تدريس البخاري في جامع "التكية السليمانية" بعد وفاة الشيخ سليم، وقد تصدى لنفع العامة والخاصة، وكان اشتغاله بالتدريس غالب أوقاته، حتى أصبح شيخ الشام بعد ابن أخيه الشيخ سليم العطار بلا منازع، حتى شغل بسبب ذلك عن التأليف، وقلّ أن تجد طالب علم أو عالم في دمشق وجهاتها إلا وله به صلة تعلمها أو تعليماً - بالإضافة إلى ابن أخيه الشيخ سليم العطار - فكان أستاذ الأساتذة بالشام، ومن أشهر تلاميذه: الشيخ محمد الباني^(١)، والشيخ تقي الدين الحصني^(٢)، والشيخ جمال الدين القاسمي وغيرهم، توفي رحمه الله بدمشق فجأة بعد إصابته بمرض "الكوليرا"^(٣) سنة ١٣٢٠ هـ، ودفن في مقبرة الدحداح^(٤).

يقول عنه الشيخ القاسمي رحمه الله: "ومن كبار مشايخي العلامة النحرير الشيخ بكر بن حامد بن أحمد العطار، عمّ شيخنا المتقدم، حَضَرْتُهُ في فنون متعددة، منها: شرح "الشافية"

(١) محمد سعيد بن عبد الرحمن الباني، فقيه أديب مؤرخ، ولد بدمشق سنة ١٢٩٤ هـ، وتوفي بها سنة ١٣٥١ هـ، وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة /١ ٤٦٥. الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/١٤٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٣١٩.

(٢) تقي الدين بن حسن بن مصطفى البوصلي البلقاوي الدمشقي، الشهير بالحصني، عالم فاضل، ولد بدمشق وتوفي بها سنة ١٢٢٠ هـ. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة /١ ١٦٢. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٤١٣.

(٣) هو مرض وبائي يصيب المعدة بسبب تناول طعام أو شراب ملوث بنوع من البكتيريا اسمه "ضمّة الكوليرا"، أو عن طريق العدوى من مرضى آخرين، وهو واحد من أسرع الأمراض القاتلة في العالم، وإذا لم يتم تقديم العلاج الطبي للمريض من ٤ إلى ١٢ ساعة من إصابته، فإنه يلحق الوفاة في غضون ١٨ ساعة إلى عدة أيام. (ويكيبيديا).

(٤) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة /١ ١٩٧. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٣٧٢. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٤٠٩.

للسيد عبدالله بتمامه، وشرح "العزي" للسعد، وشرح "لامية الأفعال" لبحرق، و"إيساغوجي" وشروحه للفناري وشيخ الإسلام، و"مغني الطلاب"، و"المقصود"، وسمعت منه حصة وافرة من "البخاري"، و"معظم" مسلم، و"الموطأ"، و"سنن أبي داود"، و"ابن ماجه"، و"الشئائل" وغيرها، وأجاز لي إجازة عامة، وكتبها في غزة محرم سنة اثنتين وثلاثمائة وألف^(١)، ويقول أيضا رحمته الله في ترجمته لشيخه: "وقد كان له تودد للفقير زائد، وبعد أن اكتفيت بما قرأته عليه من بعض الفنون الآلية، لازمت مجالسه الحديثية صباح كل ثلاثاء وجمعة، وكان درسه في الحديث غاصا في داره بكبار الطلبة والنبلاء، وكان يجلسني إلى جانبه، وكثيرا يستطلع جوابي في بحث لطفًا منه وتواضعا، فإذا حضرت في درسه العام يتوجه إلي التوجه التام، محبة وإيناسا، وكان يتفقدني إذا غبت تفقد قلبيا، ولا أنسى كثيرا مجيئه لدارنا أيام سيدي الوالد وبعده أيضا"^(٢)، وقد ألحقت إجازة شيخه له بترجمته لنفسه^(٣).

٧. الشيخ محمد بن محمد الخاني.

هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الخاني الشافعي النقشبندي الخالدي، عالم صوفي مرشد، ولد في دمشق سنة ١٢٤٧هـ، نشأ وتربى في حجر والده وحفظ القرآن وهو ابن خمس سنين، وحضر دروس والده كلها من نحو وفقه وحديث وتفسير وتصوف وكلام وحساب، وأكثر من قراءة كتب الصوفية على والده، وقد عكف على العلم باجتهاد ودأب، حتى أذن له والده بالإرشاد العام، وفي سنة ١٢٧٨هـ قصد الديار المصرية، واجتمع بعلمائها الأعلام، كالشيخ محمد الخضري^(٤)، والشيخ مصطفى المبلط^(١)، والشيخ إبراهيم السقا^(٢)، وكتبوا له

(١) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٤.

(٢) تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ ونزار أباطة ١/٣٠٣.

(٣) انظر نص الإجازة: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٥٠.

(٤) محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالخضري، فقيه أصولي مؤرخ أديب خطيب، له مؤلفات. ولد بالقاهرة سنة

إجازات بخطوطهم، ثم عاد إلى وطنه فلم يلبث أن مرض والده، فأقامه مقامه على سجادة الإرشاد العام، فلما توفي سنة ١٢٧٩هـ نهض بأعباء الخلافة العامة، فأقام الأذكار وعقد الدروس، ولم يزل الشيخ مشغولاً بكتب التصوف حتى صار له في فن التصوف ملكة عظيمة، وفي سنة ١٢٩٥هـ عقد في جامع "المرادية" بالسويقة وفي داره دروساً في الحديث من الصحيحين وغيرهما، وقصده الطلبة من كل مكان، توفي ﷺ على أثر نوبة قلبية اشتدت عليه من الليل إلى الصباح، صبيحة الأربعاء ٥ من جمادى الأولى سنة ١٣١٦هـ، ودفن في مقبرة خالد في سفح جبل قاسيون^(٣).

يقول عنه الشيخ القاسمي ﷺ: "ومن أجلاء مشايخي صوفي عصره، الأستاذ الجليل المحقق الشيخ محمد بن محمد الخاني النقشبندي، قرأت عليه حواشي كتب كثيرة، وقد كان ﷺ لقني ذكر الطريقة النقشبندية، ولازمت حلقتة مدة، ثم تركتها لأمر ما، وأجاز لي إجازة عامة، ولم أنقطع عن زيارته، وكان يتودد إلي ويعظمني، خصوصاً في آخر أمره، وكثيراً ما أتى بقصد زيارة الفقير، وسيدي الوالد، وبالجمله فهو من أفضل أشياخي الذين انتفعت

١٢٨٩هـ، وتوفي بها سنة ١٣٤٥هـ. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/٢٦٩. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٤٩٠.

(١) مصطفى المبلط المصري الشافعي، عالم فاضل من المشتغلين بالحديث، توفي سنة ١٢٨٤هـ. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/٢٤٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٨٧٩.

(٢) إبراهيم بن علي بن حسن السقا الشافعي المصري الأزهري، عالم تولى الإمامة والخطابة بالجامع الأزهر، ولد بالقاهرة سنة ١٢١٢هـ، وتوفي بها سنة ١٢٩٨هـ. انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٣٠. الأعلام: خير الدين الزركلي ١/٥٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٤٦.

(٣) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/١٥٢. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٣/١٢١٥. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٣٨٣.

بمجالسهم، وتأدبت بأدابهم، واغتبطت بصحبتهم، وكان يحضني دائماً على تأليف رسائل في بعض مباحث علمية، وأريته كثيراً مما جمعته فُسر به^(١)، وقد ألحقت إجازة شيخه له بترجمته لنفسه^(٢).

٨. الشيخ حسن بن أحمد جبينه.

هو الشيخ حسن بن أحمد بن عبد القادر أغا جبينه الشافعي الحلبي ثم الدمشقي، سبط العلامة الشيخ محمد الدسوقي، وخال الشيخ محمد سعيد القاسمي -والد القاسمي- ولد بدمشق سنة ١٢٤١هـ، وسار سيرة أسلافه الدسوقيين في العلوم، فقرأ الفقه على الشيخ محمد الخاني، وقرأ النحو على الشيخ عبد الرحمن بايزيد^(٣)، ولازم الملازمة التامة لدروس الشيخ قاسم الحلاق -جدُّ القاسمي- فقرأ عليه معظم كتب الفقه والحديث وغيرهما، وأعاد له درسه في جامع السنانية بين العشاءين، ثم بعد وفاته لازم الشيخ سليم العطار، وسمع منه مجالس "الإحياء"، وتفسير "البيضاوي"، و"فتح الباري" وغير ذلك، وأجازته مشاهير علماء عصره من دمشق وغيرهم، ولما نُقلَ شيخه الشيخ قاسم إلى إمامة جامع السنانية صار الشيخ حسن جبينه إماماً مكانه في جامع حسان، وقرأ فيه دروساً خاصة وعامة، وانتفع به كثير من الطلبة، وله رسالة في الأخلاق، أصيب في آخر حياته بمرض "الاستسقاء"^(٤)، وطال به إلى أن توفي رحمته الله يوم الثلاثاء ١٢ من المحرم سنة ١٣٠٦هـ، وشهد جنازته جلة من العلماء، ودفن في مقبرة

(١) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤٧.

(٢) انظر نص الإجازة: المرجع السابق ص ١٧٤.

(٣) عبد الرحمن بن مصطفى بايزيد البغدادي الشافعي، عالم نحوي معمر، توفي بدمشق سنة ١٢٩١هـ. انظر ترجمته: علماء

دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٢/٧٠٢.

(٤) مرض ينتج عن تجمع سوائل داخل جوف البطن، بسبب قصور في القلب وفشل في الكلى، مما يؤدي إلى تضخم أعضاء

الإنسان داخل الجسم وخارجه. (ويكيبيديا).

الباب الصغير^(١).

يقول عنه الشيخ القاسمي رحمه الله: "ومن أشياخي وأساتذتي خال والدي، العالم الفاضل، والفقير الكامل، الشيخ حسن بن أحمد بن عبد القادر جبينه، الشهير بالدسوقي، وهو من أخص تلامذة سيدي الجد، حَضَرْتُهُ في كتب فقهية، وسمعت منه "الشائل"، و"الأربعين النووية"، وأجاز لي إجازة عامة، كما أجاز له سيدي الجد، وقد انتفعت بصحبة هذا الأستاذ، وتهذبت بآدابه وإرشاداته ونوادره من الأقدمين، وكان يحض على الأخلاق الحسنة دائماً، ودواعي رقة الحاشية، وله لطائف كثيرة، ومحاسن غزيرة رحمه الله تعالى"^(٢)، وقد ألحقت إجازة شيخه له بترجمته لنفسه^(٣).

وبعد: فهذه ثلة من أكابر وأبرز مشايخ الشيخ جمال الدين القاسمي، وهم علماء أعلام، بارزون مشهورون، لهم قدم راسخ في العلوم والفنون، وقد انتفع بهم كثيراً، وحرص على السماع والإجازة منهم، وقد قرأ على غيرهم، إلا أن هؤلاء كانوا أبرزهم، يقول الشيخ القاسمي رحمه الله: "وقرأت على مشايخ غير من تقدم ذكره، إلا أنها قراءة تحل وصحبة، أما الانتفاع فكان بمن سبق، وجزى الله الجميع خيراً"^(٤).



- (١) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/٥٩. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٤٩٧. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٣٣٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٥٣٦.
- (٢) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٥١.
- (٣) انظر نص الإجازة: المرجع السابق ص ١٦٦.
- (٤) المرجع السابق ص ٥٢.

المطلب الخامس

أبرز أصدقاء القاسمي

حظي الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله بمكانة عظيمة بين علماء عصره من جميع الأقطار الإسلامية، واتصل بعلماء من الشام والعراق ومصر ولبنان والمغرب وغيرها، وذلك لما عُرفَ عنه من أخلاق كريمة، وسجايا جليلة، وفكر متنور، وذهن وقاد، بالإضافة إلى الورع والتقوى والزهد وغير ذلك من الخصال، ولذلك حرص علماء عصره على الاتصال به، وحرص هو على الاتصال بهم، وكان له ولهم شرف اللقاء والصحبة والصدقة، وكانت تقوم بينهم المراسلات والزيارات بين فترة وأخرى، وقلما يأتي أحدهم إلى الشام إلا ويمر به للسلام عليه والأنس بلقائه، ومن أولئك الأصدقاء: الشيخ محمد نصيف من الحجاز، والشيخ محمود شكري الألوسي من العراق، والشيخ أحمد الحسيني^(١) والشيخ أحمد تيمور باشا^(٢) وكلاهما من مصر، وغيرهم كثير، إلا أن أبرز من أثروا فيه وأثر فيهم من أولئك الأصدقاء الأجلاء: الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ الأمير شكيب أرسلان، ولذا سأعرض سيرهم وحياتهم معه فيما يلي:

١. الشيخ محمد عبده.

هو الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، فقيه مفسر متكلم حكيم أديب لغوي كاتب صحفي سياسي،

(١) أحمد بن أحمد بن يوسف الحسيني، محام، أصولي، من فقهاء الشافعية، ولد بالقاهرة سنة ١٢٧١هـ، وتوفي بها سنة

١٣٣٢هـ وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/ ٩٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/ ٩٩.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور باشا، أديب، باحث، مؤرخ مصري، من أعضاء المجمع العلمي العربي، له مكتبة عامرة،

نقلت بعد وفاته إلى دار الكتب المصرية، نحو ١٨ ألف مجلد، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٨هـ، وتوفي بها سنة ١٣٤٨هـ. وله

مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/ ١٠٠. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/ ١٠٥.

ولد بمصر سنة ١٢٦٦هـ في "شنرا" - من قرى الغربية - ونشأ في محلة "نصر" - بالبحيرة - وتعلم بالجامع "الأحمدي" بطنطا، ثم بالأزهر، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف لا سيما جريدة "الوقائع المصرية" التي تولى تحريرها، ولما احتل الانجليز مصر ناوأمهم، وشارك في مناصرة الثورة العرابية، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن ثم بالنفي إلى بيروت لمدة ٣ سنوات سنة ١٢٩٩هـ، ثم سافر إلى باريس فأصدر مع صديقه جمال الدين الأفغاني^(١) جريدة "العروة الوثقى"، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، وسمح له بدخول مصر بعفو من الخديوي، فعاد سنة ١٣٠٦هـ وتولى منصب القضاء، وقد تنقل في عدد من المحاكم حتى ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف، ثم مفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ، وبقي إلى أن توفي ﷺ بالإسكندرية سنة ١٣٢٣هـ، ودفن بالقاهرة، وله عدد من المؤلفات^(٢).

وقد كان أول لقاء للشيخ القاسمي بالشيخ محمد عبده سنة ١٣٢١هـ في رحلة القاسمي إلى مصر، وكان أول ما نزل الشيخ القاسمي مدينة القاهرة أن توجه إلى الجامع الأزهر، ثم إلى لقاء الشيخ محمد عبده، ولم يكن الشيخ القاسمي قد اتصل به قبل ذلك، لكن صديقه الشيخ عبد الرزاق البيطار - رفيقه في هذه الرحلة - كان قد التقى به في بيروت لما كان منفيًا إليها، وقامت بينهما صداقة ومودة وإخاء، فلما علم الشيخ محمد عبده بمقدمها خرج لاستقبالها،

(١) محمد بن صفدر بن علي بن محمد الحسيني، اشتهر بجمال الدين الافغاني، حكيم، واسع الاطلاع، يعرف عددا من اللغات، ولد في "أسعد آباد" بأفغانستان، في شعبان سنة ١٢٥٤هـ، تلقى العلوم العقلية والنقلية في الهند، وتنقل بين الحجاز والأستانة حتى نزل مصر، وقام فيها بحركة سياسة، فنفته الحكومة المصرية، فقصده باريس، وانشأ فيها مع رفيقه الشيخ محمد عبده جريدة "العروة الوثقى"، ورحل رحلات طويلة، وأقام في بلدان كثيرة، ثم دعي بأمر السلطان عبد الحميد الثاني إلى الأستانة فأقام بها حتى توفي بمرض السرطان سنة ١٣١٤هـ، ونقل رفاته فدفن في بلده. انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٤٣٩. الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/١٦٨. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٥٠٢.

(٢) انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/٢٥٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٤٧٤.

بينهما رسالة مرسله إلى الشيخ القاسمي من صديقه الشيخ محمد عبده، يشكره فيها على إهداءه كتبه، ويعتذر له فيها عن التأخر في الرد على رسائله؛ نظراً لكثرة أشغاله، حيث يقول فيها الشيخ محمد عبده: "إلى حضرة الأستاذ الفاضل: كأن القدر يريد أن يكون ما بيني وبينك سرا مكتوماً، ومضمراً يأبى أن يكون مرقوماً، فقد حاولت مئات المرات أن أكتب إليك، وكانت تأتي العوائق تحول دون ذلك، كأنني كنت أحاول فتح قلعة، أو نحو بدعة، وها أنا اليوم الجمعة عقدت العزم على أن لا أقوم من مجلسي هذا حتى أكتب إليك، أشكر لك صنيعك على ما تدخله علي من السرور بإيفاد كتبك عليّ، وبما تكتب إليّ من وقت إلى آخر، وأعتذر إليك في الإبطاء عن الجواب، بما تعلم من كثرة الشواغل، وأرجو أن لا تحرمني من ذلك الفضل الذي بدأت به، وأن لا تجعل لفضلك في ذلك نهاية والسلام. ٢٧ صفر ١٣٢٢هـ. محمد عبده"^(١).

٢. الشيخ محمد رشيد رضا.

هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلمونين، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة "المنار"، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، كاتب عالم محدث مفسر مؤرخ أديب سياسي، ولد سنة ١٢٨٢هـ في القلمون - في سوريا الآن - ونشأ وتعلم فيها وفي طرابلس وبيروت، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، وقد كان أبوه شيخاً للقلمون وإماماً لمسجدها، فعُني بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب في بلده، ثم انتقل إلى طرابلس، ودخل المدرسة "الرشيدية"^(٢) الابتدائية، ثم انتقل منها إلى المدرسة "الوطنية الإسلامية"^(٣)، ثم اتصل بحلقات ودروس الشيخ حسين الجسر^(١)،

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٩٦.

(٢) لم أقف على تعريف لها فيما بين يدي من مصادر.

(٣) أسس هذه المدرسة وأدارها الشيخ حسين الجسر، وقد جمع فيها بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة الأوروبية

وقد أجازته لتدريس العلوم الشرعية والعربية، وفي الوقت نفسه اتصل بعدد من علماء طرابلس كالشيخ محمود نشابة^(٢)، حيث درس عليه الحديث حتى أجازته أيضًا، كما واطب على حضور دروس الشيخ عبد الغني الرافي^(٣) وغيره من العلماء، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥هـ فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت أيام نفيه إليها، ثم أصدر مجلة "المنار" لنشر آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وأصبح مرجعا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، وفي سنة ١٣٢٦هـ زار بلاد الشام، فاعترضه أعداء الإصلاح وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، فكانت فتنة عظيمة عاد على أثرها إلى مصر، ثم عاد إلى سوريا مرة أخرى أيام حكم الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري فيها، كما انتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، ثم غادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٣٣٨هـ، فأقام في مصر مدة، ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوروبا، وعاد فاستقر بمصر، وأنشأ مدرسة "الدعوة والارشاد"^(٤)، وقد توفي رحمته الله فجأة في "سيارة" كان

- الحديثة مع الاهتمام بالتربية الإسلامية والوطنية؛ سعيًا في نهضة ورقي الأمة، لذا كانت تهتم بتدريس المنطق والرياضيات والفلسفة والعلوم الطبيعية بالإضافة إلى العلوم العربية والشرعية. (ويكيبيديا).
- (١) حسين بن محمد بن مصطفى الجسر الطرابلسي الحنفي، عالم أديب صحفي، ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٦١هـ، وتوفي بها سنة ١٣٢٧هـ. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٢/٢٥٨. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٦٤٢.
- (٢) محمود بن محمد بن عبد الدائم، الشهير بنشابة، عالم مشارك في الحديث ومصطلحه والفقه والمنطق والنحو والتجويد، ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٢٨هـ، وتوفي بها سنة ١٣٠٨هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/١٨٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٨٢٩.
- (٣) عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافي الفاروقي، محدث أصولي فقيه لغوي ناثر ناظم، ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٣٦هـ، وتوفي بمكة سنة ١٣٠٨هـ وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/١٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/١٧٦.
- (٤) أسس هذه المدرسة الشيخ محمد رشيد رضا سنة ١٣٣١هـ، وكانت الهدف منها تخريج الدعاة، وقد تخرج منها أجلاء الدعاة أمثال محب الدين الخطيب، والشيخ حامد الفقي والشيخ محمد عبد الظاهر أبو السمح وغيرهم. (ويكيبيديا).

راجعا بها من السويس إلى القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ، ودفن بالقاهرة، وله عدد من المؤلفات^(١). وقد قامت العلاقة بين الشيخين القاسمي ومحمد رشيد رضا على الإخاء العلمي والفكري، وعلى إرادة الإصلاح والتغيير، فكلا الرجلين وصلا إلى مرحلة من النبوغ الفكري، والنضوج العقلي، وكلاهما سلك طريق الإصلاح، وذلك الأمر سهل تلاحق فكريهما، واجتماع روحيهما، وكانت أول صلة قائمة بينهما قبل سنة ١٣٢١ هـ، حيث دوّن الشيخ القاسمي في مفكراته أول ذكر لصديقه محمد رشيد رضا، وذكر أن الصداقة قائمة بينهما، وتوطدت العلاقة بينهما أكثر بزيارة الشيخ القاسمي له أثناء رحلته إلى الديار المصرية، وقد كان الشيخ القاسمي كثيرا ما يرسل صديقه برسائل خاصة، يعبر له فيها عن مدى حبه وامتنانه بصداقته، أو يرسل له مقالات لينشرها في مجلة "المنار"، أو يرسل له مؤلفات ليطلعها له في مطبعة "المنار"^(٢)، وقد بقيت الصلة بين الرجلين قائمة، فما ألفت الشيخ القاسمي كتابا إلا وكان للشيخ محمد رشيد رضا ومجلته "المنار" حظا من التقريظ أو التقديم أو الطباعة أو الدلالة على الكتاب وتعريفه للقارئ، وقد بقي الود والإخاء ملازما لكلا الصديقين حتى توفي الشيخ القاسمي رحمته الله سنة ١٣٣٢ هـ، فكتب الشيخ محمد رشيد رضا مقالا حزينا في مجلة "المنار" بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام^(٣)، يعبر فيه عن فقد أخيه وصديقه القاسمي، وذكر ترجمة له، وأضفى عليه عبارات الشاء والإجلال والاحترام، مما يدل على العلاقة بين الأخوين، ومن حسن وفاء الشيخ محمد رشيد رضا بأل صديقه الشيخ القاسمي بعد وفاته أنه لم يقطع عنهم أعداد مجلة "المنار"، وأنه لما طبعت بعض كتب الشيخ القاسمي بادر الشيخ محمد رشيد

(١) انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١٢٦/٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٢٩٣.

(٢) انظر ناذج من رسائل الشيخين: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٥٢٢.

(٣) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٤٧٢.

رضا بتقريبها، والتقديم لها، عرفانا لأهل الفضل بفضلهم^(١).

٣. الشيخ طاهر بن صالح الجزائري.

هو الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الحسني الجزائري ثم الدمشقي، ويرجع نسب أسرته إلى الحسن بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- وأصله من الجزائر، فقد هاجر والده من الجزائر بعد نفي الأمير عبد القادر الجزائري منها، وقد ولد في دمشق سنة ١٢٦٨هـ، وتعلم على يد والده أولاً، ثم التحق بالمدرسة "الجقمقية"^(٢)، فأتقن العربية والتركية وغيرها، وتعلم كثيرا من الخطوط القديمة، كما تعلم مبادئ العلوم المختلفة، وقد لازم أستاذه الشيخ عبد الغني الغنيمي الميداني^(٣)، فأخذ عنه العلم والأخلاق، وفي سنة ١٢٩٢هـ عُيِّن الشيخ طاهر معلماً في المدرسة "الظاهرية"، وفي سنة ١٢٩٤هـ أسس "الجمعية الخيرية"، وعمل على افتتاح كثير من المدارس الابتدائية، حيث افتتح تسع مدارس في دمشق اثنتين منها للإناث، ثم عُيِّن مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية في سنة ١٢٩٥هـ، فألف كتب التدريس للصفوف الابتدائية في جميع الفروع، منها: كتاب "مدخل الطلاب إلى علم الحساب"، و"رسالة في النحو"، و"منية الأذكياء في قصص الأنبياء"، و"الفوائد الجسام في

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٩٣.

(٢) تقع شمالي الجامع الأموي، أنشأها الأمير سيف الدين جقمق سنة ٨٢٢هـ، وقد أصيبت بقنابل الفرنسيين سنة ١٣٥٩هـ ثم رمت وأصبحت متحفاً للخط العربي. انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ٦/ ٨٩. (ويكيبيديا).

(٣) عبد الغني بن طالب الغنيمي الدمشقي الحنفي الشهير بالميداني، نسبته إلى محلة الميدان بدمشق، ولد بدمشق سنة ١٢٢٢هـ، فاضل من فقهاء الحنفية، أصولي، مشارك في بعض العلوم، من تلاميذه الشيخ طاهر الجزائري، توفي بدمشق سنة ١٢٩٨هـ. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٢/ ٧٦٨. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٢/ ٨٦٧. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ١٧٥. الأعلام: خير الدين الزركلي ٤/ ٣٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ١٧٩.

معرفة خواص الأجسام"، و"إرشاد الألباء إلى تعليم ألف باء" وغيرها كثير، وقد كان الشيخ طاهر كلفا باقتناء المخطوطات والكتب والبحث عنها، فعُيِّن سنة ١٣١٦ هـ مفتشاً على دور الكتب العامة، فساعد على إنشاء "المكتبة الظاهرية" بدمشق، و"المكتبة الخالدية" في القدس، وجمع فيها بتفويض من الحكومة ما تفرق من الكتب والمخطوطات في الخزائن العامة وأوقاف المساجد والمدارس بعد أن تعرض أكثرها للسرقة أو التلف، وقد كان الشيخ طاهر مناوئاً لسياسة "الاتحاديين" التي كانت عليها الحكومة العثمانية في أواخرها، وقد كانت كل أفكاره وآراءه الموجهة للجماهير ضدها، فقامت الحكومة بإلغاء منصبه الحكومي، وعرضت عليه وظيفة أخرى ليس لها اتصال بالجماهير فرفضها، وآثر البقاء في بيته للبحث والمطالعة والتأليف، فزاد نشاطه وظهر أثره الاجتماعي أكثر، وأصبح الشيخ طاهر يندد بوضوح بالظلم والاستبداد، وينتقد سوء الإدارة، ويدعو إلى الحرية والعدل والنظام، فاتهم بالخيانة الوطنية، وقامت الحكومة بالتضييق عليه، وعرقلة أعماله بـ "الجمعية الخيرية"، فاضطر الشيخ طاهر إلى التواري عن الأنظار، ولما شددوا عليه المراقبة قرر الهجرة إلى مصر، فوصلها سنة ١٣٢٥ هـ، واجتنب الاتصال بالناس إلا بعض العلماء، وعاش فقيراً صابراً، حتى ألبأته الظروف إلى بيع بعض الكتب والمخطوطات للإنفاق على نفسه، ورفض كل المبادرات التي قام بها بعض أصدقائه وطلابه لمساعدته، منعتة من ذلك عفته وعزة نفسه، وأمضى أيامه في القاهرة في التأليف والبحث العلمي، وقد بقي في القاهرة إلى سنة ١٣٣٦ هـ، حيث قرر العودة إلى دمشق بعد قيام الثورة العربية الكبرى وإعلان استقلال سوريا، لكنه أصيب بمرض أخره، فعاد إلى دمشق سنة ١٣٣٧ هـ، وعُيِّن مديراً لـ "المكتبة الظاهرية" التي أسسها، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عند تأسيسه، وبعد أربعة أشهر من عودته توفي ﷺ في ١٤

ربيع الآخر ١٣٣٨هـ، ودفن في سفح جبل قاسيون تنفيذاً لوصيته، وقد خَلَّفَ مؤلفات جليلة، تزيد على ٢٠ مؤلفاً، وله دفاتر مخطوطة بخطه في فهرس "المكتبة الظاهرية"، تحوي تراجم ومذكرات وفوائد تاريخية وأسماء مخطوطات مما رآه أو قرأ عنه^(١).

كان للشيخ القاسمي صلة وثيقة بالشيخ طاهر الجزائري، كان مبدأها مبكراً في حياة كلا الرجلين، وكان أول ذكر للشيخ طاهر في مذكرات الشيخ القاسمي كانت سنة ١٣٢٤هـ، ومما كتبه يدل على أن الصداقة قديمة وقوية، وقد كان الرجلين يتشابهان في الأفكار والآراء والمنهج، فقد كان الشيخ طاهر يكره البدع والخرافات، ويؤثر الحقائق العلمية الثابتة، ويجب الكتب والمخطوطات، ويهتم بالتربية والتعليم، وكذلك كان صديقه القاسمي، ولقد انتفع الشيخ القاسمي من سعة معرفة الشيخ طاهر الجزائري بالكتب والمخطوطات، كما انتفع أكثر بآرائه وأفكاره، وقد كانت لهما مع بعضهما رحلات وجلسات ومراسلات وزيارات دائمة، وقد ارتحلا سوياً عدة مرات إلى لبنان وقد استمرت بعضها ١٦ يوماً، وكانت لهما جلسات علمية طويلة، للمناقشة والمذاكرة، وكانا إذا جلسا في مجلس يمسكا بدفة النقاش كأنهما قطبي رحى، حبا من الحاضرين في كلامهما، والفوائد التي تتثال من أفواههما، وكانا يجلسان أحياناً لمراجعة بعض مؤلفات، فقد راجعا سوياً كتاب "قواعد التحديث" للقاسمي، ولما رأى الشيخ طاهر حبَّ صديقه الشيخ القاسمي للتأليف فقد كان يشير على بتأليف بعض الرسائل التي

(١) الشيخ طاهر له أثر عظيم في النهضة العلمية في الشام، والتي ما زال أثرها باقياً إلى زماننا هذا، وهو بحق رائد النهضة العلمية الحديثة في سوريا، وقد كتب في سيرة حياته عدة مؤلفات، منها كتاب "تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر" للشيخ محمد سعيد الباني الدمشقي، وكتاب "الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام، وأعلام من خريجي مدرسته" للدكتور عدنان الخطيب، وانظر ترجمته في: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ٢٢١-٢٢٢، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/ ٣٦٦، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ج ٢ ص ١١.

يراهم مهمة، فقد أشار عليه بجمع مسائل حول رؤية هلال رمضان بخبر يأتي بالبريد، فألف الشيخ القاسمي رسالة عنوانها "إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق"، وكان كل واحد من الصديقين يهدي الكتب والمخطوطات لصديقه أو يستعيرها منها أو يشتريها منه أحياناً، ومما يؤكد قوة علاقة الرجلين ببعضهما، دفاع الشيخ طاهر عن صديقه الشيخ القاسمي في محنته بسبب تأليفه كتابه "مجموع الأصول"، فقد قام يؤكد للناس عامة وللعلماء خاصة الفائدة من الكتاب، ويبيّن لهم أن الكتاب مجموع من كتب وآثار السلف النافعة، وأن المؤلف إنما أخرجه للناس ونشره، وأن أعداءه إنما هم من الحساد المغرضين، فسمع هذا الكلام من الشيخ طاهر أحد الأعيان، فذهب إلى الوالي وشفع للشيخ القاسمي فكان سبباً في زوال المحنة^(١)، وقد بقيت العلاقة بين الصديقين وطيدة وعظيمة حتى لما هاجر الشيخ طاهر إلى مصر، فلم تنقطع المراسلة بينهما حول بعض القضايا العلمية أو للسؤال عن الحال ومعرفة الأخبار^(٢)، ولما رجع الشيخ طاهر إلى الشام مرة أخرى كان صديقه الشيخ القاسمي قد توفي وانتقل إلى ربه وَعَلَيْهِ السَّلَامُ^(٣).

يقول الشيخ القاسمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن صديقه الشيخ طاهر الجزائري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مذكراته: "وجزاه الله خيراً على زيارته، وكثرة مواصلته، لأننا لا نعدم منه فائدة، بل فوائد، ولم نزل نستفيد من حضوره، فهو الشيخ المفيد، والمرقي الوحيد، وبالجملة فالشيخ طاهر أعجوبة في عصره في الذكاء، وفي التنقيب على الآثار العلمية، فهو شيخها في عصره بلا ريب، بل وفيما قبل عصره"^(٤).

(١) سيأتي ذكر هذه المحنة التي تعرض لها الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من الفصل الثاني ص ٢٧٨.

(٢) انظر نماذج من رسائل الشيخين: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٤٢.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٩٣.

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٢٧.

٤. الشيخ عبد الرزاق بن حسن البيطار.

هو الشيخ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، أحد أركان النهضة العلمية في دمشق، عالم أديب مؤرخ مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدمشق سنة ١٢٥٣هـ، وقد تربى في أسرة علمية عريقة بالعلم والعلماء، تلقى العلوم على والده في عدد من العلوم، كما أخذ عن مشاهير من علماء عصره كالشيخ محمد الطنطاوي والشيخ أحمد الحلواني شيخ قراء الشام وغيرهم، ورحل إلى عدة أقطار كالقاهرة والأستانة وبيت المقدس، ولازم الأمير عبد القادر الجزائري وصحبه وتكفل بأبنائه، وكان له صوت جميل في ترتيل القرآن الكريم، وقد دَرَس العلوم بجامع "الدقاق" بالميدان، وكانت دروسه مملوءة علما وجدا، وأنسا وترويجا، وكان صادعا بالحق، معتمدا على الدليل، محاربا للبدع، وكان قوي الحجة، فصيح اللهجة، وكان مطبوعا على كمال الخلق وحسن المعاشرة، توفي رحمته الله بدمشق في ١٠ من ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ وله عدد من المؤلفات^(١).

اتصلت أيام الشيخ القاسمي بأيام صديقه الشيخ البيطار، واستفاد من علمه وعقيدته وهديه وأخلاقه ما لم يستفده من غيره، وإن كان الشيخ البيطار أسنُّ من الشيخ القاسمي بأكثر من ٣٠ عاما إلا أنها قامت بينهما علاقة صداقة حميمة، وكان الشيخ البيطار يخاطب صديقه الشيخ القاسمي بـ "ولدي المعظم"، وكان الشيخ القاسمي ينزله منزلة تقارب منزلة شيوخه، ويخاطبه بـ "الرئيس الأستاذ الأكبر"، وقد كانا يتشابهان في عدد من الصفات التي قربتهما من بعضهما جسدا وروحا، فقد نشأ كلا منهما على طريقة صوفية ثم تحول عنها إلى منهج السلف، وفي هذا يقول الشيخ البيطار لصديقه القاسمي: "يا جمال، احمد الله أن انتبهت وأنت في سعة

(١) انظر ترجمته: مقدمة كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ص ٩، كتب المقدمة حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١/ ٣٤٠. الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ٣٥١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ١٣٩.

من عمرك، ولحيتك سوداء، فتمكن من الاستمتاع بعقلك، ويتسع الوقت لنشر آثار فضلك، أما أنا فلم يعد لي وقت طويل في الحياة، وها قد ابيضت لحيتي، وشاب قذالي، فانتبهت لأشياء كنت من القائلين بها، وقد كبرت سني، ووهن العظم مني"^(١)، وقد كانت لهما مع بعضهما رحلات وجلسات ومراسلات وزيارات دائمة، فقد ارتحلا سويا إلى مصر سنة ١٣٢١هـ، والتقى بالشيخ الامام محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، كما كانا يخرجان للنزهة كثيرا في الحدائق والروابي بدمشق أو حولها، وكانت لهما جلسات علمية طويلة للنقاش والمذاكرة، ومن حب الشيخ القاسمي لصديقه الشيخ البيطار، أنه لما وشى به بعض الحساد والمعرضين إلى الوالي في بعض التهم السياسية، وهو برئ منها، انشغل ذهن الشيخ القاسمي، واهتم لأمر صديقه، واشتد في الكلام على خصوم صديقه -على غير عادته- ودعا عليهم، حتى انجلت الغمة، وبرأ الله صديقه الشيخ البيطار، كما أنها تعرضا سويا لمحنة بسبب علاقتها بالشيخ محمد رشيد رضا، وذلك عند قدومه دمشق، فاعتزلا الناس، وانقطعا عن الخروج، وذلك لأن أعدائهما أشاعوا في الناس أن الشيخ محمد رشيد رضا إنما جاء بدعوة منها، فاعتزل القاسمي ٣ أشهر، واعتزل البيطار ٤ أشهر، ثم خرجا بعد ذلك^(٢)، وقد استمرت العلاقة بين الرجلين على أحسن ما تكون الصداقة والصحبة حتى توفي الأصغر منها أولا وهو الشيخ القاسمي^(٣)، وقد طلب الشيخ القاسمي الإجازة من صديقه، فأجابه الشيخ البيطار بذلك، وكتب له إجازة عامة عظيمة الوصف بجميع مروياته^(٤).

وقد ترجم الشيخ البيطار لصديقه الشيخ القاسمي في كتابه: "حلية البشر في تاريخ

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ١ / ٣٤٠.

(٢) سيأتي ذكر هذه المحنة التي تعرض لها الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من الفصل الثاني ص ٢٧٨.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٨٠. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٨٣.

(٤) انظر نص الإجازة: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٠٣.

القرن الثالث عشر " فكان مما قال عنه: " وإنه منذ تنسك تمسك بأذيال السنة والكتاب، وعمل بأداب السنة المطهرة وسنة الآداب، فمذهبه مذهب السلف الصالح، ومسلكه مسلك الفريق الراجح، حضر دروس العلوم بهمة جيدة، ولم يزل مجافياً في طلبه اللذة وطيب الرقاد، إلى أن بلغ المقصود والمراد، فأجاز له الكثير من الأفاضل، وشهدوا له في خطوطهم بالفواضل والفضائل"^(١).

ويقول الشيخ القاسمي عن صديقه الشيخ عبد الرزاق البيطار -رحمهما الله- في مذكراته: "فالشيخ الأستاذ حفظه الله، نزهة المجالس، وفريد عصره لطفاً، ورقة حاشية، وحسن محاضرة، وتبحراً في كل موضوع"^(٢).

٥. الأمير شكيب أرسلان.

هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخيين ملوك الحيرة، أديب كاتب شاعر مؤرخ سياسي مفكر لبناني، اشتهر بلقب "أمير البيان" بسبب كونه جمع بين الأدب والسياسة، وكلمة شكيب تعني بالفارسية: الصابر، وأرسلان تعني بالتركية والفارسية: الأسد، ولد بقرية "الشويقات" قرب بيروت سنة ١٢٨٦هـ، ونشأ بها، وتعلم بمدرسة "الحكمة"^(٣) بيروت، وكان أول أساتذته فيها الأستاذ عبد الله البستاني^(٤)، كما تعلم

(١) انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١/ ٤٣٥.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٩٠.

(٣) أنشأها رئيس أساقفة المارونية ببيروت "يوسف الدبس" سنة ١٢٩١هـ، وقد تحولت لاحقاً إلى "جامعة الحكمة" وهي موجودة إلى الآن. (ويكيبيديا).

(٤) عبد الله بن مختار بن نصيف البستاني، أديب ناثر ناظم لغوي صحفي من أعضاء المجمع العلمي العربي. ولد بالديبة من أعمال الشوف ببلدان سنة ١٢٧١هـ، وتوفي سنة ١٣٤٨هـ ببيروت، ودفن بدير القمر، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٤/ ١٤١، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ٢٩٦.

بالمدرسة "السلطانية"^(١)، وقد تأثر بعدد كبير من أعلام عصره ممن تتلمذ على أيديهم أو اتصل بهم في مراحل متعددة من عمره، فقد اتصل بالشيخ محمد عبده، وتأثر به، وحضر دروسه ولازمه في مجالسه الخاصة، كما اتصل بجمال الدين الأفغاني وتأثر به تأثراً كبيراً، وكذلك اتصل بالمفكر أحمد فارس الشدياق^(٢)، وتأثر به، كما اتصل بالأديب محمود سامي البارودي^(٣) والشاعر أحمد شوقي^(٤) والشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ إبراهيم اليازجي^(٥) وغيرهم من أعلام العلم والفكر والأدب في عصره، وقد كان الأمير شكيب أرسلان في عدااء مستمر مع المستعمرين، مما دعاهم إلى تشويه صورته أمام الجماهير، فاتهموه بعدة تهم باطلة، وظل بسبب ذلك مطاردًا من أكثر من دولة، فإنجلترا وفرنسا تطاردانه لدفاعه عن شعوب الأمة العربية، ودعوتهم للتحرر من استعمارها، وتزعمهم في الجهاد ضدها، كما أن الحكومة العثمانية في أواخر عهدها كان تطارده أيضاً؛ لاهتمامه بقضايا العرب، كما تتهمه بتشويه صورة حكامها، وأنهم متنكرون للخلافة والإسلام، لكل ذلك ظلَّ مبعداً فترة طويلة من حياته عن كثير من أقطار الوطن العربي، ولا يُسمح له بدخولها، خاصة

(١) أنشأتها جمعية "المقاصد الخيرية الإسلامية" في بيروت سنة ١٣٠٠هـ، بدعم من والي الشام أحمد حمدي باشا. انظر: موقع تاريخ بيروت من العصر الروماني إلى اليوم على الشبكة العنكبوتية العالمية.

(٢) أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق، أديب لغوي، ولد في قرية "عشقوت" ببلبنان سنة ١٢١٩هـ، وتوفي بالأستانة، ودفن ببلبنان سنة ١٣٠٤هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٢٢٥.

(٣) محمود سامي بن حسن بن عبد الله البارودي المصري، شركسي الأصل، أديب شاعر قائد عسكري، ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٥هـ، وتوفي بها سنة ١٣٢٢هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/١٧١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٨٠٧.

(٤) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أشهر شعراء العصر الحديث، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٥هـ، وتوفي بها سنة ١٣٥١هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/١٣٦، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/١٥٣.

(٥) إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله اليازجي الحمصي، أديب لغوي، ولد ببيروت سنة ١٢٦٣هـ، وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٢٤هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/٧٦، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٧٨.

قلب الأمة العربية مصر وسوريا، ولذلك انتقل إلى "جنيف" بسويسرا فأقام فيها نحو ٢٥ عاماً، وبعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وتحررت سوريا ولبنان، عاد إلى وطنه في أواخر سنة ١٣٦٦هـ، وقد تولى في حياته عدداً من الأعمال الحكومية كمديرية الشويفات، كما كان ممثلاً لـ "حوران" في مجلس المبعوثين العثماني، كما أصبح عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وقد كتب في عشرات الدوريات من المجلات والصحف في مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلامي، وبلغت بحوثه ومقالاته المئات، فضلاً عن آلاف الرسائل ومئات الخطب، كما نظم عشرات القصائد في مختلف المناسبات، وقد أخرج عدداً كبيراً من الكتب ما بين تأليف أو شرح أو تحقيق، من أشهرها تأليفه لكتاب "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟"، وقد اتسم أسلوبه بالفصاحة وقوة البيان، والتمكن من الأداة اللغوية مع دقة التعبير والبراعة في التصوير، حتى أطلق عليه "أمير البيان"، وكانت عائلته تنتمي للطائفة الدرزية، والدروز لهم مذهبهم الخاص، وعباداتهم الخاصة، ولا يقبلون بدخول أحد إلى مذهبهم، ولا يسمحون لأحدهم بالخروج منه، ولكنه كان يتعبد الله مثل طريقة أهل السنة والجماعة، فكان يصلي ويصوم ويحج ويؤدي سائر العبادات كما يفعل المسلمون، وبعد عودته إلى موطنه الأصلي كانت حالته الصحية قد ضعفت بعد تلك السنوات الطوال من الكفاح الشاق والاعتراب المضني وكثرة الأمراض، فما لبث أن توفي ببيروت، سنة ١٣٦٦هـ، ودفن بقريته^(١).

وقد اتصل الأمير بالشيخ القاسمي، والتقى سوياً مرات عديدة، وكان أول لقاء بينهما سنة ١٣٢٤هـ، وكان تعارفهما عن طريق الشيخ طاهر الجزائري، وقد توطدت العلاقة والصلة بعد ذلك بين الصديقين وأصبح الأمير لا ينزل دمشق حتى يمر بالقاسمي^(٢)، بل ويجرّص على

(١) انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/١٧٣، معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٨١٨.

(٢) انظر: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٧.

حضور دروسه ، وأما إذا لم يكن في دمشق فإن الصلة مستمرة، والتواصل يكون بالمراسلات، وقد ذكر الشيخ القاسمي في مفكراته اليومية كثيرا من الأحداث والرسائل التي جرت بينه وبين الأمير شكيب أرسلان^(١)، ودون إعجابه بالأمير وبراعة أسلوبه وذكاءه الفطري، وكان يُقدّر للأمير قدره، ويُكبر فيه عمله وأدبه؛ نظرا لاطلاعه على الكتب بمختلف اللغات التي يتقنها، ومكانته السياسية والاجتماعية، ولاتصاله بأسباب المدنية العصرية، ومن هنا كانت استفادة الشيخ القاسمي منه، فهو قد اطلع على ما لم يتيسر للقاسمي الاطلاع عليه، وكان الأمير يكتب بعض المقالات فيستحسنها القاسمي، وينقلها في مذكراته، ويذكر أنها مما استفاده من الأمير^(٢).

وقد أثر الشيخ القاسمي في نفس صديقه الأمير، وجعله ينظر إلى الدين بالمنظار المعتدل، بعيدا عن الغلو أو التسهيل، لذا فإن عاطفة الأمير كانت فيأضة تجاه صديقه القاسمي، والشوق والحنين يحده لرؤيته على الدوام، وكان كلما كتب القاسمي مقالا في مجلة "المقتبس"، يكتب إليه الأمير استحسانا لمقاله، وكثيرا ما كان يعيد نشر تلك المقالات في الصحف والمجلات العربية، وقد بقي جبل الود متصلا بين الصديقين إلى أن توفي الشيخ القاسمي^(٣).

وبعد وفاة الشيخ القاسمي بـ ٢١ عاما يطبع ابنه ظافر كتابه "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"، فما كان من ظافر إلا أن أرسل مسودات كتاب والده إلى الأمير شكيب أرسلان؛ ليكتب مقدمة له، فما كان من الأمير إلا أن كتب مقدمة ضافية في وصف صديقه القاسمي، وبيان مكانته العلمية، ومنزلته بين علماء عصره المصلحين، فكان مما قال: "وقد كان للشيخ جمال عدا إحاطته العلمية، معارف لا يساويه فيها أحد من المجتمع الإسلامي عموماً،

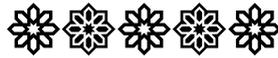
(١) انظر نماذج من تلك الرسائل: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٩٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٩٢.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٨٨.

والعربي الشامي خصوصاً، فقد صح فيه ذلك التعريف الذي عرف به بعضهم "العالم" فقالوا: هو قبل كل شيء العالم بأحوال عصره ومصره، وكنت أعلم أن للشيخ جمال تآليف ممتعة، وربما كان يطلعني على بعضها، وربما طالعني ببعض آرائه فيها، واستأنس برأي القاصر، واستوري زندي الفاتر، وهو مع ذلك صاحب الرأي الذي انتهت إليه الأصالة، والقول الذي اندجت فيه الدقة مع الجلالة، فرأيت من هذا الكتاب في حسن ترتيبه وتبويبه، وتقريب الطرق على مريد الحديث، والإحاطة بكل ما يلزم المسلم معرفته، من قواعد هذا العلم الشريف ما يقضي بالعجب لمن لم يكن يعرف علو درجة المؤلف، ولكنه مما لا يعجب منه مثلي ممن حضروا مجالسه الزاهرة، وسمعوا تقاريراته الساحرة"^(١).

ويقول الشيخ القاسمي عن صديقه الشيخ الأمير شكيب أرسلان في مذكراته: "قدم الأمير شكيب أرسلان، الكاتب الشهير، وبعد العشاء زارنا، وكان مدعوا عند أحد المياسير في "دَمَر"، فسمرنا معه إلى نحو الساعة الخامسة، وما أطف هذا الإنسان، وأرق حاشيته، وأطف محاضرتة ونكته"^(٢).



(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٧.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٩٤.

المطلب السادس

أبرز تلاميذ القاسمي

حظي الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله بمكانة عظيمة بين العلماء في عصره، وبمنزلة عالية بين أقرانه في مصره، وكان لهذا أثرا في التفاف الطلاب والتلاميذ الشباب حوله، ينهلون من علمه، ويتنورون بكلامه، ويتأثرون بأخلاقه، وكان هؤلاء التلاميذ يحرصون على مجالس العلم، ويحضرون دروس الشيخ العامة والخاصة، فريق منهم غير ملازم للشيخ، أو ملازم مقل، وفريق منهم لازم الشيخ فترة طويلة إلى وفاته -رحمهم الله جميعا- وفي كلا الفريقين طلاب كثير، ولا يمكن تتبعهم ولا حصرهم، وكثيرا منهم قد نبغ وبرز، وظهر نور علم الشيخ على عقله وفكره، وكان ممن برز من الفريق الأول: الشيخ محب الدين الخطيب، والشيخ محمد بخيت المطيعي^(١)، والشيخ أحمد محمد شاكر^(٢)، والأديب محمد كرد علي، والطبيب صلاح الدين القاسمي، والطبيب عبدالرحمن الشهبندر، والمؤرخ الأديب خير الدين الزركلي، والشاعر محمد البزم^(٣)، والشاعر مصطفى الغلاييني، وغيرهم كثير، إلا أن أكثر من خدم

(١) محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهاءها، شارك في بعض العلوم، ولد ببلدة "المطبعة" بأسبوط بمصر سنة ١٢٧١هـ، تعلم بالأزهر ودرس فيه، ثم عمل في القضاء الشرعي، وعين مفتيا للديار المصرية سنة ١٣٣٣هـ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥٤هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٥٠/٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١٥٩/٣.

(٢) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر الحسيني، محدث مفسر فقيه أديب. ولد بالقاهرة سنة ١٣٠٩هـ، التحق بالأزهر وحاز شهادة العالمية منه، وعين مدرسا، ثم موظفا قضائيا، ثم قاضيا، ثم عضوا بالمحكمة العليا، ثم رئيسا لها، حقق ونشر عددا من كتب الحديث والفقه والأدب، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧٧هـ، له كثير من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٢٥٣/١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢٨٤/١.

(٣) محمد بن محمود بن محمد بن سليم البزم، أديب شاعر عالم بالعربية، أصله من العراق، ولد بدمشق سنة ١٣٠٤هـ، عمل بتدريس العربية بالمدرسة الكاملية بدمشق، ثم بمدرسة التجهيز الأولى، انتخب عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، وتوفي دمشق سنة ١٣٧٥هـ، ودفن في مقبرة الباب الصغير، وله ديوان شعر. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي

القاسمي، وتأثر به، ونشر علمه بعد وفاته، هم من لازموه وتعلمذوا طويلا على يديه، ومن أبرز هؤلاء:

١. الشيخ حامد بن أديب التقي.

هو الشيخ حامد أو محمد حامد بن أديب بن أرسلان التقي الدمشقي، فقيه حنفي متأدب، ولد بدمشق سنة ١٢٩٩هـ بحي "باب الجابية"، والده فقيه عالم معروف، تعلم بكتاتيب الحي، ثم أخذ عن الشيخ بكري العطار، فقرأ عليه المنطق وعلوم العربية، ثم اتصل بالشيخ جمال الدين القاسمي -وهو قريبه فوالد الشيخ حامد ابن خالة والد الشيخ القاسمي- فأخذ عنه علوم التفسير والحديث واللغة والنحو والصرف، ولازمه ١٧ عاما ملازمة تامة، فأخذ عن شيخه العلم الغزير، والأفكار النيرة، والأخلاق العالية، وكان الشيخ القاسمي يحبه حبا جما، ولا يذهب إلى مكان دون أن يكون معه، وكان محبوبا لدى أبناء الشيخ القاسمي وأسرته، وهو يعتبر أكبر تلامذة الشيخ، وأكثرهم له ملازمة، وبعد وفاة الشيخ القاسمي أصبح المرجع الأوحى الذي يعود إليه العلماء في معرفة أقوال القاسمي، وقد حصل منه على إجازة علمية عامة وخاصة، كما حصل على إجازات متعددة من عدد من المشايخ ممن درس عليهم أو أجازوه لعلمه وفضله، ومن أجازوه: الشيخ أحمد الجزائري^(١)، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ بكري العطار، والشيخ محمد الخضر حسين^(٢)، والشيخ حسين الجسر

٧/ ٩١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/ ٧٠٦.

(١) أحمد بن محيي الدين بن مصطفى الأغرسي الحسيني الجزائري ثم الدمشقي، فاضل صوفي فقيه حنفي مؤرخ، وهو أخو الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في "القيطنة" بالجزائر سنة ١٢٤٩هـ، وتوفي بدمشق ١٣٢٠هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٤١٤. الأعلام: خير الدين الزركلي ١/ ٢٥٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/ ٣٠٥.

(٢) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني التونسي، عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمع العربي بدمشق والقاهرة، ومن تولوا مشيخة الأزهر، وأصله من الجزائر، ولد في "نفطة" بتونس سنة ١٢٩٣هـ، وتخرج

=

الطرابلسي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ سليم البخاري^(١)، وغيرهم -رحمهم الله جميعاً- تولى أول أمره الإفتاء بـ "النبك"، ثم درّس التربية الدينية واللغة العربية في بعض المدارس، ثم أسندت إليه الخطابة في جامع "الصابونية"، وبعد وفاة والده أسندت إليه الإمامة في محلة "باب الجابية"، وقد قضى من عمره قرابة ٨٠ عاماً بين التدريس والتعليم والإفتاء، ولهذا فقد عمّ نفعه، وزاد إقبال الناس عليه، وكثر طلابه، ونبغ منهم أناس وبرزوا، وكان من أشهر طلابه: الشيخ علي الطنطاوي^(٢)، والشيخ محمود مهدي الإستانبولي، وغيرهما كثير، وقد كان يتحلى بصفات العالم الطائع لله تعالى، فقد كان تقياً ورعاً، وفي كل الوفاء لأستاذه القاسمي، ويكثر من ذكره، وإذا أفتى سهّل على الناس، وتكون إجاباته واضحة، وكذلك كانت طريقة تدريسه، ولم يكثر من التأليف، فقد كان أكثر وقته مصرّوفاً إلى التدريس والافتاء، له كتاب مطبوع بعنوان: "أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح"، وتوفي رحمته الله سنة ١٣٨٧هـ^(٣).

بجامع الزيتونة، وأحرز الشهادة العالمية منها، عمل بالتدريس والقضاء والكتابة والتحرير، كما انتقل للعمل في عدد من العواصم الإسلامية في الجزائر ودمشق والقاهرة واستانبول، وأنشأ فيها عدداً من الصحف والمجلات، ولي مشيخة الازهر سنة ١٣٧١هـ، توفي بالقاهرة في سنة ١٣٧٧هـ، ودفن بترية آل تيمور، وله عدد من مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١١٤/٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢٧٣/٣.

(١) سليم بن اسماعيل الأمدي الدمشقي، والبخاري نسبة إلى بلد أمه، عالم أديب من رجال الإصلاح الديني بالشام، تولى الافتاء بالجيش العثماني، ولد بدمشق سنة ١٢٦٨هـ، وتوفي بها سنة ١٣٤٧هـ. انظر ترجمته: الأعلام: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة ٤٣١/١. خير الدين الزركلي ١١٦/٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٧٧٧/١.

(٢) علي بن مصطفى بن أحمد الطنطاوي، عالم وفقه وأديب وقاضٍ سوري مشهور، ولد بدمشق سنة ١٣٢٧هـ، له مشاركات واسعة في الصحافة والإعلام العربي، وله الكثير من الكتب والمقالات، هاجر إلى السعودية وبقي فيها ٣٥ عاماً حتى توفي في مكة ١٤٢٠هـ. انظر ترجمته: علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري: نزار أباطة ص ٣٨٤ - ٣٨٨. علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدياء: مجاهد مأمون ديرانية، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ.

(٣) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٨٠٧/٢. الأعلام: خير

=

يقول الشيخ حامد التقي عن بداية علاقته بشيخه جمال الدين القاسمي -رحمهما الله-:

"كنت في أول عشرته مخالفا له في مشربه، وقد وصل بي التعصب أنني إذا صليت وراءه ورفع يديه في الانتقالات أعدت صلاتي منفردا، فأدرك ذلك مني، وأخذ يناقشني بهدوء حتى اهتديت إلى السلفية وأخذت أنشرها، ولما رأني قد غلوت بالطعن على المبتدعة قال: خفف هذه الوطأة، وتذكر أنك كنت منهم فاشكر الله، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١)^(٢)، ويقول أيضا عن ملازمته لشيخه جمال الدين القاسمي -رحمهما الله-:

"كنت ألزم شيخنا رحمته الله في اليوم عدة مرات، صباحا وبعد العصر، وبعد العشاء، فقال لي مرة: إنني أرى الاستغناء عن درس العشاء، فأطعت أمره، وبعد بضعة أيام قال لي: ارجع إلى درسك السابق، فقلت له: يا سيدي ما السبب الذي دعاك لتركه ثم لإرجاعه؟. فقال لي: الليل قصير، فرأيت أن أنام باكرا، ولكنني لم أستطع النوم باكرا، وصارت جلستي مع النساء، فتباعدت عن دروس العلم، وضاعت سهرتي دون فائدة، ولما كان الطبع يسرق طبع جليسه، فخشيت أن تصير أفكارني نسائية، وهو يقصد بذلك النساء غير المتعلّمات"^(٣)، وقد سئل الشيخ حامد التقي عن شيخه جمال الدين القاسمي -رحمهما الله- من هو؟ فأجاب بمقال لطيف يصف فيه شيخه وعلاقته به، فكان مما قال: "كان قدوة حسنة لكل من يريد أن يكون عالما عاملا، عاش من العمر تسعا وأربعين سنة، نافت تأليفه على مائة، طبع عنها ما ينوف على عشرين كتابا، أمضى عمره بين التدريس والتأليف، ونشر المقالات القيمة في المجالات والجرائد، كان يقرئ في كل يوم عدة دروس خاصة وعامة بعد الصلوات مجانا، وقد قسم

الدين الزركلي ٢/ ١٦٠. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/ ٥٢٠.

(١) سورة الأعراف: ٤٣.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٨.

(٣) المرجع السابق ص ٨٩.

أوقاته ما بين الدرس والتعليم والتصنيف والعبادة، فلا يمكن أن يصرف وقتا من أوقات حياته في غير عمل نافع له ولأمته، كان بعيدا عن الهزل، يغلب عليه الجد، لا تأخذ في الله لومة لائم، وكان مهاب الطلعة، حسن الهندام، إذا رآه حاسدوه ومناوئوه لا يسعهم إلا تعظيمه واحترامه، ما رأيت طول عمري - وقد تجاوزت السبعين - من يماثله تحقيقا وعلما وأخلاقا حسنة، وصدعا بالحق بالحكمة والموعظة الحسنة"^(١).

يقول الشيخ جمال الدين القاسمي في إجازته لتلميذه الشيخ حامد التقي: "وإن من رغب في نيلها، وتشبث بأذيال أهلها، الشاب النجيب، والكامل اللبيب، المثابر على طلب العلم في الليل والنهار، والمجد في التفقه والتفنن والاستبصار، قرينا ومصاحبنا الشيخ حامد بن الشيخ أديب بن الشيخ أرسلان الشهير كسلفه بالتقي، أورده الله من مشارع العرفان كل منهل نقي، وقد استجاز من فضلاء شامه، ونبلاء أعلامه، ورام منا التعزيز، لما به أجزى، فاعتذرت بأني لست من أهل هذا الشأن، ولا من فرسان هذا الميدان، فألح علي بمطلوبه، وما انفك عن مرغوبه، فحينئذ أجبته، وبما يروم أسعفته، قياما بحق القرابة، واحتراما لمقام الصحابة، فليرو عنا ولدنا المذكور، ضاعف الله لنا وله الأجور، جميع ما تجوز لنا روايته، وتنسب إلينا درايته، مما روينا عن الأساتذة المحققين، والجهابذة المسنين.." ^(٢).

٢. الشيخ محمد بهجة البيطار.

هو الشيخ محمد بهجة بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن إبراهيم، الشهير بالبيطار، عالم، فقيه، أديب، مؤرخ، لغوي، محقق، يرجع أصل أسرته إلى الجزائر، حيث جاء جده الأعلى إلى دمشق مهاجرا من "البليدة" بالجزائر، واختار لسكناه حي "الميدان"، وقد اشتهر كثير من أبناء هذه الأسرة بالعلم والأدب والتقوى، ولد الشيخ محمد بهجة بدمشق في

(١) مجلة التمدن الإسلامي مجلد ١٩ ص ٧٦٤-٧٦٦، مقال بعنوان: من هو جمال الدين القاسمي؟، للشيخ حامد التقي.

(٢) انظر نص الإجازة كاملة: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٣٠٤.

رمضان سنة ١٣١١هـ، وكان والده عالماً أديباً، وقد تزوج والده ابنة عمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، العالم المشهور، وقد تلقى الشيخ محمد بهجة مبادئ علوم الدين واللغة عن والده، وأتم دراسته الابتدائية في المدرسة "الريحانية"، والإعدادية في المدرسة "الكاملية"، ثم تابع دراسته العالية في العلوم الدينية والعربية والعقلية على والده، وعلى جده لأمه الشيخ عبد الرزاق البيطار، وعلى كبار شيوخ عصره كالشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد الخضر حسين التونسي، والشيخ بدر الدين الحسني^(١) وغيرهم، وحصل على إجازاتهم في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وقد لازم الشيخ القاسمي في آخر أربع سنوات من حياته، فدرس عليه التوحيد والتفسير والحديث والمصطلح والأصول والبلاغة والمنطق، وقد استفاد من الشيخين البيطار والقاسمي أعظم مما استفاده من غيرهما، وخاصة ما ورثه عنهم من مشربهما في الإصلاح، وتمسكهما بمذهب السلف، وقد تفرس على يد شيخه الشيخ القاسمي على البحث والنظر والموازنة بين الأدلة والأقوال، تولى الخطابة والإمامة والتدريس سنة ١٣٢٨هـ في جامع "القاعة" بحي الميدان خلفاً لوالده ولم يتجاوز عمره ١٧ عاماً، ثم انتقل إلى جامع "كريم الدين الشهير" بحي الدقاق سنة ١٣٣٥هـ خلفاً لخاله، وظلَّ يخطب ويدرس مختلف العلوم في هذا الجامع حتى وفاته، لم ينقطع إلا لسفر أو مرض، وفي سنة ١٣٤٠هـ عُيِّن معلماً في مدرسة "الميدان" الابتدائية، سافر إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٥هـ واشترك بمؤتمر العالم الإسلامي الذي عقد فيها، وبعد انتهاء المؤتمر استبقاه الملك عبد العزيز آل سعود ليشرّف على المعهد العلمي بمكة، فمكث خمس سنوات يدير المعهد، وفي هذه الأثناء قلده الملك عدة

(١) محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب المراكشي أصلاً الدمشقي مولداً، اشتهر ببدر الدين الحسني، محدث الديار الشامية الأكبر في عصره، أستاذ علماء الشام، ولد بدمشق سنة ١٢٦٧هـ، وتوفي بها سنة ١٣٥٤هـ. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٤٧٣/٢. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/٣٧٥. الأعلام: خير الدين الزركلي ٧/١٥٧.

مناصب قضائية وعلمية، هي: عضواً بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة، ثم نائباً لرئيس هيئة المراقبة القضائية، ثم عينه مفتشاً للتعليم في مدارس الحجاز، وعضواً في مجلس المعارف العمومية، ومدرسا في الحرمين الشريفين، وعضواً بهيئة مراقبة التدريس في الحرم المكي الشريف، ولما عاد إلى دمشق سنة ١٣٥٠هـ رجع إلى الإمامة والخطابة في مسجده، والتدريس في المدارس الثانوية، وأضيف إليه التدريس في الكلية الشرعية ودار المعلمين، وفي سنة ١٣٦٣هـ رجع إلى الحجاز مديراً لمعهد "دار التوحيد" بالطائف بطلب من الملك عبد العزيز، فبقي في الطائف ٣ سنوات، ولما رجع سنة ١٣٦٧هـ رجع إلى عمله السابق مرة أخرى وأضيف إليه التدريس في كلية الآداب بالجامعة السورية، وفي سنة ١٣٧٤هـ أحيل إلى التقاعد من وظيفته الحكومية، فقصر نشاطه على محاضرات التفسير في كلية الشريعة، وأحاديث الإذاعة، وأعمال المجمع العلمي العربي بدمشق، الذي انتخب عضواً فيه سنة ١٣٤٢هـ، ثم أعمال المجمع العلمي العربي بالعراق والذي انتخب عضواً مراسلاً فيه سنة ١٣٧٥هـ، وقد كان عطاءه العلمي بعد تقاعده أكثر، ففيها أنجز أكثر أبحاثه ومؤلفاته، كما أنه استطاع في هذه الفترة القيام بعدد من الرحلات إلى الشرق والغرب الإسلامي، وقد كانت أعماله العلمية أكثرها مرتبطة بالمجامع العلمية التي هو عضو فيها، وقد بقي على نشاطه حتى أقعده المرض وأتعبه، وقد كانت له صلوات بعلماء ومثقفي عصره من الأعيان والأدباء وغيرهم، وكانت له جلسة علمية ثقافية أسبوعية كل جمعة في داره، يجتمع فيها من الأفاضل أمثال الشيخ علي الطنطاوي، والشيخ البشير الإبراهيمي، والأمير شكيب أرسلان، والشيخ عز الدين التنوخي، وغيرهم ممن يعز لقائهم في غير بيت الشيخ البيطار، وقد كانت للشيخ مؤلفات كثيرة، وأبحاث متعددة، ومقالات مستفيضة، نشرت في الصحف والمجلات العربية، ومن مؤلفاته: "نقد عين الميزان"، و"النفحة الزكية في الرد على شبه الوهابية"، و"الكوثري وتعليقاته"، و"الرحلة الجدية الحجازية"، و"حياة شيخ الإسلام ابن تيمية"، و"الثقافتان الصفراء والبيضاء"، و"الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة"، و"تحقيق كتاب قواعد

التحديث من فنون مصطلح الحديث - لشيخه القاسمي"، و"تحقيق كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر - لجدّه عبد الرزاق البيطار"، وغيرها من الكتب والمؤلفات والمقالات والأبحاث، خاصة ما نشر له في مجلة المجمع العلمي العربي، وقد عرف الشيخ محمد بهجة بأخلاق رضية، من سماحة في الأخذ والعطاء، وطهارة في القلب تقبض اليد وتعقل اللسان، وهو بحق عالم يزين علمه بالعمل، و يجمله بنشره بين الناس، هادئ النفس، ساكن الفؤاد، صاف البال، متواضع، وفي تواضعه حنان وعطف وحب للآخرين، وقد توفي رحمته الله يوم السبت ٣٠ جمادى الأولى سنة ١٣٩٦هـ، فعناه مجمع اللغة العربية بدمشق، ورابطة العالم الإسلامية بمكة، وحي الميدان، وشيعته دمشق بعلمائها وأدباءها ووجهائها، ودفن بمقبرة باب مصر جنوبي حي الميدان، وقد رثاه عدد من الشيوخ والأدباء في عدد من البلاد العربية^(١).

ويشير الأستاذ عاصم بن بهجة البيطار في مقدمة كتاب "الفضل المين على عقد الجوهر الثمين" للقاسمي، متحدثاً عن والده، ويوضح مدى الصلة والعلاقة التي كانت بينه وبين شيخه القاسمي حيث يقول: "كان أبي تلميذاً للشيخ القاسمي، وكان ملازماً له، شديد التعلق به، وقد كان للشيخ رحمته الله أثر كبير في والدي، غرس في نفسه حب السلفية، ونقاء العقيدة، والبعد عن الزيف والقشور، وحسن الانتفاع بالوقت، والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، ودفع كيد المفترين، ودعاوى المبطلين بالحكمة والموعظة الحسنة. وكنت أشعر بسعادة والدي رحمته الله وهو يعمل فيما طبع من كتب شيخه، يُجَرِّجُ الأحاديث، ويُقَوِّمُ أخطاء الطباعة، ويكتب المقدمات، وكم كنت أراه يبكي وهو يعمل، ويبكي وهو يذكر أستاذه الشيخ القاسمي رحمته الله وأعلى غرفته في جنته، ولقد صحبت والدي عشرات السنوات، ولازمته

(١) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٢/٩١٨. تكملة معجم المؤلفين: محمد خير رمضان ١/٧١٨. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٣٦.

في الحل والترحال، فما سمعته يذكر الشيخ القاسمي رحمته الله مرة في بيته أو في ملاً من قومه إلا بقوله: شيخنا علامة الشام، أو شيخنا القاسمي، وما سمعته يذكره مرة إلا والبكاء يكاد يغلبه، لقد ترك الشيخ القاسمي رحمته الله في نفوس طلابه بل وفي نفوس كثير من الذين كانوا يردون مجلسه، وينهلون من معين أدبه وعلمه أثراً باقياً^(١)، ويؤكد على هذه العلاقة الأستاذ ظافر ابن الشيخ القاسمي في مقدمة كتاب "كلمات وأحاديث" للشيخ البيطار، حيث يقول: "إن من أعظم صفات شيخنا البيطار رحمته الله رقة الشعور، فقد كان لا يحتمل أن يرى أذى ينزل بأحد من الخلق، وما جاءنا معزياً بأحد من إخوتي إلا ودخل وعبراته تفيض، وحينما توفيت أمي -وهي زوج شيخه- مشى أمام الجنازة مع طائفة من شيوخ دمشق، والدمع يتفرق بين جفنيه، وما أعرف أنه ذكر شيخه مرة خلال عمره الطويل المبارك إلا وبكى، ولعل من أواخر لقاءاتي معه في بيته بالميدان، وكان قد مضى على وفاة شيخه قرابة سبعة وستين عاماً، فإذا هو يذكره ويبكي، كأن جمال الدين القاسمي قد توفي في ذلك اليوم نفسه"^(٢).

يقول الشيخ جمال الدين القاسمي عن تلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار: "الشيخ محمد بهجة البيطار، أحد ملازمي دروسنا الليلية والنهارية، وهو ممن يرجى لهم مستقبل حسن بإذن الله تعالى"^(٣).

٣. الشيخ محمد جميل الشطي.

هو الشيخ محمد جميل بن عمر بن محمد الشطي، مفتي الحنابلة في عصره، وإمامهم بالجامع الأموي، فرضي، مؤرخ، ناثر، ناظم، أصله من بغداد، ولد بدمشق سنة ١٣٠٠هـ، نشأ في حجر والده، ودرس عليه الفقه والفرائض، كما درس مبادئ العلوم على عمه الشيخ مراد

(١) الفضل المين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٦.

(٢) كلمات وأحاديث: محمد بهجة البيطار، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ، ص ٢٧.

(٣) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٦٢.

الشطي^(١) وعمه الشيخ أحمد الشطي^(٢)، وتلقى الحديث عن الشيخ بكرى العطار والشيخ بدر الدين الحسيني، كما لازم الشيخ جمال الدين القاسمي ملازمة تامة، وأخذ عنه في أكثر العلوم، وتأثر به، قرأ بنفسه بعض كتب التفسير والحديث والفقه والفرائض وانتفع بها، وأجازه بعض الشيوخ بما تجوز لهم روايته لفظاً وخطاً، كما أتقن اللغة التركية وترجم منها إلى العربية بعض الكتب، ولع بالأدب والتاريخ مبكراً فنظم ونثر، لازم المحاكم الشرعية بدمشق صغيراً منذ سنة ١٣١٣هـ، حيث عين كاتباً في عدد من محاكم دمشق، ثم عين سنة ١٣٣٧هـ عضواً في محكمة "حماء"، ثم رئيس كتاب في محكمة دمشق الشرعية حتى سنة ١٣٤٨هـ، وقد أسندت إليه سنة ١٣٣٤هـ إمامة الحنابلة في الجامع الأموي، كما انتخب مفتياً حنبلياً لمدينة دمشق سنة ١٣٤٨هـ، وفي سنة ١٣٥٢هـ تولى إمامة وخطابة جامع "الباذرائية" في حي العمارة، وبقي على ذلك حتى وفاته، وكان غالب نشاطه العلمي في جامع "الباذرائية"، وكان هذا الجامع يعد مدرسة شرعية غير نظامية يقصدها الطلاب، وكان الشيخ هو الذي يدبر أمرهم ويتابع قضاياهم، ويراقب سلوكهم، وقد كان يقصد مدرسته هذه الطلاب الحنابلة خصوصاً؛ لأن الشيخ كان إمام الحنابلة ومفتيهم، وكان يلقي دروساً كثيرة، غالبها في الفقه الحنبلي، وعلم الفرائض، وعلوم اللغة العربية، وقد اهتم الشيخ بالتأليف منذ صغره، فقد كتب سنة

(١) مراد بن حسن بن عمر بن معروف الشطي الدمشقي الحنبلي، عالم أديب خطاط رياضي مشارك في بعض العلوم، ولد بدمشق سنة ١٢٨٩هـ، وتوفي بها سنة ١٣١٤هـ. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/١٣٥. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٣/١٦٢٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٨٤٠.

(٢) أحمد بن حسن بن عمر بن معروف الشطي الدمشقي، محدث فقيه فرضي عالم بالحساب، مفتي الحنابلة بدمشق وقاضيهم، ولد بها سنة ١٢٥١هـ، وتوفي بها سنة ١٣١٦هـ. انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/١٤٤. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٣/١٥١٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/١٢٣.

١٣١٧هـ رسالة عنونها: "الضياء الموفور في تراجم بني فرفور"، ثم توالى تأليفه، ومنها: "رسالة في علم الفرائض"، و"مختصر طبقات الحنابلة"، و"الوسيط في الإفراط والتفريط" وهي رسالة بين الوهابيين وخصومهم، و"روض البشر في أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر"، و"تنقيح السراجية في فرائض الحنفية"، و"السيف الرباني"، وهي رسالة للرد على الطائفة القاديانية، و"البرهان على صحة رسم مصحف الحافظ عثمان"، وهي رسالة للرد على أحد فقهاء المالكية، و"الدروس الفرضية"، و"الفتح المبين"، و"الفتح الجلي في القضاء الحنبلي"، ترجم فيه لمن تولوا القضاء في محاكم دمشق من الحنابلة ابتداء من ابن قدامة إلى مؤلفه، "قانون الصلح"، وهو كتاب مترجم من التركية للقوانين المعمول بها في الحكومة العثمانية، وله دواوين شعرية، ومجموع فتاوى، وغير ذلك من المؤلفات، وقد اهتم بطباعة الكتب، فأخرج كتباً لآل الشطي وغيرهم من العلماء، ومن ذلك: "مختصر عقيدة السفاريني"، لجدده الأعلى، و"أقوال الإمام داود الظاهري" لجدده الأدنى، و"أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية" لابن القيم وغير ذلك، كما أنه كانت للشيخ محمد الشطي كتابات كثيرة في المجالات والصحف، ومن ذلك: الرد على شيخ الأزهر المراغي، في قوله إن وجه المرأة ليس بعورة، والرد على المحدث الدهلوي في كتابين له، وكل ذلك منشور في مجلة التمدن الإسلامي، توفي ﷺ ١٦ من المحرم سنة ١٣٧٨هـ، ودفن في مقبرة الدحداح^(١).



(١) انظر ترجمته: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ٢/٧٠٤. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٣/١٦٢٦. الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/٧٣. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/١٩٩.

المطلب السابع

آثار القاسمي

أ- مؤلفات القاسمي.

كان الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله سيال القلم، بارع الأسلوب، كثير الكتابة والتأليف، اعتاد على البحث والنظر منذ صغره، فقد كان أول مؤلف له وعمره ١٦ عاماً، وكان يصرف جل أوقاته مع الرسائل والكتب تأليفاً وشرحاً واختصاراً وتعليقاً وتصحيحاً ومقابلة ثم طبعا ونشراً، وكان يدعو العلماء وطلاب العلم إلى الكتابة والتأليف، ويحثهم عليه في زمن قل اهتمام العلماء والطلاب بالتأليف، وانصرفوا إلى الدروس والتعليم فقط، وكان يقول: "إن أعظم واسطة لنشر المذهب السلفي هو طبع كتبه، وإن كتاباً واحداً تتناوله الأيدي على طبقاتها خير من مئة داع وخطيب؛ لأن الكتاب يبقى أثره، ويأخذه الموافق والمخالف، وأعرف أن كثيراً من الجامدين اهتموا بواسطة ما طبعناه ونشرناه والحمد لله على ذلك"^(١)، ويقول أيضاً: "إن نشر رسالة واحدة مفيدة للأمة خير من كذا وكذا من الخطب والمحاضرات بين فئة جاهلة ومشاغبة، فإن المعارض لا بد إذا بلغه أنه قد طبع شيء ضده أن يطالعه ويرد عليه، فإذا أنصف رجع إلى الحق من حيث لا يشعر"^(٢)، وإدراكاً منه لهذه الغاية العظيمة؛ فقد خلف مؤلفات كثيرة -مقارنة بعمره القصير- وكان يكتب ويؤلف ويجمع الفوائد في كل زمان ومكان، ليلاً أو نهاراً، سفراً أو حضراً، في المسجد والبيت والقطار والحديقة، إلا أنه مع كثرة مؤلفاته لم يرتض عدداً منها، وكان يتمنى لو وجد فسحة من الوقت إلى إعادة النظر فيها، ومراجعتها وتدقيقها مرة أخرى، ولذا كان يقول: "كل مؤلف لي قبل ١٣٢٠هـ، فلي فيه

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٥٨٨.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٧.

وقفه"^(١)، بل أوصى أخاه الشيخ قاسم بعدم طبع الكتب التي قبل هذا التاريخ، ولذا يوجد كثير من مؤلفاته ما زال مخطوطاً في مكتبة أسرته، والسبب في ذلك أنه مرَّ بعدة مراحل في حياته، نتيجة لاطلاعه على كثير من الكتب والرسائل التي أدت إلى تحوله إلى منهج سلف الصالح، فلذ كانت له مع كتبه أيام الشباب وقفه، وفيما يلي سرد أبجدي لكتبه ورسائله ومقالاته المطبوعة ثم المخطوطة، وشي يسير في التعريف بها^(٢)، وهي كالتالي:

(١) مؤلفات القاسمي المطبوعة:

١. الأجوبة المرضية عما أورده كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية، ألف سنة ١٣٢٣ هـ، وطبع بمطبعة روضة الشام في دمشق سنة ١٣٢٦ هـ، في ٣٦ صفحة.
٢. إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق أو فتاوى الأشراف في العمل بالتلغراف، ألف وطبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٢٩ هـ، في ١٠٤ صفحة.
٣. الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس، ألف وطبع بمطبعة الترقى في دمشق سنة ١٣٣٢ هـ، في ٤٠ صفحة، وهو آخر مؤلفات الشيخ القاسمي وتوفي بعده بأيام.
٤. الإسراء والمعراج، ألف سنة ١٣٢٩ هـ، وطبع بمطبعة الفيحاء في دمشق سنة ١٣٣١ هـ، في ٣٢ صفحة.

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣٣.

(٢) جمعت مؤلفات القاسمي من عدة كتب، لكن مجموعها ذكر في الكتب التالية: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣٥ وما بعدها، جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٥٠ وما بعدها، شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٥ وما بعدها. مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٦٢٨، مقال بعنوان: مصاب مصر والشام يرجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا. العلامة جمال الدين القاسمي: محمد رياض المالح، مركز جمعة الماجد، دبي، ط ١، ١٤١٤ هـ، ص ٩ وما بعدها.

٥. آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي، أو: آداب الدارس والمدرّس، ألّفت هذه الرسالة سنة ١٣١٧هـ، وطبعت أول مرة بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٣١هـ، في ٤٧ صفحة، بتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.
٦. إصلاح المساجد من البدع والعوائد، ألّف سنة ١٣٣٠هـ، وطبع بدار المكتبة السلفية في القاهرة سنة ١٣٤١هـ، في ٣١٩ صفحة.
٧. إقامة الحجة على المصلي جماعة قبل الإمام الراتب وأقوال سائر أئمة المذاهب، ألّف سنة ١٣٢٢هـ، وطبع بمطبعة الصداقة في دمشق سنة ١٣٤٢هـ، في ٧٢ صفحة.
٨. أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي، نشر ك مقال أولاً في مجلتي "المقتبس" و "المنار"، ثم طبع مستقلاً بمطبعة الترقّي في دمشق سنة ١٣٣١هـ.
٩. الأوراد المأثورة، ألّف سنة ١٣١٩هـ، وطبع في بيروت سنة ١٣٢٠هـ، في ٦٤ صفحة.
١٠. بيت القصيد في ترجمة الامام الوالد السعيد، ألّف سنة ١٣١٨هـ، وطبع بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٠هـ، في ٥١ صفحة، ملحقاً بكتاب "آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل"، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.
١١. تاريخ الجهمية والمعتزلة، ألّف سنة ١٣٣٠هـ، وطبع في مجلة "المنار" كمقالات متسلسلة سنة ١٤٣٠هـ، ثم طبع ككتاب مستقل في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٣٣١هـ، في ١١٢ صفحة.
١٢. تحقيق العلم الشامخ في إيثار الحق ودعوته على الآباء والمشايخ لمحمد المقبل اليمني، طبع بمطبعة المنار في القاهرة، سنة ١٣٢٨هـ، في ٥١٢ صفحة.
١٣. تحقيق إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم، طبع بمطبعة المنار في القاهرة سنة ١٣٢٧هـ، في ٤٨ صفحة.
١٤. تحقيق تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، طبع بمصر سنة ١٣٢٦هـ.
١٥. تعليقات على العلم المنشور في إثبات الشهور لعلي السبكي، ألّف سنة ١٣٢٨هـ، وطبع

- بمطبعة كردستان العلمية في مصر سنة ١٣٢٩هـ، في ٥٧ صفحة.
١٦. تعليقات على قواعد الأصول ومعاقد الفصول لصفي الدين عيد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي، طبع بدار الفضيلة في القاهرة سنة ١٤١٧هـ، في ١٣٤ صفحة، بتحقيق أحمد مصطفى الطهطاوي.
١٧. تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، طبع بمطبعة مدرسة والدة عباس الأول في القاهرة سنة ١٣٢٦هـ، في ٧٠ صفحة.
١٨. ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع، ألف سنة ١٣١٣هـ، وطبع بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٠هـ، في ١١ صفحة، ملحقة برسالة للقاسمي بعنوان: "سر الاستغفار عقب الصلوات"، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.
١٩. جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، ألف سنة ١٣٣١هـ، وطبع مطبعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٣٩هـ، في ١٥٠ صفحة.
٢٠. حياة البخاري، طبع في مجلة "العرفان" ببلبنان سنة ١٣٣٠هـ، ثم طبع ككتاب مستقل في دار النفائس ببيروت سنة ١٤١٢هـ، في ١٠٨ صفحة.
٢١. دلائل التوحيد، ألف وطبع بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٢٦هـ، في ٢٠٧ صفحات.
٢٢. رحلتي إلى البيت المقدس، مذكرات كتبت سنة ١٣٢١هـ، وطبعت في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٨٥هـ ضمن كتاب "جمال الدين القاسمي وعصره"، لابنه ظافر القاسمي، وطبعت مستقلة بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٣١هـ، في ١٣٥ صفحة، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.
٢٣. الرحلة إلى حماة وحمص، مذكرات كتبت سنة ١٣٢٥هـ، وطبعت في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٨٥هـ ضمن كتاب "جمال الدين القاسمي وعصره"، لابنه ظافر القاسمي.
٢٤. رحلتنا إلى الأقطار المصرية، مذكرات كتبت سنة ١٣٢١هـ، وطبعت في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٨٥هـ ضمن كتاب "جمال الدين القاسمي وعصره"، لابنه ظافر القاسمي.

٢٥. رحلتي إلى المدينة المنورة، مذكرات كتبت سنة ١٣٢٨هـ، وطبعت في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٨٥هـ، تابعة ضمن كتاب "جمال الدين القاسمي وعصره"، لظافر القاسمي، وطبعت مستقلة بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٩هـ، في ١١٢ صفحة، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

٢٦. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، رسائل أرسلت بين الشيخين بين عامي ١٣٢٦ - ١٣٣٢هـ، وهي ٤١ رسالة، ٢٢ للقاسمي، و١٩ للألوسي، طبعت بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٢هـ، في ٢٨٢ صفحة، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

٢٧. سر الاستغفار عقب الصلوات، طبع بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٠هـ، في ٣٤ صفحة، وقد ألق بها رسالة للقاسمي بعنوان: "ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع"، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

٢٨. الشاي والقهوة والدخان، ألف وطبع سنة ١٣٢٢هـ، في مطبعة روضة الشام بدمشق في دمشق، في ٥٥ صفحة.

٢٩. الشذرة البهية في ألغاز نحوية وأدبية، طبع سنة ١٣٢٢هـ، بمطبعة روضة الشام في دمشق.
٣٠. شذرة من السيرة المحمدية، ألف وطبع سنة ١٣٢١هـ، في مطبعة المنار بالقاهرة، في ٣٦ صفحة.

٣١. شرح لقطه العجلان للزرکشي، ألف سنة ١٣٢٥هـ، وطبع بمطبعة مدرسة والده عباس الأول في القاهرة سنة ١٣٢٧هـ، في ١٧٠ صفحة.

٣٢. شرح مجموع أربع رسائل في الأصول، ألف وطبع سنة ١٣٢٤هـ، في بيروت، في ٨٠ صفحة.

٣٣. شرح مجموع ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه، طبع سنة ١٣٢١هـ، في مطبعة الفيحاء بدمشق، في ٦٣ صفحة.

٣٤. شرف الأسباب، ألف وطبع سنة ١٣٣١هـ، بمطبعة الترقى في دمشق، في ٨٨ صفحة.
٣٥. الطائر الميمون في حل لغز الكنز المدفون، ألف سنة ١٣١٣هـ، وطبع سنة ١٣٢٢هـ، بمطبعة روضة الشام في دمشق، في ٢٤ صفحة.
٣٦. طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري، أصله كتاب "تعطير المشام في مآثر دمشق الشام"، طبع سنة ١٤٢٦هـ بمكتبة دار البيروتي في بيروت، في ١٢٤ صفحة، اختيارات وجمع الشيخ محمود عبد القادر الأرناؤوط.
٣٧. الفتوى في الإسلام، نشر في مجلة "المقتبس" كمقالات متسلسلة سنة ١٣٢٩هـ، ثم طبع ككتاب مستقل في مطبعتها بدمشق سنة ١٣٢٩هـ، في ٧٦ صفحة.
٣٨. الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين، أو شرح الأربعين العجلونية، ألف سنة ١٣٢٠هـ، وطبع سنة ١٤٠٣هـ، بمطبعة دار النفائس في بيروت، في ٥٢٦ صفحة، حققه عاصم بن بهجة البيطار.
٣٩. قاموس الصناعات الشامية، أو بدائع الغرف في الصناعات والحرف، بدأ تأليفه والد القاسمي، ثم أتمه من بعده مشتركا معه خليل العظم، طبع بدار طلاس في دمشق سنة ١٤٠٨هـ، في ٥٣٥ صفحة.
٤٠. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ألف سنة ١٣٢٤هـ، وطبع سنة ١٣٤٢هـ، بمكتب النشر العربي في دمشق، في ٤١٤ صفحة.
٤١. مجموعة الرسائل والمسائل من كتب وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمعها الشيخ القاسمي، وحققها الشيخ محمد رشيد رضا، وخرج أحاديثها، وعلق عليها، ثم طبعها باسمه، بمطبعة المنار في مصر سنة ١٣٤٩هـ، في ٥ أجزاء، في ٨٨٣ صفحة.
٤٢. مجموع متون أصولية، طبع بمطبعة محمد هاشم الكتبي في دمشق، في ١٥٠ صفحة.
٤٣. مجموعة خطب، أو ديوان خطب، ألف وطبع سنة ١٣٢٥هـ، بمطبعة محمد هاشم الكتبي في دمشق، في ١٢٧ صفحة.

٤٤. محاسن التأويل أو تفسير القاسمي، ابتدأ به سنة ١٣١٦هـ، وأتمه سنة ١٣٢٧هـ، وأتم مراجعته ١٣٢٩هـ، طبع سنة ١٣٧٦هـ، بمطبعة عيسى الحلبي في القاهرة، في ١٧ جزءاً، ونشرت بدار إحياء الكتب العربية، بتعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.
٤٥. مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، نشر في مجلة "المقتبس" كمقالات متسلسلة، ثم طبع ككتاب مستقل في مطبعتها بدمشق سنة ١٣٢٨هـ، في ٥٠ صفحة.
٤٦. المسح على الجوربين، ألف وطبع سنة ١٣٣٢هـ، بمطبعة الترقى في دمشق، في ٦٦ صفحة.
٤٧. مفكرات القاسمي، مذكرات يومية شخصية من سنة ١٣٢٤هـ، وطبع بعضها في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٨٥هـ ضمن "كتاب جمال الدين القاسمي وعصره"، لابنه ظافر القاسمي.
٤٨. منتخب التوسلات، ألف سنة ١٣١٥هـ، وطبع بمطبعة روضة الشام في دمشق سنة ١٣١٨هـ، في ٢٨ صفحة.
٤٩. موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، ألف سنة ١٣٢٤هـ، طبع سنة ١٣٤١هـ، بمطبعة السعادة في القاهرة في جزأين، في ٤٠٤ صفحة.
٥٠. ميزان الجرح والتعديل، نشر في مجلة "المنار" كمقال، ثم طبع ككتاب مستقل في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٣٣٠هـ، في ٤٠ صفحة.
٥١. النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد، ألف سنة ١٣٠٣هـ، طبع سنة ١٣٢٣هـ، بمطبعة روضة الشام في دمشق، في ٣٤ صفحة.
٥٢. نقد النصائح الكافية على تعديل معاوية، ألف سنة ١٣٢٧هـ، طبع سنة ١٣٢٨هـ، بمطبعة الفيحاء في دمشق، في ٤٨ صفحة.
٥٣. الوعظ المطلوب من قوت القلوب، ألف سنة ١٣٣١هـ، وطبع بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢١هـ، في ٣٦٨ صفحة، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.
٥٤. يسر الشريعة الإسلامية، بحث نشر في كتاب "فتاوى مهمة في الشريعة الإسلامية في

المحاكم العثمانية والمصرية" لعدد من العلماء، طبع في مطبعة مجلة "المنار" بالقاهرة، سنة ١٣٣١هـ.

(٢) مقالات القاسمي المنشورة:

١. أهداء الإصلاح، نشرت في مجلة "المقتبس"، مجلد ٦ ص ٧٣٧-٧٤٠.
٢. تنوير اللب في معرفة القلب، نشرت في جريدة "الشام"، العدد ٦٢ ص ٣.
٣. جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل، نشرت في مجلة "المنار"، مجلد ١٣ ص ٦١٣.
٤. الكنى والألقاب، نشرت في مجلة "المقتبس"، مجلد ٢ ص ٢٧٠.

(٣) مؤلفات القاسمي المخطوطة:

١. أجوبة المسائل، وفيه إجابات على الأسئلة الواردة له بين عامي ١٣٢٩-١٣٣٠هـ، في ٥٠ صفحة.
٢. الاحتياط للخروج من الخلاف، لا تاريخ لها، وهي في بضع ورقات.
٣. الآراء الفلسفية في الموت وعلاج الخوف منه وفي رفع الأوهام منه وفي رحمة وجوده وفي أن الحياة الحقيقية بعد الموت، ألف سنة ١٣٢٢هـ، في ٢٨ صفحة.
٤. الارتفاق في مسائل الطلاق، ألف سنة ١٣١٤هـ، في ٢٢ صفحة.
٥. إزالة الأوهام بما يستشكل من ترك سيدنا عمر لكتابة الكتاب الذي هم به عليه الصلاة والسلام، مفقود.
٦. إعلام الجاحد عن قتل الجماعة المتمثلة بالواحد، ألف سنة ١٣١٩هـ، في ١٣ صفحة.
٧. إفادة من صحاح في تفسير سورة والضحي، ألف سنة ١٣١٤هـ، في ٨ صفحات.
٨. الأقوال المروية في من حلف بالطلاق الثلاث في قضية، مفقود.
٩. الأنوار القدسية على متن الشمسية، ألف سنة ١٣١٢هـ، في ٢٧٦ صفحة.
١٠. الأولياء، ألف سنة ١٣٢٤هـ، في ١٥ صفحة.
١١. إيضاح الفطرة في أهل الفترة، ألف سنة ١٣١١هـ، في ٦٠ صفحة.

- ١٢ . بحث في جمع القراءات المتعارف، مفقود.
- ١٣ . بديع المكنون في مسائل أهل الفنون، ألف سنة ١٣١٣هـ، في جزئين، الأول ٢٢٨ صفحة، والثاني ١٥٤ صفحة.
- ١٤ . بذل الهمم في موعظة أهل وادي العجم، ألف سنة ١٣٠٩هـ.
- ١٥ . تعطير المشام في مآثر دمشق الشام، ألف سنة ١٣١٩هـ، في ٤ أجزاء، الأول والثاني في ٥٠٠ صفحة.
- ١٦ . تعليقات على أوائل سنن أبي داود، ألف قبل سنة ١٣٢٠هـ، في ٢٢ صفحة، ولم يتمه.
- ١٧ . تعليقات على أوائل صحيح البخاري، لا تاريخ لها ولا وصف، وقد ذكرها الشيخ القاسمي في كتابه "حياة البخاري"^(١).
- ١٨ . تعليقات على حصول المأمول من علم الأصول لصديق حسن خان، لا تاريخ له ولا وصف.
- ١٩ . تفسير آية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، ألف سنة ١٣٢٤هـ، في ٣ صفحات.
- ٢٠ . تنبيه الغمر في رد شبهة طهارة الخمر، ألف قبل سنة ١٣١٣هـ، أحرفها الشيخ القاسمي لأنه لم يرتضها.
- ٢١ . جدول في مخارج الحروف وصفاتها، مفقود.
- ٢٢ . الجواب السني عن سؤال السيد أحمد الحسيني، ألف سنة ١٣١٤هـ، في ٢١ صفحة.
- ٢٣ . جواب المسألة الحورانية، ألف سنة ١٣١٥هـ، في ١١ صفحة.

(١) حياة البخاري: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ص ٤٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

٢٤. الجوهر الصاف في نقابة الأشراف، مفقود.
٢٥. حاشية على الروضة الندية في شرح الدرر البهية لصديق حسن خان، ألف سنة ١٣٢٨ هـ.
٢٦. حسن السبك في الرحلة لوعظ قضاء النبك، مفقود.
٢٧. خلاصة الكلام في وجوب القيام لذكر مولد سيد الخلق عليه السلام، موجود بدار الكتب المصرية برقم ٢٦٠٥٦.
٢٨. درء الموهوم من دعوى جواز المرور بين يدي المأموم، ألف سنة ١٣٢٠ هـ، في ٥ صفحات.
٢٩. رد على مسيحي يزعم أن نعيم الجنة روحاني لا جسماني، ألف سنة ١٣٢٣ هـ، في ٣ صفحات.
٣٠. رسالة في أوامر من مشايخ الإسلام، مفقود.
٣١. رفع المناقضات بين ما يزيد في العمر وبين المقدرات، لا تاريخ لها في ١٠ صفحات، ولم يتمه.
٣٢. زبدة الأخبار في ولدان الكفار، ألف سنة ١٣١٩ هـ، في ١٢ صفحات.
٣٣. زوال الغشاء عن وقت العشاء، ألف سنة ١٣١٩ هـ، في ١٠ صفحات.
٣٤. السطوات في الرد على منع العشاء قبل الصلوات، لا تاريخ لها ولا وصف.
٣٥. السفينة، ألف سنة ١٢٩٩ هـ، وهو أول مؤلفاته، في ٨٠ صفحة.
٣٦. سؤال مستشرق وجواب حكيم، ألف سنة ١٣٢٤ هـ، في ٢٦ صفحة.
٣٧. السوانح، مذكرات فوائد كتبت من سنة ١٣٢٣ هـ إلى وفاة القاسمي، وطبعت في المطبعة الهاشمية بدمشق سنة ١٣٨٥ هـ ضمن كتاب جمال الدين القاسمي وعصره، لابنه ظافر القاسمي، في ٦٦ صفحة.
٣٨. شرح العقائد، ابتدأ تأليفه سنة ١٣٣٠ هـ، في ٢٢١ صفحة.
٣٩. شرح لباب المحصول في علم الأصول لابن رشيقي، ألف سنة ١٣٢٧ هـ، ولا وصف له.
٤٠. شمس الجمال على منتخب كنز العمال، ألف سنة ١٣١٦ هـ، في ٢١٤ صفحة.

٤١. الطالع السعيد في مهيات الأسانيد، مفقود.
٤٢. الطالع المسعود على تفسير أبي السعود، بدأ به سنة ١٣١٥هـ، كتب منه ٣٨ صفحة، ولم يتمه.
٤٣. طراز الخلعة في حل قول الرملي وأقسام الاسم تسعة، ألف سنة ١٣٠٥هـ، في ٦ صفحات.
٤٤. العبادات، مفقود.
٤٥. العقود النظمة في ذكرى مولد النبي ﷺ وأخلاقه العظيمة ومحاسن شريعته القويمية، جمع سنة ١٣٣٠هـ، وهي ثلاث قصائد للأبوصيري وللقيرواني ولعائشة الباعونية.
٤٦. غنيمة المهمة على كشف الغمة، ألف سنة ١٣١٣هـ، في ١١٥ صفحة، ولم يتمه.
٤٧. فصل الكلام في حقيقة عود الروح للميت حين السلام، ألف سنة ١٣١٤هـ، في ١٧ صفحة.
٤٨. قواعد أصولية، لا تاريخ له، في ٣ صفحات.
٤٩. قواعد تفسيرية، لا تاريخ له، في صفتين.
٥٠. كناشة، مذكرة فوائد، كتبت من سنة ١٣٠٧هـ إلى وفاة القاسمي، في ٤٢ صفحة.
٥١. الكواكب السيارة في مدائح الفوارة، ألف سنة ١٣٠٩هـ، ولا وصف له.
٥٢. الكوكب المنير في مولد البشير النذير، ألف سنة ١٣٠٦هـ، ولا وصف له.
٥٣. لزوم المراتب في الأدب مع الإمام الراتب، لا تاريخ لها ولا وصف.
٥٤. اللف والنشر في طبقات المدرسين تحت قبة النسر، مفقود.
٥٥. مقاله الأطباء المشاهير في علاج البواسير، ألف سنة ١٣٢٠هـ، ولا وصف له.
٥٦. مجموعة لطيفة في نصوص إجازات منيفة، جمع سنة ١٣٢٠هـ، في ٤٢ صفحة.
٥٧. محاوراة في الفونوغراف، وهي رسائل أرسلت بين الشيخ القاسمي وأبو طالب الحستي سنة ١٣٢٢هـ، في ١٥ صفحة، جمعها قاسم القاسمي.

٥٨. المسح على الرجلين، مفقود.

٥٩. المسند الأحمدي على مسند الإمام أحمد، ألف سنة ١٣١٣ هـ، في ٦٨ صفحة، ولم يتمه.

٦٠. المنتزه الأرفع في الفصول الأربع، ألف سنة ١٣٠٩ هـ، ولا وصف له.

٦١. هداية الألباب لتفسير آية: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(١)، ألف سنة ١٣١٤ هـ، في ٨ صفحات.

٦٢. ينابيع العرفان في مسائل الأرواح بعد مفارقة الأبدان، ألف سنة ١٣١٤ هـ، في ٢٠ صفحة.

٦٣. كتاب بلا عنوان ولا تاريخ، يحوي فوائد في ٥٦ صفحة.

ب- مكتبة القاسمي.

ورث الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله مكتبة عامرة من والده وجده، وزاد هو عليها من الكتب الثمينة، حتى أصبحت مكتبة زاهرة بنفائس ونوادير المطبوع والمخطوط، وكانت يوم توفي تحوي ألفي مجلد تقريبا، وتمتاز بتنوع تخصصاتها في شتى العلوم والفنون القديمة والحديثة، كما تمتاز بتنوع بلدان طباعتها أو بلدان مؤلفيها، فقد كانت تصله الكتب من مصر والمغرب ولبنان والعراق والهند، حتى الكتب الممنوعة في الشام في زمانه كانت موجودة عنده، مما عرضه منزله وبيته ومكتبه للتفتيش عدة مرات، وقلما وجد كتاب في مكتبته ليس له عليه كتابة أو تعليم أو تصحيح أو اقتباس فوائد وأحيانا فهرسة، وكان الشيخ القاسمي رحمته الله شأنه مع الكتب شأن الكثير من العلماء وطلاب العلم في الاهتمام بها، والحرص على اقتنائها، والنهم في جمعها، بل تعدى ذلك إلى الحرص على جمع الصحف والمجلات العلمية، لأنه كان يرى أن لها أثرا في الحراك والنهضة العلمية، وكان يقول: "أسباب الرقي انتشار هذه الثلاثة: المطابع والجرائد والمدارس إذا وجهت توجيهها صحيحا"^(٢)، وكان رحمته الله يدعو طلابه أيضا إلى

(١) سورة المائدة: ٥.

(٢) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٢٩.

الاهتمام بالكتب المفيدة واقتناؤها، بل ويبذل كتبه لهم، ويعيرها إياهم، ويدعو كل من حوى كتاباً أن يبذله لمن يطلبه ويحتاج إليه، لأنه يرى أن الكتب ملك للأمة، ينتفع بها كل أبناءها، ويقول: "لا يحق لمن يملك مكتبة ليس للورثة اضطرار إلى ثمنها أن يبيعها؛ خشية تفرقتها وضياح الفائدة منها، بل ينبغي وقفها على المطالعين"^(١)، وكان إذا أعار أحدهم كتاباً ثم رده ولم يرى عليه أثراً مطالعة، يلومه على ذلك!!، ولذلك فقد وقف مكتبته وجميع كتبه على طلبه العلم والباحثين، وأعلن ذلك في الصحف ليرتاد مكتبته من يريدونها، ولهذا فقد أعتني أهله وأقرباؤه بمكتبته بعد وفاته، وزادوا عليها ورتبوها وفهرسوها وقربوها للطلاب، وهي موجودة إلى اليوم عند أحفاده بحي "المهاجرين" بدمشق^(٢).



(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٦.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٨٨ وما بعدها.

الفصل الثاني

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

وفيه تمهيد ومبحثان :

- المبحث الأول : جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله.
- المبحث الثاني : جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله.

تهديد

١. تعريف كلمة "جهود".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "جهود" جمع، وأصلها في اللغة: جُهِدَ أو جَهَّدَ، وتطلق على عدة معان مترادفة، هي: الوصول إلى الوسع أو الطاقة أو المشقة أو المبالغة أو الغاية.

قال في لسان العرب: "الجُهِدُ والجُهِدُ: الطاقة، وقيل: الجُهِدُ: المشقة، والجُهِدُ: الطاقة، وهو بالفتح: المشقة، وقيل: المبالغة والغاية، وبالضم: الوسع والطاقة، ومن المفتوح في حديث أمِّ معبد قال ﷺ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَفَهَا الْجُهْدُ عَنِ الْغَنَمِ^(١)، ومن المضموم في الحديث: قِيلَ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ﷺ: «جُهْدُ الْمُقَلِّ»^(٢)، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾^(٣)، قال الفراء: الجُهِدُ في هذه الآية: الطاقة، تقول هذا جُهدِي، أي: طاقتي، وقرئت بالضم والفتح، والجُهِدُ بالضم: الطاقة، والجُهِدُ بالفتح: من قولك اجْهَدْ جَهْدَكَ في هذا الأمر، أي: ابلغ غايتك. ومنه قوله ﷺ: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(٤)، أي: بالغوا في اليمين واجتهدوا فيها"^(٥).

(١) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحین برقم ٤٢٧٤، كتاب الهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٢هـ،

١٠ / ٣، و وافقه الذهبي في التلخيص، وقد ضعفه الألباني إلا أنه قال: ضعيف يرقى إلى الحسن بتعدد طرقه. انظر:

مشكاة المصابيح: محمد التبريزي، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ، ٢٩٢ / ٣.

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم ١٤٤٩، كتاب الصلاة، باب طول القيام، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، ٩٩ / ٢،

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ، ٣٩٩ / ١.

(٣) سورة التوبة: ٧٣.

(٤) سورة المائدة: ٥٣.

(٥) لسان العرب: لابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ٧٠٨ / ١، مادة (جهد)، بتصرف.

ب- التعريف في الاصطلاح:

بالنظر الى المعاني اللغوية واستحضارها فإن أقرب تعريف لكلمة "جهود" في الاصطلاح هو: "كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسمياً أو عقلياً ويهدف غالباً إلى غاية"^(١)، أو: "الإبلاغ في الطاقة والمشقة في العمل"^(٢)، أو: بذل الإنسان وسعه وطاقته للوصول إلى الغاية المطلوبة^(٣).

٢. تعريف كلمة "الدعوة".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "دعوة" مصدر، وأصلها في اللغة: دعا أو دعوى، وتطلق على عدة معانٍ متقاربة، منها: النداء أو طلب الحضور، والحث، والابتهاج أو الرجاء، الاستعانة أو الاستغاثة، الاحتياج أو طلب الخير أو الشر.

قال في لسان العرب: "قال الفراء: قوله ﷺ: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٤)، أي: استغيثوا بهم، وهو كقولك للرجل: إذا لقيت العدو خالياً فادع المسلمين، ومعناه: استغث بالمسلمين، فالدعاء ههنا بمعنى: الاستغاثة، والدعاء الرغبة إلى الله ﷻ، ويقال: دعوت الله له: بخير، وعليه: بشر، ودعا الرجل دعواً ودُعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا، أي: صححت به واستدعيت، والدُّعاء: قومٌ يدعون إلى هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، والنبي ﷺ داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن، قال الله ﷻ: ﴿يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾^(٥) (١) (٢) (٣) (٤) (٥).

(١) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ط ٤، ١٤٢٥هـ، ١/١٤٢، مادة (جهد).

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ، ص ٦٢٨.

(٣) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

(٤) سورة البقرة: ٢٣.

(٥) سورة الأحقاف: ٣١.

وقال في المعجم الوسيط: "دعا بالشيء دعوا ودعوة ودعاء ودعوى: طلب إحضاره، دعا بالكتاب والشيء إلى كذا: احتاج إليه، دعا فلانا: صاح به وناداه، واستعان به ورغب إليه، ودعا الله: ابتهل إليه، ورجى منه الخير، و دعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب الشر له، ودعاه إلى القتال أو إلى الصلاة أو إلى الدين وإلى المذهب: حثه عليه وساقه إليه"^(٢).

ب- التعريف في الاصطلاح:

عرف مصطلح "الدعوة" بعدة تعاريف اصطلاحية، منها:

- (١) "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"^(٣).
- (٢) "الدعوة إلى الإيمان بالله وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن: الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"^(٤).

٣. تعريف "الجهود الدعوية".

من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية واصطلاحية لكلمتي "جهود"، و"دعوة"، يمكن تعريف "الجهود الدعوية" بما يلي: بذل الداعية ما في وسعه وطاقته لتبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع حياتهم، وفق الطرق المشروعة^(٥).

(١) لسان العرب: لابن منظور، ٢/ ١٣٨٥، مادة (دعا)، بتصرف.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ١/ ٢٨٦، مادة (دعا).

(٣) تعريف د. محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ، ص١٧، وهذا التعريف الذي أختاره وأميل إليه؛ لاشتماله على تعريف الدعوة بمعنى النشر والتبليغ.

(٤) تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى، دار الوفاء، المنصورة، ط٣، ١٤٢٦هـ، ٩٢/١٥.

(٥) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

المبحث الأول

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله

وفيه سبعة مطالب:

- **المطلب الأول: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب التأصيل الدعوي.**
- **المطلب الثاني: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**
- **المطلب الثالث: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب العقيدة.**
- **المطلب الرابع: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب العبادات.**
- **المطلب الخامس: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب الأخلاق.**
- **المطلب السادس: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب العلوم الشرعية.**
- **المطلب السابع: محن الشيخ جمال الدين القاسمي.**

المطلب الأول

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب التأصيل الدعوي

الدعوة إلى الله ﷻ من أفضل الأعمال، وأقرب القربات، وأوجب الواجبات، وقد بعث الله ﷻ صفوة خلقه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام للقيام بها، حتى يدلوا الخلق إلى الغاية العظمى من خلقهم، وهي عبادة الله تعالى، ووعد القائمين بالدعوة بعد المرسلين أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً، ومنزلة عالية في الدنيا والآخرة، وبين أنهم أحسن الناس قولاً، حيث يقول ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، وقد دعا النبي ﷺ لمن يحرص على تبليغ الدين، ويبلغ قوله إلى الآخرين، حيث يقول ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امرأً سمعَ مقالتي فبلَّغها، فربَّ حاملٍ فقهِه غيرِ فقِيهِ، وربَّ حاملٍ فقهِه إلى من هوَ أفقهُ منه»^(٢)، ومعنى نَضَّرَ الله: دعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة، كما بيّن النبي ﷺ أن هداية الناس لها فضل عظيم، حيث قال ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ لما أعطاه الراية يوم خيبر: «فَوَ اللَّهُ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ مُحْرَمُ النَّعْمِ»^(٣)، ومعنى حرم النعم: أفضل الإبل، وقد بيّن النبي ﷺ أن من دلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله، حيث قال ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»^(٤)، وأكد النبي ﷺ في سنته أن مما يتبع الشخص بعد موته

(١) سورة فصلت: ٣٣.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه برقم ٢٣١، باب من بلغ علماً، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤١٧هـ، ص ٥٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ، ١/٩٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٣٧٠١، كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ١٨/٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم ١٨٩٣، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ٣/١٥٠٦.

وينفعه في قبره، ما يبثه في الناس من الخير والعلم، حيث قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١)، ولذا فقد كان سلف الأمة يهتمون بالدعوة إلى الله أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور أشد الحرص، وهكذا كان من سلك دربهم من صالحى الأمة ومصلحيها عبر العصور، ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمي ﷺ وقد كان للشيخ جهود نظرية في جانب التأصيل الدعوي، من خلال تفسيره لآيات الدعوة في كتابه "محاسن التأويل"، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

١. فضل الدعوة إلى الله تعالى.

بين الشيخ القاسمي ﷺ فضل الدعوة إلى الله تعالى، وطريقها، وأنها أحسن الطاعات ورأس العبادات، وأنها أوجب الأعمال على المستطيع لها، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢): "أي: لا أحد أحسن مقالا ممن دعا الناس إلى عبادته تعالى، وكان من الصالحين المؤتمرين، والمسلمين وجوههم إليه ﷻ في التوحيد. وفيها لطائف، الأولى: قال القاشاني: وإنما قدّم الدعوة إلى الحق والتكميل؛ لكونه أشرف المراتب، ولاستلزامه الكمال العلمي والعملية، وإلا لما صحت الدعوة. الثانية: في الآية إشارة إلى ترغيبه ﷻ في الإعراض عن المشركين، وعمّا كانوا يقولونه من اللغو في التنزيل، مما قصه ﷻ عنهم فيما تقدم، وإرشاده إلى المواظبة على التبليغ والدعوة، وبيان أن ذلك أحسن الطاعات ورأس

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ١٦٣١، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ٣/ ١٢٥٥.

(٢) سورة فصلت: ٣٣.

العبادات، فهذا هو سر انتظام هذه الآية في إثر ما سبق، وثمة وجه آخر، وهو أن مراتب السعادات اثنان: كامل وأكمل، أما الكامل فهو أن يكتسب من الصفات الفاضلة ما لأجلها يصير كاملاً في ذاته، فإذا فرغ من هذه الدرجة اشتغل بعدها بتكميل الناقصين.

فقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾^(١) إشارة إلى المرتبة الأولى، وهي اكتساب الأحوال التي تفيد كمال النفس في جوهرها، فإذا حصل الفراغ من هذه المرتبة، وجب الانتقال إلى المرتبة الثانية، وهي الانتقال بتكميل الناقصين، وذلك إنما يكون بدعوة الخلق إلى الدين الحق، وهو المراد من قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، واعلم أن من آتاه الله قريحة قوية، ونصيياً وافياً من العلوم الإلهية، عرف أنه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن، أفاده الرازي. الثالثة: يدخل في الآية كل من دعا إلى الله بطريق من الطرق المشروعة، وسبيل من السبل المأثورة؛ لأن الدعوة الصحيحة هي الدعوة النبوية، ثم ما انتهج منهجها في الصدع بالحق، وإيثاره على الخلق. الرابعة: في الآية دليل على وجوب الدعوة إلى الله ﷻ على ما قرره الرازي؛ لأن الدعوة إلى الله أحسن الأعمال، وكل ما كان أحسن الأعمال فهو واجب^(٣).

ب- يقول ﷺ في بيان أهمية الدعوة ووجوب القيام بها على المستطيع لها: "الدعوة إل الهدى بنور الله ورسوله من أهم المشروعات، وأكبر الوظائف الدينية، وتعليم الدين وبث أصوله في نفوس أهله فريضة، لا يصح تركها والتقاعس عن أدائها بوجه من الوجوه، ولا مجال للنزاع في أن أحكم الوسائل وأقوم السبل لتربية الشعوب وترقية الأمم هو قيام كبار

(١) سورة فصلت: ٣٠.

(٢) سورة فصلت: ٣٣.

(٣) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٨ / ٣٣٩.

الأخيار، وقادة الأفكار، بدعوتها للبحث في أسرار الشرائع، وفي مذاهب الحياة، والنظر في طبائع الكون ونواميس العمران، وأنه ينبغي على من يأنس من نفسه القدرة على أداء هذا الواجب المليء، وبث روح اليقظة بين أفراد تلك الأمة أن يسعى لخير قومه، سالكا سبيل الجرأة والإقدام والثبات، فلا يسأم من تكرار الدعوة، وموالاته الإرشاد إلى ما يتوسم البلوغ بسببه إلى الغاية المبتغاة، من سبل التقدم، ومناهج الترقى، فقد قالوا: إن مقاليد القلوب بأيدي الخطباء، وأزمة النفوس بأيدي الكتاب، وقال الصاحب ابن عباد: إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب، وناهيك بالخطابة والكتابة اللتين تعدان من أهم دعائم العمران، التي قام عليها بناء المجتمع الإنساني، فإنك لا تجد جمعية تألفت، أو دولة قامت، أو دينا انتشر، أو شرعا تقرر، إلا على إحدى هاتين الدعامتين، أو عليهما معا، فهو الآلة المؤثرة في النفوس للاقتناع بالغرض، الذي تحاول جذبها إليه بمؤثرات الترغيب والترهيب، والزجر والحض، والوعد والوعيد، ونحو ذلك. وهكذا كان حال السلف من أئمتنا ومرشدينا، ممن أوتوا سحر البيان، وفصل الخطاب، وبذلك جاء قوله تعالى:

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) (٢).

٢. استخدام الحجة والدليل في الدعوة إلى الله تعالى.

دعا الشيخ القاسمي رحمته الله إلى استخدام الحجة والدليل في الدعوة إلى الله تعالى، وفي عرض الإسلام، وبيان فضله، والترغيب فيه، وعدم الغفلة عن ذلك؛ لأن طريقة القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى تعتمد على بيان الحجة والدليل والبرهان، ومخاطبة العقل،

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء: جمال الدين القاسمي، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٨٧.

والاستدلال بالأدلة الحسية والمعنوية، وضرب الأمثال، وغير ذلك من أساليب المنهج العقلي في الدعوة إلى الله تعالى، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، دلّ قوله ﷺ: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ على مزية هذا الدين الحنيف ونهجه الذي انفرد به، وهو أنه لم يطلب التسليم به لمجرد أنه جاء بحكايته، ولكنه ادعى وبرهن وحكى مذاهب المخالفين، وكرّر عليها بالحجة، وخاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والإتقان على أنظار العقول، وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه، كما دلت الآية على أن سيرة أتباعه ﷺ الدعوة إلى الله. قال الرازي: "كل من ذكر الحجة، وأجاب عن الشبهة؛ فقد دعا بمقدار وسعه إلى الله"، وهذا يدل على أن الدعاء إلى الله ﷻ إنما يحسن ويجوز مع هذا الشرط، وأن يكون على بصيرة مما يقول، وعلى هدى ويقين، فإن لم يكن كذلك، فهو محض الغرور"^(٢).

ب- أورد ﷺ في تأويل قوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٣)، كلاماً للإمام الرازي ﷺ لإقناع المدعوين بفضل الإسلام وبيان منزلته، وأحقيته في الاتباع، حيث قال: "اعلم أنه ﷻ لما شرط حصول النجاة والفوز بالجنة بكون الإنسان مؤمناً، شرح الإيمان وبين فضله من وجهين: أحدهما: أنه الدين المشتمل على إظهار كمال العبودية والخضوع والانقياد لله تعالى. والثاني:

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٦/ ٢٣٢.

(٣) سورة النساء: ١٢٥.

أنه الدين الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام، وكل واحد من هذين الوجهين سبب مستقل بالترغيب في دين الإسلام. أما الوجه الأول: فاعلم أن دين الإسلام مبني على أمرين: الاعتقاد والعمل، أما الاعتقاد: فإليه الإشارة بقوله عليه السلام: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾، وذلك لأن الإسلام هو الانقياد والخضوع، والوجه أحسن أعضاء الإنسان، فالإنسان إذا عرف بقلبه ربه، وأقر بربوبيته وعبودية نفسه، فقد أسلم وجهه لله. وأما العمل: فإليه الإشارة بقوله عليه السلام: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، ويدخل فيه فعل الحسنات وترك السيئات. وأما الوجه الثاني: في بيان فضيلة الإسلام، فهو أن محمدا عليه السلام إنما دعا الخلق إلى دين إبراهيم عليه السلام، وقد اشتهر عند كل الخلق أن إبراهيم ما كان يدعو إلا إلى الله تعالى، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾^(١)، وما كان يدعو إلى عبادة فلك ولا طاعة كوكب، ولا سجدة لصنم، ولا استعانة بطبيعة، بل كان ديدنه الدعوة إلى الله والإعراض عن كل ما سوى الله، وهكذا دعوة محمد عليه السلام، ثم إن شرع إبراهيم مقبول عند الكل، وذلك لأن العرب لا يفتخرون بشيء كافتخارهم بالانتساب إلى إبراهيم، وأما اليهود والنصارى فلا شك في كونهم مفتخرين به، وإذا ثبت هذا لزم أن يكون شرع محمد مقبولاً عند الكل^(٢).

٣. فَرَضُ الْجِهَادِ فِي الدِّينِ لِلدَّفَاعِ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

يرى الشيخ القاسمي رحمته الله أن الجهاد في الدين لم يفرض إلا للدفاع عن الدعوة الإسلامية، وحماية جناب التوحيد بالله تعالى، وأنه وسيلة شرعية للوصول إلى الدعوة إلى الله تعالى، وكان يدعو إلى عدم التقليل من شأن الجهاد في سبيل الله تعالى، لأن الله جعله طريقاً إليه، وسبيلاً لتحقيق العزة والتمكين لأهل الإسلام، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة،

(١) سورة الأنعام: ١٩.

(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٣/ ٣٥١.

منها:

أ- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴾^(١)، "يجب على المسلمين أن لا يتملصوا من قول بعض الأوربيين: إن الدين الإسلامي قد انتشر بالسيف!!، فإن هذا القول لا يضر جوهر الدين شيئاً؛ فإن المنصفين من الأوربيين يعلمون أنه قام بالدعوة والإقناع، وأن السيف لم يجرّد إلا لحماية الدعوة إلى الله تعالى، وإنما التملص منه يضر المسلمين؛ لأنه يقعدهم عن نصره الدين بالسيف، ويقودهم إلى التخاذل والتواكل، ويحملهم على الاعتقاد بترك الوسائل، فيستخذون إلى الضعف - كما هي حالتهم اليوم - وتبتلعهم الأمم القوية التي جعلت شعار تمدنها: السيف أو القوة!!، ويجب على المسلمين أن يدرسوا آيات الجهاد صباح مساء، ويطيّلوا النظر في قوله ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٢)، لعلهم يتحفزون إلى مجاراة الأمم القوية المجاهدة في الأمم الضعيفة"^(٣).

ب- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)، "سميت المجاهدة سبيلاً إلى الله ﷻ من حيث أن الإنسان يسلكها ويتوصل إلى الله بها؛ ليتمكن من إظهار عبادته تعالى، ونشر الدعوة إلى توحيده، وحماية أهلها، والمدافعة عن الحق وأهله، فالقتال: دفاع في سبيل الله لإزالة الضرر العام، وهو منع الحق وتأييد الشرك"^(٥).

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

(٣) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١٠٠/٢.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٤.

(٥) المرجع السابق ١٧٥/٢.

ج- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷺ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(١)، "تنبيه: عَلِمَ من هذه الآية أن سيف الجهاد المشروع في الإسلام والذي لا يبطئه عدل عادل ولا جور جائر لم يستعمل للإكراه على الدخول في الدين؛ ولكن لحماية الدعوة إلى الدين، والإذعان لسلطانه وحكمه العدل"^(٢).

د- يرى ﷺ أن الجهاد ما كان في الإسلام حرباً واعتداءً على الكفار لكفرهم، وإنما هو لإزاحة العروش التي منعت الإسلام من أن ينتشر سلباً في صفوف شعوبهم، أو رداً لعدوانٍ قام به العدو على دار الإسلام، أو ثبت بالقطع نية قيامه بهذا، ولهذا فإنه يقول: "الإسلام لا يبيح الحرب لذاتها، وقد حرّم الاعتداء، وإنما يوجب تعميم الدعوة، فمن عارضها وجب جهاده عند القدرة حتى يقبلها، أو يكون لأهلها السلطان الذي يُمكنهم من نشرها بدون معارض، فهو يُوجب الجهاد ما دام الناس يُفتنون في الدين؛ أي: لا تكون لهم حرية فيه، ولا في الدعوة إليه، يقول الله ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾^(٣)"^(٤).

٤. دور العلماء والدعاة تجاه عامة الناس في الدعوة إلى الله تعالى.

بيّن القاسمي ﷺ الدور الواجب القيام به على العلماء والدعاة تجاه عامة الناس، وأنه لا بد أن يكون كلامهم ملائماً لما يحتاجه الناس في أمور الدين والدنيا، مع بيان الواجبات والمستحبات والمحرمات والمكروهات، وذكر الثواب على الإحسان والعقاب على الإساءة، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١٩٤ / ٢.

(٣) سورة البقرة: ١٩٣.

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٤٨.

أ- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١): "ولا يخفى أن الدعوة إلى الله إنما هي بنشر مطالب الدين وإذاعة آدابه وتعليمه، قال بعضهم: ينبغي للعالم أن يكون حديثه مع العامة في حال مخالطته ومجالسته لهم في بيان الواجبات والمحرمات، ونوافل الطاعات، وذكر الثواب والعقاب على الإحسان والإساءة، ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها ويفهمونها، ويزيد بياناً للأمور التي يعلم أنهم ملابسون لها، ولا يسكت حتى يسأل عن شيء من العلم، وهو يعلم أنهم محتاجون إليه، ومضطرون إليه، فإن علمه بذلك سؤال منهم بلسان الحال. والعامة قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين علماً وعملاً، فلا ينبغي للعلماء أن يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وإرشادهم، فيعم الهلاك، ويعظم البلاء، وقلما تختبر عامياً - وأكثر الناس عامة - إلا وجدته جاهلاً بالواجبات والمحرمات وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشيء منها، وإن لم يوجد جاهلاً بالكل، وجد جاهلاً ببعض، وإن علم شيئاً من ذلك، وجدت علمه به علماً مسموعاً من ألسنة الناس، لو أردت أن تقلبه له جهلاً فعلت ذلك بأيسر مؤونة، لعدم الأصل والصحة فيما يعلمه. وعلى الجملة: فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم، ويحدثوهم به، ويبثوه لهم، ويكون كلام العالم معهم في بيان الأمر الذي جاؤوا من أجله، مثل ما إذا جاؤوا لعقد نكاح، يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة بالمعروف. أو لعقد بيع، يكون كلامه في صحيح البيوع وآدابها، وفوائد التجارة النافعة، واجتناب الغش والخداع وهكذا. ولا ينبغي للعالم أن يخوض مع الخائضين، ولا أن يصرف شيئاً من أوقاته في غير إقامة الدين، وبالسكوت عن التذكير والتعليم فيغلب

(١) سورة يوسف: ١٠٨.

الفساد، ويعم الضرر، ولا حول ولا قوة إلا بالله" (١).

ب- بين ﷺ ما يجب على العلماء والقضاة فعله حينما يفد إليهم الناس في الحاجات والخصومات، وأنهم لا بد لهم من نصحتهم وإرشادهم، حيث يقول: "وينبغي أيضا للعلماء وخصوصا ولاة الأحكام منهم أن يعظوا عامة المسلمين عند الاختصاص إليهم، ويخوفونهم بما ورد عن الله وعن رسوله من التشديدات والتهديدات في الدعاوى الكاذبة، وشهادة الزور، والأيمان الفاجرة، والمعاملات الفاسدة، مثل الربا وغيره، ويذكرون لهم ما ورد من تحريم هذه الأمور، وشدة العقاب فيها؛ وذلك لغلبة الجهل، وشدة الحرص، وقلة المبالاة بأمر الدين، وكم من عامي سمع تحريم الكذب في الدعاوى والشهادات والأيمان، فرجع عن شيء قد عزم عليه من ذلك؛ لجهله وقلة علمه" (٢).

٥. بعض الصفات الواجبة على الدعاة إلى الله تعالى.

بين الشيخ للقاسمي ﷺ بعض الصفات الواجب على الدعاة التحلي بها، مثل صفتي الصبر والتوكل، وذكر أنها من أمهات الصفات التي يجب على الداعي، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٣): "قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: على ما أودوا في سبيل الله. وقوله: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: فلا يخشون أحداً غيره، والوصفان المذكوران: الصبر والتوكل، من أمهات الصفات التي يجب على الداعي إلى الحق والمدافع عنه أن يكونا خلقاً له؛ إذ لا ظفر بغاية إلا بهما" (٤).

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٦/ ٢٣٣.

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٣٩.

(٣) سورة النحل: ٤٢.

(٤) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٦/ ٣٧٥.

ب- ويقول ﷺ أيضا: "الصبر ذكر في القرآن ٧٠ مرة، ولم تذكر فضيلة أخرى فيه بمثل هذا المقدار، وهذا يدل على عظيم أمره، وقد جعل التواصي به في سورة العصر مقرونا بالتواصي بالحق، إذ لا بد للداعي إلى الحق منه، والمراد بالصبر في هذه الآيات كلها ملكة الثبات والاحتمال التي تُهَوِّنُ على صاحبها كل ما يلاقيه في سبيل تأييد الحق، وإنما يظهر الصبر في ثبات الإنسان على عمل اختياري يقصد به إثبات حق، أو إزالة باطل، أو الدعوة إلى عقيدة، أو تأييد فضيلة، أو إيجاد وسيلة إلى عمل عظيم"^(١).

٦. الطريق الواجب على الدعاة إلى الله تعالى.

يرى الشيخ القاسمي ﷺ أن الطريق الواجب على الدعاة الالتزام به يجب أن لا تخرج عن الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢): "قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ أي: بالمقالة المحكمة الصحيحة، وهو الدليل الموضح للحق، المزيح للشبهة، وقوله: ﴿وَالْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ﴾ أي: العبر اللطيفة والوقائع المخيفة؛ ليحذروا بأسه تعالى، وقوله: ﴿وَجَدِّ لَهُم بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: جادل معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة، من الرفق، واللين، وحسن الخطاب، من غير عنف، فإن ذلك أبلغ في تسكين هبهم، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أي: عليك البلاغ والدعوة بالصفة الميمنة، فلا تذهب نفسك على من ضلَّ

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٣٤.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

منهم حسرات، فإنه ليس عليك هُداهم؛ لأنه هو أعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي إليه، فيجازي كلاً منهما بما يستحقه. أو المعنى: اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة، فإن الله ﷻ هو أعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب، وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء لما فيه من خير جبلي، فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة، فإنه كاف في هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين. أفاده أبو السعود. تنبيه: دلّ قوله ﷻ: ﴿وَجَدَلُهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ على الحث على الإنصاف في المناظرة، واتباع الحق، والرفق والمداراة، على وجه يظهر منه أن القصد إثبات الحق وإزهاق الباطل، وأن لا غرض سواه^(١).

٧. عاقبة الدعوة والدعاة إلى الله تعالى.

بيّن الشيخ القاسمي ﷻ عاقبة الدعوة والدعاة إلى الله تعالى، من النصر والظفر في الدنيا، ومن الجنة والرضى والرضوان في الآخرة، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول ﷻ في تأويل ﷻ: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢): "إشارة إلى أن الذي منحه صلوات الله عليه من شرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر بعد ضيق الأمر واستحكام حلقات الكرب في أول السير، كان على ما جرت به سنته ﷻ في هذا النوع من الخليفة، وهو أن مع العسر يسراً؛ ولهذا وصل العبارة بالفاء التي لبيان السبب. وأل في ﴿الْعُسْرِ﴾ للاستغراق، ولكنه استغرق بالمعهود عند المخاطبين من أفراد أو أنواعه، فهو العسر الذي يُعْرَضُ للفقير والضعف وجهل الصديق وقوة العدو وقلة الوسائل إلى المطلوب ونحو ذلك مما هو معهود ومعروف، فهذه الأنواع من العسر مهما اشتدت، وكانت النفس حريصة على

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٤٢٣/٦.

(٢) سورة الشرح: ٦.

الخروج منها طالبة لكشف شدتها، واستعملت من وسائل الفكر والنظر والعمل على ما من شأنه أن يساعد على ذلك في معروف العقل، واعتصمت بعد ذلك بالتوكل على الله حتى لا تُضعفها الحية لأول مرة، ولا يُفسخ عزمها ما تلاقيه عند الصدمة الأولى؛ فلا ريب في أن النفس تخرج منها ظافرة، وقد كان هذا حال النبي ﷺ، فإن ضيق الأمر عليه كان يحمله على الفكر والنظر، حتى آتاه الله ما هو أكبر من ذلك، وهو الوحي والنبوة، ثم لم تُكسر مقاومات قومه شيئاً من عزمه، بل ما زال يلتمس الغنى في الفقر، والقوة في الضعف، حتى أوتي من ذلك ما زرع أركان الأكاسرة والقيصرة وترك منه لأمته ما تمتعت به أعصاراً طوالاً^(١).

٨. الكتب والرسائل في الجانب الدعوي

ألف الشيخ القاسمي ﷺ في الجانب الدعوي الكتب والرسائل التالية:

أ- كتاب: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، وهو مختصر من كتاب "إحياء علوم الدين"، لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي ﷺ، يقول الشيخ القاسمي ﷺ في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه: "أما بعد: فإن موعظة العامة والتصدي لإرشادهم في الدروس العامة من الأمور المهمة المنوطة بخاصة الأمة، إذ هم أمناء الشرع ونور سراجها، ومصابيح علومه وحفاظ سياجه، ولما كانت عظة العوام بإيقافهم على جواهر دين الإسلام، وإعلامهم محاسن الدين وواجباته، ونوافله ومحظوراته، وما يأمر به من الأخلاق الكريمة، ويزجر عنه من المساويء الذميمة، ليرتقوا إلى ما فيه صلاحهم ونجاحهم، فيفوزوا بما في الاعتصام به سعادتهم وفلاحهم، من أوجب الواجبات، وأكد المفروضات، لما أخذ الله على العلماء من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيقف

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٤٩٦/٩.

المدعوون على شرائعه تعالى فيما أمر وزجر، ووعد وأوعد، وبشر وأنذر، فلزم الداعي إلى الله تعالى أن يجتهد بفطنته لما يعينه في دعوته، فينتخب من المدونات أنفعها، وينتقي من لباب لبابها أرفعها، إذ كثير مما اعتيد في المحافل تدريسه، لم يكن على بناء إفادة العامة تأسيسه، ولا برهان بعد عيان، وغير خاف أن مُذَكِّر العامة على قوة ملكته وسعة مداركه، يضطر إلى مادة تعينه على ذكره، وتمد ذاكرته إذا أمم مبتغاه، ولكن أين تلك المادة المُمدِّة؟، فإني لم أر بين المصنفات على كثرتها ما أُلِّف لذكرى العامة مستوفيا للشروط التامة، بأن يفقهوا معناها، ويدركوا منطوقه ومغزاه، ويكون وافيا بحاجياتهم آتيا على جميع كلياتهم، مجردا عن دقائق المسائل، قريب الأخذ للمتناول؛ فيستعين به المُذَكِّر، ويهتدي به المُستبصر، ولم أزل أترقب من نفحات التوفيق ما يهدئ البال، إلى أن رأيت بعد ما لونت في عالم التدريس كل كتاب نفيس الأعوام الطوال، أن من أنفع ما يقتبس منه عظة المؤمنين، مواضيع تنتخب من "إحياء علوم الدين"، للعلامة الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي -عليه الرحمة والرضوان-. ثم اتفق أن تذاكرت مع إمام حكيم^(١)، واستطلعت رأيه الصائب في هذا المرام، فقال متأسفاً: "إن هذا الموضوع لم يصنف فيه، إلا أن أحسن ما لدينا لذلك هو الإحياء بعد تجريده"، فعددت ذلك من بدائع الموافقات. وأتذكر الآن أن أحد الأعلام في دمشق أشار على من استشاره من المدرسين بالإحياء، فأخذ المدرس في قراءته بالحرف، عملاً بالأمر الصرف، ثم شكاه ضيق صدره من مباحث لا تفقهها العوام، ولا ينتفع بها إلا خاصة الأنام، فأجابه بأن أمره كان لفصول تُنتخب منه، وقد تحققت بذلك كمال حذقه رحمته الله ورضي عنه، لذلك عزمت سنة ١٣٢٣هـ

(١) هو الشيخ محمد عبده، مفتي مصر، وقد التقاه القاسمي وسأله عن ذلك أثناء رحلته إلى مصر ١٣٢٠هـ، وسيأتي عرض رحلات الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من هذا الفصل ص ٣٠٧.

على اختصاره في جزأين موجزين على الشريطة السالفة، أساير فيها ترتيب أصله بلا مخالفة، والمأمول أن تحظى بالغاية المتوخاة، والضالة المنشودة، وبالله المستعان، وعليه التكلان"^(١)، وقد حوى الكتاب ٣٤ كتابا، عرض فيها الشيخ القاسمي رحمته الله كتبا في عقيدة أهل السنة، ثم كتبا في العبادات وأسرارها، كالطهارة والصلاة والصيام والحج، ثم عرض إلى بعض فضائل الأعمال والآداب المتعلقة بها، كأداب قراءة القرآن، وآداب الكسب والتجارة والأكل والنكاح والسفر ونحوها، ثم عرض إلى بيان الحلال والحرام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بين شيئا من الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والترغيب بها، ثم بين شيئا من الأخلاق السيئة التحذير منها، ثم ختم كل ذلك بذكر الموت وما بعده. وقد انتهى تأليف الكتاب سنة ١٣٢٤هـ، وطبع أول مرة سنة ١٣٤١هـ، بمطبعة السعادة في القاهرة في جزأين، في ٤٠٤ صفحة، وقد قُرر تدرسه في عدد كبير من المعاهد والكلية الشرعية في العالم الإسلامي، وقد تمّ تهذيبه من قبل مجموعة من الباحثين، وأسموه "تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، وقد بلغت شهرة الكتاب آفاق العالم الإسلامي، ومن طريف ما يذكر من ذلك: أن رجلا من "إندونيسيا" كتب إلى الشيخ القاسمي رحمته الله بعد وفاته بـ ٤٢ عاما يستأذنه في إعادة طبع الكتاب مرة أخرى، مبينا له الحاجة إلى الكتاب، وأن طبعاته قد نفذت كلها"^(٢).

ب- كتاب: الوعظ المطلوب من قوت القلوب، وهو كتاب اختصره الشيخ القاسمي رحمته الله من كتاب "قوت القلوب"، لأبي طالب محمد بن علي المكي رحمته الله، ويقول في مقدمته عن سبب تأليفه: "فاني كنت ألفت لوعظ العامة كتابا سميته: "موعظة المؤمنين من إحياء علوم"

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ، ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٧٩ وما بعدها.

الدين"، اختصرت من مباحث "الإحياء" ما يناسب العامة معرفته، وما يسهل على المتصدي لإرشادهم قراءته، ثم رأيت سنة ١٣٣٠هـ أن أصنف كتاباً آخر يكون مادة أخرى للقاتم على وعظهم، والداعي لإرشادهم، فوفقت لاختصار كتاب "قوت القلوب في معاملة المحبوب"، للإمام الكامل، والمرشد الواعظ الصالح، أبي طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي، رحمته الله ورضي عنه، المتوفى سنة ٣٨٦هـ، وقد رأيت أن هذا الكتاب من أجمل الكتب المؤلفة في هذا الباب، كيف لا، ومؤلفه أبو طالب رحمته الله من أهل الاختصاص بفن الوعظ والإرشاد، والمنقطع طول عمره لنفع العباد، بيد أن كتابه هذا صار على طوله لا يلائم هذا الزمان، على ما فيه من آثار وأخبار منكرة عند أولي العرفان، فتجريدته عن ذلك من أهم المهمات، وأحسن الحسنات، إذ به يعظم الانتفاع منه، والأخذ عنه، وسنقتبس من مواعظه لباب اللباب، ونسايره في ترتيبه بعون الملك الوهاب^(١)، وقد حوى الكتاب ٣٨ فصلاً، عرض فيها الشيخ القاسمي رحمته الله فصولاً في العبادات وحكوماتها وأحكامها وآدابها، وفضائل الأعمال والأجور المترتبة عليها، وذكر مقامات العبد مع ربه من الصبر والشكر والخوف والمراقبة والمحبة والرضا والرجاء والزهد والتوكل ونحو ذلك، مبيناً ما ينبغي أن يكون عليه العبد في مثل هذه المقامات، ثم عرّج بالحديث عن مذهب أهل السنة والجماعة، وتفصيل مراتب الدين من الإسلام والإيمان والإحسان، ثم انتقل إلى شرح الكبائر وبعض المنهيات، وبيان الحلال والحرام، ثم ختم بذكر فصول في الآداب العامة كآداب الطعام والنكاح والسفر والخلاء والمصاحبة والأخوة. وقد أنهى الشيخ القاسمي رحمته الله تأليف الكتاب سنة ١٣٣١هـ، في لبنان، وذلك أثناء رحلته إليها، وهو من أواخر الكتب التي ألفها، وقد طبع الكتاب بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة

(١) الوعظ المطلوب من قوت القلوب: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ٢٧.

١٤٢١هـ، في ٣٦٨ صفحة، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

ج- كتاب: مجموعة خطب، أو ديوان خطب، وهو كتاب جمع فيع الشيخ القاسمي رحمته الله كثيرا من خطب الإمام الغزالي رحمته الله، في إحياء علوم الدين، وأضاف إليها أخرى مقتبسة من الخطب النبوية، وخطب الصحابة، وخطب مشاهير الأئمة، فجاءت مجموعة في موضوعات متعددة، في العقائد والعبادات والمعاملات والشئائل والأوامر والزواجر والآداب والأخلاق والمواعظ وغيرها، ورتبها في مباحث متنوعة، وصدر الكتاب بمقدمات حول الهدى النبوي في الخطبة، وما يستحب فيها وما يكره، وحكم تعدد الجمع، وكيف كانت مطالع الخطب النبوية، وقد كان سبب تأليف الكتاب: أنه أراد إخراج الخطباء من الأسلوب التقليدي الموروث الذي لا يجيدوه ولا يتقنوه، والذي اعتاد الناس عليه حتى ملّوا منه، وأراد العودة بهم إلى الطريقة النافعة في الخطابة، وهي طريقة السلف رحمهم الله، فألف لهم هذا الكتاب ليكون مرجعا ودليلا^(١)، ومن أقواله في هذا الباب: "ليس من الأساليب المفيدة التقيد في الوعظ والإرشاد بتلك التراكيب التي ألف جمهور الخطباء حفظها والترنم بمحض إلقائها، حتى صارت تُنسب عند العوام إلى الأسابيع والشهور، بل يحسن بالجهاذة الأعلام أن لا يقتصروا في الوعظ على ما يلقي في المنابر، ولا على تلك الخطب المكونة من التكلف في السجع، ولو بتصيد الكلمات، لتكميل الفقرات وفواصلها، فإن خير ما يؤثر للعلماء أن تكون الخطب جامعة لملائمات الأحوال، كالطبيب يُرشد من يعودهم بما يحتاجون"^(٢)، وقد اطلع على هذا الديوان الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله وأثنى عليه في مجلة "المنار" فقال: "اطلعنا في هذه الأيام على ديوان خطب عالم الشام

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٦٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٦.

صديقنا المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمي تغمده الله برحمته، وكان أُهْدِي إلينا مطبوعاً منذ أعوام، فلم يتح لنا التأمل فيه، فرأيناه أفضل ما نُشِر من دواوين الخطب، بخلوه من البدع والخرافات، ومن الأحاديث الواهية والموضوعات، واشتماله على الموعظة الحسنة التي يحتاج الناس إليها في جميع الأوقات، ولو كان للخطابة والتأليف حرية في بلاد الشام أيام إنشائه رحمته لتلك الخطب لأودعها كثيراً من المسائل الاجتماعية والأدبية التي اشتدت الحاجة إليها في هذا العصر"^(١)، وقد أُلِف الكتاب وطبع أول مرة سنة ١٣٢٥هـ، بمطبعة محمد هاشم الكتبي في دمشق، في ١٢٧ صفحة.



(١) مجلة المنار: مجلد ١٨ ص ٥٥٥، مقال بعنوان: الخطب الدينية اشتغالنا بانتقادها وإصلاحها، لمحمد رشيد رضا.

المطلب الثاني

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر

"لما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين، وجب على كل مستطيع له أن يقتحم لوجه الله سبله؛ خشية أن تعم البدعة، وتفشو الضلالة، ويتسع الخرق، وتشيع الجهالة، فتموت السنة، ويندرس الهدى النبوي، ويمحى من الوجود معالم الصراط السوي"^(١)، وقد وردت عدة آيات في القرآن الكريم تدل على فضل ومكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منها قوله ﷺ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)، وقوله ﷺ: ﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٣)، وقوله ﷺ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾^(٤)، ولهذا فقد كان سلف الأمة يهتمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إقامته بين الناس، وهكذا كان من سلك دربهم ممن جاء بعدهم واقتفى أثرهم، ومنهم الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله، وقد كانت له جهود نظرية في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويمكن بيان ذلك من خلال النقاط التالية:

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) سورة آل عمران: ١١٠.

(٤) سورة التوبة: ٧١.

١. وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وضح الشيخ القاسمي رحمته الله وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من خلال ذكر الأدلة على وجوبه، وبين أنه من أعظم الواجبات، وأنه أصل عظيم من أصول الدين، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول رحمته الله في تأويل قوله عليه السلام: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١): "وفي الآية دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوبه ثابت بالكتاب والسنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها. قال الغزالي: في هذه الآية بيان الإيجاب، فإن قوله عليه السلام: ﴿وَلَتَكُنَّ﴾ أمر، وظاهر الأمر الإيجاب، وفيها بيان أن الفلاح منوط به، إذ حصر وقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، وفيها بيان أنه فرض كفاية لا فرض عين، وأنه إذا قام به أمة سقط الفرض عن الآخرين؛ إذ لم يقل: كونوا كلكم أمرين بالمعروف، بل قال: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾، فمهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون، عمَّ الحرج كافة القادرين عليه لا محالة"^(٢).

ب- يقول رحمته الله أيضا: "لا خفاء في أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين وأهم المفترضات على المؤمنين، وقد أمر الله بذلك في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وحث عليه، ورغب فيه، فقال عليه السلام: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٢/ ٣٧٥.

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(١)، وأبرز القائلين به في أجل مظهر يمكن أن تظهر فيه حالة الأمة، فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢)، فقدم ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان في هذه الآية، مع أن الإيمان هو الأصل الذي تقوم عليه أعمال البر، والدوحة التي تتفرع عنها أفنان الخير، تشريفاً لتلك الفريضة وإعلاء لمنزلتها بين الفرائض، بل تنبيهاً على أنها حفاظ الإيمان وملاك أمره، ثم شدَّ بالإنكار على قوم أغفلوها، وأهل دين أهملوها، فقال: ﴿لِئِنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٤)، فقد تبين واتضح أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا رخصة لأحد في تركها عند القدرة والإمكان، وأن من أضع ذلك وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله، وغير معظم لحرماته كما ينبغي، وقد ضعف إيمانه، وقلَّ من الله خوفه وحيأؤه، ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية، فحيث قام به البعض من المسلمين سقط الحرج بقيامهم عن الباقي، واختص الثواب بالقائلين فقط، وحيث قصَّروا كلهم عمَّ الإثم والحرج كل عالم بالمنكر منهم يستطع إزالته وتغييره بيد ولسان، والحاصل أن الإنسان يأتي من ذلك بما يستطيع، ولا

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) سورة المائدة: ٧٨، ٧٩.

(٤) رواه مسلم في صحيحه برقم ٧٨، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩.

يقصر في نصره دين الله، ولا يعتذر في إسقاط ذلك بالأعذار التي لا تصح، ولا يسقط بها ما وجب عليه من أمر الله" (١).

٢. فقه إنكار المنكر.

بين الشيخ القاسمي رحمته الله فقه إنكار المنكر، ووضح متى يكون الإنكار، ومتى يكون السكوت، وأن كل ذلك مرتبط بالمصلحة، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول رحمته الله: "فإن كان سكوته رغبة في الدنيا وطمعاً في الجاه والمال، ويخشى أنه إذا أمر أو نهى سقطت منزلته، وضعف جاهه عند من أمره أو نهاه من العصاة والظلمة، فقد عظم إثمه، وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقتته، فأما إذا سكت عن الأمر والنهي لعلمه أنه يحصل له إذا أمر أو نهى مكروه في نفسه أو ماله فقد يجوز له السكوت إذا تحقق ذلك، وكان المكروه الذي يحصل له شديداً، وله وقع ظاهر، ولو أمر أو نهى مع ذلك كان له أجر عظيم وثواب جليل، وكان ذلك منه دليلاً على محبة الله، وإيثاره على نفسه، وعلى نهاية الحرص على نصرته لدينه، كما قال عليه السلام: ﴿يَبْنِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢)، وما أحسن حال العبد إذا ضرب أو حُبس أو شتم بسبب قيامه بحقوق ربه، وأمره بطاعته، ونهيه عن معصيته، وليحذر من المداهنة في الدين، ومعناها أن يسكت الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن قول الحق وكلمة العدل؛ طمعاً في الناس، وتوقعاً لما يحصل منهم من جاه أو مال أو حظ من حظوظ الدنيا" (٣).

ب- ويقول رحمته الله أيضاً: "فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته لم تكن مما أمر

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٢٨-٣١.

(٢) سورة لقمان: ١٧.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩.

الله به، وإن كان قد تُرك واجب أو فعل محرم، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عبادته وليس عليه هداهم، وهذا معنى قوله ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾^(١)، والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات، لم يضره ضلال الضلال، وذلك تارة يكون بالقلب، وتارة باللسان، وتارة باليد، فأما القلب فيجب بكل حال، إذ لا ضرر في فعله، ومن لم يفعله فليس هو بمؤمن، كما قال النبي ﷺ، وذلك أدنى أو أضعف الإيمان، وقال: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(٢)، وأما من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه، وإما بيده مطلقاً، من غير فقه وحلم وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح، وما يقدر عليه وما لا يقدر، فإن ذلك داخل في القاعدة العامة فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد، فإنه يجب ترجيح الراجح منها، فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأموراً به، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيراً بها وبدلالاتها على الأحكام"^(٣).

٣. شروط القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

بيّن الشيخ القاسمي ﷺ الشروط الواجب توفرها للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول ﷺ: "الشروط التي بها يتحقق التصدي للإنكار، الأول: كونه منكراً، وهو ما كان

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم ٨٠، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩.

(٣) الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٢٩٢-٢٩٥.

محدور الوقوع في الشرع، ولفظ المنكر أعمُّ من لفظ المعصية، فإن من رأى صبيًا أو مجنونًا يشرب الخمر، فعليه أن يريق الخمر، وكذا إن رأى مجنونًا يزني بمجنونة أو هيممة أن يمنعه منه، وليس ذلك معصية في حق المجنون، ولا يختص المنكر بالكبائر، بل كشف العورة في الحمام، والخلوة بالأجنبية، وإتباع النظر للنسوة الأجنبية كل ذلك من الصغائر، ويجب النهي عنها. الثاني: أن يكون المنكر ظاهرًا بغير تجسس، فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه لا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية، ولا أن يتجسس عليه، وقد نهى الله ﷻ عنه في قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١)، وكذا لو رُئي فاسق وتحت ذيله شيء لم يجز أن يكشف عنه. الثالث: أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتهاد، فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا نكران فيه، فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي ما هو من مجاري الاجتهاد، يعني المسائل المختلف فيها بين الأئمة؛ إذ لا يُعلم خطأ المخالف قطعاً بل ظناً، فلا بد أن يكون المنكر متفقاً عليه، وكذا إنما يُنكر على الفرق المبتدعة في خطئهم المعلوم على القطع بخلاف الخطأ في مظان الاجتهاد"^(٢).

وبناء على هذه الشروط فقد كان الشيخ القاسمي ﷺ يرى أن بعض المسائل الشرعية غير داخلية في قضايا الإنكار؛ لأنها من المسائل الفقهية الاجتهادية، وأن هذه المسائل وشبهاتها مما يسوغ فيه الخلاف عند الفقهاء بناء على النظر في الأدلة، ومن تلك المسائل:

١. مسألة حجاب المرأة الشرعي، فهو مع قوله بوجوب تغطية المرأة وجهها ويديها، إلا أنه لا يطلق الوجوب في المسألة ولا يعمّمه في الإنكار، فهو مع رأيه الفقهي في المسألة وأنها -حتى مع قوة دليل المخالف- لا بد من أن تردّ إلى قاعدة سدّ الذرائع، خشية من

(١) سورة الحجرات: ١٢.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي ص ١٦٠.

أن يفضي الأمر إلى المحرم، إلا أنه يرى ضرورة النظر في أدلة المخالف ومعرفة منبعث رأيه في المسألة^(١).

٢. مسألة سماع الغناء، فهو مع أنه يقول بالتحريم أيضا سدا لذريعة الوصول إلى المحرم، إلا أنه يرى أنه لا بد من التفريق قبل الإنكار بين يسمع سماع لهو وطرب ومجون كحال الفساق، وبين يسمع سماع أنس ومرح كحال الحكماء والعقلاء، فإن السماع الثاني إذا كان بكلام لا محذور فيه فإنه لا خلاف في إباحته فضلا عن أن إنكاره على أي أحد، لأن الكلام الجميل والصوت الحسن مما يسعد النفس ويفرحها وينشطها للقيام بأعمالها^(٢)، وقد كان منتشرا في زمان القاسمي رحمه الله عند أهل الشام خاصة ما يعرف بـ "الموالاة"، وذلك أنهم إذا كانوا في مناسبة أو خرجوا في نزهة أو سفر أنشدوا هذه الأناشيد والأغاني^(٣).

٤. طريقة إنكار المنكر.

بين الشيخ القاسمي رحمه الله طريقة إنكار المنكر، وأنها لا بد أن تكون بالتدرج من اللطف واللين ثم إلى الغلظة والشدة بعد ذلك، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول رحمه الله: "وأول ما يجب عند مشاهدة المنكرات التعريف والنهي بلطف ورفق وشفقة، فإن حصل بذلك المقصود وإلا انتقل منه إلى الوعظ، والتخويف، والغلظة في القول، والتعنيف، ثم إلى المنع والقهر باليد وغيرها، ومباشرة تغيير المنكر بالفعل. أما الرتبتان الأوليان - التعريف باللطف والوعظ والتخويف - منها فعامتان، والغالب فيهما الاستطاعة، ومدعي العجز عنها متعلل ومتعذر في الأكثر بما لا يقوم به عذر، وأما الرتبة

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٩٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٧٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٣٣٢.

الثانية التي هي المنع بالقهر وتغيير المنكر فلا يستطيعه ويتمكن منه في الأكثر إلا من بذل نفسه لله تعالى، وجاهد بهاله ونفسه في سبيل الله، وصار لا يخاف في الله لومة لائم، أو كان حاكما أو مأذونا له من قبله. واعلم أن الأخذ بالرفق واللطف، وإظهار الشفقة والرحمة، عليه مدار كبير عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليك به، ولا تعدل عنه ما دمت ترجو نفعه، وحصول المقصود به، وفي الحديث: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(١)، وقال بعض الفضلاء: قد يُظن أن النهي عن المنكر من أصعب الأمور، مع أن إزالة المنكر في الشرع تكون بالفعل، فإن لم يكن فبالقول، فإن لم يكن فبالقلب، وهذه الدرجة الثالثة هي الإعراض عن الخائن والفاسق والنفور عنه، وإبطان بغضه في الله، ومن علائم ذلك تجنب مجاملته ومعاملته، ولاشك أن إيفاء هذا الواجب الديني كاف للردع، ولا يتصور العجز عنه، قال عَلَيْكَ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(٢) عَلَيْكَ^(٣).

٥. الكتب والرسائل في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ألف الشيخ القاسمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتب والرسائل التالية:

أ- كتاب: "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وقد أحصى فيه الشيخ القاسمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكثر البدع والمنكرات التي تحدث في المساجد في عصره، وتاريخ تسربها، ودعا لوجوب الامتناع عنها، والاقتصار على ما كان في العهد النبوي فقط، والكف عن ما إعتاده الناس من آباءهم ومن سبقهم، مستدلا لكل ما يقول بالكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، ولم

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٩٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٥١.

(٣) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٣١، ٣٢.

يكتف بمنكرات المساجد في الشام فقط، بل تجاوز ذلك إلى مساجد البلاد الإسلامية التي زارها، وقد قال رحمه الله في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه: "ولما أضححت البدع الفواشي، كالسحب الغواشي، يتعذر على البصير حصرها، وضبط أفرادها وسبورها، رأيت أن أدل بجزء منها على كلياتها، وبنبذة منها على بقياتها، وذلك في البدع والعوائد، الفاشية في كثير من المساجد، لأني ابتليت كأبائي بإمامة بعض الجوامع في دمشق الشام، وبالقيام بالتدريس العام، فكنت أرى من أهم الواجبات إعلام الناس بما ألم بها من البدع، فإن القيم مسئول عن إصلاح من في معيته، وفي الحديث: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(١)، فاستعنت بالله عز وجل في الشروع، وتوكلت عليه في إتمام هذا الموضوع، ونقبت لأجله عن شوارد الأسفار، وضممت إليه ما يروي البصائر والأبصار، وعزوت غالب فروعها لأصلها، ردا للأمانات إلى أهلها، تظمينا للمرتابين، وتثيتا للمؤمنين، فجاء فريدا في بابه، أمنية لطلابه، ولم أجد من سبقني إليه، فأعرج بالاحتذاء عليه، بل كان ترتيبه مخترعا، وتقسيمه مبتدعا، وذلك من فضل الله علي، ومننه التي لا أحصي ثناءها لدي، وبه المستعان، وعليه التكلان، في كل آن"^(٢)، وقد سأله تلميذه الشيخ حامد التقي بعد إتمامه للكتاب: لما آثرت بدع المساجد عن غيرها من البدع وقد ملأت الآفاق؟، فأجابه: "إنه من المؤسف والمحزن والمؤلم أن المساجد فيها من البدع ما لا يحصى، وأن المسجد الأموي بدمشق يعد شيخ المساجد في البدع، فأحببت المسارعة إلى تنقية هذه المعابد التي وجدت لنشر العلم الصحيح، وتعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتنبية المسلمين إلى ما دخل في

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٨٩٣، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ٥/٢. رواه مسلم في صحيحه

برقم ١٨٢٩، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، ٣/١٤٥٩.

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٧، ٨.

الإسلام مما هو منه بريء، لا أن يكون مقرا لها"^(١)، وقد ألف الكتاب سنة ١٣٣٠هـ، وطبع أول مرة بدار المكتبة السلفية في القاهرة سنة ١٣٤١هـ، في ٣١٩ صفحة.

ب- "رسالة في الشاي والقهوة والدخان"، ألف الشيخ القاسمي رحمته الله هذه الرسالة وبيّن فيها ما يتعلق بتاريخ هذه الأشياء، وصفاتها النباتية، وخواصها، وكيفية استعمالها، وما قاله الأدباء والشعراء فيها، وذكر عند الكلام على الدخان اختلاف الفقهاء في حله وحرمة، وما قاله الأطباء في مضارّه، وختم الرسالة بنبذة في الاعتناء باستنشاق جيد الهواء. وقد انتشرت هذه الأشياء في زمانه وكثر تناولها وتعاطيها بشكل كبير، وأصبح الناس يرتادون المقاهي لأجل ذلك، فألف هذه الرسالة للإنكار على ما هو حرام منها^(٢)، وللتنبية إلى ما قد يتعلق بالاجتماع للمباح منها من منكرات، فضلا عن ما فيه من إضاعة للأوقات^(٣)، وقد ألفت هذه الرسالة وطبعت أول مرة بمطبعة روضة الشام سنة ١٣٢٢هـ، في دمشق، في ٥٥ صفحة.



(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٦٢.

(٢) يرى الشيخ القاسمي أن تناول القهوة مكروه لأنها من المنبهات التي لها ضرر على الجسم، وأما الدخان فإنه يرى أن حكمه يدور حول ثلاثة أنواع: دخان مخدّر، وتغيب معه الحواس، وحكمه أنه حرام، لأنه قد جاء النهي في كل مسكر، ودخان مفترّ، يورث خدرًا وضعفًا، وحكمه أنه حرام، لأنه يحصل مع كثيره سكر وتغيب معه الحواس، وقد جاء نهى عن ما أسكر كثيره فقليله حرام، ويرى وجوب إقامة الحد على متعاطي أحد هذين النوعين، ودخان غير مفترّ، ولا يحصل معه سكر ولا تغيب معه الحواس، ولكن تحصل النشوة معه، وحكمه أنه ليس بحرام، إلا إذا تحقق ضرره على الجسم. انظر: رسالة في الشاي والقهوة والدخان: جمال الدين القاسمي، مطبعة روضة الشام، دمشق، ط ١، ١٣٢٢هـ، ص ٥٠.

(٣) انظر: رسالة في الشاي والقهوة والدخان: جمال الدين القاسمي ص ٢.

المطلب الثالث

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب العقيدة

إن للعقيدة أهمية عظيمة في حياة الإنسان، لأنه يميل بفطرته إلى قوة يعتقد فيها السيطرة والتحكم الكامل فيه وفي المخلوقات من حوله، ولا بد له من التعرف على هذه القوة التي يؤمن بفطرته بها، ولذلك أرسل الله الرسل وأنزل الكتب؛ ليدعوا الناس إلى العقيدة الصحيحة؛ وليُعرفوهم على خالقهم، يقول الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾^(١)، وقد اجتمعت كلمة الأنبياء والمرسلين قاطبة على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ومعرفة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢)، وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣)، وقد قدمت هذه النصوص القرآنية وغيرها للإنسان كل ما يجب عليه معرفته في حق الله ﷻ، مما يكون سببا في هدايته إلى عبادة الله ﷻ، ولذا قد بين الله ﷻ في كتابه الغاية من خلق الخلق حيث قال ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤)، كما بين أيضا أن قبول هذه العبادة متوقف على التحقق من صحة العقيدة، فكمال العبادة مرتبط بكمال العقيدة، وأي نقص في العقيدة قد يوجب العبادة أو ينقصها، يقول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥)، ومن هنا تظهر أهمية العقيدة ومكانتها، ولقد كان

(١) سورة محمد: ١٩.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٣) سورة النحل: ٣٦.

(٤) سورة الذاريات: ٥٦.

(٥) سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

اهتمام النبي ﷺ بالعقيدة واضحا وظاهرا، فقد بقي في مكة ١٣ عاما لدعوة أهلها إلى تصحيح العقيدة، وكان يقول ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(١)، وكان اهتمام أصحابه من بعده بالعقيدة أيضا واضحا وجليا، مثل ما وقع في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتاله للمرتدين، ولقد كان سلف الأمة يهتمون بأمر العقيدة، ويحرصون على تصحيحها بين الناس، لأنها أعظم العلوم وأهمها على الإطلاق، فهي الأصل والأساس الذي تبنى عليه فروع الدين، ولذلك حرص عليها العلماء والمصلحين، وكان منهم الشيخ جمال الدين القاسمي رحمه الله، وقد كانت له جهود نظرية في جانب العقيدة، يمكن بيانها من خلال النقاط التالية:

١. الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في تأصيل العقيدة والاستدلال لها.

بيّن الشيخ القاسمي رحمه الله ضرورة الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في تأصيل العقيدة والاستدلال لها، وقد ملأ تفسيره "محاسن التأويل" وكذلك سائر كتبه بأمثلة كثيرة في ذلك، وكانت جميع آراءه الاعتقادية لا تخرج عن طريقة السلف في الاستدلال للعقيدة الصحيحة من الكتاب والسنة، وكان يرى أن القرآن الكريم والسنة النبوية جمعا أصول الاعتقاد في الدين، وأن ما ورد من الأدلة مجملا في القرآن أوردته السنة بالتفصيل، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- عقد رحمه الله في مقدمة تفسيره "محاسن التأويل" فصولا متعددة للتأكيد على الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة في مسائل الاعتقاد وجميع مسائل الدين، لأن القرآن الكريم جاء تبيانا لكل شيء، والسنة جاءت تفصيلا له، وقد جاءت عناوين الفصول كالتالي: القرآن فيه بيان كل شيء، مدخل السنة في تبيين الكتاب، رتبة السنة التأخر عن الكتاب، السنة

(١) رواه البخاري برقم ٢٩٤٦، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام، ٤/٤٨. رواه مسلم برقم ٣٢،

كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ١/٥١.

تفصل ما أجمله الكتاب، وغيرها^(١)، وقد قال ﷺ في تأويل قوله ﷺ: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٢): "وبالجملة، فالقرآن الكريم كلية الشريعة، والمجموع فيه أمور كليات، لأن الشريعة تمت بتمام نزوله، فإذا نظرنا إلى رجوع الشريعة إلى كلياتها، وجدناها قد تضمنها القرآن على الكمال"^(٣).

ب- بَيَّنَّ ﷺ في تأويل قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤) استدلاله بها موافقا لاعتقاد السلف في أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، وأن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان، حيث قال: "في الآية دليل على أن الأعمال من الإيمان، وهذا لا خلاف فيه بين السلف"^(٥)، ويقول ﷺ أيضا في تأويل قوله ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٦): "والصالحات: ما استقام من الأعمال، أي: صلح لترتب الثواب عليه، وقد أجمع السلف على أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ثم إنه إذا أطلق دخلت فيه الأعمال، لقول النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^{(٧)(٨)}.

٢. الاهتمام بأقوال علماء السلف الصالح، وتقديم أقوالهم على غيرهم من أهل البدع

(١) راجع هذه الفصول: مقدمة محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١/ ٨٢ وما بعدها.

(٢) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٣٥٥.

(٤) سورة الحجرات: ١٥.

(٥) المرجع السابق ٨/ ٥٤٤.

(٦) سورة البقرة: ٢٥.

(٧) رواه مسلم برقم ٥٨، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ١/ ٦٣.

(٨) المرجع السابق ١/ ٢٧٥.

والأهواء.

اهتمَّ الشيخ القاسمي رحمه الله بأقوال كبار علماء السلف الصالح، كأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما، وكان يحرص على تقديم أقوالهم على غيرهم من أهل البدع والأهواء، وكان يقول رحمه الله عن نفسه: "أنني والحمد لله نشأت على حب مؤلفات شيخ الإسلام، والحرص عليها، والدعوة إليها، وأعتقد أن كل من لم يطالع بها لم يشم رائحة العلم الصحيح، ولا ذاق لذة فهم العقل السليم"^(١)، ويقول رحمه الله أيضا: "إنني ممن يتعشقون آثار شيخ الإسلام، ويسعى لها جهده، حتى أنني كنت جمعت ثمانين وعشرين رسالة له بخطي، واستكثبت كثيرا منها من بلاد شاسعة، ثم طبعت بمصر، والآن عندي من رسائله وفتاويه الصغرى ما أعده أعظم كنز"^(٢)، ولم يكن اهتمامه مقتصرًا على تقديم أقوالهم فحسب، بل قد قام بنشر عدد من كتب السلف الصالح التي تحوي كلاما نفسيا في جانب العقيدة، خاصة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد كان يقوم بتحقيقها وتصحيحها ومن ثم طباعتها ونشرها^(٣)، وقد أشار القاسمي رحمه الله إلى اهتمامه بأقوال كبار علماء السلف الصالح، وتقديمه أقوالهم على غيرهم من أهل البدع والأهواء بعدد من الأمثلة، منها:

أ- بين رحمه الله عند تأويله لآيات الصفات الواردة في تفسيره "محاسن التأويل" أن قوله فيها موافق لقول علماء السلف الصالح، وقد أورد فصلا لبيان ذلك، حيث يقول: "فصل في بيان أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف. قد بسط الكلام في أن مذهب السلف هو الحق غير واحد من الأئمة الأعلام، وهو وإن كان غنيا في نفسه عن إقامة

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٥٩٦.

(٢) المرجع السابق ص ٥٨٧.

(٣) أشار د. نزار أباطة إلى أن الشيخ القاسمي قد أخرج مجموعة كتب لا بأس بها من كتب التراث العربي والإسلامي، إلا أنه لم يكن يضع اسمه على ما يخرجها أو يحققه ويصححه، لأن ذلك لم يكن معروفا في زمانه، ولم تكن العادة كتابة اسم المصحح أو المحقق على الكتاب، بل يكتفي باسم مؤلفه فقط. انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٤٩.

البرهان، فقد رأينا أن نورد شذرة مما يؤيد ذلك، تنبيهاً للغبي، وتأييداً للألمي، فقد روى البيهقي في كتابه "الأسماء والصفات" بإسناد صحيح عن الإمام الأوزاعي رحمته الله، قال: "كُنَّا -وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ- نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِهَا وَرَدَّتِ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا"^(١)، فقد حكى الأوزاعي -وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين، الذين هم: مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق- حكى شهرة هذا القول في زمن التابعين، بالإيمان بأن الله فوق العرش، وبصفاته السمعية، وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب "جهم" المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف هذا"^(٢).

ب- يبين رحمته الله أنه اشترط على نفسه في تأليف تفسيره "محاسن التأويل" ذكر أقوال السلف، وتقديمها على غيرها حيث يقول: "التزمت فيه أن أذكر كل ما لشيخ الاسلام وابن القيم في الكلام عن الآيات الكريمة، مما أظفرتني الحق عز وجل به من كلامهما، رضي الله عنهما، فإن المفسرين بعدهما لم يهتموا بالنقل عنهما، مع أنني أسفت أن تذهب تحقيقاتهما لكثير من الآيات سدى، فعنيت العناية التامة بجميع ما قالوه، وبهذا خرج تفسيرنا بديع الأسلوب، لأنه حُلِّيَ وَزِينَ بِكلام هذين الشمسين الفردين"^(٣)، ويقول رحمته الله أيضاً: "وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك، كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به

(١) رواه البيهقي في كتاب: الأسماء والصفات، مكتبة السوادى، جدة، ط ١، ١٤١٣ هـ، ٢/٣٠٤، وقد جَوَّدَ اسناده ابن حجر

في فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٧٩ هـ، ١٣/٤٠٦.

(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٢١٣/١.

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦١٠.

رسوله" (١).

٣. التحذير من البدع والرد على أصحابها.

حذّر الشيخ القاسمي ﷺ من البدع وأصحابها وردّ عليهم، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- عقد ﷺ في مقدمة كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، فصولاً متعددة للتحذير من البدع والرد على أصحابها، وقد جاءت عناوين الفصول كالتالي: الترهيب من الابتداع، معنى البدعة، انقسام البدعة إلى حسنة وسيئة، ردّ البدعة في الدين، بغضّ المبتدع، وعيد من سنّ سنة سيئة، مفسد الإقرار على البدع، ما يجب على العالم فيما يردّ عليه مما يأمن فيه من الابتداع، وهذه الفصول كلها تأصيل في التحذير من البدع وأصحابها، والرد على ضلالاتهم، ولقد فصل الحديث في البدع، وبحثها وبيّن أمرها، فتحدث عن معناها اللغوي والاصطلاحي، ورهب من البدع ونفر من المبتدعين، وذكر غالب أنواع البدع التي شاعت في عهده (٢).

ب- يقول ﷺ: "لا يخفى أن النبي ﷺ وأصحابه ومن تبعهم حذّروا قومهم من البدع ومحدثات الأمور، وأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محذور، وجاء في كتاب الله ﷻ من الأمر بالاتباع بما لا يرتفع معه الترك، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٣)، وقال ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (٤)، وهذا نص فيما نحن فيه، وقد روينا عن أبي الحجاج بن جبير المكي -

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١٨/١.

(٢) انظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ١٠ وما بعدها.

(٣) سورة آل عمران: ٣١.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٣.

وهو من كبار التابعين وإمام المفسرين - في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ قال: أي: البدع والشبهات، وقال ﷺ: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١)، قال ميمون بن مهران - وهو من فقهاء التابعين - الردُّ إلى الله الردُّ إلى كتابه، والردُّ إلى رسوله، وإذا قبض إلى سنته، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِثُونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ»^{(٢) (٣)}.

ج- يقول رضي الله عنه في الرد على بدع الصوفية وطرقها المحدثه، وما جاء به مشايخ الطرق من الابتداء في الدين: "وأما الأذكار المحدثه، والساعات المبتدعه، سماع الكف والدف، فلم يكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين، يجعلون هذا طريقاً إلى الله تبارك وتعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات، بل يعدونه من البدع المذمومة؛ حتى قال الشافعي: "خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة، يسمونه: التغيير، يصدُّون به الناس عن القرآن"، وأولياء الله العارفون يعرفون ذلك، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم، ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية الله، كان نصيب الشيطان فيه أكثر، فسماع الغناء والملاهي من أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية،

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم ٨٠، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩.

(٣) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ١٠.

وهو سماع المشركين، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾^(١)، قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وغيرهما من السلف: التصدية: التصفيق باليد، والمكاء: مثل الصفير، فكان المشركون يتخذون هذا عبادة^(٢)، وقد كان ﷺ يذم مشايخ الطرق الصوفية ويشنع عليهم، ويصف المنكرات والبدع التي تقع منهم ومن أصحابهم، ويذكر ما تجلبه على الدين من هدم وخرق، حيث يقول: "كان بدمشق كغيرها من البلاد عادة شهيرة، وهي أن مشايخ الطرق يخرجون بمريديهم وخلفائهم في أيام الربيع بموكب حافل، يمتطون ظهور الخيل، وينشرون الأعلام والرايات، ويدقون الطبول، فيجتمعون في مسجد خارج البلد أو في أطرافها أولاً، ثم يترتبون ويسرون، وقد حوى موكبهم هذا من البدع ما حكى بعضه أحد الفضلاء^(٣) بقوله: "لا تزال هذه الطوائف تبتدع أموراً تضحك السفهاء، وتبكي العقلاء، وتحتال لمطامعها البهيمية بما جلب العار على الأمة، وسلط علينا الأجنبي يهزأ بديننا، ويقبح أعمالنا؛ ظنا منه أن ما يجريه هؤلاء الجهلة من الدين. فهلا رجع هؤلاء الجهلة عن بدعهم، والتزموا طرق أشياخهم الذين يدعون أنهم على آثارهم، وما هم إلا في أيدي الشياطين يلعبون بهم كيف يشاءون، أين تصفية الباطن التي هي مدار الطريق؟، وأين الخمول مع هذا الظهور؟، وأين التواضع مع ركوب الخيل والبغال يقدمها الطبل والمزمار؟، وأين البعد عن الناس مع هذه المزاحمة الدنيوية؟، وأين البعد عن الرياء مع الوقوف بين مئات الألوف يتمايل ويتلوى؟، وأين الإرشاد مع هذه البدع؟، وأين الأشياخ إذا أردنا السلوك؟ فلعمري لا نرى إلا رجلاً

(١) سورة الأنفال: ٣٥.

(٢) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١/ ٤٣٤.

(٣) لم أقف على الشخص المقصود هنا.

اتخذوا الطريق وسيلة معاشية، أما أن لهذه البدع أن تموت، وهؤلاء الجهلة أن يتنبهوا، ويعلموا أنهم بين أمم ينظرون أعمالهم وينتقدون أحوالهم ويكتبون عنهم ما يكتب عن الهمج وسكان البوادي، إن الطريق المسلك للقوم مبني على الإخلاص في العمل، وحب الخلوة، والبعد عن الناس، والصمت عن اللغو، وملازمة الذكر، ومداومة السهر فيه وفي التهجد، والزهد فيما في أيدي الناس، والتمسك بالسنة، والإرشاد إلى الطريق المستقيم، وأين هذه الأصول الشريفة مما نراه الآن من الخروج عن الحدود، واستبدال السنة بالبدعة، وترك الشرع بهوى النفس، والطامة الكبرى دعوة بعض الأسيخ وانتحاله ما يضر بالعقيدة، وإضلاله العامة بما ينقله إليهم عن الإنسان الكامل ونحوه من كتب الصوفية مدعيًا فهمه لإشارته من طريق الفتح أو الإلهام، فقد كثرت النحل والبدع، وسمعنا من أقوالهم ما ليس من ديننا، ولا يقول به أهل دين آخر، وقد اتفق أن أحد معتبري الأجانب دخل إحدى الأماكن، وقد اجتمع بها جماعة من أهل الأهواء، فرآهم يرقصون ويصيحون صياح جنون فقال لترجمانه: ما هذه الغوغاء؟، ونحن نعلم أن صلاة المسلمين في غاية الخشوع والآداب، وهذه أمور ليست إلا هذيانًا. فقال له ترجمانه: إن هذه أكبر صلاة عندهم، يريد تنفيره من الدين الإسلامي ولا حول ولا قوة إلا بالله. فالدين بريء من نسبة هذه البدع إليه، فإن سيرة النبي ﷺ معلومة محفوظة، إذ لم يترك الحفاظ وكتاب السير شيئًا من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته إلا دونوه، وجاء الخلفاء الراشدون ومن عاصرهم على أثره ﷺ، وكذلك جاء الصوفية المتقدمون على هذا الأثر، فلما تشيخ الجهلاء في الطريق التزموا البدع، وجاء من لهم إمام بكتب القوم فانتحلوا أقوالا لا يعرفون معناها، وعلموها لجهلة لا يفقهون فضلًا وأصلًا، إنا لله وإنا إليه راجعون. ومن المصائب الفظيعة تركهم الذكر الشرعي وقولهم: "الام إلا الله"، "لوا لوها إلا الله"، و"أل" بلام مغلظة، و"هه"، ثم الرقص، وأكل النار، وضرب الدف، أو الناي، والنقارات، والنقرزان، ووضع الدبوس في الذراع، والسيخ الحديد في الحنك، والشيش،

وغيرها من المفتريات القبيحة، فحق شيخ المشايخ منع هؤلاء الجهلاء من إعطاء اليهود، حتى يعرفوا العقيدة والآداب الشرعية والفروع الفقهية، ففي ذلك خدمة الأمة والدين وتأيد لكلمة الحق المتين"^(١)، وقد كان الشيخ القاسمي رحمته الله ينكر على بدع الصوفية الغلاة، القائلين بالحلل والالتحاد، وقد بيّن بطلان أقوالهم، وردّ على حججهم وأدلتهم، ومن ذلك قوله: "لكل ذات حقيقة وهوية وصفة تمتاز بها عما سواها، وذلك معروف في بدهة العقل، فاستحالة الحلل والالتحاد جليّة، وبيان ذلك أن الالتحاد يُطلق على ثلاثة أنحاء: الأول: أن يصير الشيء بعينه شيئاً آخر من غير أن يزول عنه شيء أو ينضم إليه شيء، وهذا محال مطلقاً سواء كان في الواجب تعالى أو في غيره؛ لأن المتحدّين إن بقيا فهما اثنان فلا اتحاد، وإن فنيا فهما معدومان، وإن فني أحدهما وبقي الآخر فلا اتحاد أيضاً، بل بقاء واحد وفناء آخر. والثاني: أن ينضم إليه شيء، فيحصل منهما حقيقة واحدة بحيث يكون المجموع شخصا واحداً، كما يقال: صار التراب طينا. والثالث: أن يصير الشيء شيئاً آخر بطريق الاستحالة في جوهره أو عرضه، كما يقال: صار الماء هواء، وصار الأبيض أسود، والكل في حقه تعالى محال، أما الأول فلما مرّ، وأما الثاني فلأنه بطريق التركيب، والواجب تعالى منزّه عن أن يكون جزءاً بحيث يحصل منه ومن شيء آخر حقيقة واحدة؛ لأن الجزء الآخر يكون موجوداً ممكناً، فيكون فاعله ذاته تعالى، ولا تركيب حقيقياً بين الفاعل والمفعول؛ لتمايزهما في الوجود، فلا تحصل حقيقة موصوفة بالوحدة في الخارج، وأما الثالث فلأن التغير الجوهرى محال في حقه تعالى؛ لعدم التبدل في صفاته الحقيقية"^(٢).

د- أشار رحمته الله إلى وجوب الرد على البدع والمبتدعة، وفضحهم بذكر أسماءهم، وأن ذلك ليس

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٢٢٢.

(٢) دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي ص ٢٧٨ وما بعدها.

من الغيبة، بل هو من تحذير الناس من البدع وأهلها، حيث قال: "هناك كثير من الناس يلومون المصلحين إذا تحدثوا عن بعض الشخصيات المبتدعة، حيّة كانت أم ميّتة، ظانين أن هذا غيبة منهى عنها، وهذا من الخطأ الواضح، فإنه لا بد من ذكر المسيء لدينه إذا وجدت المصلحة، وقد ذمّ الله كثيرا من المضللين والمفسدين بذكر أسمائهم وأوصافهم، كما ذمّ الموالين لهم"^(١).

هـ - نهيه ﷺ عن الاختلاط بأهل البدع ولو من أجل الاطلاع على أحوالهم، أو مشاهدة حلقاتهم، أو السماع لأناشيدهم، ولما استأذنه أحد تلاميذه للذهاب لمشاهدة وسماع خزعبلات إحدى الطرق الصوفية، زجره على ذلك، وقال: "لا تُكثّر سواد المبتدعة، ولا تكن قدوة سيئة لغيرك"^(٢).

و - تحذيره ﷺ مما اعتاد الناس فعله من البدع القبيحة، وكان يُصرّح بإنكارها واستيائه منها، في مواقف متعددة، ومن تلك البدع:

١ . بدعة الاحتفال بكسوة الكعبة الشريفة في مصر، وما يصاحب ذلك من بدع محرمة من طبل وزمر ونحوها، وقد شاهدها لما زار مصر سنة ١٣٢١هـ، فقد قال فيها: "قدمت الكسوة محمولة على أكتاف الرجال، في محامل لها ممدودة فوقها على مقدارها، ووراءها المحمل المصري، يتقدمها الجنود والموسيقى العسكرية، ثم أعلام مشايخ الطرق، بطبولهم وزمورهم، مما يفوق الاحتفال في دمشق بالمحمل في البدع المنكرة"^(٣).

٢ . بدعة وجود إمامين يتعاقبان الصلاة في مسجد واحد، فإنه يرى أنها مخالفة

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق ص ٩١.

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٥٠.

للإسلام، إذ أن السنة أن لكل مسجد إمام راتب واحد، وقيم جماعة واحدة فقط لا جماعتين، ولقد كان في مسجده إمام آخر يصلي بعده، فقال: "لو كانت العادة أن يصلي الإمام الشافعي بعد الحنفي لاستقلت من هذه الوظيفة، كيلا أقع في هذا المحذور المخالف للدين"^(١).

٤. الابتعاد عن التكفير ومسببات الافتراق في الدين.

كان الشيخ القاسمي رحمته الله يبعد عن التكفير ورمي الناس بالخروج من الملة، لأنه من مسببات الفرقة بين المسلمين، ومضاد لوحدة الأمة واجتماعها، وكان يعجبه قول الغزالي: "إذا رأيت الفقيه الذي بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل، فأعرض عنه، ولا تشغل به قلبك ولسانك"^(٢)، وكان يدعو إلى احترام المخالف في الرأي، والتماس العذر له، وعدم هجره وتركه، فضلا عن تكفيره وإخراجه من دائرة الإسلام، وقد أشار رحمته الله إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول رحمته الله عن الفرق المخالفة: "لو كانت الفرق التي رميت بالابتداع تهجر لمذاهبها، وتعادى لأجلها، لما أخرج البخاري ومسلم وأمثالهما لأمثالهم، نعم إن هؤلاء المبتدعين وأمثالهم لم يكونوا معصومين عن الخطأ حتى يعدوهم الانتقاد، ولكن لا يستطيع أحد أن يقول: إنهم تعمدوا الانحراف عن الحق ومكافحة الصواب عن سوء نية، وفساد طوية، وغاية ما يقال في الانتقاد في بعض آرائهم: إنهم اجتهدوا فيه فأخطؤوا، وبهذا كان ينتقد على كثير من الأعلام سلفا وخلفا، لأن الخطأ من شأن غير المعصوم، وقد قالوا: المجتهد يخطئ ويصيب، فلا غضاضة ولا عار على المجتهد إن أخطأ في قول أو رأي، وإنما الملام على من ينحرف عن الجادة عامدا متعمدا، ولا يتصور ذلك في مجتهد ظهر فضله وزخر

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٥.

(٢) فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: أبو حامد الغزالي، دار البيروتي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ٧٤.

علمه" (١).

ب- حذر ﷺ من التكفير، ودعا إلى البعد عنه، ونبه إلى عدم التساهل فيه، وذلك في تأويله لقوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٢)، حيث قال: "تنبيه: فسر بعضهم قوله ﷺ: ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، بمعنى: يضعون أو يختارون حدودا غير حدودهما، وقد صنّف العارف بالله ﷺ الشيخ بهاء الدين -قدس الله روحه- رسالة في كفر من يقول: يُعمل بالقانون والشرع، إذا قابل بينهما، وقد قال الله ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣)، وقد وصل الدين إلى مرتبة من الكمال لا تقبل التكميل، وإذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل. انتهى كلامه. ولا يخفى أن إطلاق الكفر لمجرد ذلك من غير تفصيل، فيه نظر، لأنه من تنطع الغالين من الفقهاء الذين زيّف أقوالهم في التكفير كثير من العلماء النحارير، فإن التكفير ليس بالأمر اليسير، والحق في ذلك أن القانون الذي يهدم نصوص الشرع التي لا تحمل التأويل ويبطلها وينسخها فإنه كفر وضلال ولا يقول به ولا يعول عليه إلا المارقون الجاحدون، وأما غير المنصوص عليه، أعنى ما لم يكن قاطعا في بابه، من آية محكمة، أو خبر متواتر، أو إجماع من الفروع النظرية، والمسائل الاجتهادية المدونة، فمخالفتها إلى قانون عادل لا يعدّ ضلالا ولا كفرا، لأنه ليس من مخالفة الشرع في شيء، إذ الشرع ما شرعه الله ورسوله، وأحكم الأمر فيه، ويبيّن بيانا رفع كل لبس، لا ما تخالف فيه الفقهاء، وكان مأخذه من الاجتهاد وإعمال الرأي، فإن ذلك لا عصمة فيه من الخطأ مهما بلغ رائيه

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٤٩.

(٢) سورة المجادلة: ٥.

(٣) سورة المائدة: ٣.

من المكانة، إذ لا عصمة إلا في نص الله ورسوله ﷺ، وكثيرا ما تشابه فروع الفقهاء بمواد القانون، ولذا ألفت بعض المتأخرين كتابا في مطابقة المواد النظامية للفروع الفقهية، وذلك لأن مورد الجميع واحد، وهو الرأي والاجتهاد ورعاية المصلحة^(١).

ج- كان ﷺ يرى أن التكفير سبب للفرقة بين المسلمين، وقطع لأواصر الأخوة الإيمانية، وأن أول من استخدمه هم الخوارج؛ ليفرقوا به صف المؤمنين، حيث يقول: "أول من فتح هذا الباب -باب الغلو في إطالة اللسان بالمخالفين- الخوارج، فأتى قادتهم عامتهم من باب التكفير، لتستحكم النفرة من غيرهم، وتقوى رابطة عامتهم بهم، ثم سرى هذا الداء إلى غيرهم، وأصبحت غلاة كل فرقة تكفر غيرها وتفسقه أو تبذره أو تضلله لذلك المعنى نفسه، حتى قيض الله ﷻ من الأئمة من قام في وجه أولئك الغلاة، وزيف رأيهم، وعرف لخيار كل فرقة قدرهم، وأقام لكل منهم ميزان أمثالهم"^(٢)، ويقول ﷺ أيضا: "إن التنازير بالألقاب، والتباغض لأجلها، الذي أحدثه المتأخرون، وفرقوا به بين الأمة، عقوا به أئمتهم وسلفهم، أمثال البخاري ومسلم والإمام أحمد بن حنبل ومن ماثلهم من الرواة الأبرار، وقطعوا به رحم الأخوة الإيمانية الذي عقده ﷻ بينهم في كتابه العزيز، وجمع تحت لوائه كل من آمن بالله ورسوله، ولم يفرق بين أحد من رسله، فإذا كل من ذهب إلى رأي محتجا عليه، ومبرهنا بما غلب على ظنه، وبعد بذل قصارى جهده، وصلاح نيته في توخي الحق، لا ملام عليه ولا تثريب؛ لأنه مأجور على أي حال، ولمن قام عنده دليل على خلافه، واتضح له المحجة في غيره أن يجادله بالتي هي أحسن، ويهديه إلى سبيل الرشاد، مع حفظ الأخوة، والتضافر على المودة والفتوة"^(٣).

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١٦٥/٩.

(٢) ميزان الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ، ص ٤.

(٣) نقد النصائح الكافية: جمال الدين القاسمي، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط ١، ١٤٢١هـ، ص ١٥.

وبناء على هذا فإن الشيخ القاسمي رحمه الله كان لا يرضي بتكفير بعض من ظهر على ألسنتهم ما يشعر بحلول أو اتحاد، مع أنه قد نقد هذه العقيدة وتبرأ منها ومن أربابها، إلا أنه كان يدعو إلى التثبت من الألفاظ، ومعرفة قصد قائلها من إيرادها، لأنه قد ظهر في زمانه أشخاص من غير الصوفية تأثروا بشيوخ الطرق، وأصبحت ألفاظهم مشابهة لألفاظ المتصوفة المبتدعة، وقد يعبر أحدهم بما يفهم منه الحلول والاتحاد وهو لا يقصده ألبتة، لذلك كان الشيخ القاسمي رحمه الله ينبه على ذلك قائلاً: "سبح لي أن أقيد ما أراه في مسألة كتب الصوفية، والمشهورين بـ"العارفين" منهم، من الاعتدال في ذلك، والتوسط فيه؛ حبا بالإنصاف، فإني رأيت من الناس من يكفر أربابها، ويحرم النظر فيها، ويحرقها إذا ظفر بها؛ لاشتغالها على ما يعتقد حلولاً واتحاداً، من ألفاظ ظاهرها ذلك، كما أن من الناس من يُجلُّها وأربابها، ويشغف بها، ويدعو إليها، ويراهها لبَّ الألباب، وأنها الجديرة بأن يُنفق في مطالعتها العمر، ونَدَرَ من يتوسط في ذلك أو في أصحابها، بل الأمر في بعض مؤلفيها أن يصفه قوم بأنه صديق، وآخرون بأنه زنديق، فما هذا الحال؟ وأين الاعتدال؟. فأما مسألة التكفير فإننا لا نكفر من استقبل قبلتنا، وصلّى صلاتنا، واعتقد عقيدتنا، ونلتمس لكلامه ما يدرأ عنه الكفر، للأصل الأصيل في باب الحدود، وهو حديث: "ادْرءُوا الحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ"^(١)، نقول هذا أولاً مع الحشوية الذين لا يفقهون لكلام أولئك من قاعدة، وإلا فإنهم في فهمهم على أصول قروها، واصطلاحات حرروها، من رجع إليها رأى أن كلامهم شعبة من فن الحكمة، إلا أن مؤلفيها لما كانوا من أرباب الرياضة والتجريد والتزهد، مع الانصبغ بصبغة الدين، كان كلامهم أشبه بفلسفة إسلامية، لا يونانية محضة، فأصبحت مزيجاً كما يعلمه الواقف على كلامهم من مطولات

(١) أخرجه السيوطي في جامع الأحاديث، قسم الأقوال، حرف الهمزة، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١/١٣٨،

وضعه الألباني في إرواء الغليل، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ، ٧/٣٤٣.

كتبهم، كالفتاحات، والأسفار الأربعة، وغيرها. نعم لا ينكر أنها اشتملت على ما هو مردود ومنظور فيه، مما ظهرت الحكمة الجديدة والفلسفة الحققة بخلافه، إلا أنها في تلك العصور كانت هي المشهورة المتداولة، وأما اشتغالها على ما يشعر بالحلول والاتحاد، فهو ما يفهم منها بحسب ظاهر اللفظ، ولو رَجَعَ إلى مقاصد أربابها لوجدتهم يبرؤون إلى الله من أن يفهم حلول أو اتحاد، لأنه خلاف الفن، وخلاف قواعده، لأن الوجود الكلي لا يتعين، فتعيينه بذات، أو دعوى أنه هو هي، خطأ في الفن، فالعلم يتبرأ منه، فإذن من الفرية عليهم أنهم يقولون بالحلول والاتحاد، ومن الجهل بقواعدهم ومشربيهم واصطلاحاتهم"^(١).

٥. الكتب والرسائل في جانب العقيدة

ألف الشيخ القاسمي رحمه الله في جانب العقيدة الكتب والرسائل التالية:

أ- كتاب: "دلائل التوحيد"، وهو كتاب فريد في بابه، عالج فيه الشيخ القاسمي رحمه الله أدلة الإيثار والتوحيد بالله تعالى، وذكر براهين النبوة، ومعجزات القرآن الكريم وإعجازه، وقد رد فيه على الدهريين، والماديين، والملاحدة، والقائلين بالحلول والاتحاد، بعشرات الأدلة العقلية والعقلية التي تثبت وجود الله تعالى، ودفع الشبهات التي ترد على الدين من هذا الباب، وقد كان السبب في تأليفه لهذا الكتاب: أنه زاره في داره أحد الشيوخ مستنكراً مقالة كتبت في إحدى الصحف بدمشق، تتضمن إنكار وجود الله، مع عدة شبهة عن الإسلام، وطلب من الرد على كاتب تلك المقالة، فأجابه الشيخ القاسمي بأنه سيرد عليه بتأليف خاص يسميه "دلائل التوحيد"^(٢)، وقد قال في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه: "أما بعد: فإن علم إقامة الحجج والبراهين؛ لتأييد مباني أصول الدين، ورد شبهة الملحدين، علم رفيع مناره، عظيم مقداره، تجب العناية به على العلماء، ودراسته على أذكىاء النبهاء؛ لتصير

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٠٣، نقلا عن مذكرات القاسمي.

(٢) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٩.

دلائل الأصول ملكة راسخة للعقول، وقد كان لهذا العلم - أيام كانت بضاعة العلوم رائجة، وبحور الفنون بسفن المحصلين مائجة - مقام مكين، وركن ركين، وعصب قاضب، وشهاب ثاقب؛ لأنه عماد الفرض المحتم، والأمر الواجب تقديمه على كل مقدم، وهو: معرفة واجب الوجود لذاته، وباعث الرسل لإقامة الحجة على الخلق بمحكم آياته، وجلي أن قوام هذه المعرفة ببراهينها وتحرير قوانينها؛ لتمييز صحيح الاعتقاد من فاسده، ويتبين طريق الحق لقاصده، وقد منَّ الله علينا بجمع نموذج من ذلك في هذا الكتاب، انتقينا من درر الحكماء المحققين، ومما اشتقه الفكر من غرر ذوي الألباب، قسمناه إلى مطالب فريدة، منها مباحث عديدة، يرجع حاصلها إلى دلائل وجود المعبود، والردُّ على الماديين أهل الجحود، ودحر شبههم بالحجج البازغة، والبراهين الدامغة"^(١)، وقد وصف الشيخ القاسمي كتابه في رسالة أرسلها إلى صديقه الشيخ محمد نصيف حيث قال فيها: "يصلكم منا هدية كتاب "دلائل التوحيد"، و"شذرة من السيرة النبوية"، والكتاب الأول تفرغت فيه للردِّ على الدهريين، الذين كثروا في مصر والهند وأطراف سوريا، وأضحوا يثنون شبههم بواسطة كثير من المؤلفات الأجنبية والمجلات النصرانية، وقد بحثت عن ألف وأشبع الكلام في الردِّ على هؤلاء الطبيعيين فلم أعثر، ولكن البارئ ﷻ أعاننا، والله يعلم ما عانيت ونقبت حتى يسرَّ بفضل هذا الكتاب، وقد حججتهم بما يعرفون، وذلك أني نقضت كلامهم بكلام الفلاسفة الذين يعولون عليهم، ونقلت كثيرا من كلام شيخ الإسلام وابن القيم كما ترونه، وبالجملة فهو كتاب بحمده ﷻ مفيد في هذه الأوقات فائدة عظيمة"^(٢)، وقد أُلِّف الكتاب وطبع أول مرة بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٢٦هـ، في

(١) دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي ص ١٠.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٥٩٢.

٢٠٧ صفحات.

ب- كتاب: "تاريخ الجهمية والمعتزلة"، وهو بحث جمع فيه الشيخ القاسمي رحمته الله تاريخ الفرقتين، وسرد ما وقع لهم من حوادث تاريخية، والوقائع التي جرت بسببهم، وقد قال في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه: "دعاني إلى العناية به ما رأيت لما أفضت بنا النوبة في قراءة صحيح البخاري إلى "كتاب التوحيد والرد على الجهمية"، أن كلام الشراح عليه موجز، وأن ليس في الأيدي كتاب جمع تاريخهم وأحرز، فجمعت ما تيسر من شؤونهم، ثم أشفعتها بطرف من أخبار المعتزلة؛ لتوافق الفرقتين في معظم المسائل المعروفة عنهم، وفي تلقيب كل غالبا بلقب الأخرى"^(١)، ويقول رحمته الله أيضا: "لم تُرد في هذه الورقات ذم عقائد الجهمية والمعتزلة، ولا مناقشتهم، لأن لذلك مواضع معروفة، لاسيما وهذا المقام طويل الذيل، متشعب المناحي، ويكفي أنه لأجله صنف ودون علم الكلام، وإنما أردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية"^(٢)، وقد وصف الشيخ القاسمي كتابه في رسالة أرسلها إلى صديقه الشيخ محمود شكري الألوسي حيث قال فيها رحمته الله مينا سبب تأليفه للكتاب: "فرأيت قصورا من الطلبة عن تعرف الفرق الإسلامية، وما كان لها من الأنباء، وأسفت أن أصبح من يدري ذلك قلة، ويوشك بعد مدة أن لا يعرف أحد من السلف إلا الاسم، وكذا من غيرهم، وبالجملة أسفت جدا لحالة الطلبة عندي، وبالأحرى عند غيري، فجهدت نفسي لجمع مقالة في الجهمية، وضممت إليها أنباء المعتزلة لتشاركها في كثير من القواعد الأصولية، وقد عنيت بالتنقيب جهدي، ومع كثرة البحث ومراجعة تراجم رجال كثير من المعتزلة جمعت أوراقا، ربما نطبعها في مجلة "المقتبس" بعد أن أعيد

(١) تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي ص ٣.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٣.

عليها النظر"^(١)، ألف الكتاب سنة ١٣٣٠هـ، وطبع أول مرة في مجلة "المنار" كمقالات متسلسلة سنة ١٤٣٠هـ^(٢)، ثم طبع ككتاب مستقل في مطبعة المنار بالقاهرة سنة ١٣٣١هـ، في ١١٢ صفحة.

ج- كتاب: "نقد النصائح الكافية على تعديل معاوية"، وهو كتاب يرد فيه الشيخ القاسمي رحمته الله وينقد كتاب "النصائح الكافية لمن تولى معاوية"، لمؤلفه محمد بن عقيل العلوي^(٣)، وقد قال في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه: "أهدى إلي العالم التحرير، والجهذ الكبير، السيد محمد بن يحيى بن عقيل، نفعنا المولى بمحبته، وبارك لنا في إفادته، كتابا سماه "النصائح الكافية لمن تولى معاوية"، أيّد فيه مذهب من جرح معاوية ورهطه، ورأى أن تعديلهم زلة وغلطة، وبنى عليه جواز لعن معاوية وسبه، زعما بأنه ممن لم يخش في أعماله مقام ربه، وقد نوع في كتابه الأبواب والفصول، وأتى في تأييد مشربه بالعجب العجاب، وقد رغب إليّ أن أطلع على خوافيه، وأعلمه برأيي فيه، مشيا مع الإنصاف، وتنكبا عن الاعتساف، فامتثلت أمره، وطالعت بتامه، ولم أغادر منه شيئا إلا وفهمت سرّ مرامه، ثم كتبت إليه بتحقيق المسألة وإيفائها ما يليق بها"^(٤)، وقد أورد الشيخ القاسمي رحمته الله في هذا الكتاب مسألة تعديل الصحابة رضي الله عنهم، وذكر النزاع بين السنة والروافض في

(١) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألويسي، جمع: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص ١٩٠.

(٢) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٦ ص ٤٤٩، ٦٠١، ٧٠٣، ٧٤٥، ٨٣٩، ٩١٣. مجلد ١٧ ص ٤١. مقالات بعنوان: تاريخ الجهمية والمعتزلة، لجمال الدين القاسمي.

(٣) محمد بن عقيل بن عبدالله العلوي، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فقيه شافعي مشارك في بعض العلوم، ولد سنة ١٢٧٩هـ في بلدة "مسيلة" من بلاد حضرموت، توفي في الحديدة سنة ١٣٥٠هـ. انظر ترجمته: مجلة المنار: مجلد ٣٢ ص ٢٣٨، مقال بعنوان: السيد محمد بن عقيل بن يحيى، لمحمد رشيد رضا.

(٤) نقد النصائح الكافية على تعديل معاوية: جمال الدين القاسمي ص ٩.

تعديلهم، وقد اطلع على الكتاب ووصفه وأثنى عليه الشيخ محمد رشيد رضا، ومما قاله فيه: "يظهر لك الفرق بين من يكتب ما يمليه عليه الهوى، ومن يكتب ما يمليه عليه العلم والهدى، إذا قابلت بين ما كتبه السيد حسن بن شهاب وما كتبه الشيخ جمال الدين القاسمي دمشقي، فقد كتب رسالة سماها "نقد النصائح الكافية"، انتقد بها النصائح معتصمًا بحبوة الأدب، متحليًا بحلية الثناء على المؤلف والاعتراف بفضله، وكان الإمام مالك رحمته الله يقول: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر، ويشير إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قسم القاسمي نقده إلى مقدمة و ١٤ مبحثًا وخاتمة، أكثرها في مسائل علمية في أصول الفقه، وأصول الحديث، والمناظرة، والأحكام التي تتعلق بموضوع الكتاب، وجملة القول: إنها نود لو يكون كل ناقد كالقاسمي في أدبه وإخلاصه وتحريه ما يرى أنه الأنفع للناس، فما فرق كلمة المسلمين إلا أهل الجدل والمراء بالهوى"^(١)، وقد ألف الكتاب سنة ١٣٢٧هـ، وطبع أول مرة سنة ١٣٢٨هـ، بمطبعة الفيحاء في دمشق، في ٤٨ صفحة.

د- رسالة: "الإسراء والمعراج"، وقد روى فيه الشيخ القاسمي قصة الإسراء والمعراج معتمدا على الكتاب والسنة وأقوال السلف، وبين الحكم والأسرار والفوائد منها، وقد جعله في قسمين، الأول: في تفسير قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)، وأثبت فيه فضل المسجد الأقصى، وشرف الرحلة إليه، والثاني: ذكر فيه أحاديث صحيح الإسراء

(١) مجلة المنار: مجلد ١٤ ص ٣١٣، مقال بعنوان: تقرير المطبوعات الجديدة، لمحمد رشيد رضا.

(٢) سورة الإسراء: ١.

والمعراج، وذكر أقوال أهل العلم في ذلك^(١)، وذهب إلى أن الإسراء كان بالجسد، وأن المعراج بالروح، على خلاف الراجح من أقوال العلماء^(٢)، وقد كان سبب تأليفه: أنه أراد إبعاد الناس عن المبالغات والموضوعات التي امتلأت بها كتب المتأخرين المتداولة بين الأيدي^(٣)، وقد ألفت الرسالة سنة ١٣٢٩هـ، وطبعت أول مرة بمطبعة الفيحاء في دمشق سنة ١٣٣١هـ، في ٣٢ صفحة.

٥- كتاب: "مجموعة الرسائل والمسائل من كتب وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية"، جمعها الشيخ القاسمي من طائفة من كتب ابن تيمية وفتاويه، وأرسلها إلى صديقه في الحجاز الشيخ محمد نصيف، فرفعها إلى الملك عبد العزيز آل سعود، فأصدر الملك أمراً إلى الشيخ محمد رشيد رضا بطبعتها مع رسائل أخرى لشيخ الإسلام، لينشرها في المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان، فاستجاب الشيخ محمد رشيد رضا لذلك، وخرَّج أحاديثها، وعلَّق عليها، ثم طبعت بتحقيقه وتعليقاته، والكتاب يحوي جمعا من العلوم النقلية والعقلية في الشريعة والعقيدة والتاريخ والفلسفة مع الإحاطة بمذاهب الملل والنحل، وآراء المذاهب، ومقالات الفرق^(٤)، وقد طبع الكتاب باسم الشيخ محمد رشيد

(١) انظر: الإسراء والمعراج: جمال الدين القاسمي ص ٢٧.

(٢) القول الصحيح الراجح عند أهل العلم في مسألة الإسراء والمعراج، أنها كانا بالروح والجسد، يقظة لا مناما، مستدلين بقوله تعالى: (بِأَيِّ) فالعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، وهذا هو المعروف عند الإطلاق وهو الصحيح، ومستدلين أيضا بقوله تعالى: (كُفَّ كُفًّا) وهذا فيه دليل على أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام في مكانين، الأول في الأرض، والثاني عند سدرة المنتهى، وفي هذا دليل على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد. انظر: شرح العقيدة الواسطية: ابن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ ٢٧٦/١، منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة: محمد بن أحمد خضي ص ٤٩.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٧١.

(٤) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: جمال الدين القاسمي، تحقيق وتعليق: محمد رشيد رضا،

=

رضاء، وخرج في ٥ أجزاء، ذكر في الجزء الأول: رسائل وفتاوى في التفسير والحديث والأصول والعقائد والآداب والأحكام والصفوية. وفي الجزء الثاني: قاعدة جلييلة فيما يتعلق بأحكام السفر والإقامة، مثل: قصر الصلاة، والفطر في شهر رمضان، وغير ذلك. وفي الجزء الثالث: مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم. وفي الجزء الرابع: حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية. وفي الجزء الخامس: قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ومنافعها ومضارها، وقد طبع الكتاب أول مرة بمطبعة المنار في مصر سنة ١٣٤٩ هـ في ٨٨٣ صفحة.



المطلب الرابع

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب العبادات

العبادات في الإسلام لها منزلة رفيعة، ومكانة جليلة، تجعل الحديث عنها بعد الحديث عن جانب العقيدة في غاية الأهمية، ولا يستثنى من ذلك زمان أو مكان أو إنسان؛ قال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (١)، ولما كانت صور العبادات وأشكالها توقيفية، يرجع في بيانها إلى الشارح الحكيم، احتاج البشر إلى الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام- الذين يتلقون عن الله ﷻ أو امره ونواهييه عن طريق الوحي، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢)، ويجب على العلماء والدعاة إلى الله ﷻ أن يبينوا للناس كل ما يتعلق بالعبادة وما يصلحها من شروط وأركان، أو يفسدها من نواقض ومبطلات، فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وفي الصحيحين قوله ﷺ لمعاذ بن جبل ؓ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَرُدُّ عَلَى قُرْبَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ» (٣)، والحديث دليل على أهمية تعليم الفرائض والواجبات الشرعية، من العبادات والأخلاق، بعد غرس الإيمان وتصحيحه، ولقد كان سلف الأمة يهتمون بأمر العبادات؛ لأنها من أعظم وأهم الأمور

(١) سورة الذاريات: ٥٦-٥٨.

(٢) سورة النحل: ٣٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ١٤٥٨، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ١١٩/٢. رواه

مسلم في صحيحه برقم ٣١، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ٥١/١.

التي يعتني بها المسلم بعد العناية بأمر العقيدة، كما كانوا يحرصون على تعليمها للناس بشكل صحيح؛ لأن الله ﷻ اشترط لقبول الأعمال والعبادات بعد الإخلاص له ﷻ أداؤها بشكل صحيح موافق لفعل النبي ﷺ، فلذلك حرص العلماء والمصلحين عليها، وكان منهم الشيخ جمال الدين القاسمي ﷺ، وقد كانت له جهود نظرية في جانب العبادات، يمكن بيانها من خلال النقاط التالية:

١. الجهود في جانب الصلاة.

شاع في عصر الشيخ القاسمي ﷺ تهاون الناس بالصلوات وتضييعها خاصة عند أهل البوادي والأرياف، فلذلك ركز ﷺ في عدد من مؤلفاته إلى الاهتمام بأحكام الصلاة ومسائلها، وذلك من باب التيسير والتسهيل لعامة الناس، وتقريبهم من هذه العبادة العظيمة، وكان الشيخ القاسمي ﷺ يرى أن من أسباب تهاون الناس بالصلوات وتضييعها هو الجمود في دراسة الفقه الإسلامي، ووقوف كثير من فقهاء عصره على النصوص الفقهية الموروثة دون الحرص على تسهيلها أو تيسيرها لعوام الناس، الذين هم بحاجة إلى ذلك أكثر من حاجتهم إلى النصوص الجامدة التي لا يفهمونها ولا يدركون معانيها، فلذلك أخذ على عاتقه مهمة تقريب الناس إلى العبادات وخاصة الصلاة من باب تقريب نصوص الفقه وتسهيلها وتيسيرها عليهم، وقد أشار إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يرى ﷺ التيسير في مسألة العدد الواجب لإقامة صلاة الجمعة لأهل القرى والبوادي النائية أو الصغيرة، والتي لا يجتمع فيها للجمعة مثل هذا العدد؛ وذلك حرصاً على إظهار شعار العبادة، وعدم التهاون والكسل فيها، ولأن إقامتها فيه تذكير للعبد بربه ﷻ وذكر له، وتعليم للناس من خلال الخطبة أمور دينهم، وغير ذلك من أعمال البر مما يفوت بفوات إقامة صلاة الجمعة، خاصة وأن أهل البوادي يفتشون فيهم الجهل، الذي يؤدي إلى ضعف الإقبال على العبادات، ولأنهم تعثرهم ظروف ومناسبات ينشغلون فيها انشغالا عاما، كمواسم الحصاد، وأوقات لقط الثمر، وتجفيفه ونحو ذلك، فلا يجتمع العدد الواجب ولا

نصفه جُمع متعددة، فتتعطل إقامة صلاة الجمعة في تلك المواسم، فلذلك كان يقول: "والذي أراه في هذه الحالة، أعني في القرية الصغيرة أو الكبيرة التي يتفق أن لا يجتمع بها أربعون يوم الجمعة لعوائق لهم، وكانت جرت عاداتهم بإقامة الجمعة فيها، أن على خطيبهم أن يؤدي الجمعة بمن حضر منهم بعد الأذان، قَلُّوا أو كثروا، ولا يترك الجمعة لأجل أن عددهم لم يبلغ الأربعين؛ لأن الحاضر لا يُكَلَّف بالغائب، ويكفي لتذكيره وإعلامه بالعبادة الأذان المشروع، فمن حضر فيها، ومن لم يحضر فإثمه في عنقه، وحينئذ يتمهل الخطيب بعد الأذان تمهلا لطيفا، ثم يقوم فيخطب بمن حضره، ولا يترك عادة أهل بلده من إقامة الجمعة أصلا، وتصح جمعتهم بمن حضر، ولا يلزمهم إعادتها ظهرا؛ لأن الشعار في تلك القرية حصل بهم، والفرض أدِّي بتجميعهم، وقد ذهب كثير من الأئمة إلى عدم اشتراط تعيين العدد في أداء الجمعة، وعليه فتجزئ بمن حضر من أهلها أو من غيرهم، قلَّ عددهم أو كثُر؛ لأنهم يريدون أن يقيموا شعارها، فسقط الطلب عنهم بانتدابهم لأدائها، ولا ريب أن من التهاون بالدين والعبادة رفض حضورها، وقد يتوكأ بعضهم بأنه حنفي المذهب وقد شرط في مذهبه المصر والحاكم وهذا من توكؤ المتهاونين بالطاعة الكسالى عن أدائها"^(١).

ب- يرى رحمته الله التيسير على الإمام في مسألة الأجر الذي يأخذه، وأن هذا المال ليس مكروها^(٢)، وينقل قول ابن تيمية رحمته الله في ذلك حيث يقول: "وأما ما يؤخذ من بيت المال فليس عوضا وأجرة بل رزق للإعانة على الطاعة، فمن عمل منهم لله أثيب، وما يأخذه رزق للإعانة على الطاعة، وكذلك المال الموقوف على أعمال البر والموصى به والمنذور كذلك ليس

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٦٥.

(٢) انظر: موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي ص ٤٢.

كالأجرة"^(١).

٢. الجهود في جانب الزكاة.

أدرك الشيخ القاسمي رحمته الله دور المال في خدمة الدعوة إلى الله، وأنه يعتبر محورا رئيسا في إقامة ما يصلحها، أو لجذب المدعويين إلى الدين، ومن المعلوم أن الزكاة الشرعية أحد موارد المال في الإسلام، وأن مصارفها محددة بأصناف معينة، إلا أن الشيخ القاسمي رحمته الله كان له نظر في أحد مصارفها، وهو مصرف "في سبيل الله"، فكان يرى بضرورة بتعميم هذا المصرف، وعدم قصره على الجهاد في سبيل الله فقط، ولذا فقد ناقش هذه المسألة من ناحية أصولية، حيث يقول: "وعندي أن هذا القصر من حصر العام في أهم أفراد، لا من حصره في مدلوله وموضوعه اللغوي، لأن "سبيل الله" ليست نصاً في الجهاد، ولا ظاهراً فيه، كما لا يخفى على من عنده إلمام في الأصول، ولا يقدر أحد أن يأتي بنص من كتاب أو سنة أن "سبيل الله" هو الإنفاق على المجاهدين دون غيرهم أبداً، إلا من آثار موقوفة على السلف مما ليس بحجة ولا قاطع، وقد تقرر أن العام يبقى على عمومته حتى يرد ما يخصه، وإذ لا مخصص فهو عام في كل ما يتقرب به إلى الله ويؤيد دينه وشرعه، كبناء المدارس، وشراء كتب للعلماء، وإعانة في مشروع خير وموضوع بر مما لا تحصى أفراد"^(٢)، وقد كتب إلى صديقه الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله لما أفتى بعدم جواز صرف الزكاة في إعانة للمدارس، من باب مصرف "في سبيل الله"، على المعنى الأعم، حيث قال له بعد مناقشة المسألة من ناحية فقهية وأصولية: "أرى أن التوسع في تعميم في "سبيل الله" يُسهّل على كثير من الأغنياء دفع أموالهم لكثير من المشروعات المهمة التي تنفع الأمة، بل أعتقد أن من رحمة الله بعباده تشريع هذا الصنف، ومجيء العنوان عنه "في سبيل الله"، لأنه لا أعم منه لمثل ما ذكر وغيره، كسواء كتب لطلبة

(١) الفتاوى الكبرى: شيخ الاسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ، ٥/٤٠٩.

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي ص ١٠٠.

العلم، وإصلاح طريق في محلة، أو إجراء ماء، أو ترميم حجر مدرسة وإصلاح سقوفها، وأمثاله، فليتأمل مولانا، فعسى أن يوافقني في ما رأيت^(١)، فأجابه صديقه الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله أنه موافق لقوله، ولكن الفتوى التي صدرت منه إنما كانت عن جمعيات تشترك بنفعها جميع الملل والأمم، مسلمين وكتابين ووثنيين وملحدين وحريين، فكيف تصرف لها زكاة المسلمين والوضع كذلك^(٢).

٣. الجهود في جانب عبادة الصيام.

مع ما كان الشيخ القاسمي رحمته الله يراه من التسهيل والتيسير على الناس في أمر الصلاة والجماعة؛ ليقبلوا عليها، ويداوموا أداؤها، إلا أنه كان يرى التشديد على من أفطر في نهار رمضان عصيانياً بلا عذر، ويرى وجوب الكفارة عليه مع قضاء ذلك اليوم، لأنه قد وردت الإشارة إلى ذلك في قوله ﷺ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾^(٣)، فيقول رحمته الله في معنى الآية: "أي: يطيقون صومه فأفطروا، مخالفة للأمر، وعصيانا له، وبيان ذلك: أنه تعالى أخبر بأنه كتب علينا الصيام، فدلّ على أنه أمر مفترض لا ريب فيه، ثم رخص بحكمته للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا ما فاتهما من أيام أخر؛ رحمة بهما ورفعاً للحرج، بقوله ﷺ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، أي: لفقدان إ طاقة الصيام غالباً، ثم بيّن حكم من يطيقه فافطر بلا مرض ولا سفر، ولكن تعمداً للإثم، بقوله ﷺ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، أي: وعلى الذين يطيقون صومه إذا أفطروا بلا عذر مما ذكر من المرض والسفر كفارة، وقد ذهب

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٦.

(٣) سورة البقرة: ١٨٤.

بعض الأئمة إلى وجوب الكفارة على المفطر عمدا بلا عذر، وهو ظاهر الآية، وبه أقول"^(١).

٤. الكتب والرسائل في الجانب العبادات

ألف الشيخ القاسمي رحمه الله في جانب العبادات الكتب والرسائل التالية:

أ- كتاب: إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق، أو: فتاوى الأشراف في العمل بالتلغراف، وهو كتاب حقق فيه الشيخ القاسمي رحمه الله في موضوع وجوب الأخذ بالأخبار البرقية فيما يتعلق بالعبادات، كإثبات رؤية هلال شهر رمضان، وكذلك أوقات العيدين، ثم ختمه بفصل فيه طرف أدبية وتاريخية متعلقة بـ"التلغراف" والهاتف والكهرباء وكلها من المكتشفات العلمية الحديثة، حيث ذكر نشأتها، وتاريخها، ومعانيها، وأول من استعملها، كما تحدث عن المخابرة بـ"اللاسلكي" والذي كان حديث الظهور"^(٢)، وقد اطلع على الكتاب وأثنى عليه في مجلة "المنار" الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، حيث قال: "إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق: كتاب جديد للقاسمي في جواز العمل بخبر التلغراف شرعاً، وفيه مباحث نافعة لا يستغني طلاب العلوم الشرعية عن تدبرها، ويليه طائفة من الفتاوى في العمل بالتلغراف للعلماء المتأخرين المشهورين في مصر والشام والعراق"^(٣). وقد ألف الكتاب وطبع أول مرة بمطبعة المقتبس في دمشق سنة ١٣٢٩هـ، في ١٠٤ صفحة.

ب- رسالة: الأجوبة المرضية عما أوردته كمال الدين ابن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية، وقد ألفها الشيخ القاسمي رحمه الله للتأكيد على مسألة سُنَّة ركعتين قبل فريضة المغرب، ومحتوى الرسالة تأصيلٌ للمسألة من ناحية فقهية وأصولية وحديثية، وردَّ على من

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٦٧.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٧٢.

(٣) مجلة المنار: مجلد ١٤ ص ٨٦٨، مقال بعنوان: المطبوعات الجديدة، لمحمد رشيد رضا.

أنكرها، وقد اطلع على الرسالة وأثنى عليها في مجلة "المنار" الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله حيث يقول: "الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته، وهو يشرح لك مسألة سنة المغرب القبلية، فإنَّ الكمال - عفا الله عنه - يعارض الأحاديث المتفق عليها والمروية في أحد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند أبي داود لم يرتق به إلى مرتبة الصحة، فيقول في ترجيحه أقوالاً ينقضها ما هو مقرر في علوم الحديث والأصول، فكتاب الأجوبة المرضية على صغره، يبين لكل ذي بصيرة أن المسلمين لا يستغنون بكتب فقهاء المذاهب - مهما جَلَّ مؤلفوها - عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ في الحديث وعلومه، وأنهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا إذا جعلوا العلم بهما مقصوداً لذاته في الاهتداء، لا لتأييد مذهب على مذهب"^(١)، وقد ألفت الرسالة سنة ١٣٢٣هـ، وطبعت أول مرة بمطبعة روضة الشام في دمشق سنة ١٣٢٦هـ، في ٣٦ صفحة.

ج- كتاب: إقامة الحججة على المصلي جماعة قبل الإمام الراتب وأقوال سائر أئمة المذاهب، وهو كتاب ألفه الشيخ القاسمي رحمته الله للتأكيد على مسألة أحقية الإمام الراتب الموكل بالجماعة بالصلاة في مسجده، وعدم جواز الافتتات عليه، وذكر مذاهب الأئمة في ذلك، وسبب تأليفه له هو المحنة التي تعرض لها رحمته الله من الباغين عليه في إمامة الناس بمسجده^(٢)، وقد ذكر في آخر الكتاب فصلاً دافع فيه عن نفسه وأحقية بالإمامة، ثم صور فيه حال الجامدين، وما يلقي منهم العلماء العاملون من تعنت وأذى، داعياً إلى وحدة الأمة، وتأليف الصف، وهذا الفصل من أنفس ما كتبه القاسمي رحمته الله في هذا الباب، فقد ظهرت فيه غيرته على الحق، وحماسه للعدل، وحرصه على الألفة بين المسلمين، ومقدار أذى

(١) مجلة المنار: مجلد ١٢ ص ٧٨٥، مقال بعنوان: تقرير المطبوعات الجديدة، لمحمد رشيد رضا.

(٢) سيأتي ذكر هذه المحنة التي تعرض لها الشيخ القاسمي في المبحث الثاني من الفصل الثاني ص ٢٧٨.

الجامدين وعنتهم وإرهاقهم للمصلحين^(١)، وقد ألف الكتاب سنة ١٣٢٢ هـ، وطبع أول مرة بمطبعة الصداقة في دمشق سنة ١٣٤٢ هـ، في ٧٢ صفحة.

د- رسالة: سر الاستغفار عقب الصلوات، وهي رسالة ألفها الشيخ القاسمي رحمته الله لبيان حكم الاستغفار بعد الصلوات المكتوبة، وقد ذكر في مقدمة كتابه سبب تأليفه له، حيث يقول: "أما بعد: فهذه رسالة في "سر الاستغفار عقب الصلوات"، حداني إلى جمعها أن بعض الطلبة نقل عن بعض الفقهاء أنه قال: لا يجوز للمصلي أن يقول بعد الفراغ من الصلاة "أستغفر الله"، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهَلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾^(٢)^(٣)، وقد طبع الكتاب بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢١ هـ، في ٣٤ صفحة، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

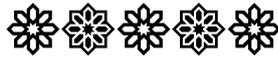
ه- كتاب: المسح على الجوربين، وهو كتاب ألفه الشيخ القاسمي رحمته الله لبيان أحكام المسح على الجوربين، ومحتوى الكتاب تأصيل للمسألة من ناحية فقهية وحديثية وقد ذكر رحمته الله في مقدمة كتابه سبب تأليفه له، حيث يقول: "أما بعد: فقد سئلت أكثر من مرتين، عن حكم المسح على الجوربين، وذكر لي ما دعت إليه الحاجة من إظهار الحكم في هذه المسألة وإشاعته، والصدع بإفادته للأمة وإباتته، ثم رغب إلي أن أجمع في هذه المسألة كتاباً لطيفاً، أحشر إليه الأحاديث المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والموقوفة على الصحابة رضوان الله عليهم، والمأثورة عن التابعين، ومذاهب الأئمة المشهورين، فاستخرت الله تعالى واستعنته، وبذلت الجهد في التنقيب عن المروي في هذا الباب، واستقرت معظم ما قاله الأئمة، ثم جمعت في

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٥٩.

(٢) سورة النساء: ١٧.

(٣) سر الاستغفار عقب الصلوات: جمال الدين القاسمي ص ٢٥.

هذه الورقات نُخَبَّ ما طالعتَه واستقرَّته، فله الحمد في الأولى والآخرة، وهو ولي الصالحين"^(١)، وقد اطلع على الكتاب وقَدَّم له الشيخ أحمد شاکر رَحِمَهُ اللهُ وَقَد قال في وصف الكتاب والثناء عليه وعلى مؤلفه: "إن أستاذنا عالم دمشق الشيخ محمد جمال الدين القاسمي رَحِمَهُ اللهُ أَلَف رسالة نفيسة في المسح على الجورين، طبعت بدمشق سنة ١٣٣٢هـ، وقد قرأتها وأفدت منها علما جما، وروحا قويا، في ذلك العهد البعيد، حين كنا في مطلع الشباب، متشوقين إلى العلم الصحيح، علم الكتاب والسنة، وكنا أحرص ما نكون على كتب السلف الصالح، وكتب من نهج منهجهم من المتأخرين، الذين يتمسكون بالهدى النبوي، ويتبعون الدليل الصحيح، دون تعصب لرأي وهوى، ودون جمود على التقليد، وكان في مقدمة من سار على النهج القويم أستاذنا القاسمي رَحِمَهُ اللهُ، وقد زار مصر قبل وفاته، وكنت ممن اتصل به من طلاب العلم، ولزم حضرته، واستفاد من توجيهه إلى الطريق السوي، والسبيل القويم"^(٢)، وقد أَلَف الكتاب وطبع أول مرة سنة ١٣٣٢هـ، بمطبعة الترقى في دمشق، في ٦٦ صفحة.



(١) المسح على الجورين: جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ، ص١٦.

(٢) المسح على الجورين: جمال الدين القاسمي ص٣.

المطلب الخامس

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب الأخلاق

إن للأخلاق مكانة عظيمة وأهمية بالغة في الإسلام، وهذه المكانة والأهمية تتجلى بوضوح لمن يطالع الآيات القرآنية والسنة النبوية وسير الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وقد جاءت نصوص الإسلام كلها للترغيب في الفضائل بشكل عام، وللتحذير من الرذائل بشكل عام أيضاً، مع ربط ذلك كله بالثواب على الفعل الحسن في الدنيا والآخرة، والعقاب على الفعل السيء فيها أيضاً.

ولقد عنيت نصوص القرآن الكريم بالأخلاق في الإسلام، وربطتها بالعقيدة والعبادات، وقد ورد في القرآن الكريم الثناء على النبي ﷺ ومدحه الله ﷻ له في أخلاقه، فقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وقد ورد أيضاً الثناء والمدح من الله لأهل الإيمان، فقد ذكر الله أوصافهم وعرج على أخلاقهم وحسن سلوكهم، حيث يقول ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۗ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۗ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۗ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۗ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۗ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۗ﴾^(٢)، ويقول سبحانه وتعالى في وصف علاقة الأخلاق بالعبادات، وكيف أن عبادة الصلاة مثلاً تدفع إلى محاسن الأمور وتنتهي عن مساوئها: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣-٦٨.

تَصْنَعُونَ ﴿١﴾

وقد جاءت الأحاديث النبوية تحث كذلك على فضائل الأخلاق وتأمير بها، وقد كان النبي ﷺ يتمثل أحسن الأخلاق وأعلاها، حتى عرف بين قومه بالأخلاق العالية مثل: الصدق والأمانة والوفاء والكرم وغيرها، وقد وصفه أصحابه بتلك الأخلاق، فقد ورد في الصحيحين وصف أخلاق النبي ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٢)، بل إن النصوص النبوية ربطت بين الأخلاق وبين الإيمان بالله وبين العبادات، وجعلت الأخلاق من لوازم وثمرات ذلك، حيث قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»^(٣)، وقال ﷺ أيضا: «الإيمان بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»^(٤)، فهذه الأحاديث وغيرها مما هو مشهور في كتب السنة فيها دلالة واضحة على عناية الإسلام العظيمة بالأخلاق والاهتمام بها، وربطها بأصول الدين، وقد درج سلف الأمة منذ زمن الصحابة رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم على العناية بقضايا الأخلاق، والحرص على تعزيز قيمها لدى أهل الإيمان، وتتابع العلماء والأئمة على ذلك نصحا وإرشادا وتأليفا، ومن أولئك العلماء الأعلام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله، فقد رزقه الله مكارم الأخلاق، حتى

(١) سورة العنكبوت: ٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٠٣٥، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ١٣/٨. رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٣٢١، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته ﷺ، ٤/١٨١٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٠١٨، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ١١/٨. رواه مسلم في صحيحه برقم ٧٤، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، ٦٨/١.

(٤) رواه مسلم برقم ٥٨، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ٦٣/١.

عُرفَ بلين عريكته، وبشاشته لضيفه، كما كان مربياً لطيف المعشر، كريم الخلق، كبير القلب، بادي الحب، واسع الحلم، لا يرى الناس منه إلا وجهها طلقاً، وجانباً لينا، وأنساً ممتعا، ولقد كانت له جهود دعوية ملموسة في جانب الأخلاق والعناية بها، يمكن بيانها من خلال النقاط التالية:

١. الأخلاق الحسنة مع العامة.

إن من سنن الله في عامة الخلق ميلهم وتأثرهم بالأخلاق الحسنة، ولذا كانت سنة الله في الأنبياء والمرسلين أن يكونوا من ذوي الخلق الحسن؛ ليكون ذلك دافعا لقبول الناس دعوتهم والاستجابة لأوامرهم، وإن المتبع لسير الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يجد أمر الخلق الحسن في دعوتهم واضحا وجليا، ولذا فقد وصف الله خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بالخلق الحسن، فقال ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وقد سئلت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- عن خلق النبي ﷺ فقالت للسائل: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»، فقال: بلى، قالت: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»^(٢)، ولذا فقد كان لزاما على الدعاة إلى الله تعالى أن يتحلوا بمثل هذه الأخلاق العالية؛ اقتداء بالأنبياء والمرسلين، وقد كان الشيخ القاسمي ﷺ نموذجا من الدعاة إلى الله تعالى الذين تمثلوا تلك الأخلاق الفاضلة مع عامة الناس، وقد أشار ﷺ في مؤلفاته وكتبه إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- قوله ﷺ في تأويل قوله ﷺ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣): "أي: قولاً حسناً، أي: كلموهم كلاماً طيباً، ولينوا لهم جانباً، وفيه من التأكيد والتحضيض على إحسان مقابلة الناس،

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) رواه مسلم برقم ١٣٩، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ١/٥١٣.

(٣) سورة البقرة: ٨٣.

- وأنه وضع المصدر فيه موضع الاسم، وهذا إنما يستعمل للمبالغة في تأكيد الوصف"^(١).
- ب- يَنْ مُحَمَّدٌ ﷺ أثر الأدب مع عامة الناس في قبول النصيحة والتوجيه، والتي هي من أهم الواجبات، حيث يقول: "من أهم الواجبات بذل النصيحة العامة لنوع الإنسان كافة، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي نوهت الشرائع بعلو شأنها، وجعلتها من أهم الوسائل النافعة في تقويم أود الأمة، وتشديد دعائم هيأتها الاجتماعية، غير أن النصيحة لا تجدي إلا باستيفائها شروطها من الصدق، والإخلاص، واللين في القول، والمحبة، والتجرد عن شوائب الخشونة والبذاءة في اللسان بالسباب والشتيم مما تنفر منه الطباع السليمة، وعلى المنصوح له أن يكون ممن روض نفسه على الانصياع والقبول لكلمة الحق، من غير مشاحة ولا تعصب، فتوجد إذ ذاك القابلية التامة لما بعد ذلك من التخلق بالأخلاق الحميدة، والتحلي بحلي الآداب الحقة، وإلا فما دام العناد في قبول كلمة الحق مستولياً على القلب بجنود التعصب الأعمى فمن المحال أن يرجى لدائه شفاء، ولاندمال جرحه دواء، ومهما بلغت الأنفس من الكمال شأواً كبيراً، وحصلت من السعادة على درجة عظيمة، فهي في حاجة إل النصح والإرشاد"^(٢).
- ج- يقول ﷺ فيما يجب أن يكون عليه الدعاة من أخلاق حسنة مع عامة الناس: "يجب على المصلح أن يكون واسع الصدر، وأن لا يكون نفوراً ممن يهجره أو يطعن فيه، بل يتقرب منه ويجذبه بحسن أخلاقه"^(٣).
- د- ويقول ﷺ في بيانه لأثر المعاملة الحسنة الفاضلة مع عامة الناس في تغيير سلوكهم وأخلاقهم: "يزعم بعض من يستثقل المجاهدة والرياضة أن الأخلاق لا يتصور تغييرها،

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ١/ ٣٤٤.

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء: جمال الدين القاسمي ص ٨٧.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٠.

ولو صحَّ ذلك لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات، وكيف يُنكر هذا في حقِّ آدمي، وتغيير خلق البهيمة ممكن، إذ ينقل البازي من الاستيحاش إلى الأُنس، والكلب من شرِّه الأكل إلى التآدب والإمساك والتخلية، والفرس من الجراح إلى السلاسة والانقياد، وكل ذلك تغير للأخلاق، فأجدر بالإنسان أن يتغير بالرياضة خلقه"^(١).

وقد شهد للشيخ القاسمي رحمته بحسن أخلاقه مع عامة الناس، جمع ممن جالسوه ولازمه وخالطه، ومما ذكره عنه الأمثلة الآتية:

١. يقول تلميذه الشيخ حامد التقي رحمته: "ما رأيت طول عمري -وقد تجاوزت السبعين- من يمثله تحقيقاً وعلماً وأخلاقاً حسنة، وصدعاً بالحق بالحكمة والموعظة الحسنة"^(٢).
٢. يذكر الأستاذ ظافر القاسمي رحمته أن تعامل والده مع عامة الناس جاء منسجماً مع الأخلاق الفاضلة، والصفات الكريمة، فلم يتضمن قوله لفظة نابية، أو كلمة مستهجنة، بل كان متمسكاً بقوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ادْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٣)، معتصماً بالنقاش العلمي الأدبي، معتمداً بالبرهان والدليل وأقوال الأئمة والمراجع الموثوقة^(٤).
٣. تقول الأستاذة أميمة العظم^(٥) حفيذة القاسمي رحمته عن أخلاقه مع عامة الناس: "وكان إلى جانب هذا لطيفاً، متواضعاً، حلو العشرة، حلو الحديث، لا يترفع عن مجالسة من هم دونه قدراً ومنزلة، ولا عن محادثة من هم دونه علماً وفهماً، وهذه العفة والنزاهة هما السر في

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء: جمال الدين القاسمي ص ١٦.

(٢) مجلة التمدن الإسلامي مجلد ١٩ ص ٧٦٤-٧٦٦، مقال بعنوان: من هو جمال الدين القاسمي؟، للشيخ حامد التقي.

(٣) سورة فصلت: ٣٤.

(٤) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٢.

(٥) لم أقف على ترجمة لها، ولها كتاب مخطوط عن جدها الشيخ جمال الدين القاسمي، وهو موجود في مكتبة آل القاسمي

بدمشق، وقد أشار إليه الباحث: سامي الفريضي. انظر: الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية ص ١٣٢.

نبوغه، فهو لم يشتغل بالعلم إلا للعلم، ولم يجعل من الدين وسيلة للظهور أو لبلوغ مرتبة من المراتب الدنيوية الزائلة، بل كان الإمام صادقاً فيما يقول، صادقاً فيما يكتب، صادقاً فيما يفعل^(١).

٢. الأخلاق الحسنة مع الطلاب.

كان الشيخ القاسمي رحمه الله نموذجاً رائعاً من المعلمين المبرزين الذين تمثلوا الأخلاق الفاضلة، والتعامل الحسن مع الطلاب، وكان يبين أهمية تلقين الطلاب الأخلاق مع العلم، وقد أشار رحمه الله في مؤلفاته وكتبه إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- بين رحمه الله أهمية ربط الأخلاق بالعلم والتعليم، حيث يقول: "من الثابت أن المرء إذا حسنت تربيته، وتمّ تعليمه وتهذيبه، كانت أعماله قويمه، وأخلاقه مستقيمة، وإذا فسدت تربيته انتكست أعماله، وساء خلقه، وسعادة مجموع الأمة متوقفة على تربية الأفراد، فإذا تهذب الأفراد، وتربوا على الفضائل، وأخذوا بأصول الدين، تهذب المجتمع، وصاروا أعضاء جسم واحد، وخير التربية ما كان في حال الصغر، إذ يكون الإنسان مستعداً بالفطرة لقبول الخير، وتقويم أود النفس، كالغصن اللين في مبدأ نموه إذا قومته استقام، لهذا كان من الواجب القيام بتربية الأطفال، وتلقينهم دروس الآداب والحكمة منذ نعومة الأظفار^(٢)."

ب- أشار رحمه الله إلى أثر الأخلاق مع الطلاب في نشر العلم، حيث يقول: "الرجال بالأعمال، والأعمال آثار الصفات والأخلاق، وبذلك يتفاضل الناس لا بالعلوم وحدها أو إجازات المدرسين أو شهادات المدارس فحسب، وذلك لأن العلم وحده لا يكفي لجعل الرجل عظيماً في قومه، نافعا لأُمَّته ووطنه، فإن العلم آلة تديرها الأخلاق، فإذا كانت أخلاقه

(١) الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي ص ١٣٢.

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء: جمال الدين القاسمي ص ١٧.

فاسدة كان علمه كالسيف في يد المجنون، يَضْرُ به ولا ينفع، فالرجل لا يكون عظيماً إلا بعلمه الكاملة، وأخلاقه وأعماله الفاضلة"^(١).

ج- يؤكد ﷺ على الواجبات الأخلاقية على المعلم، وأنه لا بد أن يكون قدوة لطلابه، حيث يقول: "فمن أخصَّ واجبات معلمهم أن يكونوا قدوة حسنة لهم، وأن يُقووا فيهم - وهم في بدء نشأتهم - حبَّ العمل، وامتلاك النفس والصبر والثبات والشجاعة، وأن يربُّوهم على احترام كل عظيم، وحبَّ الحق والعدل والعفة والصدق وكرم الخلق، حتى يكونوا أعضاء حيَّة نافعة في المجتمع الذي يعيشون فيه، فالمعلم هو الأستاذ والمؤدب والمربي، إنسان أكملته التربية، يحاول أن ينقل صورته ونظام أحواله إلى غيره، ليكون خلفاً له، فلم يُمنَح حقَّ سياسة التهذيب لإظهار جلاله ورغبة في تعظيمه، ولكن ليدير شؤون تلامذته، ويبحث عن الطرق المهمة لإفادتهم، فمن أهم آدابه التواضع ومجانبة العجب، فإن التواضع عطف والعجب منفر، وأن يكون من شيمته العمل بعلمه، وحثُّ نفسه على أن تأتمر بما تأمر به، وأن يكون في مشيه، وفي سكونه، وفي إشارته بالتحية، وفي منظره إذا تبسم، وفي منطقته إذا تكلم ما يشير إلى وقاره، وكمال عقله، وحسن خلقه، سيما في المجامع والمحافل"^(٢).

وقد شهد للشيخ القاسمي ﷺ بحسن أخلاقه مع عامة الطلاب، جمع من طلابه وأصدقائه، ومما ذكره عنه الأمثلة الآتية:

١. يذكر الأستاذ ظافر القاسمي ﷺ أن والده كان كثير الحنان على تلاميذه، كثير التشجيع للنبية منهم، كثير الصبر عليهم، لم يرد لأحد منهم سؤالاً، ولا ضاق بأحد منهم ذرعاً،

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء: جمال الدين القاسمي ص ١٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤.

وكانت هذه خصلة عرف بها طول حياته، وقد كان له تلميذ ذكي، وافر النباهة، لكنه عصبي المزاج، سريع الغضب، كثير النفور، فكان رحمته الله يوصي تلاميذه بمراعاة صديقهم ومسايرة حاله^(١).

٢. يجبر الشيخ حامد التقي رحمته الله عن سخاء وكرم شيخه القاسمي رحمته الله مع طلابه مع قلة ذات يده، حيث يقول: "وكان جوادا كريما على قلة ذات يده، ولا يكون تلاميذه في داره وقت الغداء أو العشاء إلا ويطعمهم مما يأكل، وقد كنت مع زملائي الطلبة قبل تلقي الدرس يوميا نتناول طعام الصباح عنده بما تيسر، فخرجت منه يوما، وقلت له بعد ما قدم لنا الطعام بيده: أكلت قبل أن أجيء، فنظر الي، وأدرك توا أنني لم آكل خجلا منه، فقال لي: لا تجمع بين وصفين خبيثين: الجوع والكذب، ومن حينها أخذت درسا في ملازمة الصدق، وأنا معجب بهذه الأخلاق الكريمة"^(٢)، وهو بهذه الأخلاق ما كان يتعامل معهم إلا معاملة الصديق مع صديقه، فيعطيهم حقهم، ويرفع مكانتهم، وكأنهم أقران له، ولذا لما طلب منه تلميذه الشيخ حامد التقي رحمته الله إجازة مكتوبة، كتب له فيها: "لقد طلب مني مصاحبنا وقريننا الشيخ حامد التقي الإجازة، فرأيت أهلا لذلك، فليرو عنا ولدنا المذكور ضاعف الله لنا وله الأجور"^(٣).

٣. من إعجاب طلاب القاسمي رحمته الله بالأخلاق الكريمة لشيخهم ما نعا به تلميذه الشيخ توفيق البزرة رحمته الله حيث قال: "إن من يلزم شيخنا القاسمي ويرى علمه وسمته، قل أن يعجبه كثير من شيوخ اليوم، الذين يدعون التربية، وهم غلاظ الأكباد، قساة القلوب"^(٤).

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٢، ١٨٣.

(٢) جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٦٨.

(٣) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٠.

(٤) المرجع السابق ص ٩٠.

٣. الأخلاق الحسنة مع المخالفين

كان الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته بسبب دعوته السلفية كثير المخالفين والخصوم، وهم على كثرتهم وتنوع أفكارهم إلا أنه كان حسن التعامل معهم، وقد أشار رحمته في مؤلفاته وكتبه إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- يقول رحمته في التأسيس لحسن التعامل مع المخالفين، وفي ثمرة الرفق بهم: "قال بعض علماء الاجتماع: يختلف فكر عن آخر باختلاف المنشأ والعادة والعلم والغاية، وهذا الاختلاف طبيعي في الناس، وما كانوا قط متفقين في مسائل الدين والدنيا، ومن عادة صاحب كل فكر أن يجب تكثير سواد القائلين بفكره، ويعتقد أنه يعمل صالحاً، ويسدي معروفاً، وينقذ من جهالة، ويزع عن ضلالة، ومن العدل أن لا يكون الاختلاف داعياً للتنافر مادام صاحب الفكر يعتقد ما يدعو إليه، ولو كان على خطأ في غيره، لأن الاعتقاد في شيء أثر الإخلاص، والمخلص في فكر ما إذا أخلص فيه يناقش بالحسنى؛ ليتغلب عليه بالبرهان، لا بالطعن وإغلاظ القول وهجر الكلام، وما ضر صاحب الفكر لو رفق بمن لا يوافق على فكره ريثما يهتدي إلى ما يراه صواباً، ويراه غيره خطأ، أو يقرب منه، وفي ذلك من امتثال الأوامر الربانية، والفوائد الاجتماعية ما لا يحصى، فإن أهل الوطن الواحد لا يحيون حياة طيبة إلا إذا قل تعاديبهم، واتفقت على الخير كلمتهم، وتناصفوا، وتعاطفوا، فكيف تريد مني أن أكون شريكك، ولا تعاملني معاملة الكفو على قدم المساواة؟. دع مخالفك - إن كنت تحب الحق - يصرح بما يعتقد، فإما أن يقنعك وإما أن تقنعه، ولا تعامله بالقسر، فما انتشر فكر قط بالعنف، أو تفاهم قوم بالطيش والرعونة، من خرج في معاملة مخالفه عن حد التي هي أحسن، يخرجه فيخرج عن الأدب ويوجه إليه، لأن ذلك من طبع البشر مهما تثقت أخلاقهم وعلت في الآداب مراتبهم. وبعد فإن اختلاف الآراء من سنن هذا الكون، هو من أهم العوامل في رقي البشر، والأدب مع من يقول فكره باللفظ قاعدة لا يجب التخلف عنها في كل مجتمع، والتعادي على المنازع الدينية وغيرها من شأن

الجاهلين لا العالمين، والمهوسين لا المعتدلين. ولا يخفى أن الأصل في هذا الباب قوله ﷺ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(١)، وقوله ﷺ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢) (٣).

ب- بين ﷺ آداب المناظرة والجدال مع المخالفين من أهل الكتاب وغيرهم في تأويله لقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(٤) حيث يقول: "بين الله ﷻ طريقة إرشاد أهل الكتاب بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي: بالخصلة التي هي أحسن، وهي اللين والأناة، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾، أي: بالاعتداء، بأن أفحشوا في المقال، وأقذعوا في الجدال، فلا حرج في مقابلتهم بالعنف لتكبيهم عن جادة اللطف، وهذا كما قال ﷺ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٥)، وهذه الآية أصل في آداب المناظرة والجدل"^(٦).

ج- يقول ﷺ في بيانه لكيفية تعامل العالم أو المصلح مع ما يبرز به من الألقاب من مخالفيه: "إن العالم لما أخذ الله عليه الصدع بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا يخاف في الله لومة لائم، كان معرضاً من أعداء أنفسهم وعبيد أهوائهم للشنآن والنبز بالألقاب، فتراهم إن وجدوه يميل للنظر في الأدلة على الأحكام، والوقوف على مآخذ المذاهب والأقوال، وتحري الأقوم والأصلح دون تعصب لإمام ولا تحزب لآخر، نزوه بالاجتهاد،

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي ص ٣٧.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٥) سورة النساء: ١٤٨.

(٦) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٥٥٧/٧.

وسمّوه "مجتهداً" تهكماً، مع أنه بذلك لم يقيم إلا بواجبه، وإن أبصروا ميله لعلوم الحكمة والرياضيات، وتشويقه لاقتطاف ثمارها سمّوه "طبيعياً"، وإن رأوا حثه على البذل والإنفاق في سبيل الله، ودعواه الموسرين للعطف على البؤساء، لقبوه "اشتراكياً"، وإن سمعوه يتكلم في الزيارة المشروعة وينهى عما أحدث فيها، أو يتكلم على أنواع الشرك المقررة في السنة، أو يزجر عن الغلو في الصالحين، دعوه "وهايباً"، إلى غير ذلك من أفانين أقوالهم ونبزهم بالألقاب لكل من لا يبالئهم على ميولهم ولا يسايرهم على أهوائهم، ولهم في كل عصر تلقيب جديد ونبز مبتدع، فالعالم الحكيم لا يأبه لهذه الألقاب إذا صدع بالحق ولا تحزنه، بل يعيرها إذناً صمماً، لأنه يجري على ما يوجه دينه، ويفرضه عليه يقينه، وهو ما يرضي ربه وخالقه تعالى، فإن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأنى للعاقل إرضاء أهواء متباينة، ومنازع متناقضة، وما ألد الألقاب التي تتنوع على المصلح وهو ساع إلى خير قومه، وما أوجب الترحيب بها، والابتسام لها، فإن أمامه من الأنبياء ووارثيهم ما يعزّيه ويسلّيه، وكفى بهم أسوة، وما أصدق قول ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيٌّ»^(١)، فالثبات على تحمل المشاق، والصبر الجميل، من الواجبات المحتمة على كل داع إلى حق، والصدمات التي يجدها البطل المقدم يجب أن تقابل بثبات الجأش، وأن تكون كلما تجددت باعثةً على تجدد القوى، ومواصلة العمل والسير، ولذلك قرن الله تعالى في كتابه الحكيم التواصي بالحق، بالتواصي بالصبر، وصدق الله العظيم^(٢).

د - ومن أقواله ﷺ في بيان أهمية التحلي بالأدب في إظهار الحق، وتجنب السب والشتم مع

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٣، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ٧/١. رواه مسلم في

صحيحه برقم ٢٥٢، كتاب الايمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/١٣٩.

(٢) الفتوى في الإسلام: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ، ص ١٦٨.

المخالفين: "الحق يُصرع إذا عمّد إلى إظهاره بالسباب والشتائم"^(١).

وقد شهد للشيخ القاسمي رحمته الله بحسن أخلاقه مع المخالفين جمع من طلابه وأصدقائه،
ومما ذكره عنه الأمثلة الآتية:

١. ما ذكره صديقه الشيخ محمد كرد علي رحمته الله حيث يقول: "كان -أجزل الله ثوابه- إذا لقيه المخالف في أحد المجامع عرضاً، أو غشيه في درسه وبيته، ناقداً أو ناقماً علمه من حيث لا يشعر، وهداه إلى المحبة بلين القول، فإذا أيقن أنه من المكابرين المموهين أعرض عنه، وقال: سلاماً، ولذلك لم يلق ما لقيه أشداء العلماء والفلاسفة في العصور الماضية من الإرهاق والإعنات أمثال: ابن حزم الأندلسي، والشهاب السهروردي؛ لأنه كان يتلطف في المناظرة وإقناع المخالف، فإذا رأى المناقش بمعزل عن الفهم سكت عنه، نعم كان مثال التلطف في بثّ الفكر، فلم يَصُكَّ به -كما قيل- معارضه صكّ الجندل، وينشقه متلقنه انتشاق الخردل، فقد قام الأستاذ في دور زهد الناس فيه في العلوم الدينية إلا قليلاً، فأعاد إليها في هذه الديار -بنور عقله- شيئاً من بهائها السابق، ولقد كان يجتمع به الموافق والمخالف فما كانا يصدران عنه إلا معجبين بعقله، مقرين بفضله، معترفين بقصور كثير حتى من المشاهير عن إدراك شأوه، يجلب الألباب، ويستميل العقول، فكأنه خلق من معدن اللطف، ورقة الشمائل، فلم تجد الغلظة سبيلاً إلى قلبه، ولا الفظاظة أثراً في كلامه وقلمه، ولا عجب إذا كثر في آخر أمره أنصاره، وعشقتة النفوس فأكبرت الخلب فيه، وجاء في الأثر: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به، فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٤٦.

عنه ^(١) ^(٢).

٢. ما ذكره ابنه الأستاذ ظافر رحمته الله حيث يقول: "كان عفَّ اللسان والقلم، لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه، سواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أم العامة، أم في مجالسه وندواته، وإنما كان يناقش بالبرهان والدليل من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة والمراجع المعتمدة. اتهمه خصومه فيما اتهموه بـ"الوهابية"، فلم يأبه لهم ولا لاتهمهم، بل مضى في دعوته دون أن يلقي إلى هذه التهمة بالا، مع ما كان يُمكن أن يتعرض المتهم بها من الأذى والنكال، وكانت له طريقة في مناقشة خصومه لم يُعرف أهدأ منها، ولا أكثر صبرا عليها، وكثيرا ما قصده بعض المقتحمين في داره لا مستفيدا ولا مستوضحا ولا مناقشا بل مُخرجا، فكان يتقبلهم بصدوره الواسع، وخلقه الرضي الكريم، وعلمه العميق، فلا يخرج المقتحم من داره إلا وقد أُفحم وامتلا إعجابا وتقديرا، وقد أراد أحد الناس من أتباع خصومه أن يُؤذيه في بيته بطرح المواضيع المحرجة التي كان العامة يتلقونها من أفواه مشايخ ذلك الزمان، وكان مما اعتقد هذا الزائر أنه لا مفرَّ للشيخ من الإجابة عليه سؤاله عن مذهبه، معتقدا أنه لا بد من أن ينتسب إلى أحد الأئمة الأربعة المعروفين، فأجابه الشيخ وعلى فمه ابتسامة الرضا والاطمئنان: إني أتعبد على مذهب الإمام الشافعي، أما كتبه على كثرتها وبعضها إنما وضع للرد على المخالفين من ألفه ليائه، فلم تتضمن لفظة نابية، أو كلمة مستهجنة، وإنما اعتصم بالنقاش العلمي الأدبي، بينما كان يلقي من بعض خصومه الاتهام بالكفر، و"الوهابية"، والخروج عن الدين، فكتبه المطبوعة خير شاهد على ذلك، ومن الواضح لمن يطلع على هذه الكتب أن القاسمي لم يكن يقصد من الكتب التي وضعها في

(١) هذا الأثر أورده شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، ونسبه الى بعض السلف ٢٨/١٣٧.

(٢) مجلة المقتبس: العدد ٨٥ ص ٥٠، مقال بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي.

الرد على مخالفه إفحام خصومه، أو تصغير أقدارهم في المجتمع، أو الخط من مكانتهم بين العلماء، وإنما كان يهدف إلى الهدى والرشاد وسواء السبيل والدعوة إلى الصراط المستقيم؛ حتى ينقلب المخطئ مصيباً، وحتى يعود المنحرف إلى الحق، وكثيراً ما اتبع طريقاً فريداً، ذلك بأن يُورد هجوم خصومه عليه، وفيه من هجر القول ما فيه، فلا يردُّ عليه ولا يُعلّق، ضابطاً أعصابه، ومستعيناً بهدوء نفسه، و متمكناً من الخروج على طبيعته البشرية، فلا يغضب، ولا يقابل الإساءة بمثله، بل يكتفي بأن يترك للقارئ الحكم على هذا القول الجائر، وكان الدفع بالتي هي أحسن طريقته الوحيدة في الدعوة إلى الحق، لأن الغضب يجر الغضب، وهو مُخرج عن الصواب، ومُفقد للرشاد، فلا يريد أن تضيع الغاية الأصلية، والهدف الأسمى من النقاش والحوار، سواء أكان شفهيًا أو كان مكتوباً، وقد عرف فيه خصومه هذه السجية الرفيعة فلجأوا إلى تهيج العامة عليه أحياناً، وألزموه بالانقطاع عن إمامة الناس في المسجد الجامع أياماً، فصبر على هذا الأذى إلى أن عاد إلى أداء الواجب على غير الطريقة التي أبعد فيها عنه"^(١).

ومع هذه الأخلاق الفاضلة للشيخ القاسمي رحمه الله مع المخالفين، إلا أن أكثر مخالفيه قد ردوا عليه بعنف وقسوة، ولم تكن ردودهم عليه نابعة من علم أو عقل، بل كان الحسد والحقد والغيرة مدعاة لأكثرها، ولا يُعلم أنه قد ردَّ عليه أحدٌ في زمانه رداً علمياً إلا ما ندر، ومن ذلك ردُّ الشيخ محمد عارف المنير^(٢) في مجلة "الحقائق" على آراء الشيخ القاسمي رحمه الله في رسالته

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٢-١٨٤، بتصرف.

(٢) محمد عارف بن أحمد سعيد الحسيني الدمشقي، الشهير بالمنير، فاضل من فقهاء الشافعية، مشارك في بعض العلوم، ولد بدمشق سنة ١٢٦٤هـ، وتوفي بها سنة ١٣٤٢هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/ ١٨٠. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/ ٣٧٦.

المسماة "إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق"^(١)، وكذلك انتقاد صديقه الشيخ محمد كرد علي رحمته الله في مجلة "الرسالة" على آراء الشيخ القاسمي رحمته الله في كتابه: "قواعد التحديث"^{(٢)(٣)}.

٤. الكتب والرسائل في جانب الأخلاق.

ألف الشيخ القاسمي رحمته الله في جانب الأخلاق الكتب والرسائل التالية

أ- كتاب: جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، وهو كتاب ألفه الشيخ القاسمي رحمته الله لبيان القضايا والمسائل المتعلقة بالأخلاق خاصة الناشئة، وقد قال رحمته الله في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه: "أما بعد: فإنَّ علم مكارم الأخلاق والشئال، وتقويم النفوس بمحاسن الآداب والفضائل، من العلوم المهمة، التي هي أساس نجاح الأمة، فإنَّ على الأخلاق الفاضلة مدار المدنية والعمران، وترقي الإنسان وصلاح البلدان، ونمو مدارك العلم والعرفان، كما أنَّ بالأخلاق السيئة الهلاك والدمار، والحزى والعار، إذ هي السموم القاتلة، والمهلكات العاجلة، والمخازي الفاضحة، والرذائل الواضحة، وقد أرشدت إلى الأخلاق الفاضلة الشرائع الإلهية، والقوانين الحكمية على الإطلاق، وبعث نبينا صلوات الله عليه لتمام مكارم الأخلاق، ولما دُوِّنَ في ذلك جليل الأسفار، وجميل الآثار، رأيت أن أجمع في كتاب

(١) انظر: مجلة الحقائق: العدد ٦ ص ١٢، مقال بعنوان: مناظرة بين عالمين، لمحمد عارف المنير الحسيني.

(٢) انظر: مجلة الرسالة: العدد ١٠٤ ص ٨٠، في مقال بعنوان: الكتب، لمحمد كرد علي. وقد رد عليه الأمير شكيب أرسلان في نفس المجلة؛ لأنه هو الذي كتب مقدمة الكتاب، وقد دار بينهما سجل طويل، وردود متعددة حول الكتاب، وموضوعه، ومؤلفه. انظر هذه الردود في: مجلة الرسالة العدد ١٠٩ ص ٧٨، مقال بعنوان: الكتب، والعدد ١١١ ص ٧٧، مقال بعنوان: الكتب. والعدد ١١٦ ص ٦٥، مقال بعنوان: البريد الأدبي.

(٣) قد رد بعض الباحثين المعاصرين على آراء الشيخ القاسمي واختياراته وأفكاره ردوداً حديثة، منها: كتاب "الصواعق المرسلة على تاريخ الجهمية والمعتزلة" للشيخ عبد الحميد الرفاعي، وكتاب "مقالات في المذاهب والفرق" للدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف، وقد ردا على أخطاء القاسمي في كتابه "تاريخ الجهمية والمعتزلة"، ورسالة "منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة" لمحمد بن أحمد خضي، وقد رد فيها على أخطاء الشيخ القاسمي في كتابه: "تاريخ الجهمية والمعتزلة"، و"ميزان الجرح والتعديل".

أهم ما أثر منه عن السلف، وأكمل ما نُقِلَ عن الخلف، عناية بالناشئة الذين هم أطفال اليوم ورجال الغد، واحتفاظا بما يَكْسِبُ لهم ولقومهم ووطنهم الفخار والمجد، وسميته "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، ورتبته على سبعة أبواب، متوجة بمقدمات، ومذيلة بخواتم، ومن الله التوفيق وعليه التكلان^(١)، وقد جاءت أبوابه كالتالي: الأول: في أدب النفس، والثاني: في أدب الدرس، والثالث: في الآداب المنزلية، والرابع: في الآداب الاجتماعية، والخامس: في القوانين الصحية وتوابعها، والسادس: في أدب السفر، والسابع: في أدب النفقات ومتفرقات، ثم مسك الختام في متفرقات الآيات، وقد اطلع على الكتاب وأثنى عليه الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمته الله حيث قال: "كتاب أخلاقي قيّم، صغير الحجم، كبير النفع، سهل الأسلوب، ذكر مؤلفه أنه تقرر تدريسه في مدارس الإناث بدمشق، وقد ختمه بمختارات رقيقة من الآيات مرتبة حسب حروف الهجاء، حتّى الطلبة على استظهارها والاستشهاد فيها؛ تمهيدا وتشويقا لمراجعة دواوين الشعر، واستظهار ما فيها، وهذا الكتاب على الرغم من صغر حجمه بحث في ما يزيد على ثمانين موضوعا في الأخلاق"^(٢)، وقد أُلّف الكتاب سنة ١٣٣١هـ، وطبع أول مرة مطبوعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٣٩هـ، في ١٥٠ صفحة.

ب- رسالة: ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع، وهي ظاهرة المحتوى من عنوانها، فقد ضمّنها الشيخ القاسمي رحمته الله الأحاديث الواردة في الحب في الله، والأحاديث الواردة في النهي عن التقاطع والتهاجر، وقد قال رحمته الله في مقدمتها: "وبعد: فهذه رسالة سميتها: "ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع"، ذكرت فيها شذرة مما ورد

(١) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب: جمال الدين القاسمي ص ١٢.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٧٢.

في ذلك عن النبي ﷺ^(١)، وقد ألقت الرسالة سنة ١٣١٣هـ، وطبعت أول مرة بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٠هـ، في ١١ صفحة، بتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

ج- رسالة: آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي، أو: آداب الدارس والمدرس، يقول الشيخ محمود مهدي الإستانبولي في وصف الرسالة: "كنت أظن أن هذه الرسالة من تأليفه، فأحببت أن أشرحها بشيء من التفصيل بحكم مهنتي واختصاصي، ولكن تبين لي بعد ذلك أنها ملخصة عن العلامة محي الدين النووي رحمته الله وهي مذكورة في شرح المهذب، وهذه الرسالة وإن كانت ليست للقاسمي كما ذكرنا، فإن إحياءها لها دليل فضله"^(٢)، وسبب تأليف الشيخ القاسمي لهذه الرسالة قد ذكره في مقدمتها حيث قال: "من استقرأ ما كتب في هذا الباب قديما وحديثا يَرَ عددا من المؤلفات والمقالات لا يأتي عليها الحصر، ولا يخفى أن لروح كل عصر مظهرا فيما كُتِب في واجباته ومطالبه، وكثير منها تبدل لميسر الحاجة إلى ما هو أهم منها، أو اختلاف العادات في أطوارها وشؤونها، إلا أن ما يتقاضاه العلم من آداب القائمين عليه دَرَسًا وتَدْرِيسًا تتلاقى أصوله مع كل زمان ومكان، لذا رأيت من المهم نَقْلُ أبداع ما كتب في هذا الباب؛ إذ الأمة لا تبلغ أوج المجد إلا بالعلم، ولا علم إلا بصلاح الدارس والمدرّس، والعالم والمتعلّم، إذ هم القائمون على تهذيب الملكات، وإرشاد العقول، والهادون إلى صراط الحق، وقد رأيت من أحسن ما جُمِعَ في مقاصد هذا البحث الجليل ما أورده محي الدين النووي -أحد أئمة الرواية والدراية المشاهير- في

(١) ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ ص ٣٧.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٦.

مقدمة "شرح المذهب"، فأثرت عنه خلاصة ما أثره عن أساطين الحكمة المتقدمين"^(١)، كما قال في خاتمتها: "وهذه النبذة من آداب المدرس والدارس، أو المعلم والمتعلم، مختصرة بالنسبة إلى ما جاء فيها في وصف أبوابها، وقد أردت إحياء ما قاله الأئمة المتقدمون في هذا، وتطويره ذكره، لما فيه من الفوائد والحكم والنصائح، التي هي نتيجة ما أوصى به السلف أمام استبحار العلوم ونضارتها في حضارة القرون الأولى، فليحرص المدرس والدارس عليها، وليحافظ المعلم والمتعلم على التخلق بها، والاهتمام بها، فثمرة العلم والعمل، وبالله الاستعانة وعليه المتكل"^(٢)، وقد ألفت الرسالة سنة ١٣١٧هـ، وطبعت أول مرة بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٣١هـ، في ٤٧ صفحة، بتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.



(١) آداب الدارس والمدرس: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ، ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق ص ٤٦.

المطلب السادس

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في جانب العلوم الشرعية

إنَّ للعلم مكانة عظيمة في الإسلام، ولقد اهتم ديننا الحنيف به أعظم اهتمام، ولذا كان أول ما نزل من القرآن العظيم أمر للنبي ﷺ ولكل فرد من أمته أن يقرأ ويتعلم، يقول الله ﷻ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (١)﴾، ولقد رافق هذا المكانة الرفيعة للعلم بيان آخر عن مكانة العلماء، وقد ورد ذلك في مواضع متعددة من القرآن الكريم، منها قوله ﷻ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٣)﴾، وقوله ﷻ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٤)﴾، ففي هذه الآيات إشارات واضحات الدلالة بأن العلماء يشهدون بالوحدانية المطلقة لله ﷻ، وأنهم يتميزون بعلومهم ومعارفهم وبإدراكهم عن الذين لا يعلمون.

وكما جاء في القرآن الكريم النص على فضل العلم والعلماء فقد جاءت السنة النبوية بذلك أيضا، ومن ذلك عن أبي أمامة الباهلي ؓ قال: ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ

(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٨.

(٣) سورة الزمر: ٩.

(٤) سورة المجادلة: ١١.

لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(١)، ويقول ﷺ أيضا: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ»^(٢)، ويقول ﷺ أيضا: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(٣)، فهذه الأحاديث وغيرها تدل بوضوح على مكانة العلم وأهميته وفضل معلمه ومنتعلمه، ومن هذه المكانة والفضيلة فقد حرص سلف الأمة على تعلم العلم وتعليمه، وقد رويت عنهم في ذلك آثار وأخبار، وكانوا يتنافسون على التعلم والتعليم حتى آخر لحظات حياتهم، ولقد درج العلماء المعاصرون على نهج سلف الأمة في هذا الأمر، ومن أولئك العلماء الأعلام الشيخ جمال الدين القاسمي ﷺ، فقد كان يرى أن طلب العلم عبادة لله ﷻ؛ لأن العلم وسيلة لكل عمل أو عبادة صحيحة، كما يرى أن الواجب أن يُطلب لوجه الله ﷻ، وقد ذكر في كتابه "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث"، تنمة في ذلك قال فيها ﷺ: "المقصد الأول: في أن طلب الحديث أن يتقى به الله ﷻ، وأن طلب الشارع للعلم لكونه وسيلة إلى التعبد به، قال العلامة أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات: كل علم شرعي طلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد به لله تعالى، لا من جهة أخرى، فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى فبالتبعية، ثم ساق الأدلة على ذلك، ومنها أن الشرع إنما جاء بالتعبد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وجود الكلام في ذلك على عادته ﷺ ثم قال: العلم الذي هو العلم المعترف شرعاً - أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق - هو: العلم الباعث

(١) رواه الترمذي في سننه برقم ٢٦٨٥، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ٤/٣٤٧، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٧٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ٧١، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ١/٢٥. رواه مسلم في صحيحه برقم ١٠٠، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ٢/٧١٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٩٩، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ٤/٢٠٧٤.

على العمل، الذي لا يُخلى صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه، طوعاً أو كرهاً"^(١)، ولقد كانت للشيخ القاسمي رحمته الله جهود دعوية واضحة في جانب العلوم الشرعية يمكن بيانها من خلال النقاط التالية:

١. الجهود في جانب التفسير وعلوم القرآن الكريم.

كان للشيخ القاسمي رحمته الله اهتمام خاص بالقرآن الكريم وتفسيره، وما يتعلق به من علوم، وكان يرى أن الاشتغال بالقرآن الكريم وتفسيره والتدقيق في أوجه فهمه أولى من تضييع الجهود والأوقات في فكِّ عبارات الحواشي، وتفصيل دقائق المتون، وقد أشار رحمته الله في مؤلفاته وكتبه إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- بين رحمته الله أهمية اهتمام العلماء وطلبة العلم بتفسير القرآن الكريم، وانتقد حال بعضهم ممن عاش في زمانه بسبب تقصيرهم في ذلك مع الاهتمام بالعلوم الأخرى، حيث قال: "ليت الفقهاء الذين أذابوا أدمغتهم في فهم عبارات من يقلدونهم وما يستنبط منها منطوقاً ومفهوماً، صرفوا هذه الأوقات لفهم القرآن وما يستنبط منه، لأتونا بالعجب العجاب، ونشلوا الأمة مما هي واقعة فيه من الجمود والتأخر"^(٢)، وكان يُحدث عن أحد الفقهاء الذين أوتوا ذكاء وفهماً في فهم طلاس الفقهاء، وفكِّ مشكلات عباراتهم، فيقول عنه: "لو كان مثل هذا العالم الذكي الذي أوتي من النبوغ ما أوتي، قد توجه بكلية نحو فهم القرآن، وأسرار القرآن، وحكم القرآن مع السنة، لكان أتاناً بما لا يحصى من الفوائد والتطبيقات التي تُحْيِي البشرية"^(٣).

ب- يرى رحمته الله وجوب ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، والاهتمام بتبيين معانيه

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٦٥١.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٨.

(٣) المرجع السابق ص ٥٨.

للمسلمين من غير العرب، والحرص على تقريب نصوصه لهم، لأن القرآن رسالة عامة لجميع البشر على اختلاف أصنافهم وألوانهم وألسنتهم، يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١): "أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه؛ فلا يكون لهم حجة على الله، ولا يقولوا: لم نفهم ما خاطبنا به، كما قال ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ عَلَيْنا مَاءٌ عَجَبٌ وَعَرَبِيٌّ﴾^(٢)، فإن قلت: لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم، وإنما بعث إلى الناس جميعا، ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّايَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾^(٣)، بل إلى الثقلين، وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة، فلغيرهم الحجة، وإن لم تكن لغيرهم حجة، فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضا. قلت: لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة؛ لأن الترجمة تنوب عن ذلك، وتكفي التطويل، فبقي أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول ﷺ؛ لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه، تُنقل عنهم وانتشر، وقامت التراجم ببيانه وتفهمه"^(٤).

ج- يرى ﷺ الاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم؛ وذلك لدلالة الخلق إلى كتاب الله ﷻ، وتعريف الناس بصدق وصحة هذا الدين، حيث يقول ﷺ في تأويل قوله ﷻ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾^(٥)

(١) سورة ابراهيم: ١٤.

(٢) سورة فصلت: ٤٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٤) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٦/ ٢٩٨.

(٥) سورة الشورى: ٢٩.

"﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ أي: حشرهم يوم القيامة، ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ أي: متمكن منه لا يتعذر عليه وإن تفرقت أوصالهم. تنبيه: ذهب بعض الباحثين في آيات القرآن الفلكية، والعوالم العلوية إلى معنى آخر في هذه الآية، وعبارته: يفهم من هذه الآية أن الله تعالى خلق في السموات دواب، وأن هذه الدواب ليست ملائكة كما قال المفسرون، بل حيوانات كحيوانات الأرض، ولا يبعد أن يكون بينهم حيوان عاقل كالإنسان، ويلزم لحياة تلك الحيوانات أن يكون في السموات نباتات وأشجار وبحار وأنهار كما تحقق في هذا العصر لدى علماء الرصد، وإن هذه الآية التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم قبل ألف وثلاثمائة وعشرين سنة، لآية لأهل هذا العصر وآية آية، آية لأهل العلم والفلسفة الذين يبذلون الأموال والأرواح بلا حد ولا حساب، ليتوصلوا إلى معرفة سر من أسرار الكائنات، ومع هذا الجد العنيف والجهد المتواصل منذ ثلاثمائة سنة، لم يتوصلوا إلا بالظن إلى ما أنبأت به هذه الآية، وجُلُّ ما توصلوا إليه بالبرهان العقلي، أن الأرض أصغر من الشمس، وأنها تدور حولها، وأن الكواكب السيارات كريات، وأن النجوم الثوابت شمس، ولها سيّارات تدور حولها، ولما ثبت لديهم جميعا وجود الماء والهواء، وحصول الصيف والشتاء في هذه السيّارات، ظنوا أنه يوجد فيها عالم كعالم الأرض، وبدأ البعض منهم يفكرون بإيجاد الوسائل للمخابرة الكهربائية مع سكان المريخ، الذي هو أقرب السيّارات إلينا، وليس ذلك بالمستحيل فنّا، وبدل على إمكانيته من آخر الآية نفسها وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾، فلا يبعد أن يتخابرا ويجتمعوا فكرا، إذا لم يجمعوا جسما، فلينظر الفلكيون إلى ما حوته هذه الآية المكنوزة في القرآن، وليعلم المعجبون ممّا بالعلوم العصرية الضاربون صفحا عن العلوم الإسلامية، ما في كتاب الله من الحكمة والبيان، ولا يخفى أن القرآن العظيم نزل لبيان الحق وتعليم الدين أولا وبالذات، لكن تمهيدا لهذه السبيل أتى بشذرات من العلوم الفلكية والطبيعية، وصرّف بصائر الناس إلى

التفكر في خلق السموات والأرض، وما هن عليه من الإبداع، فوجّه أبصارهم إلى التأمل في خلق الإنسان، وما هو عليه من التركيب العجيب، إلى غير ذلك من الأمور الفلكية والطبيعية في أكثر من ثلاثمائة آية، فالمفسرون -رحمهم الله- لما فسروا هذه الآيات، شرحوا معانيها على مقدار محيط علمهم بالعلوم الفلكية والطبيعية، ولا يخفى ما كانت عليه هذه الآلات في زمنهم من النقصان لا سيما علم الفلك، فهم معذرون إذا لم يفهموا معاني هذه الآيات التي تحيّر عقول فلاسفة هذا العصر، المتضلعين بالعلوم العقلية، لذلك لم يفسروا هذه الآيات حقّ تفسيرها، بل أولوها وصرفوا معانيها عن الحقيقة إلى المجاز أو الكناية"^(١).

د- أَلْفَ ﷺ في جانب التفسير وعلوم القرن الكريم الكتب والرسائل التالية:

١. كتاب: محاسن التأويل، وهو أجلّ كتب القاسمي ﷺ، وأكبرها عدداً، وأعظمها نفعا، يقول الشيخ محمود مهدي الإستانبولي في وصف الكتاب والثناء عليه: "وهو في تفسير القرآن الكريم كاملاً، وقد امتاز على سائر التفاسير الأخرى بأنه لم يكن مقلداً لواحد منهم، وإنما ينقل من كل تفسير خير ما فيه على طريقة السلف بعيداً عن التعطيل والتشبيه، كما امتاز تفسيره بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية والاستشهاد بفتاواه ومحاسن آرائه، وكان له مشرب خاص، فلا يقول: (أقول) إلا نادراً، وإنما يذكر آراءه بالنقل عن غيره ممن يثق بعلمه، وكان ﷺ يأخذ ببعض آراء المعتزلة إذا سندها الدليل، ولا يعتقد أن أحداً معصوم غير الرسول ﷺ، وكان في تفسيره يدعو إلى الاهتداء بالقرآن، واستنباط القوانين التي يعمل بها في جميع الأحكام، وأنه هو الهادي الوحيد الذي لم تتطرق إليه زيادة ولا

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٨ / ٣٦٩.

نقصان، وقد تكفل الله بحفظه"^(١)، وقد ابتدأ القاسمي رحمه الله كتابة تفسيره في صدر شبابه، حيث بدأ تأليفه سنة ١٣١٦هـ، وعمره حينها ٣٣ عاماً، وقد انتهى من مراجعته سنة ١٣٢٩هـ، أي أن استغرق في كتابته ومراجعته ما يقارب ١٣ عاماً^(٢)، وقد طبع الكتاب طبعة قديمة سنة ١٣٧٦هـ بمطبعة عيسى الحلبي في القاهرة، ونشر بدار إحياء الكتب العربية، بتعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، فجاء في ١٧ مجلداً، وعدد صفحاته ٦٣١٦ صفحة من غير المقدمة!!، أما طبعته الحديثة فقد طبعت سنة ١٤١٨هـ بدار الكتب العلمية في بيروت، بتحقيق محمد باسل عيون السود، وقد جاءت في ٩ مجلدات كبار من القطع الكبير والخط الدقيق، وقد استغرقت المقدمة جزءاً كاملاً في الطبعة القديمة، و٢٠٠ صفحة من الجزء الأول من الطبعة الحديثة، وفيها أمور مهمة، حيث تحدث فيها الشيخ القاسمي رحمه الله بإسهاب عن مسائل تتعلق بعلم التفسير، وبعض علوم القرآن الكريم، وجعل هذه المقدمة على شكل قواعد لتفسيره، ذكرها في ١١ قاعدة، وقد جاءت عناوين القواعد كالتالي:

- الأولى: في أمهات مآخذ التفسير، حيث تكلم عن تفسير القرآن بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة، ثم تفسير القرآن بأقوال التابعين، ثم التفسير بالرأي المعتمد على العلم باللغة، وما يتطلبه القول في التفسير من المعرفة بالعلوم الشرعية الأخرى المساعدة من علوم الآلة وغيرها.
- الثانية: قاعدة في معرفة صحيح التفسير، وأصح التفاسير عند الاختلاف.
- الثالثة: في أن غالب ما صح عن السلف من الخلاف يرجع لاختلاف تنوع لاختلاف

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٧.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٨٤.

تضاد.

- الرابعة: في معرفة سبب النزول.
- الخامسة: في النسخ والمنسوخ.
- السادسة: قراءة في القراءات الشاذة والمدرجة.
- السابعة: في قصص الأنبياء والاستشهاد بالإسرائيليات.
- الثامنة: في أن كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء.
- التاسعة: قاعدة في أن الشريعة أمية، وأنه لا بد في فهمها من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم.
- العاشرة: قاعدة الترغيب والترهيب في التنزيل الكريم.
- الحادية عشرة: قاعدة في أنه: هل في القرآن مجاز أم لا؟.

وهذه القواعد أكثرها منقول من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن كتاب "الموافقات" للشاطبي، ومن غيرهما، وهي مهمة جدا لطالب العلم، -خاصة طالب علوم القرآن الكريم، وعلوم التفسير وأصوله- ولا غنى له عن النظر فيها، ودارستها على حدة. ولم يخرج الشيخ القاسمي رحمته الله في تفسيره عن هذه القواعد التي وضعها^(١).

ويقول الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري في وصف تفسير القاسمي، والثناء عليه: "والحق أن القاسمي رحمته الله قد قرأ كثيرا من كتب السابقين، ونقل الكثير في تفسيره، حتى أن كثيرا من الآيات جاء شرحها معزوا إلى غيره، وهذه أمانة في نقله رحمته الله دون أن يشترك بتعقيب، ولكنه تمتع بميزة حسنة، وهي البعد عن مسائل النحو والبلاغة ونظريات الفلسفة

(١) انظر: القاسمي ومنهجه في تفسيره محاسن التأويل: ابراهيم بن علي الحسن ص ٩٧.

والمنطق والإيغال فيها، وقد يقول قائل: ما فائدة هذه المقدمة الطويلة، وقد طبعت الكتب التي أخذها منها؟، فيقال: إن القاسمي رحمه الله عاش في زمان أهله اجتمعوا على التعصب والتقليد، والطباعة لم تكن متوفرة في زمانه، فالطباعة نادرة بل تكاد تكون مفقودة، ولذلك فالناس لم يَطَّلِعُوا على هذه الكتب ولم تطبع، فكان اختياره وجمعه لهذه النقول من كتب العلماء ثم إخراجها في هذا التفسير فتحاً كبيراً، ولذلك فعندما تقيس تفسير جمال الدين القاسمي أو تقيس كتاب "روح المعاني" للألوسي، ففسها بزمانها، وتأمل الفائدة العظمى لهذه الكتب في ذلك الزمان، ولا تنظر إليها نظرة من يقرأ في كتب هذا الزمان الذي طبعت فيه الكتب، وامتألت المكتبات بكتب التفسير المتقدمة والمتأخرة، فلا يقال: هذه مجرد نقولات ولا فائدة منها، كلا، وإنما فائدته عظيمة في زمانه، فقد استفاد منه الناس، وتعرفوا على هذه القواعد وهذه الأصول المهمة، التي لا يستغنى عنها طالب علم التفسير"، ثم يضيف الدكتور الشهري أيضاً مبيناً منهج القاسمي في كتابه، من حيث العناية بالتفسير المأثور، والاهتمام بالقراءات واللغة العربية، وتبيين آيات الأحكام وما يتعلق بها من مسائل ونحو ذلك من مسائل التفسير قائلاً في نقاط:

- أولاً: عني القاسمي رحمه الله بالتفسير بالمأثور كثيراً، ولا غرابة في ذلك، فهو قد نشأ على تعظيم هذا اللون من التفسير، وعلى تعظيم الكتاب والسنة وقول السلف، والعودة إلى ذلك، وتدارسه، ودعوة الناس إليه.
- ثانياً: كان يعنى بالقراءات في تفسيره، ويبين أثرها في المعنى، فكان يذكر القراءات المتواترة والقراءات الشاذة، ولا سيما التي تكون لها اثر في المعنى، فيفصل فيها، ويعزوها إلى القراء الذين قرأوا بها، ويذكر توجيه هذه القراءات، ويعتمد في ذلك على كتب توجيه القراءات المعروفة، مثل: كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي، وغيره من الكتب.
- ثالثاً: كان يعنى باللغة العربية، فاعتمد في بيان الألفاظ على كتب غريب القرآن،

واعتمد أيضا على كتب المعاجم اللغوية، كـ"الصحاح" للجوهري، و"العين" لخليل بن أحمد الفراهيدي، وغيرها من كتب المعاجم التي اقتصرت أو عنيت بالصحيح من لغة العرب.

■ رابعا: كان يعنى بآيات الأحكام، فقد اعتنى بها عناية كبيرة، وكان يُفصّل فيها، ويناقش أقوال المفسرين في تفسيرها، والترجيح بينها.

■ خامسا: أورد كثيرا من الإسرائيليات في تفسيره، غير أنه كان يصدرها بما يدل على ضعفها، مثل: قيل، أو: روي، أو: ذكر في كتب بني إسرائيل كذا وكذا، ثم ينبّه إلى أنها من الإسرائيليات، وينبه إلى فسادها وضعفها وغلطها، مستفيدا ممن سبقه من المفسرين، ولا سيما ابن كثير في تفسيره، وأحيانا ينقل الإسرائيليات من كتب أهل الكتاب أنفسهم، فينقل من التوراة، وينقل من الإنجيل، والذي جعله يذهب هذا المذهب هو أنه عاش في صدر القرن الرابع عشر وما بعده، وكانت الأمة الإسلامية في هذا الوقت في حالة من الضعف والتفكك، وكانت الدول الغربية في بداية بأسها وعنفوان قوتها، ولذلك استعمرت معظم بلاد العالم الإسلامي في ذلك الزمان، وكثر المستشرقون الطاعنون في القرآن الكريم والمشككون فيه، وكانوا يوردون مطاعن في القرآن الكريم يحتاج الذي يردها أن يرجع إلى المصادر التي اعتمدها، ويُفند أقوالهم بأسلحتهم نفسها، فكان يرجع إلى كتبهم فيبين الكذب الذي يخلقونه، ويبين التزييف الذي يرتكبونه في تهمهم وفي طعونهم على القرآن الكريم، فكانت هذه ميزة من أفضل ميزات تفسير الإمام القاسمي رحمه الله.

■ سادسا: الإمام القاسمي كان مصلحا اجتماعيا قبل أن يكون عالما، فقد كان يعنى بإصلاح أوضاع الناس، ودعوتهم إلى الكتاب والسنة، وتطبيق الإسلام في الواقع العملي، ولذلك ترى هذه الصبغة في تفسيره، فهو لا يكاد تمرّ أي آية من الآيات التي تحث على إتباع القرآن والسنة وإتباع أقوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،

إلا ويدعو الناس إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وإلى هذا النبع الصافي، وإلى هذا المعين الذي لا ينضب.

- سابعاً: تجد في بعض المواضع في تفسيره عناية بنقل أقوال العلماء غير الشرعيين، مثل: الأطباء، وأهل الفلك، فمثلاً: عندما يذكر تحريم لحم الخنزير، ينقل عن بعض الأطباء الأضرار التي تترتب على أكل لحم الخنزير، فكأنه يبحث عن الحكمة التي من أجلها حرم الله ﷻ أكل لحم الخنزير، وعندما يأتي الحديث عن آيات كونية تتعلق بالفلك أو بالشمس والقمر، فإنه ينقل أيضاً أقوال علماء الفلك.
- ثامناً: الإمام القاسمي أكثر جداً من نقول العلماء، فهذه صفة غالبية على تفسيره، حيث قال بعض الباحثين: إنه ليس له في تفسيره إلا ترتيبه فقط، وأما صلب التفسير فنقول عن العلماء، ولذلك يقول أحدهم: لو قيل لتفسير القاسمي في كل جزء منه، عد إلى الكتاب الذي جئت منه، لما بقي للإمام القاسمي منه شيء، لكن القارئ للكتاب يلمس للقاسمي أثراً واضحاً فيه، فهو ينقل بمعرفة وعلم، ويعقب ويرجح ويختار، وإن كان أحياناً يُورد أقوالاً متعارضة دون التعقيب عليها، وأحياناً يستطرد فيطيل الكلام في مكان الاختصار، ولذلك طال الكتاب جداً، ولذلك لما اتهم بهذه التهمة قال ابنه ظافر القاسمي رحمته الله: إن أبي كان يعلم أنه لو ذكر قوله، فإن الناس لا يقبلونه في ذلك الوقت الذي كانوا ينبذون فيه الاجتهاد، وينبذون فيه الرأي الحر، فكان يلجأ إلى نقل أقوال العلماء المتقدمين الذين يوافقون ما يذهب إليه ويؤيدون مذهبه، حتى يقبل الناس هذا القول، في حين أنه لو نسب هذا القول إلى نفسه فربما لا يقبله الناس^(١)، وهذه حجة فيها

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٧١.

جانب من الصواب.

■ تاسعا: عني القاسمي رحمته الله بمنهج السلف في العقيدة، على مذهب أهل السنة والجماعة، فهو من أتباع شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من أئمة السلف من قبل ومن بعد، ولذلك تعرض لمضايقات كثيرة بسبب هذا المنهج، فاتهم بـ "الوهابية" وحقق معه، واتهم بتسفيه آراء الأئمة المتقدمين من أصحاب المذاهب، وقد خرج بريئا من تلك المحن، وهو أقوى ما يكون حجة، وأصلب عودا، والناظر في تفسيره يرى منهج السلف ظاهرا، فهو يكثر النقل عن علماء السلف، ويورد حججهم وأدلتهم وردودهم على شبه الخصوم، مما يؤكد أن المؤلف رحمته الله كان يجعل كل همه الإصلاح ليس إلا، وقد أكد في مقدمة تفسيره: أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف، وأورد فيه نقولا لبعض العلماء في إثبات ذلك، كما اعتمد على تفاسير السلف ومدوناتهم الكبيرة، مثل: تفسير ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن كثير، وغيرهم، من أهل التفسير^(١).

وقد اختصر تفسير "محاسن التأويل" في كتاب بعنوان: "ريُّ الغليل من محاسن التأويل" لمختصره الشيخ الدكتور صلاح الدين أرقه دان^(٢)، وقد عمد إلى استخلاص رأي

(١) نقلت هذه السطور بتصرف واختصار من حلقات برنامج تلفازي، بعنوان: أهل التفسير، الحلقة ٢٣، يقدمه فضيلة الشيخ الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري، وقد بثت حلقاته على قناة المجد العلمية، ويوجد تسجيل مرئي وصوتي وتفرغ كتابي لحلقات البرنامج بموقع ملتقى أهل التفسير، والذي يشرف عليه ذات المقدم، وهو أستاذ مشارك بجامعة الملك سعود بالرياض بقسم الثقافة الإسلامية بكلية التربية، وهو المشرف العام على مركز تفسير للدراسات القرآنية، والمشرف على ملتقى أهل التفسير.

(٢) صلاح الدين سليم أرقه دان، ولد بمدينة صيدا بלבنا سنة ١٣٧٢هـ، دَرَسَ الفقه الإسلامي بجامعة دمشق، كما دَرَسَ اللغة العربية وآدابها بالجامعة اللبنانية، حصل على الماجستير في الأدب، ثم حصل على الدكتوراه في التفسير، مارس التعليم من سنة ١٣٩٣هـ وحتى الآن، أسس عدداً من المؤسسات الاجتماعية بلبنا، ويعمل حالياً أستاذاً بجامعة

القاسمي وتفسيره مما عرضه من آراء السابقين وتفسيرهم، فتمكن بذلك من تقديم تفسير مختصر جامع ماتع، وقد جاء المختصر في مجلد واحد من ٦٣٦ صفحة، وقد طبع بدار النفائس في بيروت سنة ١٤٣٠هـ^(١).

٢. كتاب: شرح مجموع ثلاث رسائل في أصول التفسير وأصول الفقه، وهي ثلاث رسائل جمعها الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله، الأولى: في أصول التفسير للإمام جلال الدين السيوطي، وهي أهمها، والثانية: في أصول الفقه لابن حزم، والثالثة: مجمع الأصول ليوسف بن عبد الهادي، وقد جمعها رحمته الله ثم حققها وشرحها وعلق على حواشيتها، وقد طالع هذه الرسائل وأثنى عليها في مجلة "المقتبس" الشيخ محمد كرد علي رحمته الله^(٢)، وقد طبع هذا المجموع أول مرة سنة ١٣٢١هـ، في مطبعة الفيحاء بدمشق، في ٦٣ صفحة.

٣. كتاب: النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية في علم التجويد، وهو كتاب شرح فيه الشيخ القاسمي رحمته الله متن "المقدمة الميدانية" في علم التجويد، مؤلفه الشيخ علي بن أحمد الميداني، وقد قال القاسمي في مقدمة كتابه: "أما بعد: فإن أولى ما تصرف فيه الهمم العوال، كلام الله المتعال، وأهم ما يبتدأ به تجويد آياته، وإصلاح المنطق بكلماته، وكان من أقرب ما ألف للمبتدئ في هذا الفن الرسالة الشهيرة بـ"الميدانية"، وفي سنة ١٣٠٣هـ كتبت عليها بعض تعليقات سميتها "النفحة الرحمانية"، ثم طلب مني بعد تنقيحها ضمّ تكملة لها في آداب التالّي والتلاوة، فأجبت وعلى الله توكلت"^(٣)، وقد ألف الكتاب سنة ١٣٠٣هـ، وهو أول

الخليج للعلوم والتكنولوجيا في الكويت، وله عدد من الكتب والأبحاث المنشورة. انظر ترجمته: (ويكيديا).

(١) انظر: ربيّ الغليل من محاسن التأويل: د. صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ، ص ١٠.

(٢) انظر: مجلة المقتبس: العدد ٨٦ ص ٧٢، مقال بعنوان: مخطوطات ومطبوعات، لمحمد كرد علي.

(٣) النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية: جمال الدين القاسمي، روضة الشام، دمشق، ط ١، ١٣٢٣هـ، ص ٢.

مؤلفات القاسمي^(١)، وقد اطلع عليه واستحسنه جمع من علماء دمشق وفضلائها^(٢)، وقد طبع أول مرة بمطبعة روضة الشام في دمشق سنة ١٣٢٣ هـ في ٣٤ صفحة.

٢. الجهود في جانب السنة النبوية وعلومها.

كان للشيخ القاسمي رحمته الله اهتمام واضح بالسنة النبوية وشروحيها، وما يتعلق به من علوم، وكان يرى أن شرف الاهتمام بالسنة النبوية مرتبط بشرف كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الاشتغال بها كأنه جلوس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أشار رحمته الله في مؤلفاته وكتبه إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- ذكر رحمته الله شرف علم الحديث النبوي وفضل الاعتناء به وروايته، حيث نقل في ذلك كلاما نفيسا للإمام النووي رحمته الله فقال: "إن من أهم العلوم تحقيق معرفة الأحاديث النبويات، أعني معرفة متونها صحيحها وحسنها وضعيفها وبقية أنواعها المعروفة، ودليل ذلك: أن شرعنا مبني على الكتاب العزيز والسنن المرويات، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهيات؛ فإن أكثر الآيات الفروعيات مجملات، وبيانها في السنن المحكمات، وقد اتفق العلماء على أن من شرط المجتهد من القاضي والمفتي أن يكون عالماً بالأحاديث الحكميات، فثبت بما ذكرناه أن الاشتغال بالحديث من أجل العلوم الراجحات، وأفضل

(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٥٤.

(٢) قرّظ الكتاب كلا من: شيخ قراء الشام الشيخ أحمد الحلواني، ومفتي الشام الشيخ محمد الميني، وشيخ شيوخ الشام الشيخ بكري العطار، وشيخ الطريقة النقشبندية الصوفية الشيخ محمد الخاني، وإمام المالكية الشيخ أحمد الجزائري، أخو الأمير الشيخ عبد القادر الجزائري، وشيخ السلفية في الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار، وخال والده السيد الشيخ حسن جبينه الدسوقي، والأستاذ الشهير بابن سنان الشيخ رشيد قزيها، والشيخ محمد المبارك الجزائري، والشيخ عبد المجيد ابن الشيخ محمد الخاني، وكل هؤلاء يثني على الكتاب ومؤلفه ثناء عاطراً، وقد صحح نسخة هذا الكتاب قبل طبعه، وجمع التقاريف عليه في خاتمته، شقيق القاسمي الشيخ قاسم خير الدين. انظر: النسخة الرحمانية شرح متن الميدانية: جمال الدين القاسمي ص ٢٤ وما بعدها.

أنواع الخير وأكد القربات، وكيف لا يكون كذلك وهو مشتمل على بيان حال أفضل المخلوقات، عليه من الله الكريم أفضل الصلاة والسلام والبركات، ولقد كان أكثر اشتغال العلماء بالحديث في الأعصر الخاليات، حتى لقد كان يجتمع في مجلس الحديث من الطالبين ألوف متكاثرات، فتناقص ذلك وضعفت الهمم فلم يبق إلا آثار من آثارهم قليلات، والله المستعان على هذه المصيبة وغيرها من البليات، وقد جاء في فضل إحياء السنن المماتات أحاديث كثيرة معروفة مشهورات، فينبغي الاعتناء بعلم الحديث والتحريض عليه لما ذكرنا من الدلالات، ولكونه أيضًا من النصيحة لله تعالى وكتابه ورسوله وللأئمة والمسلمين والمسلمات، وذلك هو الدين كما صح عن سيد البريات، ولقد أحسن القائل: من جمع أدوات الحديث استنار قلبه واستخرج كنوزه الخفيات، وذلك لكثرة فوائده البارزات والكامنات، وهو جدير بذلك، فإنه كلام أفصح الخلق ومن أعطى جوامع الكلمات، صلى الله عليه وآله وسلم صلوات متضاعفات" (١).

ب- اهتم رحمته الله بمطالعة كتب السنة، وكان يحث الطلاب على اغتنام الأوقات في دراستها ومطالعتها، والهمة والصبر في قراءتها، ويذكر في ذلك حاله رحمته الله في قراءته لكتب السنة النبوية، وكيف أنه ختم مجموعة منها في أيام قليلة، حيث يقول: "وليس بعزيز على ذي الهمة الجليلة أن يسمع المتن في أيام قليلة، فكم من محدث قرأ "البخاري" ونحوه في مدة وجيزة، وقد اتفق لي بحمده تعالى قراءة "صحيح مسلم" بتمامه رواية في ٤٠ يومًا، وقراءة "سنن ابن ماجه" كذلك في ٢١ يومًا، وقراءة "الموطأ" كذلك في ١٩ يومًا، وقراءة "تهذيب التهذيب" مع تصحيح سهو القلم فيه، وتحشيته في نحو ١٠ أيام، فدع عنك أيها اللائم

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٥٦.

الكسل، واحرص على عزيز وقتك بدرس العلم وإحسان العمل"^(١).

ج- يَنْبَغِيُّ حَالُ السَّلَفِ - رَحْمَهُمُ اللَّهُ - وَحَثُّهُمْ عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، حَيْثُ أُورِدَ عِدَدًا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ مِنْهَا: "كَانَ الْأَعْمَشُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِمَلَازِمَةِ السَّنَةِ وَعِلْمِهَا لِلْأَطْفَالِ، فَإِنَّهُمْ يَحْفَظُونَ عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ إِذَا جَاءَ وَقْتُهُمْ، وَكَانَ وَكَيْعُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِ الْأُئِمَّةِ الْمُجْتَهِدِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ، فَإِنَّهُمْ يَكْتُبُونَ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالرَّأْيِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُبُونَ قَطُّ مَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَكْتُبُوا عَنِّي كُلَّ مَا أَفْتَيْتُ بِهِ، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ الْحَدِيثُ، وَلَعَلَّ كُلَّ شَيْءٍ أَفْتَيْتُكُمْ بِهِ الْيَوْمَ أَرْجِعُ عَنْهُ غَدًا، وَكَانَ الْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَالْقَوْلَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى بِالرَّأْيِ، وَعَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِ السَّنَةِ، فَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا ضَلَّ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مَرَّةً رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَالْحَدِيثَ يَقْرَأُ عِنْدَهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: دَعُونَا مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ!!، فَزَجَرَهُ الْإِمَامُ أَشَدَّ الزَّجْرِ، وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَهُ: لَوْلَا السَّنَةُ مَا فَهَمَ أَحَدٌ مَنَا الْقُرْآنَ، وَقِيلَ لَهُ مَرَّةً: قَدْ تَرَكَ النَّاسُ الْعَمَلَ بِالْحَدِيثِ وَاقْبَلُوا عَلَى سَمَاعِهِ، فَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نَفْسُ سَمَاعِهِمْ لِلْحَدِيثِ عَمَلٌ بِهِ، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لَمْ تَزَلْ النَّاسُ فِي صَلَاحٍ مَا دَامَ فِيهِمْ مَنْ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ، فَإِذَا طَلَبُوا الْعِلْمَ بِلَا حَدِيثٍ فَسَدُوا، وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ أَيْضًا: لَا يَنْبَغِيُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ قَوْلًا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ شَرِيْعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَقْبَلُهُ، وَالْآثَارُ فِي الْحَثِّ عَلَى الْحَدِيثِ عِنْدَ السَّلَفِ وَافِرَةٌ"^(٢).

د- ذَكَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَظِيمَ صَنِيعِ الْمُحَدِّثِينَ، وَأَيَادِيهِمُ الْبَيْضَاءَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُ لَا مِنْ شُكْرِ مَسَاعِيهِمْ، وَبَيَانَ جَهْدِهِمْ حَيْثُ قَالَ: "دَفَعُوا عَنِ الدِّينِ صِنْعَ الْوَضَاعِيِّينَ، وَانْتِحَالَ الْمَفْتَرِينَ، وَذَبَوْا الْكُذْبَ عَنِ الرَّسُولِ الصَّادِقِ، بِمَا مَهْدُوهُ مِنْ تَحْرِي كُلِّ رَاوٍ مُوَافِقٍ، فَدُونُوا مَا سَمِعُوهُ

(١) الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٥٤.

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٦٩.

بالسند، فرارًا عن الرمي باتباع الأهواء، وتحكيم الآراء، فاستبرأوا لدينهم بجليل هذا الاحتياط، ودرّبوا الأمة على التثبت في توثيق عرى الارتباط، فالاعتراف بآثارهم الحسنة أمر واجب، وشكر فضلهم لا يقصّر عنه إلا من هو عن الاتباع ناكب، ولولا أخذهم بناصية ما دونه من صحيح السنة لانتالت على الناس جرائم الأباطيل المستكنة، التي رزي بها الدين في عصر الوضاعين المنافقين، الذين دخلوا في دين الله للتشويش، فرد الله كيدهم بتنقيب المحدثين من خرافاتهم، ودأبهم في التفتيش حتى أشرفت شمس صحاح الأخبار، وانبعثت أشعتها في الأقطار، وتمزقت عن البصائر حجب الجهالة، وأغشية الضلالة، فرحم الله تلك الأنفس التي نهضت لتأييد الدين، ورضى عمن أثارهم من اللاحقين، آمين" (١).

هـ- كان يرى ﷺ أنه لا يجوز الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة، وينصح من يستشهد بها أن يشير إلى ضعفها، ويرى أن كل من يلجأ إلى الأحاديث الضعيفة فكأنه يعلن أن الشريعة قاصرة، وأنه لا بد من إتمامها بهذه الأحاديث الضعيفة، فيقول: "رحم الله الإمام مسلم، فقد قال في مقدمة صحيحه: كل من يروي الأحاديث الضعيفة وهو عارف بها، فهو آثم، غاش للمسلمين"، وقد ذكر القاسمي ﷺ سهواً في أحد كتبه حديثاً طعن فيه المحدثون، فلما نبّهه إلى ذلك بعض أعداءه سرّ وقال: "يا ليت هؤلاء الجامدين يشغلون أوقاتهم في الكتاب والسنة، وينبهوني عن هفواتي لأجتنبها، غير أنهم ويا للأسف يشغلون جميع أوقاتهم في خدمة آراء الرجال وفهم كلامهم، ويُعْرِضُونَ عن الاشتغال بالكتاب والسنة، وَيَصُدُّونَ الناس عنها، فهم يملأون خطبهم ومواعظهم ودروسهم بالأحاديث الموضوعية والضعيفة؛ لِيُضِلُّوا بها العامة، ويحصلوا على أموالهم، وإذا سئلوا عن حديث ذكره عمن

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٨٣.

رواه من المؤلفين؟ وما درجته من الصحة؟ فإما أن يتهربوا من السؤال، أو أن يكذبوا في العزو"^(١).

و- احترامه ﷺ لأحاديث النبي ﷺ، وكان يرى أنه لا يجوز معارضة الأحاديث الصحيحة الصريحة بأقوال الفقهاء مهما كانت درجتهم من العلم، وقد جرى بينه وبين شيخه الشيخ بكري العطار ﷺ موقفا يدل على ذلك، فقد قرأ شيخه حديث صحيحا، ثم قال بعد تلاوته: إن هذا الحديث مشكل، لأنه يخالف مذهب الشافعي الذي نحن عليه، فأجابه القاسمي ﷺ قائلا: يا أستاذ، هل الإشكال في الحديث الصحيح الصريح في الحكم أم الإشكال في المذهب الذي خالفه؟، فتنبه عند ذلك الشيخ العطار ﷺ، وأدرك خطأه، وقال له: صدقت، فإنه لا إشكال في الحديث، إنما الإشكال في مذهبنا الذي خالفه"^(٢).

ز- كان ﷺ له أقوال متعددة ورائعة لها علاقة بالسنة النبوية وعلومها، منها قوله ﷺ: "المرء يفخر وينافس أقرانه إذا لقي رجلا من كبار العلماء، وحادثه ساعة من الزمان، فكيف إذا استطاع أن يقيم معه ويحادثه مدة حياته، وهكذا من نظر في كتب الحديث فهو محادث للنبي ﷺ ومطلع على هديه وأخباره، كما لو ساكنه وعاشه وشافه"^(٣)، ومنها أيضا قوله ﷺ: "إنني أحترم كل من يكتب في التفسير والحديث في المسائل المهمة ولو كراسا واحدا، فهو أفضل بكثير ممن يعمل الشروح في القضايا والمسائل المعروفة"^(٤)، ويقول أيضا ﷺ: "إن خير طريقة لنشر مذهب السلف الانكباب على دراسة كتب السنة

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨١.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٨.

(٣) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٣٦٨.

(٤) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٠.

الصحيحة"^(١)، ويقول أيضا رحمه الله: "إذا أردت أن تدعو أحدا إلى الإسلام الصحيح فحُثّه على دراسة كتب السنة الصحيحة كالبخاري ومسلم"^(٢)، ويقول أيضا: "ولا يجوز ترك آية أو خبر صحيح لقول صاحب أو إمام، ومن يفعل ذلك فقد ضل ضلالا مبينا وخرج عن دين الله"^(٣).

ح- أَلَّفَ رحمه الله في جانب السنة النبوية وعلومها الكتب والرسائل التالية:

١. كتاب: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، وهو كتاب جمع فيه الشيخ القاسمي رحمه الله ما افترق في الكتب والمخطوطات من علوم مصطلح الحديث، ويعتبر الكتاب من أعظم ما ألفه رحمه الله ويقول في مقدمته عن سبب تأليفه له: "وإن من أعظم ما يسعى إليه الساعون، ويتنافس في الدعوة إليه المتنافسون، علوم الحديث الكاشفة النقاب، عن جمال وجوه مجملات الكتاب، والمدار لتفصيل الأحكام، وتبيين أقسام الحلال والحرام، إذ مستندها ما صحَّ من الأخبار، وثبت حسنه من الآثار، ولا طريق لتعريف ذلك إلا بما اصطلح عليه من أصول تلك المسالك، ولما كان الشيء يشرف بشرف موضوعه أو بمسبب الحاجة إليه، كان فن المصطلح مما جمع الأمرين وفاز بالشرفين؛ لأنه يُبصِّر من سواء السبيل الجواد، ويرقى الهمم لتعرف سنن الرشاد، وإني منذ نشقت من علم الحديث أَرَجَ أردانه، حتى عُمْتُ من بحره في زاخره، وجريتُ طلقاً في ميدانه، لم أزل أُسرح طرق الطَّرْفِ في رياضه، فاستخرت الله فيما قصدت، وتوكلت عليه فيما أردت، وشرعت في جمع لبابه، والمهمات من أبوابه، وإبراز دوائنه وكنوزه، وحلّ غوامضه ورموزه، ومن الكتب المعولِّ عليها، والأصول المرجوع إليها، حتى غدا جامعاً لمجمع المصطلحات، وحاصراً

(١) المرجع السابق ص ٨٣.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨.

(٣) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٣٧.

لأمهاتها المعثرات، مع تنبيهات نافعة، وتنويرات ساطعة، وقد سمّيته: "قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث" ورتبته على مقدمة، وعشرة أبواب مذيّلة بخاتمة، في فوائد متنوعة، يضطر إليها الأثري، ثم بتتمة في مقصدين بديعين، وعلى الله التكوان، في كل وقت وأوان، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" (١)، وقد جاءت عناوين الأبواب كالتالي:

- الأول: في التنويه بشأن الحديث.
- الثاني: في معنى الحديث.
- الثالث: في بيان علم الحديث.
- الرابع: في معرفة أنواع الحديث.
- الخامس: في الجرح والتعديل.
- السادس: في الإسناد.
- السابع: في أحوال الرواية.
- الثامن: في آداب المحدث وطالب الحديث.
- التاسع: في كتب الحديث.
- العاشر: في فقه الحديث.

وقد ضمت أبواب الكتاب مباحث أصيلة في علوم الحديث، بالإضافة إلى مباحث مستمدة من علوم أخرى يلزم طالب الحديث معرفتها، وقد تميّز الكتاب بحسن التبويب والتقسيم، وحسن صناعة العناوين، والتجديد في ترتيب أنواع الحديث، كما أن الكتاب تميز أيضا بظهور شخصية الشيخ القاسمي الإصلاحية الدعوية فيه إلى جانب ظهور

(١) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ٤٥.

شخصيته الحديثية، ومن الأمثلة على ذلك: أسلوبه ﷺ الذي قاوم به الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كانت بضاعة رائجة على ألسنة الخطباء في عصره، ومعارضته ﷺ بعض البدع التي رافقت بعض علوم السنة في عصره، كبدعة قراءة "صحيح البخاري" عند نازلة الوباء، وبدعة الاحتفال في رجب^(١)، وقد اطلع على هذا الكتاب عدد من أهل الفضل والعلم، وأثنوا عليه وعلى مؤلفه ثناء عاطرا، ومن اطلع عليه وقدم للكتاب بمقدمة رائعة كلا من الشيخ محمد رشيد رضا، والأمير شكيب أرسلان، يقول الشيخ محمد رشيد رضا ﷺ في وصف الكتاب والثناء عليه: "فهو الحقيق - أي القاسمي - بأن يُقرأ ما كتبه، ويُحصى ما جمعه، لتحريره النفع، وحسن اختياره في الجمع، وسلامة ذوقه في التعبير والتقسيم والترتيب والوضع، وقد بلغ في مصنفه هذا سدرة المنتهى من هذا العلم الاصطلاحي المحض، الذي يوعى بكد الحافظة، وتستنبط بقوة الذاكرة"^(٢)، ويقول الأمير شكيب أرسلان ﷺ في الثناء على الكتاب أيضا: "رأيت من هذا الكتاب في حسن ترتيبه وتبويبه، وتقريب الطرق على مرید الحديث، والإحاطة بكل ما يلزم المسلم معرفته من قواعد هذا العلم الشريف ما يقضي بالعجب لمن لم يكن يعرف علو درجة المؤلف، ولكنه مما لا يعجب منه مثلي ممن حضروا مجالسة الزاهرة، وسمعوا تقريراته الساحرة"^(٣)، ونظرا لمكانة الكتاب العلمية فقد قرّر تدرسه في عدد من المعاهد والجامعات وحلق دراسة

(١) انظر: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي وجهوده الحديثية: محمد أنس سرميني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٣١ هـ ص ١٣٢.

(٢) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ١٣. مجلة المنار: مجلد ٣٤ ص ٦١٣، مقالة بعنوان: كتاب قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، لمحمد رشيد رضا.

(٣) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي ص ١١.

الحديث في المساجد^(١)، وقد ألف الكتاب سنة ١٣٢٤هـ، وطبع أول مرة سنة ١٣٤٢هـ، بمكتب النشر العربي في دمشق، في ١٤٤ صفحة.

٢. رسالة: ميزان الجرح والتعديل، وهي رسالة ألفها القاسمي رحمته الله لمناقشة مسألة رواية الأئمة المحدثين عن المبتدعة، وعلاقة ذلك باباب الجرح والتعديل، وقد ذكر رحمته الله سبب تأليفه للكتاب في مقدمته حيث يقول: "هذا بحث جليل، ومطلب خطير، طالما جال في النفس التفرغ لكتابة شيء فيه، يكون لباب اللباب في هذا الباب الذي اختلف فيه الناس لما غلب التعصب على النفوس، ونبذوا مشرب كبار المحدثين رواة السنة وهداة الأمة، حتى سنحت لي فرصة كتبت فيها ترجمة حافلة للإمام البخاري جعلتها مفصلة بتراجم متنوعة كان منها: تخريج البخاري عمن رُمي بالابتداع، وهم الذين أسميهم "المُبدَعين"^(٢)، ذكرت ثمة ما يناسب تأليف الترجمة، ثم رأيت أن المقام يستدعي زيادة بسط وإسهاب، ودرأ شبه واحتمالات، وأوردها بعض الفقهاء خالف فيها الحقيقة، فخشيت أن يطول بإيرادها في ترجمة البخاري الكلام ويشبه الخروج عن الموضوع، فأفردت تنمة هذا البحث في مقالة خاصة تحيط به من أطرافه، وترده على أنحاءه، وهذا البحث من جملة المباحث العلمية التي نسيها الخلف أو أضاعوها، ولا غرو أن يذهل عن الغايات من يُقَصِّرُ في البدايات، ولا حول ولا قوة إلا بالله"^(٣)، وقد عرض القاسمي في رسالته هذه عدة أدلة لإثبات أن بعض الرواة من المبتدعة إنما هم مبدعون من قبل غيرهم، وليسوا مبتدعون أصالة، ولذلك كان علماء الإسلام كالبخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث يرون عنهم، ولذلك فإن شروط الرواية تتلخص في الإسلام، والتحلي بالصدق والأمانة في

(١) انظر: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي وجهوده الحديثية: محمد أنس سرميني ص ١٣٧.

(٢) يقصد كل من رمي بالبدعة من رواة الحديث النبوي وهو برئ من ذلك.

(٣) مجلة المنار: مجلد ١٥ ص ٨٥٧، مقال بعنوان: ميزان الجرح والتعديل، لجمال الدين القاسمي.

النقل، وقد نشرت الرسالة في مجلة "المنار" كمقالات متسلسلة سنة ١٣٣٠هـ^(١)، ثم طبعت أول مرة ككتاب مستقل في مطبعة "المنار" بالقاهرة بنفس العام، في ٤٠ صفحة.

٣. رسالة: منتخب التوسلات، وهي رسالة تحوي جمعا من الأدعية مما صحَّ عن النبي ﷺ، وقصد بها القاسمي ﷺ أن تكون ردًّا على ما اشتهر في أيدي الناس من كتب الأدعية التي ابتعدت عن الصحيح في هذا الباب، ويقول ﷺ في مقدمة كتابه عن سبب تأليفه: "أما بعد: فهذه أدعية وتوسلات، تتلى لتحفظ من الآفات، ولتفريج الهموم وجلاء المحزنات، ولنيل الأمان والظفر بالخيرات، ينبغي المواظبة عليها سيما في مظان الإجابات، وقد صدرتها بالدعوات القرآنية الشريفة، وأتبعتها بأدعية مأثورات من كتب المحدثين الثقات، وسميتها "منتخب التوسلات" وعلى الله التكلان في جميع الحالات، لا إله إلا هو باري الأرض والسموات، نسأله عيش السعداء في الحياة وبعد الممات، آمين"^(٢)، وقد وضع القاسمي ﷺ في آخر الرسالة دعاء خاصا به، ليدعوه به القارئ له، حيث قال ﷺ:

"اللهم يا حي، يا قيوم، يا بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، صل على سيدنا محمد وآله وسلم، واغفر لعبيدك وفقيرك جامع هذه الأوراد، وارحمه، وعافه، واعف عنه، وتقبل منه، واجزه خيرا، وأدخله الجنة، وأعذه من النار، واهد ذريته لصالح الأعمال، وتولهم فيمن توليت، وعُدْ عليه وعليهم وعلينا وعلى المسلمين بفضل رحمتك يا أرحم الراحمين"، ثم قال: "ويرحم الله من دعا للمؤلف من خالص قلبه فقال هذا

(١) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٥ ص ٨٥٧، ٩١٢، ٩٤٥، مجلد ١٦ ص ٣٠. مقالات بعنوان: ميزان الجرح والتعديل، لجمال الدين القاسمي.

(٢) منتخب التوسلات: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ، ص ٧٩، وقد طبع ملحقا بكتاب: كفاية التعبد وتحفة التزهد: للحافظ عبد العظيم المنذري، وقد اعتنى بالكتابين وضبطهما يسري عبد الغني.

الدعاء"^(١)، وقد ألفت هذه الرسالة سنة ١٣١٥ هـ، وطبعت أول مرة بمطبعة روضة الشام في دمشق سنة ١٣١٨ هـ، في ٢٨ صفحة.

٤. رسالة: الأوراد الماثورة، وهي رسالة فيما صحَّ عن النبي ﷺ في باب الذكر والدعاء، وقصد بها القاسمي ﷺ أن تكون تكملة لرسائله "منتخب التوسلات". وقد تضمنت هذه الرسالة ذكر فضل الذكر والدعاء وأدائها، كما ذكر عددا من الأوراد الماثورة في الصباح والمساء وأدبار الصلوات وغيرها، وقد ألفت الرسالة سنة ١٣١٩ هـ، وطبعت أول مرة في بيروت سنة ١٣٢٠ هـ، في ٦٤ صفحة^(٢).

٥. رسالة: شذرة من السيرة المحمدية، وهي رسالة ألفها الشيخ القاسمي ﷺ مقتصرا على الصحيح الثابت من سيرة النبي ﷺ، وقد كان سبب تأليفه لها أنه أردا أن يقرأها عامة الناس بدلا من قراءتهم لغيرها مما يحتوي على الكثير من الخرافات والأباطيل مما هو غير صحيح^(٣)، وقد أتبع رسالته هذه بذكر فصلين، أحدهما في إعجاز القرآن الكريم، والثاني

(١) منتخب التوسلات: جمال الدين القاسمي ص ١١٢.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٤٩.

(٣) كانت الموالد النبوية منتشرة في الشام في زمان القاسمي ﷺ، نظرا لانتشار وكثرة الطرق الصوفية فيها، وكانت العادة عند عامة الناس في دمشق التبرك بقراءة أو سماع السيرة النبوية في ليلة المولد النبوي من الكتب المنتشرة في أيديهم في ذلك العصر، وأكثر تلك الكتب كانت مملوءة من الخرافات والأكاذيب الشيء الكثير، فأحبَّ الشيخ القاسمي ﷺ أن يؤلف لعامة الناس كتابا يحتوي على صحيح السيرة النبوية، فألف لهم هذا الكتاب، ثم ختمه بذكر بعض الوصايا النبوية فيما يتعلق ببدعة الاحتفال بمولده، والاجتماع لذلك، وبعض البدع المصاحبة لذلك الاحتفال، وكان يرى ﷺ أن يجعَّ الناس ليلة المولد النبوي على قراءة مثل هذا الكتاب بما فيه من الوصايا والتنبهات أولى من تركهم للذهاب الى الاجتماعات الأخرى التي تحتوي على المنكرات الكثيرة والشركيات الظاهرة، خاصة وأن هذه البدع مما عمّت به البلوى في الشام في ذلك الزمان، وقد نشأ عليها الصغير، وشاب عليها الكبير، فإن لم يُجمع الناس ليلة المولد النبوي على مثل ذلك انصرفوا الى غيره، وكان ﷺ يستند في رأيه هذا إلى كلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد نقل هذا الكلام في مؤلفه هذا، حيث يقول نقلا عن شيخ الإسلام ﷺ: "فأما الاجتماع في عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك

في وصايا نبوية، وذكر فيها أربع فوائد، الأولى في أصل المولد النبوي، والثانية في أصل الاجتماع للمولد، والثالثة في ذكر البدع المرتبطة بهذا الاجتماع، والرابعة في بدعية القيام عند ذكر الولادة النبوية، وقد أشار إلى هذه الرسالة وأثنى عليها في مجلة "المنار" الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله بقوله: "يحتفل المسلمون في هذا الشهر بتذكار المولد النبوي الشريف،

واتخاذ عبادة؛ فلا يرتاب أحد من أهل العلم والإيمان في أن هذا من المنكرات التي ينهى عنها، ولا يستحب ذلك إلا جاهل أو زنديق، وأما الاجتماع على قراءة وذكر فضائل النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من فعله قصدا لتعظيمه ومحبه فإنه يثاب على قصده الحسن ونيته فعل الخير"، كما نقل في ذلك أيضا قولاً آخر للإمام الزرقاني رحمته الله حيث يقول: "والحاصل أن عمل المولد بدعة، لكنه اشتمل على محاسن وضدها، فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها كانت بدعة حسنة، ومن لا فلا"، ومن خلال ما سبق ذكره يتبين أن الشيخ القاسمي رحمته الله كان يرى أن جمع الناس ليلة المولد ليس لذات المولد، وإنما لقراءة فضائل النبي صلى الله عليه وسلم تعظيماً ومحبة له، ولهذا فقد كان في ليلة المولد النبوي يخصص رحمته الله درسه العام والذي يعقد بين العشاءين بشكل يومي لقراءة هذا الكتاب بدلا من درس الوعظ، ولم ينكر عليه في ذلك أحد من العلماء أتباع السلف الصالح في دمشق ولا في غيرها، والذي يظهر أن مثل العمل من الشيخ القاسمي رحمته الله إنما هو خاص بالبلاد التي يُحتفل فيها بالمولد النبوي بخلاف غيرها، فإن نُقل الناس من المحرم الخالص إلى ما أقل منه لا شك أنه من قواعد الدين، وتخفيف المنكر إلى ما هو أخف منه من واجبات الدعوة والمصلحين، وأما البلاد التي لا يُحتفل فيها بالمولد النبوي فلا شك أن في تخصيص ليلة المولد النبوي بقراءة شيء من كتب السيرة النبوية أو غيرها لا شك في أن هذا التخصيص إحداث في الدين وإدخال فيه ما ليس منه، ولو كان خيرا لفعله من كان قبلنا من علماء السلف، ويمكن القول أن هذا العمل من الوسائل الدعوية المناسبة لزمان ومكان القاسمي رحمته الله وما يشابهه فقط، ولا يُعمم الحكم في ذلك أبداً، والله أعلم. وانظر للاستزادة من رأي القاسمي رحمته الله في المسألة في كتابيه: شذرة من السيرة المحمدية، مطبعة المنار، القاهرة، ط ١، ١٣٢٢ هـ، إصلاح المساجد من البدع والعيوائد ص ١١٤. ملاحظة مهمة: لم أقف على نص كلام شيخ الإسلام في الفتاوى ولا في أي كتاب آخر له، مع العلم بأن كل من نقل النص المذكور إنما نقل الجزء الأول منه، والذي فيه الحظر من الاجتماعات المنكرة فقط، ونسبوا هذا العبارة إلى الفتاوى ولم أجدها فيه، وأشهر من نقل هذا النص الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في فتاواه ورسائله، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩ هـ، ٦٠/٣، ولعل الشيخ القاسمي قد اطلع على هذا النص في مخطوطات المكتبة الظاهرية، لأنه نقله أيضا في كتابه: إصلاح المساجد من البدع والعيوائد ص ١١٥، وأما النص المنسوب إلى الإمام الزرقاني فإنه موجود في شرحه الموسوم بـ: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ، ٢٦٣.

ويقرؤون قصة المولد في احتفالهم، وما هي بقصة واحدة، وإنما هي قصص، لم نر منها ما يخلو من الكذب والوضع، إلا قصة جديدة ألفها الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام سهاها "شذرة من السيرة المحمدية" اقتبسها من كتب الحديث المعتمدة؛ فنحس جميع الذين يقرأون تلك القصص على قراءتها لما فيها من الفائدة، وعلى ترك القصص الكاذبة"^(١)، وقد ألفت الرسالة وطبعت أول مرة سنة ١٣٢١هـ، في مطبعة "المنار" بالقاهرة، في ٣٦ صفحة.

٦. كتاب: الفضل المين على عقد الجواهر الثمين، أو شرح الأربعين العجلونية، وهو كتاب ألفه الشيخ القاسمي رحمه الله لشرح أحاديث كتاب "عقد الجواهر الثمين في أربعين حديثاً من أحاديث سيد المرسلين"، للإمام إسماعيل العجلوني^(٢)، وسبب جمع العجلوني لهذه الأحاديث هو: الرغبة في الحصول على أجر من جمع لأمة الإسلام أربعين حديثاً^(٣)، وكذلك السير على نهج العلماء السابقين الذين كانوا يجمعون الأحاديث من الكتب الموثوقة، ثم يقرأها الطلاب عليهم، ويحيزوهم بها وبالكتب التي أخذت منها، وقد رغب الشيخ القاسمي رحمه الله شرح هذه الأحاديث، وقد بين السبب في ذلك في مقدمة شرحه حيث يقول رحمه الله: "لما كانت رسالة الإمام المسند التقي الشيخ إسماعيل العجلوني رسالة تلقتها الفحول بالقبول، وروتها الأصاغر عن الأكابر رجاء في أن يكون لها بمسانيدها أعلى

(١) مجلة المنار: مجلد ١٥ ص ٩٤٥، مقالة بعنوان: تقریظ المطبوعات الجديدة، لمحمد رشيد رضا.

(٢) إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني العجلوني الشافعي الشهير بالجراحي، ويكنى بأبي الفداء، محدث الشام في أيامه مؤرخ مفسر نحوي، ولد بعجلون سنة ١٠٨٧هـ، ونشأ بدمشق وتوفي بها سنة ١١٦٢هـ، وله مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١/ ٣٢٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/ ٣٧٨.

(٣) إشارة إلى حديث الذي أخرجه السيوطي في جامعه برقم ٢١٨٤٦، ونصه: "من حفظ على أمي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً وكنة له يوم القيامة شافعاً وشهيداً"، قسم الأقوال، حرف الميم، ٧/ ١٩٦، وحكم عليه الألباني بأنه موضوع، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ، ١/ ٨٠١.

وصول، عنِّي أن أكتب شرحا عليها، يوضح ما تدعو إليه حاجة الواقف لديها، من شرح بعض أحاديثها الشريفة، وذكر تراجم أرباب المسانيد المنيفة، وضبط ما أُبهم من أسماء الرواة، وسَوِّق فوائده ولطائف عن الثقات، وبيان بعض أوهام سرت للمصنف من عشرات الافهام، فشرعت في ذلك مستعينا به تعالى، فهو نعم المعين، وسميته: "الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين" نفع الله به النفع العام، وأحسن لمن دعا لي معه بالنجاة يوم القيامة"^(١)، وقد أُلِّف الكتاب سنة ١٣٢٠هـ، وطبع أول مرة سنة ١٤٠٣هـ، بمطبعة دار النفائس في بيروت، في ٥٢٦ صفحة، بتحقيق الأستاذ عاصم بن محمد بهجة البيطار.

٧. تحقيق كتاب: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، يقول الشيخ محمد رشيد رضا في وصف الكتاب: "هذا الكتاب من نفائس الكتب، وضعه الإمام ابن قتيبة الدينوري، من أهل القرن الثالث، في الرد على أعداء أهل الحديث، واجمع بين الأخبار التي ادَّعوا عليها والاختلاف، والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشكلة بادي الرأي، وقد طبعه الشيخ زكي فرج الله الكردي بعد أن صححه بقلم الشيخ جمال الدين القاسمي الشهير، وحسبُ الكتاب ثقة أن يكون مصححًا بقلم هذين العالمين"^(٢)، وقد طبع الكتاب أول مرة بمصر سنة ١٣٢٦هـ.

٨. كتاب: طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري، وأصل هذا الكتاب كتاب مخطوط عنوانه "تعطير المشام في مآثر دمشق الشام"، وقد ألّفه الشيخ القاسمي رحمته الله لذكر تراجم الرجال ممن دخل دمشق قبل الإسلام وبعده، وتراجم أمراءها بعد الفتح الإسلامي، وتراجم المشاهير من أهلها، فاطلع على الكتاب المخطوط الشيخ محمود

(١) الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٥٢.

(٢) مجلة المنار: مجلد ١١ ص ٩٢٣، مقالة بعنوان: التقريظ والانتقاد، لمحمد رشيد رضا.

عبد القادر الأرنؤوط وأفرد منه تراجم مشايخ القاسمي، وقد أُلّف الكتاب الأصل سنة ١٣١٩هـ، في ٤ أجزاء وما زال مخطوطاً، وأما ما طبع منه فقد طبع سنة ١٤٢٦هـ بمكتبة دار البيروتي في بيروت، في ١٢٤ صفحة^(١).

٩. كتاب: بيت القصيد في ترجمة الامام الوالد السعيد، وهو كتاب ألفه القاسمي رحمته الله ابتداء في جمع قصائد والده الشعرية، ورتبها على حروف المعجم، ثم جعله كتاب ترجمة لوالده، وما قيل في رثاءه والتعزية به، وقد كان اسم الكتاب "بيت القصيد في ديوان الامام الوالد السعيد"، فشطب كلمة "ديوان" واستبدالها بكلمة "ترجمة"، وقد أُلّف الكتاب سنة ١٣١٨هـ^(٢)، وطبع أول مرة بدار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٢٠هـ، في ٥١ صفحة، ملحقاً بكتاب "آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل"، جمع وتحقيق الشيخ محمد ناصر العجمي.

١٠. كتاب: حياة البخاري، وهو كتاب ألفه الشيخ القاسمي رحمته الله للتعريف بالإمام البخاري، وتقريب سيرته لطلبة العلم، وقد ذكر في مقدمة الكتاب عن سبب تأليفه له حيث قال رحمته الله: "يُعلم أن الإمام البخاري أشد المحدثين مذهباً في قبول الحديث، ولا غرو أن لقب بأمر المؤمنين في الحديث، وكان كتابه أصح كتب الحديث وأرقاها، فإذا لزم التعريف بالبخاري، والتنويه بترجمة حياته، وفلسفته في الحديث، واجتهاده في الفقه، وسيرته الجليلة"^(٣)، وقد ذكر رحمته الله أكثر ما يتعلق بشخصية البخاري، وبكتابه الصحيح، وقد أثنى عليه كثيراً، ودافع عنه، وردَّ الشبه التي أثيرت حوله، كما تعرض في كتابه إلى مسائل رواية

(١) انظر: طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري: جمال الدين القاسمي، دار البيروتي، بيروت، ط ١،

١٤٢٦هـ، ص ١٠.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٤٨.

(٣) انظر: حياة البخاري: جمال الدين القاسمي ص ١٢.

البخاري عن بعض المبتدعة، وبين منهجه في ذلك، كما تعرض إلى اجتهاد الامام البخاري في بعض المسائل الفقهية، وقد أشار إلى هذا الكتاب وأثنى عليه في مجلة "المنار" الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله بقوله: "حياة البخاري: كتاب مختصر في ترجمة الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح، لصديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي، وأجدر بالقاسمي أن يكتب مثل ترجمة البخاري، وهو الذي يُشغل جُلّ أوقاته في علوم الأثر، مطالعة وتدریسًا وتصنيفًا، ولو كان للمسلمين جمعية تؤلف معجمًا علميًا "دائرة معارف" ما اخترت لكتابة مثل هذه الترجمة لها من علماء بلادنا غير القاسمي"^(١)، وقد نشر الكتاب كمقال علمي في مجلة "العرفان" ببلنجان سنة ١٣٣٠هـ، ثم طبع أول مرة ككتاب مستقل في مطبعة "العرفان" بنفس السنة، كما طبعته في دار النفائس ببيروت سنة ١٤١٢هـ، في ١٠٨ صفحة، بتحقيق الشيخ محمود الأرناؤوط.

٣. الجهود في جانب الفقه الإسلامي وأصوله.

نشأ القاسمي في أسرة علمية، وكان مذهب أسرته المذهب الشافعي، فقرأ متون الفقه الشافعي على والده وعلى شيوخه من آل العطار، وظلّ -حتى مع قوله بالاجتهاد- على شافعيته إلى آخر أيامه، وكان متميزاً بسعة الاطلاع في كتب المذاهب الفقهية الأخرى على كثرتها، وأما من ناحية علم أصول الفقه فقد صاغ هذا العلم شخصية القاسمي العلمية، وتأثر به في دراسته العلوم الشرعية الأخرى، وقد ظهر تأثيره واهتمامه به وبفنونه مبكراً، ولما أخبره شيخه الشيخ محمد الخاني أن العلماء وطلبة العلم في ذلك الزمان لا يقرأون علم الأصول إلا للتبرك، لأنه لا فائدة لهم فيه، وإنما يستفيد منه من يكون حراً مجتهداً لا مقلداً، خالف القاسمي شيخه في ذلك^(٢)، وبيّن له أهمية علم الأصول في تجديد فكر الأمة، ولذلك أفرد لهذا العلم

(١) مجلة المنار: مجلد ١٥ ص ٩٤٥، مقالة بعنوان: تقریظ المطبوعات الجديدة، لمحمد رشيد رضا.

(٢) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٣٧.

قسما كبيرا من مصنفاته، وجعله مقياسه الشرعي في قبول ورد كل ما يرد إليه من أقوال وآراء^(١)، وهو لم يأت بجديد من عنده، بل هي ترجيحات لبعض الأقوال التي اندثرت وتوقف القول بها، كان أهمها في مباحث الاجتهاد والتقليد، والمصالح المرسلة. وقد كانت له جهود واضحة في جانب الفقه الإسلامي وأصوله، تدل على تمكنه في الفقه وسعة اطلاعه فيه، وتمكنه من علم الأصول وحسن استخدامه له، وقد أشار رحمته الله في مؤلفاته وكتبه إلى ذلك بعدد من الأمثلة، منها:

أ- وضح رحمته الله أن الفقه الإسلامي يحتاج إلى تجديد وإعادة نظر في جميع المذاهب، وكان يقول: "لم يزل في الأمر حاجة إلى الكمال، وهو سعي أولي الحل والعقد بعقد مؤتمر علمي من كبار فقهاء المذاهب المعروفة، وتأليف مجلة تستمد من فقه سائر الأئمة الأربعة وغيرهم مما فيه رحمة ويسر، ومشى مع المصالح والمنافع، ودفع المضار في أبواب المعاملات. فبذلك تظهر محاسن الدين في الأقضية والأحكام، ويعرف أنه دين المدنية في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، وإن اليوم الذي تتحقق فيه هذه الأمنية هو أسعد الأيام، والمستعان بالله ذي الجلال والإكرام"^(٢)، وقد ذكر رحمته الله أنه كانت له نية في جمع كتاب في فروع الفقه، منتخب من المذاهب الأربعة، يعود على الأمة باليسر والتيسير مع المحافظة على أصول الدين، حيث يقول: "سمعت أن المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي مصر كان يقول: نحن بحاجة

(١) خالف الشيخ القاسمي شيخه في هذه المسألة، وهذا هو الحق الذي عليه جمهور علماء الأمة، بل نصوا على وجوب تعلم علم أصول الفقه لمن نصبوا للفتيا والقضاء؛ لأنه لا يتأتى فهم النصوص الشرعية والعمل بها واستنباط الأحكام وتنزيلها على الواقع إلا به، ولولاه لتخبط الناس في فهم نصوص الشرعية، ولخاروا في معرفة دلالات ألفاظها، وربما عملوا خلاف المراد منها. انظر: الواضح في أصول الفقه: د. محمد سليمان الأشقر، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٢٥ هـ، ص ١٦، وغيره من المؤلفات في أصول الفقه.

(٢) ميزان الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي ص ٤٩.

إلى مذهب ينتخب من المذاهب الأربعة، وهذا الكلام كان يدور معناه في خلدي من أزمان، إذ جعل الأمة على مذهب -أو بلد من البلاد أو قوم من الناس- فيه من الحرج والعنت ما فيه، ودين الله يسر، ويوجد من مجموع فروع الأمة ما يعود على الأمة باليسر والتيسير، مع المحافظة على أصول الدين، ولي نية بجمع كتاب في الفروع في ذلك، أعانني المولى عليه بمنه وكرمه^(١)، وقد شرع الشيخ القاسمي رحمته الله في هذا الكتاب، وسماه "العبادات"، وقد أخبر الشيخ محمد رشيد رضا أن صديقه القاسمي قد بدأ فعلا بتأليف الكتاب، حيث قال: "وقد كتب إلي أن له كتابا في العبادات مقتبسا من كتب المذاهب، مع بيان حكمة التشريع، كان أخذه منه الشيخ أحمد طيارة ليطبعه في مطبعته ببيروت، ولم يعده إليه، وعلمت مما كتب إلي أنه من أهم كتبه"^(٢)، وقد فُقدَ هذا الكتاب ويا للأسف.

ب- أبغض رحمته الله التعصب في الفقه الإسلامي، وأدرك أن العصبية المذهبية القائمة لن تسعف الأمة بحلول لنوازها الطارئة، وكان يرى أن التعصب سبب في جمود المسلمين وتأخرهم، وفساد أنظمتهم، وسبب في نفور الناس من الشريعة الإسلامية، والارتقاء في أحضان القوانين الوضعية، والأخذ بالأنظمة الأوروبية الأجنبية، ولذلك كان يقول: "إن مذهبي أن لا أتقيد بمذهب من المذاهب، بل آخذ من كل مذهب ما كان أقوى دليلا"^(٣)، ولهذا فقد انتقد موقف فقهاء الحنفية الذين طلبت منهم الحكومة العثمانية أن يعيدوا النظر في بعض أقوال الحنفية التي لا يُمكن تطبيقها، وأن يُعدّلوا قوانين الأحكام من المذاهب الفقهية الأخرى، فرفضوا ذلك رفضا قاطعا، وعدّوا ذلك تلفيقا بين المذاهب -زعموا- وليس ذلك إلا تعصبا وحسدا، فدفع ذلك بعض المسؤولين في الحكومة العثمانية إلى الأخذ

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٧٣.

(٢) مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٦١٥، مقالة بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨١.

في بعض المسائل بالقوانين الوضعية الغربية^(١)، ولذلك فقد ارتضى الشيخ القاسمي كتب المذاهب الفقهية وآرائها كلها، وأخذ منهم ما يحتاج إليه مع أخذه بالدليل، فقبل من المالكية قولهم في جواز التصوير الفوتوغرافي، واعتمد أقوال الحنابلة في الطلاق وفي المسح على الجوربين، كان هذا في زمن يستحيل على فقيه أن يرضى برأي في غير مذهبه^(٢)، وكان يوصي طلابه خاصة وطلاب العلم عامة بقوله: "وفارق وهّد التقليد راقيا إلى يفاع الاستبصار، وتَسَنَّم أَوْجَ التحقيق في مطالع الأنظار، والبس التقوى شعارا، واتصف بالإنصاف دثارا، واجعل طلب الحق لك نَحْلَةً، والاعتراف به لأهله ملة، ولا تَرِدْ مَشْرَعَ العصبية، ولا تَأْنَفْ من الإذعان إذا لاح وجه القضية، أَنْفَةَ ذوي النفوس العصبية، فذلك مرعى لسوامها وبيل، وصدودٌ عن سواء السبيل"^(٣)، وقد قرر ﷺ منهج السلف الصالح -رحمهم الله- في التعامل مع الخلاف ميينا أنهم لم يظهر فيهم التضليل أو التعصب، وإنما ظهرت آثار ذلك في الأزمان المتأخرة، حيث يقول: "وما زال علماء السلف يختلفون في الفروع وفي الفتاوى بحسب ما قام لديهم من الدليل، وما أدّاه إليه اجتهادهم، ولم يُضلل بعضهم بعضا، ولم يدّع أحدهم أنه على الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، وأن مخالفه على خطأ لا يحتمل الصواب، وإنما نشأ هذا من جمود المقلدة المتأخرين وتعصبهم وظنهم عصمة مذهبهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في البلاد، وصار عند كل قوم علم غير ما عند الآخرين، وهم على وحدتهم وتناصرهم"^(٤).

(١) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٦ ص ٢٦٤، مقالة بعنوان: أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي، لجمال الدين القاسمي. شيخ

الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٤.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٠٩.

(٣) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٥/١.

(٤) المرجع السابق ٣٧٦/٢.

ج- دعا ﷺ إلى أهمية الاجتهاد الجماعي في المسائل الفقهية^(١)، وكان يرى ضرورة تقنين أحكام الفقه، وجعلها على هيئة القوانين، سابقاً بذلك علماء وفقهاء عصره في هذه المسألة، فقد قال في رسالة إلى صديقه الألوسي، بعد أن عرض عليه مسألة طلاق الغضبان: "وأنا أعلم أن هذه المسألة ستفتح في الزيجة إصلاحاً كبيراً، لاسيما إذا ترقّت الأمة، وعقدت مجمعاً من فقهاء المذاهب؛ لتوحيد فروع المعاملات من سائر المذاهب كما في "المجلة" - يقصد مجلة الأحكام العدلية^(٢) - والمسموع أن هذا الفكر تداول فيه مجلس الأمة، إلا أن لديه من المشاكل السياسية ما يحول بينه وبين ذلك الآن، وإن كنا لا نياس منه بعد، بحول تعالى وقوته وتوفيقه وهدايته"^(٣)، وكان يرى أن تقنين الفقه الإسلامي هو من جنس ما صنعه فقهاء الإسلام بمختلف المذاهب في فروع الفقه، وكان يقول: "سألني بعض أصحابي - ممن لا أنس له إلا بالفقه ولا مساس له بالقوانين وموضوعاتها- عن منزلة القانون من الفقه، ما مداه عند العلماء؟، فأجبت بآن القانون والنظام والدستور وما شئت فقل يشبه الفروع المدونة في كتب الفقه، التي مأخذها الاجتهاد والاستنباط من الأصول الأربعة، الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وبالجملة فعلمائنا وفقهائنا وأئمة الأصول من السلف الصالح -رضي الله عنهم- سبقوا كل واضع قانون ونظام إلى اعتبار رعاية المصالح التي لا قوام للأمة إلا بها، وإنما ذكرت ذلك وكررته لِيخفَّ أمر القانون على من لم

(١) يقصد به مثل الأمر الحاصل في المجامع الفقهية المعاصرة.

(٢) أنشأ السلطان عبد المجيد لجنة من الفقهاء الحنفية لتقنين القضاء والأحكام الإسلامية، فاجتمعوا وأصدروا عدة تشريعات إسلامية، ونشروها في مجلة سميت "مجلة الأحكام العدلية"، وقد صدرت سنة ١٢٩٣هـ، وهي مكونة من ١٦ كتاباً، مشتملة على المعاملات الفقهية، ومسائل الدعاوى، وأحكام القضاء، وقد جاء أولها كتاب البيوع، وآخرها كتاب القضاء، وقد بنيت أحكامها على الكتب المعتمدة في المذهب الحنفي، لأنه المذهب الرسمي للدولة العثمانية. (ويكيبيديا).

(٣) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، جمع: محمد ناصر العجمي ص ١٢٦.

يسمع به، ويظنه أمراً نُكراً، وما هو إلا فروع ومسائل قال بمثلها من تقدمنا من الفقهاء"^(١)، وكان يشيد بتلميذه الشيخ محمد جميل الشطي والذي ألف كتاباً في تطبيق المواد النظامية على الفروع الفقهية"^(٢).

د- التزم ﷺ بشروط الإفتاء المنصوص عليها، فكان لا يقبل رأياً فقهياً عن تقليد، بل لا بد من إقامة الدليل له، وكان يدعو إلى عدم التسرع في الفتوى، ويحث على الدقة والضبط فيها، وكان القاسمي بطبعه شديد الدقة والتحري، وذا طبيعة علمية لا يسوقها هوى أو يفسد صحتها تعصب، وكان يحث المفتين إلى تحري الحقيقة دون تقليد أو جمود"^(٣)، وكان يوصي طلابه بقوله: "إذا استفتاك عامي عن حكم فإن كان مجادلاً أو غنيا متعززا أو يريد أن يجر فكره إلى فكره فأحله إلى بيت المفتي الرسمي، وإلا بأن كان مُسَلِّماً أو راضياً فأفته بالحق الذي تراه أصح ما يكون، من أي مذهب كان، وكن حكيماً في سائر شؤونك، لا متهوراً، ولا غافلاً، فتؤخذ على غرة"^(٤).

ه- اعتمد ﷺ على المصادر الأصلية في الفقه الإسلامي، حيث اعتمد على القرآن والسنة الصحيحة في كل فتاويه وأقواله، ولم يرتض قولاً يعارض نصاً، ولا رأياً يهمل سنة ثابتة، وقد عانى في سبيل ذلك عدا المقلدين والجامدين في عصره الذين لم يتعبوا أنفسهم بطلب الدليل على ما يقولون، وأما في الإجماع فكان يرى أن من الأخطاء العلمية الشيعة التسرع في نقله عن العلماء، ويرى بوجوب التثبت فيه، ويقول في ذلك: "كثيراً ما يمر بمطالع كتب الفقه دعوى الإجماع في بعض المسائل أو النوازل، ولا سند له إلا عدم العلم

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢١٨، ٢٢٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٩، ويقصد كتابه "قانون الصلح".

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٣٦.

(٤) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٧٤.

بالمخالف، فيأتي أسير التقليد فينقله على اعتقاد أنه مجمع عليه، مع أن الواجب عليه إما التنقيب جهده في سائر بطون الكتب الفروعية وأسفار الخلاف حتى يسقط على الحقيقة في دعوى الإجماع، أو يحذف كلمة الإجماع من نقله وعزوه، فقد ظهر فيما لا يحصى من المسائل المدعى فيها الإجماع أن وراءها خلافا في مذاهب أخرى، بل في كتب منتشرة قد لا تخلو حزانة عالم منها^(١)، وأما في القياس فما كان يرتضي إلا قياساً صحيحاً وجدت فيه شروطه وأركانه، وكان يقول في الشروط: "وأهمها اندراج الأكبر في الأصغر، فإذا فُقد ذلك بأن تباين الحد الأوسط في المقدمتين، فلا قياس فضلاً عن الإنتاج"^(٢).

و- توسع رحمته في مسائل الاجتهاد؛ وذلك لأهميته، ولخطورة القول بإغلاق باب، وتفضيل التقليد عليه، فكان يرى وجوب الاجتهاد على العالم والمفتي، ويرجح القول بعدم خلو الزمان من مجتهد شرعاً وعقلاً، ويقول في ذلك: "ولا يجوز خلو الزمان عن مجتهد، ومن سبر تراجم الأختار من الأقطار في كل عصر من الأعصر ير في قرن عدة من المجتهدين، نعم ربما انقضت طبقات من العلماء في بلدة لم يكن فيهم من بلغ مرتبة الاجتهاد، ويكون في غيرها من البلاد أئمة ظهروا في هذا الشأن، وهذا لا يجمله وينكره إلا من لم يطلع على المصنفات التاريخية ولم يقف على طبقات الأعيان من سائر البلدان، وقال بعض المحققين: دعوى أن الوقت خلا عن المجتهد المطلق لا دليل عليها، فهل عَرَفَ القائل بذلك جميع المسلمين وهم يُعدون بمئات الملايين، وتُحقق أن كل واحد منهم مقلد؟. وقرأت في حواشي "تنبيه الأفهام" ما نصه: لا ندري ما هو الباعث لبعض المتفهمة على إنكار الاجتهاد وحجره على غير أئمة المذاهب، والمبالغة في التقليد إلى درجة حملت بعض

(١) الفتوى في الإسلام: جمال الدين القاسمي ص ١٦٥.

(٢) تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب: جمال الدين القاسمي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ، ص ٢٤.

المستشرقين الأوروبيين على الظن بأن الفقهاء إنما هم يعتقدون في الأئمة منزلة التشريع لا منزلة الضبط والتحرير"^(١)، ولذا كان يوصي القاسمي رحمته الله طلابه بقوله: "عليك أن تسير سيرة الأئمة الأربعة وغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم، فقد علمونا حرية الرأي بقولهم: إذا رأيتم قولنا يخالف قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولنا عرض الحائط"^(٢)، وقد وضح بنفسه مراده من دعوى الاجتهاد بقوله: "وقد يظنُّ من لا خلاق له - وبعض الظن إثم - أن مراد دعاة الإصلاح العملي الآن بالاجتهاد هو القيام بمذهب خاص والدعوى له على انفراده، والشذوذ عن أقوال الأئمة، والغض من كرامة السلف، نعوذ بالله من الجهل وسوء الفهم، فإن من يفهم هذا لأضلُّ من الأنعام، وأيُّ عاقل يريد تكثير الشيع والفرق وزيادة الانقسام، وإنما المراد إنهاض همم رواد العلم لتُعرف المسائل بأدلتها، والبحث عن مداركها ومآخذها، والتنقيب عن كتب السلف والأئمة في الأصول والفروع، وتعرف طرق التخريج والاستنباط، وحجج الموافق والمخالف، ثم توخي الأقوى فالأقوى دليلاً، وتحري الأقوم فالأقوم قيلاً، كما كان عليه السلف الصالح، وثلة من الخلف الناجح، والمتأخرون عيال على المتقدمين في جلِّ علومهم، وما ذخروه من كنوزهم، وإنما التفاوت في إدراك القوي سلطانه، الأصح برهانه، وفي الوقوف على مقاصد الشريعة، وأسرار التشريع، ودرك اللباب من الحشو، وتمييز الأصيل من الدخيل، على أن التخالف في الأمور المجتهد فيها غير المنصوص عليها سنة جرى عليها السلف، ومنهج سلكه إلى هذا العصر كبار الخلف"^(٣)، وقد كان يرى رحمته الله بإمكانية تحقق شروط الاجتهاد فيمن وُفق في طلب العلم، ودرس النصوص والأدلة، حيث يقول: "إن الاجتهاد المطلق الآن أيسر منه في

(١) الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٨٠.

(٢) تاريخ علماء دمشق وأعيانها في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة / ١ / ٣٠٠.

(٣) إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق: جمال الدين القاسمي ص ٤.

الزمن الأول، لأن الحديث والفقهاء دُونَ، وكذا كل ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات القرآنية والآثار النبوية، وأصول الفقه والعربية، وغير ذلك، ولكن المهم قاصرة والرغبات فاترة، اكتفاءً بالتقليد، وخلوداً إلى الراحة وعدم التسديد"^(١)، ولذلك فإن القاسمي رحمه الله لم يتسرع في تعميم الاجتهاد على الفقيه حتى يتعلم علوم الكتاب والسنة، ولذلك يقول رحمه الله: "وأما رفض المتأخرين عدُّ من أمضى عمره في الوسائل الآلية والعلوم العقلية والفقه في مذهب واحد، ولم يكب على علوم الكتاب والسنة حتى يصير ملكة له، فأجدر له أن لا يكون من رجال هذا المقام، إذ لا ينال بمثل منهجه المذكور، وأما من سلك سبيل السلف في التعلم والتعليم ووقف حياته على علوم الكتاب والسنة ووقف على سرّ الشريعة والتشريع، وحكمة التأصيل والتفريع، فذاك من فرسان هذا الميدان، وإن لم يدع ذلك، أو بخسه أهل الشأن"^(٢).

ز- يرى رحمه الله في طلاب العلم المقلدين الذين يستطيعوا تملك آلة الاجتهاد ولو جزئياً، أن مثل هؤلاء ينبغي على المفتين الإعراض عنهم، وتجنب الإجابة على أسئلتهم، تجنباً للجدال الممكن حصوله منهم مقلدة يمكن لهم الاعتراض على الأدلة بدون نظر فيها، وحثاً لهم على تملك آلة الاجتهاد والنظر في الدليل، ويقول رحمه الله عنهم: "المقلد الذي لا يصل فهمه إلى درك الدليل، أو لا يريد أن يصل، أقعدته الفطرة عن اللحاق بأولي العلم، أو قنع بالتخلف عن السباق مع أبطال النظر وأقطاب الفهم، فلما ماتت قوته النظرية كان قصاره أن يقف مع قول مفتيه، ويجرع من الكأس الذي يسقيه، فهذا يجب الإعراض عنه، وأن تحجب مخدرات المناظرة منه، ولما ابتلي الأئمة قديماً بالمقلدة من المهاكين وضعوا لدرء

(١) الفتوى في الإسلام: جمال الدين القاسمي ص ٦٥.

(٢) نقد النصائح الكافية: جمال الدين القاسمي ص ٤٩.

جدلهم قوانين" (١).

ح- كان يرى ﷺ التوسع في الاستدلال في بعض المصادر الفرعية للفقهاء الإسلامي كالاستدلال بالمصلحة المرسلية، وكان من أوائل من أشاع كلام الطوفي في بناء الدين على المصلحة، وقد أشار إلى ذلك في مفكراته حيث قال ﷺ: "للطوفي بحثٌ في تقديم المصالح على سائر الأدلة، بأدلة بديعة، يؤخذ منها طريقة في الاجتهاد ميسورة، فمن قرأ ما ذكره ودرأه صار مجتهداً للحال، اللهم مع ملكة قوية في الفقه والسنة" (٢)، وتعد رسالة القاسمي في "المسح على الجوربين" من أمثلة اجتهاده في اعتبار المصلحة، وأما الاستدلال بسدِّ الذرائع فكان يرى عدم التوسع في الأخذ بها، وإنما يقتصر فيها على المواضع التي تتحقق فيها شروطها، ويجزم فيها بحصول المحذور، وكان يرى أن سندها النصي هو قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدَاوَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (٣) (٤).

ط- يرى ﷺ في مقاصد الشريعة ضرورة تحري تحقيق المقصد الشرعي من الأحكام التكليفية، وكان ينتقد موقف الظاهرية الجامد على ظواهر النصوص دون أن يلتمسوا مقاصدها، حيث يقول ﷺ: "إن للظاهرية في كثير من المسائل جموداً جلياً، وتهوساً جديلاً، وكثيراً ما يسفسطون، ويشاغبون بقولهم لم يرد كذا، ولم يأت أنه لا يصح إلا كذا، يعنون أنه يلزم في التشريع أن يكون كله مما تفوه به الرسول ﷺ بالأسلوب الذي ألفوه، وهذا لعمر الحق غفلة كبرى عن مقاصد الشريعة في كثير من أبوابها، وما هو إلا كالوقوف مع القشر دون

(١) الفتوى في الإسلام: جمال الدين القاسمي ص ١٦٠.

(٢) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٧٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٨.

(٤) انظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٤ / ٤٦٣.

اللباب، أو اللفظ دون المعنى، أو الجسم دون الروح"^(١).

ي- كان يرى ﷺ التوسع في تعليل الأحكام وبيان حكمها، ويرى أن قولهم هو "تعبدني" غير صحيح، ويقول في ذلك: "ظهر لي أن قول بعض الفقهاء هو "تعبدني"^(٢) لا يعقل معناه، وجزمهم بذلك في مواضع شتى أنه غير صواب؛ لما فيه من الغفلة عن التمعن في سر التشريع، وجهل بأسلوب التنزيل، حيث أن يتبع كل حكم بسره وحكمته، وقولهم أن ذلك من تقليد المتأخر المتقدم فيه حجر على العقل والأفهام أن تنظر وتتأمل وتفكر وتتدبر، فحق كل من أوتي ملكة أن يستخدم فكره لفهم الأسرار"^(٣).

ك- أَلَّفَ ﷺ في جانب الفقه الإسلامي وأصوله الكتب والرسائل الآتية:

١. رسالة: الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس، وهي رسالة ألفها الشيخ القاسمي ﷺ لصيانة أعراض المسلمين والغيرة على أنسابهم، وقد حرر فيها مسألة الحلف بالطلاق التي تجري على السنة عامة الناس، والسبب في تأليفه لهذه الرسالة هو ما ذكر في مقدمتها، حيث يقول: "أما بعد: فقد علم ما ابتليت به العامة من كثرة الحلف بالطلاق، وجريانه على ألسنتهم في جميع الأوقات على الإطلاق، ثم اتفق أني سمعت بعض المتفكحة المتعصبين يقول بأن هذه الأيمان لما كانت واقعة على الحالفين بها لا محالة، وقد أفسدت أنكحتهم بتجاوزها الثلاث، كانت أولادهم أولاد زنا، وذريتهم مبنية على الفحش والخنا. فأخذتني الغيرة على هؤلاء العامة لما سمعت ذلك، وقلت: والله ليس الأمر كذلك، فطفت يجادل

(١) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٥١.

(٢) يشير العلماء في الغالب إلى كون الحكمة تعبدية إذا لم تظهر لهم بعد البحث والنظر، ولعل الشيخ القاسمي يقصد هنا ذم المبالغة في التقليد، والاعتماد على أقوال السابقين دون تكرار البحث وإعمال النظر مرة أخرى، ففعل ما خفي على جيل يظهر لجيل آخر.

(٣) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٦٢.

مطيعا داعي التعصب، وعادلا عن العدل والإنصاف إلى المماحكة والتصلب، وأنا أرد هذا القذف عن عامة المسلمين"^(١)، وقد ألفت الرسالة وطبعت أول مرة بمطبعة الترقى في دمشق سنة ١٣٣٢هـ، في ٤٠ صفحة، وقد عني بإخراجها شقيق القاسمي الشيخ قاسم خير الدين القاسمي، وهو آخر مؤلفات الشيخ القاسمي رحمته الله وقد توفي بعدها بأيام^(٢).

٢. رسالة: أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي، وهي رسالة ألفها الشيخ القاسمي رحمته الله لبيان حاجة القضاء الشرعي في الدولة العثمانية إلى تجديد وإصلاح من ناحية حصره بالمذهب الحنفي فقط، مع أن بعض المسائل فيه متعذرة ولا يمكن تطبيقها، وقد نشرت الرسالة أولا كمقال علمي في مجلتي "المقتبس" و "المنار"^(٣)، ثم طبعت مستقلة أول مرة بمطبعة الترقى في دمشق سنة ١٣٣١هـ.

٣. رسالة: تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، وهي رسالة ألفها الشيخ القاسمي رحمته الله للتفريق بين الواجب في الدين وغيره، وذكر في ذلك ١٠٣ من القواعد، وذلك كيلا يلتبس الواجب بغيره، وحتى لا يوجب على الناس ما ليس بواجب، والسبب في تأليفه لهذه الرسالة هو الردُّ على خصم ادعى وجوب شيء غير واجب^(٤)، وقد اطلع على الرسالة وأثنى عليها في مجلة المنار الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله حيث قال: "تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب، رسالة للقاسمي اشتملت على ما ينيف على مئة قاعدة من قواعد الواجب المقررة في علم الأصول والمأثورة عن الأئمة المحققين، وهذه المسائل نافعة لطلاب العلم - إن شاء الله تعالى - ولا سيما في البلاد التي قلَّ فيها الاشتغال بعلم الأصول

(١) الاستثناس لتصحيح أنكحة الناس: جمال الدين القاسمي، دار عمار، عمان، ط ٢، ١٤٠٩هـ، ص ١٥.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٧٨.

(٣) مجلة المنار: مجلد ١٦ ص ٢٦٤، مقال بعنوان: أوامر مهمة في إصلاح القضاء الشرعي، لجمال الدين القاسمي.

(٤) انظر: تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب: جمال الدين القاسمي ص ٧.

وهجرت كتبه النافعة"^(١)، وقد طبعت الرسالة أول مرة بمطبعة مدرسة والدة عباس الأول في القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ، في ٧٠ صفحة.

٤. مقالة: جواب الشيخ السناني في مسألة العقل والنقل، وهذه مقالة علمية كتبها الشيخ

القاسمي رحمته الله ردا سؤال ورد إليه من الشيخ عبد العزيز السناني^(٢) رحمته الله حول مسألة تعارض العقل والنقل في الإسلام، وقد انتقاها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله في كتابه "درء تعارض العقل والنقل"، وقد نشرت المقالة سنة ١٣٢٥ هـ في مجلة "المنار"^(٣).

٥. رسالة: يسر الشريعة الإسلامية، وهو بحث للشيخ القاسمي رحمته الله نشر في كتاب "فتاوى مهمة في الشريعة الإسلامية في المحاكم العثمانية والمصرية" لعدد من العلماء، طبع أول مرة في مطبعة مجلة "المنار" بالقاهرة، سنة ١٣٣١ هـ، في ١٠٠ صفحة.

٦. كتاب: الفتوى في الإسلام، وهو كتاب ألفه الشيخ القاسمي رحمته الله وقد قال في مقدمته عن أهميته: "أما بعد: هذا بحث علمي أدبي، تاريخي اجتماعي، يهم كل نبيه درايته، كما يجب على كل فقيه معرفته ودراسته، لا سيما من يتولى منصب القضاء، أو وظيفة الإفتاء، فإن هذا البحث من أهم ما يحتاج إليه، كيف لا ومنه يعرف شعائر الحق في الأقضية والأحكام، ويتوصل به إلى فيصل الأمور بالعدل في نوازل الأيام، فهو -على التحقيق- لباب الفقه في الدين، وسر الإصعاد إلى ذروة الاجتهاد في مقاصد الشرع المتين"^(٤)، وقد عرض فيه

(١) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٤ ص ٨٦٨، مقال بعنوان: المطبوعات الجديدة، لمحمد رشيد رضا.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم السناني، وُلد في عنيزة بالقصيم من بلدان نجد، وكان والده أحد العلماء الورعين، وأخذ عن بعض علماء بلده، ثم رحل إلى الشام وأخذ عن العلامة القاسمي، والشيخ عبد الرازق البيطار، وقد أحياه وأثريا على علمه وفضله، ثم رحل إلى بغداد ولازم العلامة محمود شكري الألوسي، وتوفي ببغداد سنة ١٣٢٧ هـ، انظر ترجمته: علماء نجد خلال ثمانية قرون: عبد الله البسام ٣/٥٠٣.

(٣) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٣ ص ٦١٣، مقال بعنوان: تعارض العقل والنقل في الإسلام، لجمال الدين القاسمي.

(٤) الفتوى في الإسلام: جمال الدين القاسمي ص ٢٥.

الشيخ القاسمي مباحث تتعلق بالفتوى في الإسلام، فذكر منشأ الفتوى، وكيف كانت في القرون الثلاثة المفضلة، وكيف كانت بعدها، وعرض إلى من كان يتولاها، وما يشترط فيها، كما تعرض لمسائل مهمة في ما يتعلق بالمفتي وذلك من ناحية حاجة المفتين إلى العلوم الرياضية، وأثر السياسة في إفساد الفتوى والمفتين، وتعرض العلماء للأذى بسبب الفتوى، وغير ذلك من المباحث المهمة، وقد نشر الكتاب أولاً في مجلة "المقتبس"^(١) كمقالات متسلسلة سنة ١٣٢٩هـ، ثم طبع أول مرة ككتاب مستقل في مطبعة "المقتبس" بدمشق سنة ١٣٢٩هـ، في ٧٢ صفحة.

٧. كتاب: مجموع متون أصولية، وهي مجموعة متون اختارها الشيخ القاسمي رحمته الله لحاجة الطلاب إليها، وتشتمل على "مختصر المنار" لزين الدين الحلبي الحنفي المتوفى سنة ٨٠٨هـ، و"الورقات" لإمام الحرمين الجويني الشافعي المتوفى سنة ٤٧٨هـ و"مختصر تنقيح الفصول" لشهاب الدين القرافي المالكي المتوفى سنة ٦٨٤هـ، و"قواعد الأصول" لصفى الدين البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٧٣٩هـ، وقد ذكر الشيخ القاسمي سبب اختياره لهذه المتون في رسالة إلى صديقه الشيخ محمد نصيف رحمته الله، حيث قال: "إني نظرت فرأيت أكثر الكتب المتداولة في علم الأصول صعبة تكاد تكون كالألغاز، ولا ثمة متن يقرب المتناول للمبتدئ، فبذلت من الجهد في التنقيب ما الله به عليم، حتى ظفرت بهذه المتون الثلاثة، وإن كانت الورقات شهيرة منها لكنها غير كافية، إلا إذا ضمَّ إليها ما يفوقها في التوسع، وقد عانيت في المتن الرابع مشقة زائدة"^(٢)، وقد اطلع على هذا المجموع الشيخ محمد كرد علي رحمته الله فأثنى عليه وعلى مؤلفه في مجلة "المقتبس" حيث قال: "ومن أعظم من

(١) انظر: مجلة المقتبس: العدد ٦١، ٦٢، ٦٣، ص ٤٢، مقال بعنوان: الفتوى في الإسلام، لجمال الدين القاسمي.

(٢) جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٧٤.

قام بهذا الأمر الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق فقد انتخب أولاً أربع رسائل من أحسن رسائل هذا الفن وكتب عليها حواشي نافعة بحيث تكشف الغطاء في كثير من المواضع، ولم يكفه ما فعل أولاً حتى اتبعها ثانياً برسائل أربع في مذاهب الأئمة الأربعة، وحشاها كذلك، وقد وصلنا هذا المجموع^(١)، وقد طبعت هذه المجموعة أول مرة بمطبعة محمد هاشم الكتبي في دمشق، في ١٥٠ صفحة.

٨. كتاب: شرح مجموع أربع رسائل في الأصول، وهو كتاب جمع فيه الشيخ القاسمي رحمته الله أربع رسائل في علم أصول الفقه ثم شرحها، والرسائل هي: الأولى: نسخها من أصول الشافعية للشيخ ابن فورك الشافعي، الثانية: نسخها من الباب ٨٨ من كتاب "الفتوحات المكية" للشيخ محي الدين ابن عربي، الثالثة: نسخها من شرح حديث "لا ضرر ولا ضرار" من شرح "الأربعين النووية" للشيخ نجم الدين الطوفي، الرابعة: نسخها من كتاب "النقاية" للحافظ السيوطي، وقد اطلع الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله على هذه الرسائل الأربع، فاستحسنها ونشر منها في مجلة "المنار"، وقال في الثناء عليها: "وقد طبعت في هذه الأيام مجموعة رسائل في الأصول لبعض أئمة الشافعية والحنابلة والظاهرية منها: رسالة للإمام نجم الدين الطوفي الحنبلي المتوفى سنة ٧١٦هـ تكلم فيها عن المصلحة بما لم نر مثله لغيره من الفقهاء، وقد أوضح ما يحتاج إلى الإيضاح منها في حواشيهما الشيخ جمال الدين القاسمي، أحد علماء دمشق الشام المدققين، فرأينا أن ننشرها بحواشيهما في المنار؛ لتكون تبصرةً لأولي الأبصار"^(٢)، وقد ألف الكتاب وطبع أول مرة سنة ١٣٢٤هـ، في بيروت، في ٨٠ صفحة.

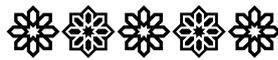
(١) مجلة المقتبس: العدد ١٨ ص ٤٢، مقال بعنوان: مطبوعات ومخطوطات، لمحمد كرد علي.

(٢) مجلة المنار: مجلد ٩ ص ٧٢١، مقالة بعنوان: أدلة الشرع وتقديم المصلحة في المعاملات على النص، لمحمد رشيد رضا.

٩. تعليقات على كتاب: قواعد الأصول ومعاقد الفصول لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي، وهي تعليقات وضعها الشيخ القاسمي رحمته الله على كتاب "قواعد الأصول ومعاقد الفصول"، والذي هو اختصار لكتاب "تحقيق الأمل في علمي الأصول والجدل"، وكلاهما للمؤلف المذكور، وهما من كتب الأصول عند الحنابلة، وقد طبع الكتاب بتعليقات القاسمي عليه بدار الفضيلة في القاهرة سنة ١٤١٧هـ، في ١٣٤ صفحة، بتحقيق أحمد مصطفى الطهطاوي.

١٠. تحقيق كتاب: إغاثة اللفهان في حكم طلاق الغضبان لابن القيم، وهو كتاب اعتنى الشيخ القاسمي رحمته الله بتحقيقه، فقد صحح القاسمي نسخة الكتاب، وخرّج أحاديثه، وعلّق على حواشيه، وقد طبع أول مرة بمطبعة المنار في القاهرة سنة ١٣٢٧هـ، في ٤٨ صفحة.

١١. كتاب: شرح لقطّة العجلان للزركشي، وهو كتاب شرح في الشيخ القاسمي رحمته الله كتاب "لقطة العجلان وبلّة الظمان" للإمام الزركشي، وهو كتاب يجوي مبادئ أربعة علوم هي الأصول والمنطق والحكمة والكلام، وقد ألف الكتاب سنة ١٣٢٥هـ، وطبع أول مرة بمطبعة مدرسة والده عباس الأول في القاهرة سنة ١٣٢٧هـ، في ١٧٠ صفحة.



المطلب السابع

محن الشيخ جمال الدين القاسمي

ظهر الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله وفي دمشق الشام أفراد ورثوا عن آبائهم وأجدادهم عمائم العلماء وألقابهم والرواتب التي كانوا يأخذونها من أوقاف المسلمين، ولم يرثوا عنهم من العلم بتلك الكتب شيئاً، فاتهم العلم، ولم يفتهم صرف الأوقات كلها في استنباط الحيل للتمتع بجاهه ومجده، تبعاً للتمتع بألقابه وأزيائه، فكان من أكبر الخطوب عليهم أن يروا في الشام عالماً يتصدى للتدريس والتصنيف، ويبين حاجة البلاد إلى الإصلاح والتجديد، فإذا تصدى لذلك أحد يكيدون له المكائد، وينصبون له الحبال، ويغشونه الفتنة، ويجعلونه في موقف الظنة، فيسعون به إلى الحكام، أنصار كل منافق، ويهيجون عليه العوام، أتباع كل ناعق، فماذا يعمل العالم المصلح بينهم؟!^(١).

وكانت حياة الشيخ القاسمي رحمته الله مليئة بالمحن والمصائب من نصب هؤلاء، والسبب في ذلك: أنه كان يأتي بما يخالف ما هم عليه من الباطل مما تعودته الناس وألفوه، فكان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولقد صبر على ذلك صبراً عظيماً، ولقد كانت الحكومة العثمانية تراقبه خشية أن يأتيها بمفاجأة لا تستطيع ردهه، خاصة وأن القاسمي رحمته الله كان من دعاة الاجتهاد والتجديد في الدين، وأنه مع خلاف قوي مع أهل الجمود والتقليد، وكانت الحكومة تحشى أن يلتفت الناس حوله ويؤيدوه في أفكاره وأراءه، فيقوم بتغيير علمي وديني عام، كما فعل الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمته الله في البلاد الإسلامية التي زارها، وكما فعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب^(٢) رحمته الله في الجزيرة العربية، لذا كانت العيون عليه أكثر من غيره، والخطأ - إن

(١) انظر: مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٦٣٤، مقالة بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٢) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، فقيه، أصولي، مفسر، محدث، ولد سنة ١١١٥ هـ، في "العينة" بنجد ونشأ بها، وكان أبوه قاضيها، سكن في "حريملاء"، بدأ دعوته ناهجا منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد

وقع منه - عقوبته أكثر من غيره^(١)، ومما لقي من خصومه: إشاعة الأقاويل بدعوى إحدائه في الدين، والوشاية به إلى الوالي أكثر من مرة، وتحذير الناس والعامّة منه حتى على المنابر، واتهامه بالاتهامات الباطلة المزورة وغيرها، وكان يقابل ذلك كله بصدر رحب، وخلق حسن، ورضا جميل، ولا يدخل في المهاترات والمجادلات، وما كان يناقش إلا بالحكمة والموعظة الحسنة والبرهان، وكثيرا ما يؤثر الصمت، والابتعاد عن الخصوم، وعدم ذكر أسماءهم، ولا ينشط للرد إلا إذا رأى الحاجة إلى ذلك، كأن يكون الباطل يسد مسالك الحق، أو أن يظهر الحق أمامه ضعيفا، فهو لا ينتصر لنفسه، بل يؤثر الأناة، وكظم الغيظ، وحسن التروي في الأمور^(٢)، ولقد مرّت في فترات حياته المحن التالية:

١. محنة اتهام الشيخ القاسمي بـ "الاجتهاد"، والخروج عن المذاهب الأربعة.

اجتمع مجموعة من علماء دمشق العاملين^(٣)، وعقدوا العزم على القراءة في التفسير والحديث والبحث في بعض المسائل الفقهية وأدلتها، وشرعوا بقراءة كتاب "كشف الغمة" لعبد الوهاب الشعراني، وكان الشيخ القاسمي رحمته الله يُحَرِّجُ لهم أحاديثه ويشرح لهم ألفاظه،

الخالص، ونبذ البدع، وقد تأثر به رجال الاصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، وقد ساهم خصومهم بـ "الوهابيين"، نسبة إليه، وشاعت التسمية الاخيرة في الشرق والغرب، وأخطأ بعضهم فجعلها "مذهبا" جديدا في الاسلام، تبعوا لما افتراه خصومه، توفي في "الدرعية" سنة ١٢٠٦هـ، ولترجمته كتب مفردة، وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٦/٢٥٧. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٣/٤٧٢.

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٠٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٤٩. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٣.

(٣) وهم: الشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ سليم سمارة، والشيخ بدر الدين المغربي، والشيخ توفيق الأيوبي، والشيخ أمين السفرجلاني، والشيخ سعيد الفراء، والشيخ مصطفى الحلاق، والشيخ أحمد الجزائري، والشيخ محمد سعيد القاسمي - والد القاسمي - والجميع قد ابتلوا بهذه المحنة إلا الشيخين الأخيرين، أما الشيخ أحمد الجزائري فلأنه أخ للأمر عبد القادر الجزائري، وهو قريب من الدولة الفرنسية، فخشوا من ذلك، وأما الشيخ محمد سعيد القاسمي فقد اكتفوا بابنه، لفضله ومكانته وسمو قدره. انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٨، ٥٣.

ويُدوّن ذلك في حاشية الكتاب، وكان اللقاء يتم بالتناوب بينهم في بيوتهم، إلى أن حضر مجلسهم ذات مرة شخص ظاهره من أهل العلم، وسمع نقاشهم ومباحثاتهم، فأفشى ذلك في المجالس العامة، حتى وصل خبرهم إلى الوالي العثماني حسين ناظم باشا، فتناقش في موضوعهم مع المفتي، ورأيا استدعائهم والتحقيق معهم، خاصة بعد أن تكاثرت التهم الموجهة ضدهم، وكان الوالي يخشى من اشتغالهم بالنقاش في القضايا السياسية، وخروج ذلك للناس، خاصة مع قمع الحريات، وفشو المظالم، وقهر الناس.

وكانت التهم الموجهة للقاسمي ومن معه من العلماء تتعلق بقضايا علمية وفقهية، كلها تدور حول فكرة خروجهم عن أقوال الأئمة الفقهاء، والدعوة إلى الاجتهاد في الدين من خلال نصوص القرآن والسنة، فاستدعاهم المفتي إلى قاعة أكبر القضاة بالمحكمة، وحقّق معهم بحضور القاضي، ومفتي الحنفية، وغيرهما^(١)، وكان أول من سئل وحقق معه منهم الشيخ القاسمي، فسأله المفتي عدة أسئلة، منها: ما مذهبك الفقهي؟ فأجاب بأنه يتبع الله على مذهب الشافعي. ثم سأله عن ردّه لأقوال الأئمة الفقهاء؟ فأجاب بأنه يبرأ إلى الله من ذلك، ويعوذ به أن يسلك هذه المسالك، ثم سأله عن قوله في مسألة طهارة الخمر؟ فأجاب بأنه بنى قوله بنجاستها على الدليل، وأنه وضع رسالة في تلك المسألة، سماها "تنبيه الغمر في رد شبه

(١) تعمد القاسمي عدم ذكر الاسم الصريح للمفتي ومن معه من معاونيه؛ خشية الوقوع في أعراضهم، وقال: "ولو شئت أن أسميهم واحدا واحدا لفعلت، ولكن الستر أولى وأحسن"، وقد صرح فيما بعد بذكر اسم كبير القضاة؛ لموقفه النبيل معه عند مجيئه بنفسه لإطلاق سراحه من الحبس، وقد اعتذر المفتي فيما بعد لما حصل بينه وبين العلماء، وقد اعتذر الشيخ القاسمي في مذكراته لموقف المفتي، وذكر أنه تعرض وقتها لضغط من الوالي ومن بعض الوجهاء والعلماء ليشد عليهم، بل أغروه أنهم يسعون لرد فتواه بدعوى الاجتهاد، فلذلك قسى عليهم، واشتد في نقاشهم. انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٨٨، ٩١.

طهارة الخمر"^(١) وأعطاهم إياها لمناقشتها، ثم سأله عن مجلسه مع العلماء الآخرين وما يتذكرون فيه وما يتحدثون؟ فأجاب بأنهم يجتمعون للمدارسة، إما بالنظر في معنى آية قرآنية، أو معنى حديث أو أثر، أو لتقاش مسألة فقهية، أو مسألة أدبية أو لغوية ونحو ذلك من المسائل، وأن هذه عادة العلماء في الاجتماع للمذاكرة العلمية، ثم سأله عن سبب قراءتهم كتب التفسير والحديث وترك كتب الفقهاء؟ فأجاب بأن قراءتهم لكتب الحديث والتفسير على عادة أهل العلم، مع عدم وجود ما يمنع من ذلك، وأنهم لم يتركوا قراءة كتب الفقه، ثم سأله عن سبب قراءتهم كتاب "كشف الغمة" لعبد الوهاب الشعراني؟ وسبب وضعه حاشية لما يجتهد فيه؟ فأجابه بأن كتاب الشعراني كتاب حديث شريف، ولا يزال أئمة الحديث يقرؤونه، وأما الحاشية فإنها تخريج لأحاديثه، وشرح لخفي ألفاظه فقط وليست للاجتهد فيه، ثم سأله عن دعوته للاجتهد في الدين، وتأسيس مذهب جديد، يسمى "المذهب الجمالي"، وعن قوله في إجابة سائل: "خذها على المذهب الجمالي"؟ فأجاب بأن ذلك لم يصدر منه أبداً، وأنه يتمنى أن تكون المذاهب الأربعة ثلاثة، وأن تكون الثلاثة اثنين، والاثنين واحداً؛ لجمع كلمة الأمة، فكيف يتصور منه أن يزيد على المذاهب مذهباً خامساً يزيد في تفريق المسلمين؟. هذه أبرز الأسئلة التي سألها القاسمي، وبعد التحقيق معه أمر المفتي أن يؤخذ الشيخ القاسمي رحمته الله إلى الحبس في دار الشرطة، ويبقى رهن الاعتقال حتى ينظر في أمره، ثم حقق مع بقية العلماء وأطلق سراحهم، وبعد خروج المفتي من دار القضاء أمسك به المحامي محمد عيد -أخو القاسمي-، وطلب منه الإفراج عن أخيه أسوة بالبقية، وارتفع صوته عليه، فارتاع المفتي لذلك، وخشي الضرب، وفرَّ هارباً، ثم زاره الشيخ محمد سعيد -والد القاسمي- وطلب منه الإفراج عن ولده، وأنه وإن كان أصغر القوم سناً، إلا أن له أهلاً لا يرضون ما تصنعه به،

(١) وقد أحرقتها القاسمي فيما بعد، لأنه لم يرتضها. انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٥٤.

وذكره بالله ﷻ وانتقامه، وذكره بفقد ولده - وكان المفتي قد مات أكبر أولاده قبل الحادثة بشهرين - فخاف المفتي، وطيب خاطر الشيخ محمد سعيد، ووعد أنه يحصل الإفراج عنه في الغد، وبقي الشيخ رهن الاعتقال إلى عصر الغد، وكانت مدة اعتقاله قرابة ٢٠ ساعة، وكان قَصْدُ المفتي من اعتقاله أن يكون رهبة وعبرة للباقيين، خاصة وأنه أصغرهم في السن، وبعد أن برأ الله الشيخ القاسمي ﷻ ومن معه من هذه المكيدة، التي كانت سببا في رفع ذكرهم، وكشفت للناس عن شرف علمهم - خاصة القاسمي كونه الوحيد الذي اعتقل - فقد احتفى به بعد خروجه العامة والخاصة، وأثنى عليه شيوخه، وعلا نجمه بين أقرانه، وقد دَوَّنَ الشيخ القاسمي ﷻ كل تفاصيل هذه الحادثة وما بعدها وما قبلها مما له علاقة بها في مذكراته^(١)، وقد بقي يذكر هذه الحادثة إلى أواخر عمره، ويُحدِّثُ بها طلابه وأصدقائه^(٢)، وهو وإن كان خرج من هذه المحنة بريئا سالما من جميع التهم الموجهة إليه زورا وبهتانا، إلا أن أثرها السياسي بقي ملازما له، إذ بقي بيته ومسجده موضع نظر المراقبين والمفتشين، فقد وصل ذكره أسماع الحكومة، وأصبح ممن يُحسب حسابهم، وتُخشى مغبة أمرهم، في ذلك الزمن الذي كتبت فيه الحريات؛ لأن في أفكاره ما يدعو إلى التجديد في العلم، والتجديد في أسلوب الحياة، كما أن ذهنه نقاد، وفكره متحرر، وهذا النوع من العلماء ممن لا ترضى عنهم الحكومة في تلك الأزمان، فأصبح بعدها عرضة إلى كثرة المسائلات، وتوالى عليه مسلسل المحن والالتهامات^(٣).

وبعد: فقد كشفت هذه المحنة للقاسمي - وهو ما زال في مقتبل شبابه حيث لم يجاوز ٣٠ من عمره وقتها - واقع عصره العلمي، وأوضحت له ما عليه القوم من جمود وتأخر، وكانت بالنسبة له صدمة فكرية، لكنها دفعته للعمل والإصلاح أكثر، بل زادت يقينا وثباتا على

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٨ - ٦٩. وقد أوردتها كاملة بنص كلام القاسمي.

(٢) انظر: المرجع السابق: ص ٢٠٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٩٩، ٢٠٠.

الطريق، وعزيمة وهمة إلى الإصلاح، خاصة في جانب الكتابة والتأليف، فقد أثرت في أفكاره، وفي طريقة كتابته، وفي أسلوب تأليفه، وأصبح بعدها يكثر النقل من أقوال السلف التي لم يعهد على علماء عصره نقلها عنهم، ولم يألّف الناس سماعها، وذلك بعدما رأى ما عليه القوم من تضييع لأقوال أهل العلم، والاختصار على الجامد الموروث^(١).

٢. محنة علاقة الشيخ القاسمي بالأستاذ الزهراوي.

أوقف الأستاذ عبد الحميد الزهراوي رحمته الله^(٢) في دمشق سنة ١٣١٨هـ، فخاف الشباب الأحرار والمشايخ العاملون، ووقع الإرجاف بسبب ذلك في المدينة، ووقع للشيخ القاسمي رحمته الله مكروه عظيم، وهو أنه ذات ليلة أفزعه طارق أدخل الرعب عليه وعلى أهل بيته، وأنذرهم بالشر، وكان الطارق مختار المحلة يصحبه جماعة من الشرطة والمتنفذين، يطلبون منه كتاب "الفقه والتصوف"، وهو من تأليف الأستاذ الزهراوي رحمته الله، فأجابهم إلى طلبهم، وسلمه لهم، وبقي على خوفه ووجله أياما، وكان يتوقع الأذى من الحكومة في أي لحظة، خاصة وأن العهد بالمحنة الأولى ما زال قريبا، ويقول: "فكان البلاء هو انتظار وقوع البلاء"، ثم أفرج عن الأستاذ الزهراوي رحمته الله، وأطلق سراحه، فسرى عن الشيخ القاسمي رحمته الله، وسكن روعه^(٣).

(١) انظر: المرجع السابق ص ٧٠.

(٢) عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهراوي، من رجال العلم بالدين والسياسة، مفكر، صحفي، ولد في حمص ١٢٧٢هـ، عمل على مقاومة سياسة العثمانيين قبل إعلان الدستور، فأصدر عددا من الصحف كصحيفة "المنير"، و"معلومات" و"الحضارة"، وقد نُفي إلى دمشق، فاشترك في تأسيس حزب "الحرية والاعتدال"، وحزب "الائتلاف" ولما انعقد المؤتمر العربي الأول في باريس انتخب رئيسا له، ثم استماله الاتحاديون وأقنعوه بعزمهم على الإصلاح، وجعلوه من أعضاء مجلس الأعيان العثماني، ثم قبضوا عليه، وحكموا عليه بالإعدام شنقاً في دمشق سنة ١٣٣٤هـ، وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/ ٢٨٨. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٢/ ٦٥.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٣٠.

٣. محنة علاقة الشيخ القاسمي بالشيخ أحمد الحسيني.

قدم إلى دمشق الشيخ أحمد الحسيني رحمته الله سنة ١٣٢٢هـ، وكان الشيخ القاسمي رحمته الله قد زاره في مصر أثناء رحلته إليها، فأكرمه الشيخ أحمد الحسيني غاية الإكرام، وبالغ في الاحتفاء به، لذلك سارع الشيخ القاسمي وغيره من العلماء ومن يعرفه لزيارته فور علمه بوصوله، ولم يكن يعلم أن العيون تراقب الضيف وتحركاته وزواره، ولم يفجأ الشيخ القاسمي إلا والشرطة ترسل في طلبه لمقابلة مدير الشرطة، فلما قابله تلطف المدير معه، وسأله عن هذا القادم وعلاقته به، فأخبره بخبره معه في مصر، وأنه زاره من باب ردِّ الواجب على أهله، فقال المدير له: إنه قد بلغ الحكومة عنه ما يسوء، ولذلك ننصحكم بعدم اللقاء به، فقال القاسمي: سمعا وطاعة، ثم أخبره بضرورة مقابلة الوالي في هذا الأمر، فاصطحبه إلى الوالي العثماني حسين ناظم باشا ومعه اثنين من أهل العلم ممن قاموا بالزيارة مثله، فلما دخل على الوالي قرَّبه وأدناه ورحب به، ثم قال: إنه بلغنا أنكم تقولون بالاجتهاد، وتدعون الناس له، وأنه تكرر منكم ذلك، وهذا لا يناسب ما تقرر من أمر المذاهب، وأنا لما عهدنا من فطنتكم وذكائكم نأمل أن لا يبلغ مسامعنا ذلك عنكم، وأنا عاملنكم باللطف والرحمة، ولو كان واليا غيرنا لربما أجرى ما لا يحمد عقباه، ثم سأله عن هذا الرجل القادم من مصر؟ ومن أين لكم المعرفة به؟ فأخبره بمخبره معه عند زيارته لمصر، ثم سأله: هل هو من أهل الاجتهاد ومن القائلين به؟ فأخبره بأنه فقيه شافعي، وله مؤلفات فقهية، وهذا هو الظاهر لنا، ثم حذرهم الوالي منه، ومن الاجتماع به، وأذن لهم بالانصراف.

وقد تبين فيما بعد أن بعض جواسيس الوالي ارتاب من زيارة الشيخ أحمد الحسيني لدمشق، ومن كثرة معارفه من أعيان البلد ووجهاءها وعلماءها، وبعد زيارة القاسمي له، وما جرى فيها من مذاكرة علمية، ظنَّ أنه من القائلين بالاجتهاد والداعين إليه، فوشى به إلى الوالي، واحتاطت الحكومة على عاداتها في ذلك، وطفقت ترسل العيون لمراقبته أينما حلَّ وارتحل، وقد رغب الشيخ أحمد الحسيني بزيارة الشيخ القاسمي في بيته رداً لزيارته له في مصر،

وأرسل يطلب موعد لذلك، فما كان من القاسمي إلا أن اعتذر والأسى يعتصره على ذلك خشية من المسألة^(١).

٤. محنة اتهام الشيخين القاسمي والبيطار بـ"الوهابية".

اتهم الشيخ القاسمي وصديقه المقرب الشيخ عبد الرزاق البيطار سنة ١٣٢٤هـ بـ"الوهابية"، وكانت تهمة كبيرة يومئذ، فوصل أمرهما إلى المحكمة، واستدعيا ومعهما بعض المشايخ والتلاميذ بذات التهمة، وحُقِّق مع الشيخ البيطار، وأمَّا الشيخ القاسمي فإنه في تلك الفترة كان مسافرا إلى لبنان، يزور بيروت وصيدا وبعلبك برفقة الشيخ طاهر الجزائري، فحال سفره دون استدعائه والتحقيق معه، لكنه بقي على وجل شديد قرابة شهرين، طول مدة الدعوى ضد الشيخ البيطار، فسلمه الله ولم يصبه مكروه من التهمة شيئا، إلا أنها زادت لفت الأنظار حوله^(٢).

٥. محنة الشيخ القاسمي بسبب كتابه "مجموع الأصول".

في سنة ١٣٢٤هـ أثرت محنة على الشيخ القاسمي رحمته الله بسبب كتابه "مجموع الأصول" وما أورد فيه من رسائل، ومن بينها رسالة في أصول الظاهرية، لم ترق للجامدين، فأهاجوا عليه والي دمشق وقاضيها، وما زالوا كذلك حتى كاد يقع السوء على الشيخ القاسمي رحمته الله، ولولا تدخل بعض المخلصين لإصلاح الأمر، لكان لوقع ما يحذر ويخشى وقوعه^(٣).

٦. محنة الشيخ القاسمي بتفتيش مكتبته ومصادرة كتاب "دلائل التوحيد".

كانت شكوك الحكام والولاية تحوم دوما حول الشيخ القاسمي رحمته الله بسبب كثرة ما يبثي به الواشون عنه من أفكاره ومؤلفاته، وخشيت الحكومة أن تكون كتبه ومقتنياته كذلك،

(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٩٢.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٠٩.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٣٨.

فلذلك دأبت بين فينة وأخرى على تفتيش داره ومكتبته ومسجده ومصادرة بعض كتبه، ومن ذلك ما حدث له سنة ١٣٢٦هـ حيث فاجأته الشرطة برجالها في حجرته بسُدّة جامع "السنانية"، ففتشوها، ثم ذهبوا إلى بيته ففتشوه وصادروا بعض الكتب التي لم يرق لهم أسماؤها أو أسماء مؤلفيها، وغفلوا عن مكتبته الداخلية، مع أن فيها كتباً ومراسلات تمنعها الحكومة آنذاك، ومن أهم ما غفلوا عنه مسودات كتابه "دلائل التوحيد"، الذي كان يؤلفه في تلك الفترة، إلا أن أعدائه علموا بعدم تفتيش المكتبة الداخلية، وعدم مصادرة هذا الكتاب، وأمثاله مما يحوي على أفكار القاسمي واجتهاداته، ثم علموا بأنه انتهى من الكتاب، ويرغب بدفعه للطبع دون إذن إدارة المطبوعات، وبدون ترخيص من الحكومة، لأنه يعلم عدم موافقتها على طباعة ما يخالف ما هي عليه، فوشى به أعداءه إلى الحكومة، فأوفدت له لجنة خاصة مشكلة من الشرطة، ومسؤول عن الكتب "المكتبي"، فقاموا بتفتيش مسجده وداره ومكتبته كاملة، وصادروا كتباً وأوراقاً ومسودات وملازم مهمة، حتى جمعوا ٣ أكياس مملوءة بين مخطوط ومطبوع، ومن ضمن ما صودر مسودات كتابه "دلائل التوحيد"، الذي خشي عليه كثيراً؛ لأنه كان يرغب بطباعته، ولكن الله ﷻ لطف بالشيخ القاسمي وكتبه، فقد أعيدت إليه بعد ٧٠ يوماً، بعدما عرضت على لجنة شرعية قضائية، فحصتها ورقة ورقة، وقد برأت اللجنة الشيخ القاسمي مما اتهم به، وبرأه القاضي بإعلام شرعي، لكن تم منعه من طباعة كتاب "دلائل التوحيد"؛ لأنه لم يحصل على إذن رسمي من الحكومة، وفيما بعد تمكن من طبعه بعد إعلان الدستور العثماني^(١).

٧. محنة اتهام الشيخين القاسمي ومحمد رشيد رضا بـ"الاجتهاد الوهابية".

قدّم الشيخ محمد رشيد رضا سنة ١٣٢٦هـ إلى دمشق - موطنه الأول - وذلك

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٩. دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي

تفاؤلاً بأجواء الحرية بعد إعلان الدستور العثماني، وكان في استقباله ثلة من علماء الشام وأعيانها وأدباءها، وفي مقدمتهم الشيخ القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار، فلما زار المسجد الأموي ألقى على الحضور محاضرة عن مؤامرة الدول الغربية على الدولة العثمانية، ومطامعهم في تقسيمها والاستيلاء عليها، ودعا الحكومة العثمانية إلى الاهتمام بالتجنيد وإعداد العدة لذلك، إلا أن هذه المحاضرة لم ترق لبعض الجامدين، فتأمروا على الشيخ وطلبوا منه إلقاء درس لعامة الناس بالجامع في اليوم التالي، فأجابهم لذلك ووعدهم به، فلما كان اليوم التالي في أثناء الدرس، ثار عليه بعضهم، وقام رأسهم فاتهمه أما الناس أنه من دعاة الاجتهاد في الدين، ونبذ أقوال الأئمة الفقهاء الأربعة، وذكر أنه من الوهابية، وأن طريقته هذه تهدم الدين، وتؤذي بزواله، كما اتهمه بأنه يصف عامة الناس بأنهم مشركون، فعمت الضوضاء في المكان، وعلا صياح الناس، فقال لهم الشيخ: الفتنة نائمة، لعن الله من أيقظها، وأخذ يرد على الشبه بما استطاع، ويبين للناس عقيدته الصحيحة، ولكن أعدائه أثاروا العامة عليه أكثر، واتهموه أنه مبغض للنبي ﷺ، فما كان من الشيخ إلا أن نهض من مكانه وانصرف، ثم دعاهم الشيخ لمناظرة خاصة إن رغبوا وليس أمام العوام، فلم يجروا على ذلك أحد منهم، وصاروا يقذفونه بأشد العبارات، ويتكلمون بما فيه ليس فيه، فوصل خبر الحادثة إلى الحكومة، فحضرت الشرطة، واصطحبوا الشيخ ورأس الفتنة إلى الحبس في دائرة الشرطة، ثم أطلق سراحهما بعد ساعات بكفالة أحد الأمراء، لكن لم يهدأ أولئك الأعداء بعد هذا القدر من الأذى للشيخ محمد رشيد رضا، بل تعدوا إلى أبعد من ذلك، وهو أنهم تجمعوا مرة أخرى في الجامع الأموي، وأخذوا يصرخون ويتباكون ويصيحون على ضياع الدين بعد تمكين أمثال الشيخ لإلقاء الدروس، ويحرضون المصلين على التجمع والذهاب إلى دار الحكومة، فأشار بعض الإخوة على الشيخ محمد رشيد رضا بالرحيل لتهدة الفتنة، فارتحل الشيخ صباح اليوم الثاني، ولم يكن قد مضى على قدومه سوى يومين فقط، وبعد رحيل الشيخ تفرد مثيرو الفتنة بالشيخ القاسمي، وأشاعوا أنه هو الذي دعا الشيخ محمد رشيد رضا لزيارة دمشق، وهو الذي مكّن له من إلقاء

الدرس بالجامع الأموي، فأشعلوا عليه حرباً اضطرته إلى لزوم بيته ٣ أشهر، لم يتمكن فيها حتى من الإمامة بمسجده، ولم يخرج إلا للجمعة بمسجد صغير بجوار بيته، حتى لاقى في ذلك هو وأهل بيته وإخوته أذى شديداً، ومقالة كبيرة من الناس، خاصة من العوام الذين لا يدركون خفايا الأمور، وقد تسلح الأستاذ محمد عيد - شقيق الشيخ القاسمي - بالمسدس طوال هذه الفترة؛ خوفاً على أخيه وأسرته، وخوفاً على أهله، وقد حاول خصوم الشيخ القاسمي عزله عن الإمامة والتدريس والخطابة، لكنهم لم يقدرُوا على ذلك، كون الشيخ كان مكلفاً بها بموجب براءة سلطانية كانت لديه، وكان أحدهم يخطب على منبر الجامع الأموي ويقول تعريضاً بالشيخ: من الأسف أن يكون بعض هؤلاء الوهابية أئمة في مساجدكم المهمة، ثم إن العقلاء من أحباب الشيخ وأصفيائه وجيرانه أعادوه إلى إمامة جامعهم، ثم بعد ذلك إلى دروسه، حتى هدأت الفتنة وانكشف غمها، وبسبب هذه المحنة زادت الفجوة وتعمقت بين أفكار الشيخ القاسمي رحمه الله وبين عوام الناس في عصره^(١).

٨. محنة اتهام الشيخين القاسمي والبيطار بتأسيس جمعية النهضة السورية.

بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦ هـ ظنَّ العلماء المتنورون والرجال الأحرار أن في هذا الدستور متنفساً لهم، وتنسأ لعطر الحرية، لكن أملهم في ذلك خاب بسبب موقف رجال الحكم - الاتحاديين - من الدستور، وذلك أنهم استغلوا العمل بالدستور لكيلا اتهامات سياسية - خاصة - لكل من يُشتبه به، بحجة حفظ الأمن، وعدم زعزعة نظام الحكم، وقد لقي الشيخ القاسمي رحمه الله من ذلك نصيباً، حيث كان التهم الموجهة إليه قبل إعلان الدستور بسبب قضايا علمية، مقتصرة على اتهامه بالاجتهاد، أو فكره في تأليفه لبعض

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢١٠، ٤٤٢. شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي

الإستانبولي ص ٤٠. وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة "المنار" رحلته إلى دمشق وما جرى له فيها من محنة،

انظر: مجلد ١١ ص ٩٣٦، مقالة بعنوان: رحلة صاحب المنار في سوريا.

الكتب، أما بعد إعلان الدستور فقد وجهت إليه وإلى رفيقه الشيخ عبد الرزاق البيطار عدة تهم سياسية تدور حول تأسيس جمعية النهضة السورية^(١)، وأن أفكار الجمعية تصدر منها، وأن هدفها الاستقلال الإداري عن الحكومة العثمانية، وإقامة حكومة عربية مستقلة، وأن للجمعية عدة أفرع في البلاد، وأن لها صلات بأطراف خارجية في نجد واليمن، وأن للوهابية طرف في ذلك.

وقد كان بعض هذه التهم كفيلاً بأن تؤدي بصاحبها - حال ثبوتها عليه في ذلك الوقت - إلى حبل المشنقة أو النفي من بلده أو الاضطهاد والأذى الشديد، ولكن الله ﷻ سلم الشيخ القاسمي والشيخ البيطار من ذلك كله، فقد أستخدموا إلى دار الاستنطاق، وحقق معهم، فأجابا عن كل التهم الموجهة إليهما بالنفي والبراءة، وبعد أن اتسعت على الحكومة دائرة الاشتباه، حتى طالت كثيراً من رجال العلم والفكر والأدب وأعيان البلد، واضطربت الأوضاع في دمشق بسبب ذلك، فاضطرت المحكمة إلى غلق ملف القضية تماماً، ومنع محاكمة المشتبه بهم؛ خشية حصول أمر أكبر من ذلك، ويقول الأستاذ ظافر القاسمي عن هذه المحنة التي مرّ بها والده: "كان في طليعة المقصودين بالتنكيل، فقد سبق إليها، وقد بلغت شهرته ذروتها، وطبق صيته الخافقين، ولو أن الذين دبوا له التهمة اقتصروا فيها عليه وحده، لما كان له منها منجاة،

(١) تأسست سنة ١٣٢٤هـ، وكان اسمها قبل إعلان الدستور "جمعية النهضة العربية"، ثم تغير اسمها، وكانت تهدف إلى استيقاظ العرب من رقبتهم، ومعرفتهم بأنفسهم وتاريخهم وسبل رفعتهم ومجدهم، ونشر اللغة العربية بكل الوسائل، وكان لها أيضاً برنامج سياسي محدود، قوامه مطالبة الدولة العثمانية بالنظام اللامركزي لضمان حقوق العرب في الحكم، واعتماد اللغة العربية لغة رسمية في الولايات العربية، وقد تأسست على يد عدد من رجال الفكر والثقافة والأدب، منهم: الشيخ محب الدين الخطيب، وكان أول رئيس لها، والدكتور صلاح الدين القاسمي -أخو الشيخ جمال الدين- وكان أول سكرتير لها، والأديب محمد كرد علي، والأستاذ عثمان مردم، والأستاذ عارف الشهابي وغيرهم كثير. انظر للاستزادة كتاب: الدكتور صلاح الدين القاسمي، آثاره، صفحات من تاريخ النهضة العربية في أوائل القرن العشرين. جمعه: مسلم القاسمي، ص ٤-٦٨.

ولكن الله أراد به خيراً"^(١)، وبهذا سلم الله الشيخ القاسمي من هذه المحنة^(٢).

وبعد: فبالرغم من أن زمن الشيخ القاسمي رحمته الله كان زمن اضطهاد عام للعلماء العاملين، إلا أن الشيخ القاسمي رحمته الله لاقى في ذلك أشد ما لاقاه علماء عصره، وأن هذه التهم الكبيرة التي وجهت إليه ما كان لينجو منها لولا لطف الله به وعنايته له أولاً، ثم الظروف المساعدة التي احتفت بكل حادثة، ومن الملاحظ أن هذه التهم باعدت المسافة بينه وبين العلماء الجامدين، وأتباعهم من عامة الناس، وأقامت العداوة بينه وبينهم، ولم تبق حوله إلا من وافقه على منهجه من العلماء العاملين وأتباعهم من طلبة العلم وجمع من رجال الثقافة والفكر والأدب الذين يؤمنون بضرورة التغيير والتجديد، فهو بذلك خسر عامة الناس وربح طائفة من العلماء والمثقفين والأدباء، كما أن الملاحظ أن هذه التهم باعدت العلاقة بينه وبين الحكومة العثمانية، رغم حرصها على إكرام العلماء ورجال الدين والتقرب إليهم، ولكن كثرة الوشائيات والتهم ضد الشيخ القاسمي -رغم ظهور براءته منها- أفقدت الطرفين الثقة في بعضهما، وأبعدته وأمثاله من العلماء عن دوائر الدولة^(٣)، بل أصبحت الحكومة تتوجس منه الريبة،

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٠٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٠٢-٢٠٤، وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في مجلة "المنار" طرفاً من هذه المحنة وما جرى

فيها لصديقيه البيطار والقاسمي، انظر: مجلد ١٢ ص ٨١٨، مقالة بعنوان: العرب والترك. لمحمد رشيد رضا

(٣) يذكر الشيخ محمود مهدي الإستانبولي أن وزير العدل العثماني زار دمشق في عصر الشيخ القاسمي، فاستقبله المفتي وطاف به على دوائر العدل والمحاكم، والتقى بموظفيها العاملين بها، فعجب من مدى جهلهم، ثم سأل المفتي: ألا يوجد علماء في دمشق؟ فأجابه بوجودهم وكثرتهم، فسأله: من هم؟ فذكر له في مقدمتهم الشيخ القاسمي ورفيقه البيطار وغيرهم. فقال له: إذا كان يوجد لديكم أمثال هؤلاء فلماذا لا تقدمونهم ليستلموا زمام الأحكام في المحاكم، فنجل المفتي ولم يستطع أن يذكر له أن سبب إبعادهم هو سلفيتهم وحریتهم، وقال: إنهم لا يعرفون الأنظمة الحكومية، فقال له الوزير: إنهم ما داموا علماء فبقدرتهم بمدة وجيزة أن يسبقوا كل هؤلاء الجهلة الموجودين الآن في المحاكم. شيخ الشام جمال الدين القاسمي ص ٤٣.

خاصة بعد إعلان الدستور، وأصبحت التهم التي توجهها إليه تهما سياسية بعد أن كانت تهما علمية متعلقة بالفكر والمنهج.



المبحث الثاني

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله

وفيه خمسة مطالب:

- **المطلب الأول: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب العمل الدعوي.**
- **المطلب الثاني: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب التعليم.**
- **المطلب الثالث: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب التربية.**
- **المطلب الرابع: جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب السياسة.**
- **المطلب الخامس: رحلات الشيخ جمال الدين القاسمي.**

المطلب الأول

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب العمل الدعوي

ابتدأ الشيخ القاسمي رحمته الله جهوده في العمل الدعوي في سن مبكرة من عمره، فقد كان صيته ومكانته العلمية قد بدأت بالظهور والانتشار بين العلماء، وكان لزاما عليه أن يقرن هذا العلم بالعمل، وقد كانت له رحمته الله جهود في جانب العمل الدعوي، ومن الأمثلة التطبيقية على تلك الجهود ما يلي:

أ- تولى رحمته الله إمامة الصلوات بالناس ولما يبلغ ٢٠ عاما من عمره، وذلك سنة ١٣٠٣هـ، فقد طلب الشيخ أحمد الحسني الجزائري وجماعة من الوجهاء من والده الشيخ محمد سعيد الحلاق الإمامة والصلوة بهم بجامع "العنابة" بباب السريجة، فاعتذر منهم، وأرسل بدلا منه ابنه الشيخ جمال الدين، وأمره بالقيام بذلك نيابة عنه، فابتهج الناس به، وأحبوا مقامه فيهم، وذلك لأنه كان حسن الصوت بتلاوة القرآن الكريم، ولما كان له من حصيلة علمية جيدة، جعلته يتفرد عن من سبقه بإلقاء الدروس العامة في الصباح وبين العشاءين لعامة الناس في فنون شتى، وقد بقي في هذا المسجد إماما إلى أن توفي والده سنة ١٣١٧هـ^(١).

ب- تولى رحمته الله الإمامة والخطابة والإلقاء، وذلك لما توفي والده سنة ١٣١٧هـ طلب منه القاضي وبعض خواص العلماء كالشيخ طاهر الجزائري والشيخ عبد الرزاق البيطار القيام بإمامة جامع "السنانية" خلفا لوالده رحمته الله، فانتقل إلى الجامع من فورهم، وأصدرت له الحكومة العثمانية براءة سلطانية بأحقيته بالإمامة في الجامع الذي أمم الناس فيه والده وجده من قبله، ولما انتقل إلى الجامع تولى فيه الإمامة والخطابة وإلقاء الدروس، وقد بقي فيه إلى

(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٥٩.

أن توفي رحمته الله ^(١).

ج- رحلاته رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى وتعليم الناس، وذلك أنه في سنة ١٣٠٩ هـ انتخب من أعضاء مجلس الإدارة بدمشق للعمل عند الحكومة العثمانية، وذلك لإقراء الناس الدروس العامة في شهر رمضان في أقضية ولاية سوريا، وبقي على هذه الوظيفة ٤ سنوات، حتى ألغتها الحكومة، وكان القاسمي كلما أرسل إلى مكان يحرص على نشر العلم بين أهله، ويُدوّن رحلته في مذكرات ^(٢).



(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٩٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٦٠، وسيأتي سرد لجميع رحلات الشيخ القاسمي للدعوة والتعليم في المطلب الأخير من هذا المبحث، وإنما أفردتها بمطلب مستقل لأهميتها، ولما ارتبط بها من فوائد ومؤلفات.

المطلب الثاني

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب التعليم

وهب الشيخ القاسمي رحمته الله نفسه للعلم والتعليم مبكرا، وقام يدعو إلى الأخذ بالعلم قولاً وعملاً، وقد كانت له رحمته الله دروس علمية في المسجد والبيت والمدرسة، فأما وقت الفجر وبعد العصر وبين العشاءين فكان مخصصاً للدروس في المسجد، وأما وقت الضحى فكان مخصصاً للمؤلفات وغالبا ما يكون في المسجد أو المدرسة، وقد كانت له غرفة خاصة في المدرسة "العبدلية"، وأما بعد العشاء فكان مخصصاً لدروس التفسير في بيته، وكانت دروسه يرتادها جميع الناس من مختلف المستويات الثقافية والطبقات الاجتماعية، وكان رحمته الله إذا حضر في أي مجلس سواء كان مجلساً علمياً أو مجلساً عاماً فإنه يصرف الحديث في الأمور النافعة، أو في القضايا التي تصلح المجتمع المسلم، أو ينبه الناس إلى ما يجب التنبيه إليه من أمور دينهم^(١)، وقد كانت له رحمته الله جهود في جانب التعليم ومن الأمثلة التطبيقية عليها ما يلي:

أ- إقراءه رحمته الله لمقدمات بعض العلوم والفنون سنة ١٢٩٤هـ، وكان عمره ١٤ عاماً، فقد طلب منه والده إقراء بعض الطلبة المبتدئين في جامع "السنانية" بعد صلاة المغرب مباشرة، وقبل أن يحين موعد درسه -والد القاسمي- حيث كان معيداً له، فشرع في شرح مقدمات بعض العلوم والفنون، كما أقرأ متن "غاية الاختصار" -من المتون المختصرة في فقه الشافعية- مراراً، وقد كانت ممارسة الشيخ القاسمي للتعليم في زمن مبكر لها فائدة عظيمة عليه، وذلك في بذل العلم للناس، ورفع الجهل عنهم، وفي التقوي على ضبط العلم^(٢).

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٧، ٣٧.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٥٨.

ب- دروسه رحمته الله في جامع "السنانية"، والتي ذاع صيتها واشتهر بها، وهي الدروس التي بدأها جدُّه وأبوه من قبله، وقد استأنفها بعدهما سنة ١٣١٧هـ، حيث كانت له قراءة كل يوم ثلاثاء وجمعة في الكتب الستة، وله دروس في علوم متعددة من العلوم الشرعية والعربية والعقلية، كما كان له اهتمام خاص بعلم أصول الفقه؛ لأنه يرى أنه يدفع متقنه إلى الاجتهاد، ومحاربة التقليد^(١).

ج- دروسه رحمته الله في بيته، فقد كان بيته أشبه بمدرسة يغشاها الطلاب منذ الصباح حتى الهزيع الأول من الليل، وأكثر ما كان يقرأ في بيته دروس التفسير، وكان حين إلقائه هذا الدرس يمسك بيده تفسير "الجلالين"، ثم يُعلِّق عليه، وكان طلابه رحمته الله إذا بدأ في درس التفسير يتمنوا أن لا يكون لكلامه آخر، لعدوبة أسلوبه، وقدرته على فهم حقائق القرآن، حتى أن طلابه رحمته الله كانوا إذا انتهى الدرس أو توقف لعارض شعروا بالوحشة له والغربة عنه^(٢).

د- إقامته رحمته الله لجلسات النقاش والحوار في بيته، وكانت تعقد مرة أو مرتين كل أسبوع، وتخصص هذه الجلسات لقراءة كتب مثل: "تهافت الفلاسفة" للغزالي، أو "مقدمة ابن خلدون"، أو غيرها من كتب الفلسفة والمعارف العميقة، التي قلَّ من كان يقرأ مثلها من علماء دمشق في دروسهم، فكانت تقرأ هذه الكتب، ويتخلل هذه القراءة حوارات ومناقشات حول موضوع الكتاب أو حول قضايا شرعية أو سياسية أحيانا، وكان القاسمي يشارك فيها، ويلفت انتباه الحاضرين بتمكّنه في مباحثها، خاصة فيما يتعلق بقضايا واقع عصره، وكان يحضر تلك الجلسات أعيان وعلماء وأدباء دمشق، وممن كان يحضر تلك الجلسات على سبيل المثال: الأمير شكيب أرسلان، والطبيب عبد الرحمن

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباظة ص ٢٠٧.

(٢) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٣٨.

الشهبندر، والشيخ محمد كرد علي، والكاتب عبد الوهاب الإنكليزي، وغيرهم كثير من العلماء والمثقفين^(١).

٥- إقامته ﷺ لطلابه دورات علمية متخصصة، يعقدها في جامع السنانية، أو في بيوت بعض معارفه، وأحياناً في بعض المنتزهات نزولاً عند رغبة الطلاب، ويحضر هذه الدورات العلمية ثلة من مشاهير العلماء والمثقفين في عصره، كالشيخ طاهر الجزائري مثلاً، وكانت تدور موضوعاتها حول مسائل وقضايا علمية وأدبية^(٢).



(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٩٢.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٠٨.

المطلب الثالث

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب التربية

كان الشيخ القاسمي رحمته الله مربيا بفطرته، متحيبا إلى أبناء وطلابه، حريصا على صيانة الواحد منهم نفسه مما يستقبح أو يشين، وكان يحرص على تربية أبناء وطلابه، ويرى وجوب الاهتمام بالشباب والفتيان، وجعلهم يأخذون الفائدة والعبرة من كل مواقف الحياة، وكان يوجه النصائح التربوية للأباء والمربين لربط التربية بسلوك الفرد في حياته، وكثيرا ما كان يذكر قصة تولي أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قيادة الجيش وهو في سن مبكرة، ويبيّن أن مرجع ذلك إلى حسن التربية^(١)، وقد كانت له رحمته الله جهود في جانب التربية ومن الأمثلة التطبيقية عليها ما يلي:

أ- ربّي الشيخ القاسمي رحمته الله تلاميذه على الصبر على أذى الناس وعلى سوء أخلاقهم، ومقابلة إساءتهم بالإحسان، ومن ذلك أنه كان سائرا في الطريق يوما ومعه أحد تلاميذه، فوقف على حانوت وكلم صاحبه بكلمات لطيفة ككلام الصديق لصديقه، فابتعد تلميذه عن الحانوت حتى انصرف شيخه عنه، فسأله لماذا لم تسلم على صاحب الحانوت؟ فقال التلميذ: إنني نفرت منه؛ لأنه كان من تلامذتك، ويدعو معنا إلى السلفية، فانقلب عليك وعلينا، وأصبح يَنْفُرُ وَيُنْفَرُ إلى أن انطفأت الفتنة التي أثارها علينا الجامدون. فقال الشيخ: يا بني، هل تريد أن يكون الناس كلهم سلفيين على مشربنا؟ إذا أردت ذلك فأنا أعدُّ لك السلفيين في دمشق، فعدهم فكانوا قليلين، ثم قال: هؤلاء قد تجتمع معهم في الشهر مرة، فهل تود أن تعيش منفردا عن الأمة، غير داعٍ للإصلاح، ولا صابر على أخلاق الناس؟ إن

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٤.

كل من يعيش منفردا يعيش عيشة تعسة ليس لها فائدة^(١)، وكان ذات مرة مارا بأحد شوارع دمشق فمرَّ على جماعة من خصومه فأخذوا ينظرون إليه بشدة، ويحدقون النظر فيه، ويشيرون إليه، فكان يُرَبِّي طلابه على الصبر على مثل هؤلاء ويقول لهم: "إنَّ عمل هؤلاء يشبه عمل المشركين حينما كانوا يرون الرسول ﷺ وهو مارٌّ في الطرقات، وقد جاء القرآن الكريم في وصفهم بقوله ﷺ: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلفونك بأبصرهم لئلا سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾ (٢) (٣).

ب- تربيته ﷺ تلاميذه على الصبر على أخلاق زملاءهم في طلب العلم، وكان يحثهم على لين الجانب لهم، وتحمل الجفوة الحاصلة منهم، لأنها من جفوة الأقران، ومن ذلك أنه كان له تلميذ ذكي، وافر النباهة، لكنه عصبي المزاج، سريع الغضب، كثير النفور، فكان الشيخ القاسمي ﷺ يوصي تلاميذه بمراعاة صديقهم ومسايرة حاله حتى لا يكون ذلك منفرا له عن طلب العلم^(٤)، و رآه تلميذه الشيخ حامد التقي ﷺ يوما يتواضع لزميل له أيام الدراسة، فاستغرب عمله، وقال له: ما هذا التواضع؟ فقال له: "إن هذا كان زميلاً لي في طلب العلم، ولم يجِدَّ ويجهد، بل كان يناوئي العدا، فرأيت أن أخفف شيئاً من حسده خشية الإضرار بي، لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٥) أي: إذا تمكن الحسد منه، فيخترع أنواع الأذى التي لا تخطر على البال، فإننا لا ننجو من شرِّ الحساد إلا إذا

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ١٨.

(٢) سورة القلم: ٥١، ٥٢.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ١٨.

(٤) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٨٢، ١٨٣.

(٥) سورة الفلق: ٥.

ج- التجأنا إلى الله تعالى منهم، ثم سعينا لمداراتهم لتخفيف وطأة حسدهم إذا أمكن"^(١).
 تربيته طلابه رحمهم الله على الحرص على الفوائد وكتابتها، فكان يأمر كل تلميذ له أن يصطحب معه مفكرة على الدوام؛ ليُسجل عليها كل فائدة يسمعها، أو كل حادثة تقع معه، وكان يقول: "لو كان كل منّا يجمع كل ما سمع من المسائل المهمة لتّم له أعظم مما كُتِبَ في كتب الأدب والدين"^(٢)، وكان يقول أيضا: "لو كان خَلْفُنَا كَسَلِفُنَا في المحافظة على كتابة الفوائد التي كانوا يسمعونها من أفواه علمائهم الفطاحل، لترك خَلْفُنَا مجلداتٍ من هذه الأفواه، لكنّها ضاعت لعدم حرصهم عليها"^(٣)، وكان يحكي لطلابه قصة الأصمعي مع تلميذه، وذلك أن الأصمعي كان له تلميذ يلازمه ويحرص على كتابة الفوائد منه، فتضايق صدره من كثرة كتابة هذا التلميذ، فقال له: أنت كالحفظة تكتب كل لفظة، فقال له تلميذه: وهذه تكتب أيضا"^(٤)، ولذا فقد كان الشيخ القاسمي رحمهم الله حريصا على حمل المفكرة معه، وقد أَلَّفَ مما جمعه فيها من الفوائد في صباه كتاب سماه "السفينة"، كما أنه خَلَّفَ بعد موته مجموعة كبيرة من المفكرات التي تحوي نفائس علمية مبثوثة في كتب شتى"^(٥).

د- تربيته رحمهم الله طلابه على الاستماع إلى العلماء، والاتصال بهم للأخذ عنهم والاستفادة منهم، وخاصة أصحاب الاستنباط والاجتهاد، فلم يستأثر بالطلاب لنفسه، ولم ينظر إليهم على أنهم من أتباعه فَيُحَجَّرَ عليهم حريتهم ويحجزهم عن ارتياد حلقات العلم، بل كان يأمرهم بالبحث عن أهل العلم المتخصصين ببعض العلوم التي لم يأخذوا بها، بل

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ١٩.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٤.

(٣) المرجع السابق ص ٧٩.

(٤) المرجع السابق ص ٧٩.

(٥) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٢٨، ٦٣٥.

بصحبهم هو بنفسه إليهم ويوصيهم بهم^(١).

٥- تربيته ﷺ طلابه على عدم التسليم للأفكار والآراء إلا بدليل، ويشترط عليهم عند حضورهم مجالس أهل العلم عدم قبول إلا ما صحَّ الدليل فيه، وأما ما لا يصح فيأمرهم أن يلقوه وراء ظهورهم، وكان يحثهم أن لا يكون هذا الأمر حاجزا لهم عن اللقاء والحضور، لأن الحضور فيه حثُّ وتشجيع للعلماء على بذل العلم أكثر فأكثر، كما أن فيه تكثير لسواد طلبة العلم، لأن مجلس العلم لا يخلوا من فائدة، فيجب على الطالب أن يأخذوا الفائدة ولو كانت الفائدة العاشرة، ويلقوا الفوائد التسعة التي عداها خلف ظهورهم، وقد كانت هذه الطريقة متبعة من طلابه حتى معه، يقول تلميذه الشيخ حامد التقي ﷺ: "باحثه مرة وخالفته في رأيه، فأبطل رأبي بالأدلة، فلم أقنع، وقلت له: لم أقنع، فقال لي: أنت حر، لك رأيك، ولي رأبي"^(٢).

٥- تربيته ﷺ طلابه على طرائق التفكير الجيدة، خاصة فيما يتعلق بطريقة تفكير الخصوم، ويبيِّن لهم أن هذه الطريقة تُنبه الأذهان، وتثير العقول، وتؤجج الأفكار، وتحب الطالب في النقاش، وكان يقول لهم: "عليكم أن تفكروا بتفكير خصوم السلفية، وتأتوني بحججهم وشبههم لأرد عليها"^(٣)، وهو بهذا لا يريد أن يأتيه الطالب فيصبَّ عليه العلم صبا، بل يريد من طلابه أن تدور الآراء فيما بينه وبينهم، وتقوم بينهم المناقشات والردود، وكان طلابه يطرحون له كثير من الشبه التي تحيك في صدورهم وصدور من يلتقون

٣٦٠^(٤)

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٨٤، ٨٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٩١.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٣٨.

ز- تربيته ﷺ طلابه على ترك الكسل والخمول واغتنام الوقت أحسن اغتنام، وكان يقول لهم: "احفظوا أوقاتكم جدا، وادأبوا على المطالعة وحفظ ما يهيم من الأصول، وعودوا أنفسكم على كتابة مقالات وإنشاء جمل في الموضوعات الهامات، ولا تحملوا أنفسكم بالتقصير عن اللحاق بالسبق، فالزمان ما ترون، والعقل من تبصّر وتصبّر وجارى، وما الإنسان إلا ابن جده، وقد مضى زمن من كان يرتاش بأبيه وجده"^(١)، وهذا الكلام كان شعارا للشيخ القاسمي في حياته، أخذ به كل الأخذ، وهو يشير في كلامه هذا إلى الاعتماد على النفس، والعزوف عن الفخر بالأباء، والتعود على التأليف وتحرير المقالات في الوقت الذي كان يتهيب فيه كثير من العلماء الدمشقيين الكتابة أو يهملونها ويزهدون بها^(٢)، وقد مرّ ذات ليلة ومعه بعض طلابه بشارع "الدرويشية" قرب باب الجابية، فوجد الناس في المقاهي وعلى الأرصفة، وهم يلعبون بالورق والنرد وغيرها من الألعاب المحرمة، فتأوه وقال: "ما أرخص وقت هؤلاء عليهم، إن أوقاتي ضيقة جدا، فيا ليتهم يعطوني شيئا من أوقاتهم لأتمم ما أنا شارع فيه من المؤلفات وخدمة المسلمين"^(٣).

ح- تربيته ﷺ طلابه على تجنب ما يقبح بطالب العلم فعله أو تركه أو الاهتمام به، ومن الأمثلة على تربيته طلابه على ما يقبح بطالب العلم الاهتمام به، الاهتمام بأكل البذر المحمّص، فقد ذكر أحد طلابه أنه كان يحضر درس شيخه القاسمي، وعند الانصراف قام مودعا له، فسقط من جيبه قبضة من البذر المحمّص، فطلب منه البقاء وحده، ثم قال له بعد انصراف زملائه: "يا بُني، إن الشخص الذي يريد أن يعيش مصلحا بين قومه، فيغير ما بهم من العادات السيئة، ويعلمهم العقيدة السلفية البعيدة عن الشرك والبدع والأوهام

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٣٩.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢١٣.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢١.

والأخذ بالدليل والبرهان لا بالتقليد، هل عنده وقت لإضاعته بأكل البذر الذي هو طعام من يريد تضييع حياته كالصبيان والنساء الجاهلات" (١)، ومن الأمثلة على تربيته طلابه على ما يقبح بطالب العلم تركه، ترك حسن اللباس والهندام، فكان إذا رأى بعض تلامذته لا يهتم بحسن هندامه انزعج منه، وأمره بحسن اللباس بعد أن يُبين له فائدة حسن الهندام في عيون الناس، الأصدقاء منهم والأعداء، وكان يقول في ذلك: "من الضروري للعالم أن يكون حسن الهندام، فإن ذلك ينفعه في الدنيا والآخرة، ويجعله محترماً في العيون، ومراعاة الهندام من السنة المحمدية" (٢)، ومن الأمثلة على تربيته طلابه على ما يقبح بطالب العلم فعله، الذهاب إلى مواطن اللهو أو مواطن البدع، فقد قال تلميذه له يوماً: أودُّ الذهاب لأشاهد خزعبلات إحدى الطرق للتسلي وسماع الأصوات الموسيقية، فمنعه من ذلك، وقال: "لا تُكثِر سواد المبتدعة، ولا تكن قدوة سيئة لغيرك" (٣)، ومن الأمثلة أيضاً على تربيته طلابه على ما يقبح بطالب العلم فعله، الإفراط والإكثار من الأكل والشرب، حيث يقول تلميذه المقرب الشيخ حامد التقي رحمته الله: "وكان رحمته الله يصحبني في حضره وسفره للإشراف على تربيتي، أخذني مرة إلى وليمة، فشرعنا نأكل مما لذ وطاب، وبعد مدة قام فاضطرت إلى القيام معه دون أن أقنع من الطعام، فذكرت له بعد خروجنا من دار الضيافة أن نفسي ما زالت في الطعام، وقد قمت قبل أن أنتهي منه، فأجاني: إنني كنت أراقبك، وقد شبت من مدة وأنا انتظر، ثم رأيتك قد شرعت في الإضرار في جسمك بكثرة الطعام، لذلك سارعت في القيام خوفاً على بطنك" (٤)، ومن الأمثلة أيضاً على تربيته

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق ص ٨١.

(٣) المرجع السابق ص ٩١.

(٤) المرجع السابق ص ٨٩.

طلابه على ما يقبح بطالب العلم فعله، التباهي بالألقاب والأنساب والافتخار بها، حيث يقول تلميذه الشيخ حامد التقي رحمته الله: رأيت مرة وقَّعتُ اسمي فقلت: كتب هذا حامد التقي لقباً، الحسيني نسبا، السلفي مذهبا، فغضب وقال لي: "ارفع هذا ولا تك متميزا عن المسلمين، واقتد بتوقيع ابن تيمية في جميع كتبه، فكان يقول: كتبه أحمد بن تيمية"^(١).

ط- تربيته رحمته الله طلابه على علو المهمة في طلب العلم على الدوام، وبذل الجهد في تعلم العلم، ثم تعليمه للناس، والصبر على كل ذلك، ومن الأمثلة على ذلك أنه قال يوما لأحد طلابه يعاتبه: "وإني لازمت أساتذتي ربع الزمن الذي لازمتني فيه، ثم انفصلت عنهم، ورتبت خطة أسير عليها لخدمة العلم، وإرجاع مجد الإسلام، والقيام بالرسالة التي ينبغي أن يقوم بها كل مصلح، وأهم أهدافها: بيان عظمة الإسلام، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وتنبيه الناس إلى ما دخل عليه من بدع وخرافات هي غريبة عنه، فعليك بالمسارعة بالعمل قبل فوات الأوان"^(٢)، وقال لتلميذ له مرة: قد علمتك علوما كثيرة، فهل تذكرها؟ فعددها التلميذ له، فقال بعد ذلك: "بقي علم واحد لا أستطيع أن أعلمك إياه، وهو أن تكون ذكياً، بحاثاً، لقباً، فكن من نفسك كذلك"^(٣)، وكتب إليه ذات يوم تلميذه الشيخ حامد التقي رحمته الله، وذكر له أنه وسد إليه وظيفة مدرس بمحافظة نائية عن دمشق، وأن أهلها في منتهى الهمجية والتخلف عن المدنية، وأنه لما وصل إليها، ورأى حال أهلها عزم على الاستقالة من الوظيفة، والرجوع ليكمل ملازمة الدروس على شيخه، فأجابه الشيخ القاسمي رحمته الله بقوله: "إني ما علمتك وما غديتك بما غديتك به؛ إلا لثرينا آثار ما زرعناه فيك، وتحقق ما أمَّلناه بك في تلك البلاد التي هي متعطشة لأمثالك، وأما عندنا فيوجد

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٤٧.

(٢) المرجع السابق ص ٩١.

(٣) المرجع السابق ص ٨٩.

أمثالك كثيرون، فاثبت في وظيفتك، واعمل فسيري الله عملك"^(١)، ويقول أحد تلاميذه أيضا: كنا يوما ندرُسُ التفسير، وكان بضيافة أستاذنا الشيخ طاهر الجزائري، فسألت الشيخ عن تفسير كلمة لغوية، فنهري الجزائري، وقال: هَلَّا بحثت عنها في القاموس قبل مجيئك إلى درس الشيخ، إنه ينبغي أن تُحَصِّرَ الدرس قبل مجيئك، وإذا استشكل عليك أمر بعد ذلك فاسأل الشيخ، ولا يجوز أن تسأله مسألة إلا إذا صَعُبَت عليك بعد طول بحث، فقلت: إنه ليس عندي قاموس، فقال: بعْ عما تمك واشتره، فسَرَّ القاسمي من هذا التوجيه الذي يبعث الاستقلال والاعتماد على النفس في نفوس الطلاب، وقال للشيخ الجزائري: "أشكركم على حسن توجيهكم"^(٢).

ي- تربيته ﷺ طلابه على الاعتماد على النفس في كسب المال، والبعد عن قبول الصدقات، والأمر بالسعي والعمل لكسب الرزق، وكان إذا أراد أن يتصدق على بعض هؤلاء التلاميذ يأمرهم أن ينسخوا له بعض مسوداته، ثم يكرمهم باسم الأجرة لا باسم الصدقة، وهذا أمر مهم في حياة طلبة العلم، فهم قد يتعرضون أحيانا لهدايا الآخرين ممن يعطفون عليهم ويرغبون في إكرامهم تقربا إلى الله ﷻ، فكان الشيخ يأمرهم برفض آية صدقة مهما كانت، وليس غريبا على القاسمي مثل هذه التوجهات، فهو يكره لطلابهِ الدون والتواني، ويخشى عليهم مما قد يَحُطُّ من مكائتهم، ومكانة العلم الذي يحملونه^(٣)، وكان دائما يَقْصُ على طلابه خبر الشيخ سعيد المجتهد^(٤) مع الشيخ حامد العطار، وذلك أنه قبل وفاة

(١) مجلة التمدن الإسلامي مجلد ١٩ ص ٧٦٤-٧٦٦. مقالة بعنوان: من هو جمال الدين القاسمي؟، للشيخ حامد التقي.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٢.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢١٤.

(٤) عمر بن أحمد الميداني الحنفي، الشهير بالمجتهد، فقيه محدث عالم عابد ورع تاجر، تفوق في سائر العلوم وتضلع بها، ولد بدمشق سنة ١١٧٨ هـ، وتوفي بها سنة ١٢٥٤ هـ، اشتغل بتجارة الأخشاب وكان له متجر بالميدان، وكان يقول: لم آكل

الشيخ المجتهد حدّث الشيخ العطار وقال: إنني ذاهب للقاء ربي، وأريد أن أحملك شهادة قبل أن أفارق الحياة لتشهد لي بها أمام الله يوم القيامة، وهي أنني منذ اشتغالي بالعلم إلى هذه اللحظة من الحياة ما أكلت بديني، إنما أكل من كسب التجارة، وكان الشيخ القاسمي يريد من رواية هذه القصة لطلابه أن يغرس في نفوسهم حبُّ الاعتماد على النفس، وعدم الركون إلى الهبات أو الأعطيات أو الرواتب التي قد تعطى لأهل العلم رغبة في أغراض أخرى، وكان يضرب لهم مثالا على ذلك بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله، حيث عرض عليه الحاكم في زمانه وظيفة قاضي للعسكر براتب عظيم، فأبى قبولها خشية أن يكون ذلك أسرا له، وتعمدا في إسكاته^(١).

ك- تربيته رحمته الله طلابه على التحلي بالأخلاق الحميدة، والبعد عن ما يضاد خلق طالب العلم، ومن ذلك تربيته لهم على اللين والهدوء وعدم الغضب، ومن ذلك أن تلميذا له شاهده يأخذ حقا له من خصمه قد حكم القاضي له به، فسلمه حقه وهو يخاطبه بألفاظ بذينة لا يليق أن تُذكر، فأخذ الغضب التلميذ، وانتصر لشيخه، فوجّه للخصم كلمات التأنيب، فلامه الشيخ القاسمي رحمته الله لوما عظيما، وقال له: "أصلحك الله، شخص صعب عليه أداء الحق، ففرّج عن نفسه بكلمات لا تليق، فاتركه يُنفس عن كربه، وما حزني بكلامه، إنما أمل أن أوجر بصبري على مثله"^(٢)، ومن الأخلاق التي كان يربي رحمته الله طلابه على التحلي بها عمليا خلق السخاء والكرم، حيث يخبر تلميذه الشيخ حامد التقي رحمته الله أنه كان يوميا

بديني درهما ولا غيره. انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ٣/ ١١٣١. علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ، نزار أباطة ١/ ٤٣٣. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي ص ٢١٣.

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٥.

(٢) المرجع السابق ص ١٨.

قبل الدرس يتناول وزملائه الطلبة طعام الإفطار عند الشيخ القاسمي رحمته الله بما تيسر من طعام^(١)، وقد سافر رحمته الله يوماً ما إلى حلب بصحبة تلميذ له، فنزل في ضيافة رجل غني جداً، فلم يحسن وفادتهما، وقبيل العودة لدمشق قدم له القاسمي رحمته الله هدية ثمينة، فقال التلميذ: إن مُضيئنا لم يُحسن ضيافتنا مع غناه العظيم، فليتك أقللت الهدية، فأجابه: "إنه غني عظيم، وقد أردت أن أعلمه السخاء والكرم"^(٢)، ومع أنه كان يدعو طلابه إلى التحلي بالسخاء والكرم إلا أنه يكره الإسراف والتبذير، ويريبهم على التفريق بينهما، ومن ذلك أنه دعاه تلميذ له مرة إلى طعام في داره، وأعدَّ له أنواعاً من الأطعمة الشهية، فأحسَّ رحمته الله أن تلميذه تكلف له بما لا يطاق بالنسبة له، ففاجأه رحمته الله بقوله: "هذا طعام البخلاء"، فاستغرب التلميذ قوله، وظن نفسه مقصراً في الضيافة، فسأله: لماذا كان هذا طعام البخلاء؟ فقال له: "إن البخيل يتكلف بصورة غير معهودة، علماً منه أنه لن يعود للوليمة مرة أخرى، وبعكس الكريم فإنه يتهاون دائماً لإطعام الطعام ولو مما عند أهله"^(٣).

ل- تربيته رحمته الله طلابه على عدم تقديس أشخاص أهل العلم، خاصة من يُعجب المرء بأقوالهم وآرائهم، ومن ذلك أنه تعجَّب مرة من تلميذ له حينما نبهه إلى مخالفته آراء ابن تيمية في مسألة ما، وقال له: "ومن قال لك أي مقلد لابن تيمية؟، فهو يكره التقليد، وإنما أَدافع وأناضل عن شيخ الإسلام، وأنشر رسائله وكتبه وفتاويه؛ لأنه مجتهد وغير مقلد، وأقواله أقرب إلى الصواب من غيره، ولأنه جاء متأخراً عن الأئمة، فزاد اطلاعه على اطلاعهم وناقشهم جميعاً"^(٤).

(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٦٨.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢١.

(٣) المرجع السابق ص ٩١.

(٤) المرجع السابق ص ٥٠.

المطلب الرابع

جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في جانب السياسة

كان موقف الشيخ القاسمي رحمه الله من النظام السياسي في أواخر الدولة العثمانية موقف المصلح الذي آلمته الأوضاع التي انتهت إليها الدولة الإسلامية من خنق الحريات، وإهمال اللغة العربية، إلا أنه رغم هذه الأمور كان يرى ضرورة إبقاء الخلافة العثمانية؛ لأنها إطار قوي وجامع للمجتمعات الإسلامية فيجب أن يُحافظ عليه، ولأنها تقف في وجه الأعداء والخصوم سواء كانوا من الصليبيين في الخارج أو من العلمانيين وأذنانهم في الداخل، وقد كان للعلماء والمصلحين في زمن القاسمي رحمه الله ثلاثة مواقف تجاه القضايا السياسية في أواخر الدولة العثمانية، هي:

■ **الموقف الأول:** وأصحابه هم الذين يرون وجوب استمرار الخلافة، ووجود الدولة على أساس الدين، ودعمها على وضعها كما هو، وهؤلاء قد نظروا إلى مواقف الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وخشوا أن يكون إجراء أي تعديل عليها مدعاة لضعفها ومن ثم سقوطها^(١).

■ **الموقف الثاني:** وأصحابه هم الذين يرون وجوب استمرار الخلافة، ووجود الدولة على أساس الدين، على أن يكون للعرب فيها الشأن الأول، لأن الدين وإن كان عاما لجميع المسلمين، إلا أن القرآن نزل بلغة العرب في الصدر الأول، ومن كان يرى بهذا الرأي الشيخ محمد عبده وصديقه جمال الدين الأفغاني خاصة ما نشره في جريدة "العروة الوثقى"^(٢).

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٦٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٦٦.

■ الموقف الثالث: وأصحابه هم الذين يرون وجوب استمرار وجود الدولة، لكن تقوم على أساس قومي لا على أساس ديني، وهؤلاء نظروا أيضا إلى أن سبب ضعفها الديني والسياسي هو اضطهاد العرب وإذلالهم، ورأوا أن سبب تماسك الدول الحديثة المعاصرة هو قيامها على أساس قومي، فهم لا يقصدون إهمال الدين وإبعاده أكثر من قصدهم إقامة دول إسلامية قوية تحت مظلة الخلافة العثمانية، وأن يكون أساس قيام تلك الدول هو "القومية"^(١) لكن بمفهومها الذي يروه معتدلا، ومما أثر بهم ليتجهوا نحو هذا الرأي هو ما كانت تموج الساحة الفكرية في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، حيث كانت الدول والشعوب مسرحا للتيارات الفكرية المعاصرة، كالقومية والاشتراكية والعلمانية ونحوها، ومما أثر بهم أيضا النظرة السلبية التي خلفتها الأحزاب الحاكمة في تركيا، والتي

(١) القومية: هي شعور أبناء الأمة الواحدة بأن هناك رابطة تجمعهم وتميزهم عن الأمم الأخرى غير رابطة الدين، وهذه الروابط إما أن تكون عرقية أو لغوية أو حضارية أو تاريخية أو سياسية، وأول ظهور لهذا المصطلح كان في أوروبا في القرن ١٩ الميلادي، ثم دخل إلى بلاد الإسلام مع دخول الاستعمار، حيث أن الاستعمار وجد ضالته في الدعوات القومية بهدف تمزيق الأمة الإسلامية والعودة بها إلى العصبية الجاهلية، والقومية في حقيقة أمرها هي تطبيق للفكر العلماني الذي ينحي الدين عن كافة شؤون الحياة، فإن أبواب القومية لا يلتفتون إلى الدين ولو تحققت لهم كافة المصالح العصبية والمادية ونحوها مما تجتمع عليها القومية، ولذلك يقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمته الله في نقد القومية: "من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال: إن الدعوة إليها والتكتل حول رايته يفضي بالمجتمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك، وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]". انظر: مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز، دار القاسم، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١/ ٣٠٥.

اضطهدت العرب اضطهاداً شديداً، ومنعتهم من اللغة العربية في أراضيهم، وأبعدت العرب عن الوظائف والمناصب العالية والهامة، فسعى المصلحون إلى الدعوة إلى القومية العربية، خاصة وأنهم رأوا أطماع الدول الاستعمارية في الأراضي العربية، وبُعَدَ العرب عن ثقافتهم وغفلت عن تراثهم وحضارتهم ولغتهم، ولذلك قامت الجمعيات والمؤتمرات التي تدعو إلى هذا الفكر، ومن بينها جمعية "النهضة العربية" في دمشق^(١).

وقد كان موقف الشيخ القاسمي رحمه الله يميل مع الفريق الثاني، لكنه لم يتنكر لموقف الفريق الثالث كلاً، ومما يدل على موقفه ذلك عدة أمثلة منها:

أ- إشدته رحمه الله في كثير من كتبه بمنزلة العرب ومكانتهم، وتمجيد مزاياهم، ووصف خصالهم وسجاياهم، وما حباهم الله تعالى به من الفضائل، خاصة قيامهم بنشر الدعوة إلى الإسلام، ونشره في أقطار الأرض، ولم يكن يرضى بالظلم الحاصل عليهم في أواخر الدولة العثمانية^(٢)، ولذا كان يقول عن العرب: "وإنما أوثرت بعثته صلوات الله عليه في العرب الأميين، لأنهم أَحَدُ الناس أذهانا، وأقواهم جنانا، وأصفاهم فطرة، وأفصحهم بيانا، لم تفسد فطرتهم بغواشي المتحضرين، ولا بأفانين تلاعب أولئك المتمدنين، ولذا انقلبوا إلى الناس بعد الإسلام بعلم عظيم، وحكمة باهرة، وسياسة عادلة، قادوا بها معظم الأمم، ودوَّخُوا بها أعظم الممالك"^(٣).

ب- أنه كان رحمه الله محسوباً على العلماء الشرعيين قبل أن يكون من رجال السياسة الناشطين، ومن مقتضى تعاليم الدين التي تعرفها طلاب العلم فضلاً عن العلماء عدم القول بالقومية -على ما لها من إسهام في تكوين الدول وتدعيم وربط أواصر المواطنين- لأنها تخالف ما

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٦٧، ٤٦٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٦٩.

(٣) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٢٢٨/٩.

جاء به الدين، وأنه لا يكون لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى، وأنه لا يمكن أن تُقدم أي رابطة أخرى على حساب رابطة الدين^(١).

ج- موقفه ﷺ من جمعية " النهضة العربية " فيه دليل على أنه لم يتنكر لموقف الفريق الثالث، وذلك لأنه كان على صلة بأغلب رجالاتها، وكانت تقام اجتماعاتهم ومناقشاتهم في منزله قبل تأسيس الجمعية وبعدها، ولا يُعقل كونه مخالفا لهم ثم يتصل بهم فضلا عن اجتماعهم في منزله، ولا يبعد أن يكون أحد من اقترح تأسيسها أو من وضع برامجها ومناهجها، فقد كان أمين الجمعية وأحد مؤسسيها هو شقيقه الطيب صلاح الدين القاسمي، وقد كان الذي قام على تربيته وتأديبه وتعليمه هو الشيخ القاسمي نفسه، فهو يعد من أحد طلابه، وقد كان الطيب هو لسان الجمعية الناطق، وقلمها الدافع، ولا يعقل أن يصدر الطيب صلاح الدين في رأي دون إطلاع أو معرفة الشيخ القاسمي، فضلا عن مخالفته له، وقد كان مما نشره الطيب صلاح الدين القاسمي باسم جمعية " النهضة العربية " مقالا بعنوان " القومية في الأمم "، وهو مقال يدعو إلى نهضة الأمة العربية، واستيقاظ العرب من رقتهم، ومعرفتهم بتاريخهم ومجدهم، ومن مقالاته أيضا مقال بعنوان " المسألة العربية ونشأتها "، وهو مقال يدعو فيه العرب للأخذ بمبدأ القوميات للحصول على حقوقهم، ونهضتهم من ذلهم واضطهادهم، فهذه المقالات وأمثالها تبين بوضوح فكر الجمعية التي كانت تهدف في برنامجها العلمي إلى نشر اللغة العربية بكل الوسائل، ومعرفة تاريخ وتراث العرب، وتطالب في برنامجها العملي السياسي الدولة العثمانية بتطبيق النظام اللامركزي في الحكم، وذلك لضمان حقوق العرب، واعتماد اللغة العربية لغة رسمية في الولايات

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٦٩.

العربية^(١).

وما سبق عرضه يتبين موقف الشيخ القاسمي السياسي، وجهوده في هذا الجانب، ويتضح أنه كان داعية بشكل غير مباشر إلى الإصلاح السياسي العام، والسبب في عدم مشاركته في الجوانب السياسية بشكل واضح السببين التاليين:

■ الأول: كثرة ما أصيب به من محن وابتلاءات جعلت الأنظار تلتفت إليه مباشرة في كل حدث عظيم، فخشي من ازدياد تلك المحن أو تعرضه إلى أذى الحبس أو النفي أو القتل.

■ الثاني: ما كانت عليه سياسة الدولة العثمانية في وقته من قمع الحريات وكبت المصلحين، خاصة قبل العمل بالدستور سنة ١٣٢٦ هـ.

كل ذلك جعله قليل الظهور للعامة والانعزال أحيانا عن المشاركة السياسية، والاتجاه نحو الجوانب العلمية فقط.

إلا أنه لما جاء زمن إطلاق الحريات، وأعلن العمل بالدستور الجديد سنة ١٣٢٦ هـ، وتنسم المجتمع نسائم الحرية، كانت أبرز مشاركة سياسية للشيخ القاسمي رحمته الله في ذلك الوقت، وذلك مشاركته في احتفالين أحدهما شخصي، والآخر رسمي شعبي.

أما الاحتفال الأول: فقد دُعي إلى حضوره في منزل أحد المشايخ من آل الكزبري، وذلك بمناسبة إعلان الدستور العثماني، فسُرَّ رحمته الله بهذه الدعوة، خاصة وأن قد دُعي إليها شخصيات بارزة من أهل العلم والفضل والمكانة في المجتمع الشامي، وقد أعد الشيخ القاسمي رحمته الله كلمة بهذه المناسبة عنوانها "منزلة القانون من الفقه" وقد ألقاها على الحضور نيابة عنه أخوه

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٧٠، ٢١٣. وللاستزادة عن الجمعية انظر: الدكتور صلاح

الدين القاسمي، آثاره، جمعه: مسلم القاسمي، ص ٤-٦٨.

الشيخ قاسم^(١)، وهذا نص الكلمة: "إخواني المحتفلين، يسرني ويسر كل نبيه أن نرى الوجوه بائسةً، والأنفُس هائِسةً، والصدور مفعمة بالمسرات، والجوانح تهتز بالبشارات، لما أظفر الله به من الأمانى، وأبلغها من مواسم التهاني، كيف لا وقد جرى في عهد الاستبداد على أيدي أولئك الخونة للدولة العلية، -يقصد الاتحاديون- والملة السنية، فظائع ومظالم، تقشعر لها الأبدان، ويتبرأ منها كل إنسان، فقد قاسى أحرار الأمة وخيارها من آلام النفي والسجن والعذاب والاضطهاد، ما لا تزال الألسن تردد صداه، حتى تفضّل الله تعالى علينا وأنعم بالخلاص والخروج من تلك الظلمات المدلّمة، إلى نور الحرية، حرية العلم والجهر بالحق، فالحمد لله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. إن الأنفُس كادت تُثْمِلُها لفظة الحرية، وتُسكرها نشأتها الفكرية، ويحُقُّ لنا، فإن لذة الإطلاق إثر التقييد والتحرير بعد التعييد لذة تفوق التوصيف، وتفوت التنويه بها والتعريف، إلا أن العاقل يعلم أن الحرية إذا لم تكن مقيدة بالآداب الشرعية، مصونة بسياج الأخلاق المرعية، وإلا فليست هي الغاية المتوخاة، إذن فلا بد من مراعاة أدب الدين والتمسك بعري اليقين، والاهتداء بهدي الأنبياء والمرسلين، وأتباعهم من الحكماء الناصحين، وهل يخفى على أحد سيرة النبيين من الصدع بالحق، والقول بالصدق، ونبد الهوادة، ورفض المحاباة، وأن لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يُقام بالعدل، ويُنظر بالقسط، وأن يُجَاهِد ببذل المال إذا أعوز الحال، وأن تُعَف الأَبصار عن الحرام، وتُكف الأسماع عن قول الزور، وتنطلق الألسنة بالخير، وتصمت عن الباطل، وأن يُنهم في العلم ويُكب على تحصيله، ويُسعى في الليل والنهار لنيل حقائق جُمِّله وتفصيله، العلم العلم، ما سادت أمة إلا بالعلم، ولا ارتقت إلا بالعلم، ولا استفحل شأنها إلا بالعلم، فاعملوا همكم

(١) يشير ظافر إلى أن والده لم يلق الخطاب بنفسه مع أن إلقاءه أعمق وأبلغ؛ تواضعا، وبعدا عن إعجاب الآخرين، وزهدا في الشهرة. انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٢٦.

على اكتساب العلم، والازدياد من العلم، والاجتهاد في التعلم والتعليم، واعتصموا بحبل الدين، فما أربح تجارة من تمسك بأدبه، واعتصم من أصله بأقوى سببه، فبالدين يقوى النجاح، ويكمل الفلاح، وبالختام أقول: إننا قد دخلنا الآن والحمد لله في حياة جديدة، ومنحنا نعمة حميدة، فيجب علينا أن نخصص للوطن أنفسنا، ونسعى جهدنا لإعلاء شأنه وتعزيزه، حقق الله الآمال، وحرس بعين عنايته مولانا السلطان الأعظم، ووفق وزراءه ورجاله إلى ما فيه عمران البلاد، وسعادة العباد، آمين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم^(١).

وأما الاحتفال الثاني: فهو احتفال رسمي شعبي، أقيم في تكية السلطان سليمان، وقد حضر الاحتفال الوالي والقاضي والمفتي وأعيان دمشق، وقد افتتح الحفل بقراءة مولد نبوي، مع إهداء ثوابه إلى روح الشهداء الأحرار الذين قضوا من أجل الحرية قبل إعلان الدستور، ثم تلا ذلك تلاوة القصائد والأشعار في تأبين أولئك الأحرار، ثم تناول الجميع المرطبات^(٢)، وقد كتب الشيخ القاسمي رحمه الله في خاتمة كتابه دلائل التوحيد كلاماً رائعاً يدل على فرحه وأنسه بزوال عصر الظلم والاستبداد حيث يقول رحمه الله: "كَمَلْ - يقصد كتابه - في غضون الأسبوع الذي مُنحت فيه الأمة العثمانية ممارسة دستورية، قائمة على مبادئ العدالة، واحترام الشورى، ونشر العلوم، وتحرير الناس من قيود الطغيان، الحمد لله الذي غير وضع البلد، وحوّل الأرض، لقد بُذت الحياة السابقة، حياة البلادة والإذلال والأسر والضعف والجهل، واستبدلت بحياة العز والنشاط والقوة والعلم والارتباط، فإليك الحمد يا رب العالمين لانقشاع سحب الكراهية، وانحسار طوفان الأحران، ولجعل السماء تمطر نعماً، وجعل جداول الكرامة تجري، اللهم ولك الحمد على ما أيدتنا من قوتك، وشددت أزرنا بنصرك"^(٣).

(١) الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي ص ٣١، ٣٢.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٢٨.

(٣) دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي ص ٢٠٦.

المطلب الخامس

رحلات الشيخ جمال الدين القاسمي

تميز الشيخ القاسمي رحمته الله بكثرة أسفاره وحبّه للرحلات، وكان الدافع لها في الأغلب الدعوة والتعليم، أو اللقاء بالعلماء، أو الظفر بالكتب والمخطوطات، مع ما يصاحب ذلك من استجمام وترويح عن النفس، وتفرج على الطبيعة، وتعرف على جغرافية المكان، وكان في رحلاته لا تفارقه روح العالم الباحث عن الفائدة، وكان يقضي طريق رحلته بالمدارسة أو المذاكرة أو المراجعة أو التأليف أحيانا!! وكان يصحب معه من الكتب ما تعرفه على تاريخ البلد وجغرافيتها، كما يصحب معه من تأنس روحه إليهم من الأصدقاء أو الطلاب، وكان يدون كل ما يمر به من فوائد في مذكراته، ثم يخرجها في مؤلفات خاصة بالرحلات^(١).

١. رحلات الشيخ القاسمي داخل ولاية سوريا

ارتحل الشيخ القاسمي رحمته الله رحلات متعددة داخل ولاية سوريا، وكانت أولى رحلاته رحلة دعوية علمية بانتداب من الحكومة العثمانية له في شهر رمضان، وكانت عادة الحكومة العثمانية انتداب العلماء والقراء إلى الأقسية السورية كل سنة في شهر رمضان، فانتدب لإقراء وتعليم الناس، وكان عمره ٢٦ عاما، وقد انتدب أربعة أعوام متتالية، وقد كانت رحلاته داخل ولاية سوريا إلى المناطق التالية:

- أ- انتدب رحمته الله للدعوة والتعليم إلى "وادي العجم بقضاء قطنا"، سنة ١٣٠٩هـ، وألّف عن تلك الرحلة كتابا أسماه: "بذل الهمم في موعظة أهل وادي العجم"^(٢).
- ب- انتدب رحمته الله للدعوة والتعليم إلى "قضاء النبك"، سنة ١٣١٠هـ وألّف عن تلك الرحلة

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٣١.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٩٧.

- كتاباً أسماه: "حسن السبك في الرحلة إلى قضاء النيك"^(١).
- ج- انتدب رحمته الله للدعوة والتعليم إلى "قضاء بعلبك"، مرتين، سنة ١٣١١ هـ والتي تليها^(٢).
- د- رحل رحمته الله للدعوة والتعليم بنفسه إلى "وادي حوران"، سنة ١٣١٤ هـ بعدما توقف انتداب الحكومة له^(٣).
- هـ- رحل رحمته الله إلى حماة وحمص سنة ١٣٢٥ هـ، وكان الغرض منها تخفيف الهموم والكروب، ولقاء المشايخ والأعيان، والتعرف على البلاد، وكان برفقته أخوه قاسم، ورحلوا بطريق القطار، فالتقوا ببعض الأعيان والعلماء والمدرّسين، وزاروا قبر الصحابي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه، وشاهدوا احتفال الناس بسباق الخيل في احتفال يسمى "خميس المشايخ"، لكن استاء من احتفال بعض مشايخ الطرق بالأعلام والطبول، وحمد الله أن ذلك مُحي من دمشق من سنين^(٤).
- و- رحل رحمته الله إلى حلب سنة ١٣٣٠ هـ، وكان الغرض منها زيارة مكتبتين في مدرستين شرعيتين مهمتين، هما المدرسة العثمانية^(٥) والمدرسة الأحمدية^(٦)، والتقى بعلمائها ومدّرسيها وفضلائها، وقد كانت رحلة قصيرة لم تتجاوز ٤ أيام^(٧).

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٩٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٩٧.

(٣) انظر: الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين: جمال الدين القاسمي ص ٣٠٥.

(٤) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٣٩.

(٥) بناها والي حلب عثمان باشا الدروكي، المتوفي سنة ١١٦٠ هـ، وهي أكبر وأعظم مدرسة بحلب. خطط الشام: محمد كرد علي ١١٥/٦.

(٦) أوقفها القاضي أحمد بن طه الحلبي، المتوفي سنة ١١٧٧ هـ، وفيها أكبر وأعظم مكتبة بحلب. خطط الشام: محمد كرد علي ١١٦/٦.

(٧) انظر: الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألويسي، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٢٠٦.

٢. رحلات الشيخ القاسمي خارج ولاية سوريا.

وكما ارتحل الشيخ القاسمي رحمته الله داخل ولاية سوريا فقد ارتحل خارجها، وكانت رحلاته متعددة الأغراض والوجهات، وهي كالتالي:

أ- رحل رحمته الله إلى لبنان، وهي أول رحلة ارتحلها، وقد زارها مرارا، وكان يأنس بزيارتها ويدوم على ذلك خاصة للاستشفاء بالهواء العليل في منطقة "البقاع"، وكانت أول زيارة له سنة ١٣١٥هـ، وكان الغرض منها الاستشفاء والاستجمام، ولقاء بعض أصدقاءه في بيروت، وكان برفقته من أصدقاء كلا من الشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ طاهر الجزائري، وقد زارها مرة ثانية سنة ١٣٢٤هـ، برفقة الشيخ طاهر الجزائري، وبقي فيها ١٦ يوما، فزار بيروت وصيدا، وأعجب بجامع بيروت الكبير، ودعاه صديقه الطبيب عبد الرحمن الشهبندر إلى زيارة "الجامعة الأمريكية"^(١) فزارها واطلع على مكتبتها، وعلى دار الآثار الملحق بها، كما زار "الجامعة اليسوعية"^(٢) واطلع فيه على ما يمكن الانتفاع منه، وهذا على خلاف السائد عن علماء عصره في مقاطعة كل ما له علاقة بالأجنبي، ولو كان مفيدا^(٣)، وقد زار لبنان مرة ثالثة سنة ١٣٢٥هـ، وزار فيها منطقة "البقاع"، وكان الغرض

(١) أسسها المستشرق الأمريكي الدكتور "دانيال بليس" سنة ١٢٨٢هـ بهدف خدمة الأنشطة التنصيرية، وسماها "الكلية البروتستانتية السورية"، وكان أول رئيس لها، وأنشأ فيها عددا من الكليات الطبية والعلمية، ومكتبة تحوي مخطوطات نفيسة، بالإضافة إلى مطبعة تابعة لها، ودار للآثار الثمينة، وفي سنة ١٣٣٨هـ قرر مجلس الأمناء تغيير اسمها إلى "الجامعة الأميركية في بيروت"، وما زالت حتى زمننا هذا. انظر: الموقع الرسمي للجامعة الأميركية ببيروت على الشبكة العنكبوتية. (ويكيديا)

(٢) أسسها مجموعة من قساوسة النصارى سنة ١٢٥٤هـ كمدرسة صغيرة لهم بجوار مقرهم في بيروت، بهدف خدمة الأنشطة التنصيرية، ثم توسعت سنة ١٢٩١هـ وسميت "جامعة القديس يوسف" وأصبحت تمنح الشهادات العالية في الفلسفة واللاهوت، وفيها أنشأ عدد من الكليات الطبية والعلمية، ومكتبة تحوي أنفس مخطوطات لبنان، وما زالت حتى زمننا هذا. انظر: الموقع الرسمي لجامعة القديس يوسف ببيروت على الشبكة العنكبوتية.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٣٧٥.

منها الاستجمام، والتعرف على المكان، والتفرج على الطبيعة، فزار القرية المعلقة، وزار بستان عجيباً لأحد أديرة العبادة، وأعجب بإتقان رعايته، وبهاء منظره^(١)، كما زار لبنان رابعة سنة ١٣٣١هـ، وكان الغرض منه الاستشفاء والترويح، حيث زار قرية "جبّ جنين"، من أعمال البقاع، وفيها أنهى كتابه "الوعظ المطلوب من قوت القلوب"^(٢).

ب- رحل رحمته الله إلى المدينة والمنورة سنة ١٣٢٨هـ، وكان الغرض الأهم منها زيارة المسجد النبوي، والسلام على النبي صلى الله عليه وآله، ثم الاطلاع على مكتبات المدينة المنورة الزاخرة بفرائد الكتب والمخطوطات، ولقاء علماء المدينة الأجلاء، وقد كان يرافقه في هذه الرحلة صهره زوج أخته خليل أسعد العظم، وكانت مدة الزيارة وجيزة لم تكف لسدّ نهمة العلمية، حيث لم تزد على ٩ أيام، وقد زار فيها مكتبة "شيخ الاسلام"^(٣)، المشهورة باسم "مكتبة الشيخ عارف حكمت"^(٤)، واطلع فيها على كتاب "المحلى" لابن حزم الذي كان من

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٣٩.

(٢) انظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب: جمال الدين القاسمي ص ٣٤٤.

(٣) أنشأت في المدينة المنورة سنة ١٢٧٠هـ، على يد الشيخ أحمد عارف حكمت الحسيني، وهي من أجل مآثره، وقد بذل في اقتناء كتبها وشرائها أموالاً كثيرة، وجهوداً كبيرة، وتعد من مفاخر المدينة المنورة، فهي من أغنى المكتبات بالمخطوطات القيمة؛ لكونها تضم بين جنباتها عدداً من المخطوطات النادرة من التراث الإسلامي المكتوب باللغات العربية والفارسية والتركية في شتى العلوم والفنون، وهي تحتوي على (٤٣٨٩) مخطوطاً أصلياً، إضافة إلى (٧٨٧٥) مطبوعاً نادراً وحديثاً، وتتميز مخطوطات المكتبة بأنها تمتد من حيث تاريخ النسخ على مساحة زمنية كبيرة تغطي أحد عشر قرناً، تبدأ من القرن ٤ الهجري، وتنتهي في القرن ١٤ الهجري، وقد ضُمت مؤخرًا إلى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة.

انظر: الموقع الرسمي لمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة على الشبكة العنكبوتية العالمية. (ويكيبيديا)

(٤) أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت باشا، الحسيني، قاض، تركي المنشأ، مستعرب، ولد سنة ١٢٠٠هـ، تقلد قضاء القدس، ثم مصر، ثم المدينة المنورة، ثم ولي مشيخة الإسلام في الأستانة سنة ١٢٦٢هـ، له نظم ومؤلفات، توفي بالأستانة سنة ١٢٧٥هـ. انظر ترجمته: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار ١/١٤١. الأعلام: خير الدين الزركلي ١/١٤١. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/١٦٠.

أولويات اطلاعه في هذه الرحلة، لأنه كان ممنوعاً في الشام، وكما زار المكتبة "المحمودية"^(١)، كما التقى بثلة من علماء المدينة النبوية^(٢).

ج- رحل رحمته الله إلى بيت المقدس سنة ١٣٢١هـ، وكان الغرض الأهم منها الصلاة بالمسجد الأقصى، والاطلاع على مكتبة القدس المسماة بـ"الخالدية"^(٣)، الزاخرة بفرائد الكتب، ونفائس المخطوطات، وقد رافقه فيها مجموعة من الأصدقاء، واستمرت ٤٠ يوماً، وأنهى أثناء بقاءه في المسجد الأقصى كتابه "قواعد التحديث"، والتقى بثلة من علماء ووجهاء

(١) أنشأت بالمدينة المنورة قديماً، جدها السلطان العثماني محمود الثاني سنة ١٢٣٧هـ، وألحقها بمدرسة "قايتباي"، ولذلك نسبت إليه، وتعد ثاني مكتبة بالمدينة المنورة بعد مكتبة الشيخ عارف حكمت من حيث المحتويات والتنظيم والشهرة، وكانت تحوي من المخطوطات على (٣٣١٤) مخطوطاً من الثمين والنادر، ومن المطبوعات على (٣٧٦٥) مطبوعاً، وتتميز بكثرة مخطوطاتها في بعض الفنون مثل: التفسير والحديث والفقهاء الحنفي والحنبلي والتاريخ. أما تواريخ نسخ المخطوطات بها فتتراوح ما بين القرن ٤ الهجري والقرن ١٣ الهجري، وقد ضمت مؤخراً إلى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة. انظر: الموقع الرسمي لمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة على الشبكة العنكبوتية. (ويكيبيديا).

(٢) انظر: رحلتي إلى المدينة المنورة: جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ، ص ١٧ وما بعدها.

(٣) أنشأت في القدس سنة ١٣١٨هـ، قرب المسجد الأقصى، على يد الحاج راغب الخالدي، بوصية من جدته خديجة بنت موسى الخالدي، وبمشورة من الشيخ طاهر الجزائري قيّم المكتبة الظاهرية بدمشق، فساعد الشيخ الجزائري على انشاءها، وأشرف على تصنيفها وتبويبها، ولذ فقد أشبهت المكتبة الظاهرية في الشكل والترتيب، إلا أنها أصغر منها، وتعد من أغنى المكتبات بالمخطوطات القيمة؛ لكونها تضم بين جنباتها عدداً من المخطوطات النادرة، وقد حوت عند إنشائها على (٦٨٥) مخطوطاً، و(٤٧١) كتاباً مطبوعاً، ثم زادت محتوياتها بعد ذلك، ففي سنة ١٣٣٥هـ بلغت أكثر من (٤٠٠٠) مخطوطاً ومطبوعاً، وفي سنة ١٣٨٦هـ تعرضت المكتبة تبعاً لمدينة القدس للاحتلال اليهودي، وكانت موجوداتها (١٢٩٣) مخطوطاً، و(٤٧٠٤) كتاباً مطبوعاً بالعربية وغيرها، والمكتبة لازالت قائمة إلى يومنا هذا، وتبلغ مخطوطاتها (١٩٦٧) مخطوطاً، وقد أنشأت لها أسرة الخالدية جمعية أسمتها: "جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية"، كما ترعى المكتبة اليوم: مؤسسة الفرقان العالمية، ومقرها في بريطانيا. انظر: خطط الشام: محمد كرد علي ٢٠٠/٦. الموقع الرسمي للمكتبة الخالدية على الشبكة العنكبوتية العالمية. (ويكيبيديا).

القدس الشريف، وقد تسابقوا إلى دعوته والاحتفاء به واکرامه، وطلبوا منه أن يقرأ درسا في المسجد الأقصى، لكنه اعتذر خشية أن يدخل العجب إلى نفسه فيحبط أجر رحلته، وقد زار مدة في بقائه القدس عددا من الكنائس ودور العبادة، كما زار مطبعة "اللاتين" وأهداه رهبانها مختصرا من التوراة قد بمطبتهم، وقد مرَّ في رحلته بمدينة عمان، وبقي فيها ١٠ أيام التقى فيها بجمع من أصدقائه، وعدد من علماء وفقهاء ووجهاء البلد، واحتفوا به وأكرمواه أيضا، كما زار منتزهاتها، واطلع على مباحج الطبيعة فيها، كما مرَّ أيضا على مدينتي الخليل، وبيت لحم وغيرهما^(١).

د- رحل رحمته إلى مصر، وقد زارها مرتين، كانت أولاهما سنة ١٣٢١هـ، وكان الغرض منها التعرف على مصر وأهلها وآثارها، ولقاء الأصدقاء، ومقابلة العلماء والأعيان، والتزود بالمخطوطات والمطبوعات، وقد رافقه فيها صديقه الشيخ عبد الرزاق البيطار، وقد التقى بالشيخ محمد عبده، وأقام عنده، وسرَّ بلقائه والتعرف عليه، كما حضر دروسه، وجلس معه للنقاش في قضايا متعددة، ومنه أخذ فكرة اختصار كتاب "إحياء علوم الدين"، كما التقى بشيخ الأزهر الشيخ علي الببلاوي^(٢)، ومجموعة من العلماء والأصدقاء والأدباء، أمثال الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ أحمد الحسيني، والأديب حافظ إبراهيم^(٣)،

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٠٣ وما بعدها.

(٢) علي بن محمد بن أحمد الببلاوي الإدريسي الحسيني المالكي الأشعري، الشيخ السادس والعشرين للجامع الأزهر، فقيه مالكي، عالم مشارك في أنواع من العلوم، ولد في قرية "ببلاو" سنة ١٢٥١هـ، عين نقيباً للأشراف سنة ١٣١٢هـ، ثم شيخاً للجامع الأزهر سنة ١٣٢٠-١٣٢٣هـ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ، وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ١٨/٥. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ٤٩٤/٢.

(٣) محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس، شاعر مصر القومي، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٧هـ، نظم الشعر مبكراً، اشتغل محامياً، ثم ضابطاً في البوليس، ثم محرراً في جريدة "الأهرام"، عين رئيساً للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥١هـ. له عدة دواوين. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٧٦/٦. معجم المؤلفين: عمر رضا

والأديب رفيق العظم^(١)، وغيرهم، وقد زار قبر الامام الشافعي الزيارة الشرعية، وزار الأهرامات وبعض المتاحف، كما زار المكتبات واشترى كثيرا من الكتب النافعة، ومن عجيب ما رآه في مصر الهاتف والكهرباء، وكانا موجودين فيها بخلاف بلاد الشام، وقد مرَّ على مدن مصرية عدة كالإسكندرية وطنطا وبورسعيد والمنصورة وغيرها، وفي أثناء إقامته بمصر ألف كتابا مختصرا للسيرة النبوية أسماه "شذرة من السيرة المحمدية"، ودفعه إلى صديقه الشيخ محمد رشيد رضا فطبعه في مطبعة "المنار" قبل عودته، وفي أثناء بقاءه مصر اطلع على عادات المصريين وطريقة عيشهم وحياتهم، فأعجبه ما هم عليه من تقدم وتطور وحضارة، وأثنى على ذلك، كما أنكر ما يصدر منهم من بدع وضلالات، وقد استغرقت رحلته شهرا ونصفا، دونها في مذكراته الخاصة^(٢).

٥- رحل رحمته الله إلى مصر مرة ثانية في أواخر أيامه، سنة ١٣٣١هـ، وكان الغرض منها إثبات نسبه الحسيني الشريف، وقد اهتمَّ بذلك أواخر أيامه، فارتحل مصطحبا معه ما يثبت نسبه موقعا ومختوما من الشيخ محمد سعيد العجلاني الحسيني، نقيب الأشراف بدمشق، وتوجه إلى مصر إلى مدينة دسوق، أصل العائلة الدسوقية -عائلة جدة القاسمي- والتقى بالشيخ عبد الحميد بن عبد الباقي البكري الحسيني، نقيب الأشراف في مصر، وعرضه عليه ما عنده، وبعد التدقيق والمطابقة وقَّع عليه وختمه، مثبتا بذلك شرف العائلة القاسمية أبناء الشيخ محمد سعيد -والد القاسمي- من جهتين، من جهة آباءهم الحسينيون، ومن جهة

كحالة ٦/٧٦.

(١) رفيق بن محمود بن خليل العظم، عالم باحث مؤرخ سياسي من رجال النهضة الفكرية في سوريا، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق، ولد في دمشق سنة ١٢٨٤هـ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٤٣هـ وله عدد من المؤلفات. انظر ترجمته:

الأعلام: خير الدين الزركلي ٣/٣٠. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١/٧٢٤.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٢٥ وما بعدها.

أمهاتهم الحسينيون، وبذلك نالوا شرف الأجداد والأسباط، وأصبح يُلقَّب بعد ذلك بـ"السيد"، وقد التقى في رحلته هذه بصديقه الشيخ محمد رشيد رضا، وقد قال عنه: "والشيخ -يقصد القاسمي- غني عن هذا اللقب، ولا يفهم المراد منه أحد"^(١)، وقد راسل أثناء إقامته في مصر صديقه الأمير الأديب شكيب أرسلان وصديقه الشيخ أحمد تيمور باشا^(٢).

وبعد: فإن الملاحظ أن هذه الرحلات التي قام بها الشيخ القاسمي، كانت كلها لخدمة الدعوة إلى الله تعالى، وبالرغم من أن الشيخ القاسمي رحمته الله كان لا يُحِبُّ الوظائف الحكومية ولا يرغبها، لأن الحكومة في زمنه كانت تحارب العلماء العاملين، ولا تقرب منها إلا الجامدين، بالرغم من كل ذلك إلا أنه قَبِلَ ما كُفِّفَ به من انتداب، وأخذ المكافأة لذلك؛ لأن الغرض كان خدمة الدعوة إلى الله تعالى، ونشر الدين الصحيح، وبث العلم الشرعي في الناس، كما أن من الملاحظ أيضا أن الشيخ القاسمي رحمته الله كان يجمع في رحلاته بين شخصيتين: شخصية العالم الحريص على العلم، وشخصية السائح والمنتزه، فهو يحرص على التأليف والكتابة تدوين الفوائد وكتابة المذكرات والاطلاع على الكتب ولقاء العلماء وطلبة العلم من جانب، ويحرص على التنزه والترفيه عن النفس والاستمتاع بالمناظر الجميلة والطبيعة الساحرة من جانب آخر.



(١) مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٦٣٤، مقالة بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٢) انظر: شرف الأسباط: جمال الدين القاسمي ص ٨١. جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ١٤٦.

الفصل الثالث

منهج الشيخ جمال الدين القاسمي

في الدعوة إلى الله

وفيه تمهيد ومبحثان :

■ المبحث الأول : أصول منهج الشيخ جمال الدين

القاسمي في الدعوة إلى الله.

■ المبحث الثاني : معالم منهج الشيخ جمال الدين

القاسمي في الدعوة إلى الله.

تهييد

عاش الشيخ القاسمي رحمه الله في فترة عصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية، وقد فرضت عليه تلك الفترة العسيرة جهوداً معيَّنة، اتخذها وفقَّ منهج محدد سار عليه في حياته، وهذا المنهج وتلك الجهود هي التي رسمت بمجملها الصورة الشخصية لحياة القاسمي الدعوية. ولقد مر الشيخ القاسمي رحمه الله بمحن ومصاعب متعددة في حياته جعلت هذا المنهج الذي تبناه في حياته يتضح بشكل بارز، بل إن هذه الصعوبات قد زادت ثباتاً وتمسكاً بما سار عليه في حياته، ولذا كان لزاماً على من يدرس حياة هذا الداعية الجليل أن يتوقف بعد عرض جهوده الدعوية عند منهجه الذي سار عليه في الدعوة إلى الله تعالى، ويعدُّ هذا الفصل خلاصة النظر في مؤلفات القاسمي ومذكراته وما كُتب عنه، ونتيجة لما تمَّ عرضه في المباحث السابقة، مستقاة على وجه الخصوص من حياة القاسمي العلمية وجهوده الدعوية، وسأبدأ أولاً بذكر التعاريف ثم سأعرض أصول المنهج الدعوي للشيخ القاسمي، ثم أعقب ذلك بذكر معالم هذا المنهج، مستعرضاً فيه الوسائل والأساليب الدعوية التي استخدمها وتعامل معها رحمه الله.

١. تعريف كلمة "منهج".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "منهج" مصدر، وأصلها في اللغة: نَهَجَ، وتطلق على عدة معانٍ متقاربة، هي: الوضوح والبيان.

قال في لسان العرب: "طريق نَهَجٌ: بَيِّنٌ واضح، وفي التنزيل: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

وَمِنْهَا جَا﴾^(١)، وأنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجاً، أي: واضحاً بيِّناً، والمنهاج: الطريق الواضح، وفي حديث العباس رضي الله عنه قال: «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى

(١) سورة المائدة: ٤٨.

تَرَكَكُمْ عَنْ حُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَطَرِيقٍ نَاهِجَةٍ^(١)، أي: واضحة بينة، ونهجت الطريق: أبتته وأوضحته، والنهج: الطريق المستقيم^(٢).

وقال في المعجم الوسيط: "المنهاج: الطريق الواضح، والخطة المرسومة محدثة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما، ويقال طريق ناهج: واضح بيّن، وطريقة ناهجة: واضحة بينة، النهج: البين الواضح، يقال: طريق نهج، هو الطريق المستقيم الواضح"^(٣).

ب- التعريف في الاصطلاح:

من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية يمكن تعريف كلمة "منهج" في الاصطلاح بأنها: "الخطة المرسومة الواضحة للوصول إلى شيء ما"^(٤)، أو: الطريق الواضح البيّن المستقيم الموصل إلى المطلوب^(٥).

ويمكن تعريف مصطلح "منهج الدعوة" بأنه: "نظمُ الدعوة وخططها المرسومة لها"^(٦)، أو: "طريق الدعوة الواضح المستقيم المبني على الأصول الصحيحة الثابتة من القرآن والسنة المطهرة وآثار السلف الصالح، الذي سلكه النبي ﷺ وصحابته الكرام ﷺ وأئمة الهدى من بعدهم"^(٧)، أو: طريق الدعوة الواضح البيّن الموصل إلى المطلوب منها^(٨).

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثانية، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ، وحكم عليه بالصحة، ٥٠٨/١٧.

(٢) لسان العرب: لابن منظور، ٤٥٥٤/٦، مادة (نهج) بتصرف.

(٣) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٩٥٧/٢، مادة (نهج) بتصرف.

(٤) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٩٥٧/٢، مادة (نهج).

(٥) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

(٦) المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد البيانوني ص ٤٦.

(٧) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية: د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط ٢، ١٤٣١هـ،

٦٩/١.

(٨) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

٢. تعريف كلمة "أصول".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "أصول" جمع، ومفردتها في اللغة: أصل، وتطلق على عدة معان، منها: الأساس أو القواعد أو ما يبنى عليه الشيء أو ما يقوم عليه.

قال في لسان العرب: "أصل، الأصل: أسفل كل شيء، وجمعه أصول"^(١).

وقال في المعجم الوسيط: "أصل الشيء: أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبتُ

منه، وأصول العلوم: قواعدها التي تبني عليها الأحكام"^(٢).

ب- التعريف في الاصطلاح:

من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية يمكن تعريف كلمة "أصول" في

الاصطلاح بأنها: "عبارة عما يُفتقر إليه ولا يُفتقر هو إلى غيره، أو عبارة عما يُبنى عليه غيره ولا

يُبنى هو على غيره"^(٣).

ويمكن تعريف مصطلح "أصول الدعوة" بأنه: الأسس والقواعد التي تقوم عليها

الدعوة للوصول إلى نتائجها"^(٤).

٣. تعريف كلمة "معالم".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "معالم" جمع، ومفردتها "مَعْلَم"، وأصلها في اللغة: "عَلِمَ"، وتطلق على عدة معان

مقاربة، هي: العلامة على الشيء، والدلالة عليه، أو الأثر.

قال في لسان العرب: "والمَعْلَم: ما جعل علامة وعلمًا للطرق والحدود، مثل: أعلام

(١) لسان العرب: لابن منظور، ج ١/ ٨٩، مادة (أصل).

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ١/ ٢٠، مادة (أصل) بتصرف.

(٣) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ص ٤٥.

(٤) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

الحرم، ومعالمه المضروبة عليه، وفي الحديث: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْنَاءِ عَفْرَاءٍ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»^(١)، وقيل: المعلم الأثر. والعلامة والعلم: الفصل يكون بين الأرضين، أو شيء ينصب في الفلوات تهتدي به الضالة"^(٢).

وقال في المعجم الوسيط: "العَلَمُ: العلامة، والأثر، والفصل بين الأرضين، وشيء منصوب في الطريق يهتدى به، ورسم في الثوب، وسيد القوم، والجبل، والراية، جمعها: أعلام، والمعلم: العلامة، ومن كل شيء مظنته، وجمعه: معالم، ويقال خفيت معالم الطريق"^(٣).

ب- التعريف في الاصطلاح:

من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية يمكن تعريف كلمة "معالم" في الاصطلاح بأنها: ما يستدل به على شيء أو طريق من أثر أو نحوه^(٤).

ويمكن تعريف مصطلح "معالم الدعوة" بأنه: ما يستدل بها على طريقة الدعوة إلى الله تعالى من أساليب ووسائل ونحوها^(٥).

٤. تعريف كلمة "أساليب".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "أساليب" جمع، ومفرداها "أسلوب"، وأصلها في اللغة: "سلب"، وتطلق على عدة معانٍ متقاربة، هي: الطريق أو المذهب أو الفن.

قال في لسان العرب: "يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب،

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦٥٢١، كتاب الأدب، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، ١/ ٢٢٥.

(٢) لسان العرب: لابن منظور ٤/ ٣٠٨٤، مادة (علم) بتصرف.

(٣) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٢/ ٦٢٤، مادة (علم) بتصرف.

(٤) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

(٥) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب بالضم الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه" (١).

وقال في المعجم الوسيط: "الأسلوب: الطريق، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، والصف من النخل ونحوه جمعه: أساليب" (٢).

ب- التعريف في الاصطلاح:

من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية يمكن تعريف كلمة "أساليب" في الاصطلاح بأنها: "الأساليب الفنون المختلفة" (٣)، أو: الطريقة في عرض قول أو عمل ما (٤).

وقد عرف مصطلح "أساليب الدعوة" بعدة تعريفات من أقرها:

(١) "الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته، أو: كفيات تطبيق مناهج الدعوة" (٥).

(٢) "كيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه" (٦).

(٣) طريقة الداعي في عرض الدعوة إلى الله تعالى (٧).

٥. تعريف كلمة "وسائل".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "وسائل" جمع، ومفرداها "وسيلة"، وأصلها في اللغة: "وسل"، وتطلق على عدة

(١) لسان العرب: لابن منظور ٦/ ٤٨٣٨، مادة (سلب) بتصرف.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ١/ ٤٤١، مادة (سلب) بتصرف.

(٣) التوقيف على مهات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي ص ٤١١.

(٤) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

(٥) تعريف د. محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٤٧.

(٦) تعريف د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٠، ١٤٢٦هـ، ص ٤١١.

(٧) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

معان متقاربة، هي: الصلة، والقربى، أو الرغبة إلى الشيء، أو المكانة والمنزلة. قال في لسان العرب: "الوسيلة: المنزلة عند الملك، والوسيلة: الدرجة، والوسيلة: القربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملاً تقرب به إليه، وتوسل إليه بوسيلة: إذا تقرب إليه بعمل، والوسيلة: الوصلة والقربى، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعِينُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَسِيْلَةً أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾^(١)، وفي حديث الأذان «آتِ مُحَمَّدًا أَلَسِيْلَةً»^(٢) «^(٣)». وقال في المعجم الوسيط: "وسل فلان إلى الله تعالى: عمل عملاً تقرب به إليه، توسل فلان إلى الله وتوسل إلى فلان بكذا: تقرب إليه بحرمة تعطفه عليه، الوسيلة: الواسلة، والوصلة، والقربى، ودرجة النبي ﷺ في الجنة"^(٤).

ب- التعريف في الاصطلاح:

من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية يمكن تعريف كلمة "وسائل" في الاصطلاح بأنها: "ما يتوصل بها إلى التحصيل"^(٥)، أو: ما يتوصل أو ما يتقرب به إلى شيء^(٦).

وقد عرف مصطلح "وسائل الدعوة" بعدة تعريفات من أقربها:

- (١) "ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور حسية ومعنوية"^(٧).
- (٢) "الطرق التي يتوصل بها الداعي إلى تبليغ دعوته"^(٨).
- (٣) "ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى على نحو نافع مثمر"^(٩).

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم ٦١٤، كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء، ١/٢٦٠.

(٣) لسان العرب: لابن منظور ٦/٤٨٣٨، مادة (وسل) بتصرف.

(٤) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ٢/١٠٣٢، مادة (وسل) بتصرف.

(٥) التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي ص ٧٢٦.

(٦) هذا تعريف إجرائي من وضع الباحث.

(٧) تعريف د. محمد البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص ٤٩.

(٨) تعريف الشيخ محمد بن عثيمين، رسالة في الدعوة إلى الله، مدار الوطن، عنيزة، ط ١، ١٤٢٨ هـ ص ١٣.

المبحث الأول

أصول منهج الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

وفيه عشرة مطالب:

- **المطلب الأول:** الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة.
- **المطلب الثاني:** التمسك بطريق السلف الصالح في جميع مسائل الدين.
- **المطلب الثالث:** الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.
- **المطلب الرابع:** الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- **المطلب الخامس:** الاعتماد على الحجة والمنطق والبرهان.
- **المطلب السادس:** نبذ البدع والخرافات والمذاهب المنحرفة والضالة.
- **المطلب السابع:** التمسك بالوسطية والتحلي بالاعتدال.
- **المطلب الثامن:** التجديد في الدين ومجانبة التقليد.
- **المطلب التاسع:** الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.
- **المطلب العاشر:** الحرص على وحدة الأمة ونبذ الفرقة والاختلاف في جميع الجوانب.

(١) تعريف د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص ٤٤٧.

المطلب الأول

الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة

كان الشيخ القاسمي رحمه الله عالماً وداعياً ملتزماً بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وقد اعتمد عليها في نشر العلم ودعوة الأمة، وظهر أثرهما في حياته العلمية والدعوية بوضوح، وكان يتبع الدليل الذي يقوده إليه الاجتهاد، فسَهَّل ذلك الاستنباط لديه، و يسر له رد كثير من الأقوال الضعيفة أو المرجوحة، وقد أكسبه الاعتماد على النصوص الشرعية ثباتاً وتوافقاً كبيراً بين جهوده الدعوية ومنهجه فيها، بحيث لا تجد بينها أي معارضة أبداً؛ لأنه يعتمد على النص القرآني أو النص النبوي الصحيح.

وقد كان الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة حاضراً في جميع دروسه ومحاضراته وخطبه ومؤلفاته، وكان يُثني على العالم الذي يُشغل أوقاته وأوقات طلابه في الدروس المتعلقة بالتفسير والحديث؛ لأنهما متعلقان بالكتاب والسنة، وكان يُعظم أوامر القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ويرى وجوب تقديم نصوصها على قول أي أحد ولو كانت مخالفة لأقوال الفقهاء، أو كان مخالفة لقول أحد مشايخه، لأن العبرة بما ورد في النصوص الشرعية لا في غيرها، ومن يفعل ذلك فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً وخرج عن دين الله، وكان رحمه الله إذا أراد صرف الناس عن عقيدة فاسدة أو بدعة فاشية فإنه يعتمد على نصوص القرآن والسنة مبيناً للناس ضرورة الرجوع إليهما وترك أقوال أرباب البدع والضلالات.

وقد أثنى الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمه الله على منهج الشيخ القاسمي هذا بقوله: "كان يدعو إلى مذهب السلف، والرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة؛ للعودة بالإسلام إلى أصله الأول، ونفي ما دخل عليه من بدع وخرافات كانت سبباً في بُعد المسلمين عن دينهم، مما أدى إلى تشويه الإسلام، وضعف المسلمين، واستيلاء الأعداء عليهم، فكان الجمال القاسمي

يدعو العلماء إلى عدم قبول آراء الفقهاء المتقدمين عن تقليد، بل بعد إقامة الدليل عليها وإلا كانوا آلات تدار بدون حرية"^(١)، ويضيف أيضا: "خلاصة مبادئ الدعوة السلفية التي كان يدعو إليها الأستاذ القاسمي وغيره من السلف قديما وحديثا: الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة، وفهمها على المنهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم"^(٢)، ويقول أيضا: "الحق أن السلفيين دعاة الإصلاح الديني وفي مقدمتهم الشيخ محمد جمال الدين القاسمي لا يدعون إلى مذهب خامس، بل يدعون العالم الإسلامي قاطبة للرجوع إلى النبعين الفياضين للإسلام، وهما: كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، وبذلك يلتقي المسلمون على مذهب واحد"^(٣).

وقد كان الشيخ القاسمي ﷻ يرى الاعتماد على القرآن الكريم في التأصيل الدعوي، وبيان أهمية الدعوة إلى الله تعالى، ووجوب قيام المستطيعين لها بشؤون إقامتها على بصيرة من القرآن والسنة، مستدلا في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٥)، وكذلك يرى ﷻ الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بيان مسائل الدين، وبيان فضل المشتغل بهما، وبيان شرف مبلغها وحاملها للناس، مستدلا في ذلك بقوله ﷻ: ﴿نُضِرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتي فَبَلَّغَهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥.

(٤) سورة فصلت: ٣٣.

(٥) سورة يوسف: ١٠٨.

فقيه غير فقيه، ورب حامل فقيه إلى من هو أفقه منه^(١)، وكذلك يرى الاعتماد على القرآن الكريم في بيان فضل الإسلام، وبيان منزلته، وأحقيته في الاتباع، وأهمية إقناع الناس بالحجة والبرهان على أفضليته ومنزلته، مستدلاً في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(٢).

ومن منهجه ﷻ الاعتماد على القرآن الكريم في بيان الطريق الواجب الالتزام به على الدعوة إلى الله تعالى، وأنه يجب أن لا يخرج عن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، مع الأخذ بأساليب الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، مستدلاً في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٣)، وكذلك الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في وعظ عامة الناس وإرشادهم، وكذلك في الدروس والخطب والمحاضرات والكتابة والتأليف، ولأجل هذا المنهج ألف عدد من الكتب، منها: "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، و"الوعظ المطلوب من قوت القلوب"، و"ديوان خطب" وغيرها^(٤).

وكان ﷻ يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بيان وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي بيان العقوبة المترتبة على تركه، وفي بيان الفقه في انكار المنكر، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج، مستدلاً في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم ٢٣١، باب من بلغ علماً، ص ٥٨، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/ ٩٥.

(٢) سورة النساء: ١٢٥.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ١٦١ وما بعدها.

إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾، وقوله ﷺ: ﴿كُتِبَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٢)، وقوله ﷺ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مَّنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٣)، وقوله ﷺ: ﴿يَبْتَغِي أَقْرَبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤)، وقوله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» (٥)، وقوله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّمَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ» (٦).

وكان ﷺ يؤصل مسائل الاعتقاد معتمدا على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة؛ لأنها جمعا أصول الاعتقاد في الدين، فالقرآن الكريم تضمن كليات الدين، وقد تمَّ الدين بتمام نزوله، والسنة النبوية هي المصدر بعد القرآن الكريم، لكنه كان يوجب الحذر من الضعيف منها والموضوع، لأنه كثير، وكان ﷺ يرى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران: ١١٠.

(٣) سورة المائدة: ٧٨، ٧٩.

(٤) سورة لقمان: ١٧.

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم ٧٨، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١ / ٦٩.

(٦) رواه مسلم في صحيحه برقم ٨٠، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١ / ٦٩.

الصحيحة في الحث على الأخلاق الفاضلة في جميع جوانب الحياة، مستدلاً في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١)، وبأخلاق نبينا ﷺ، وأنه بعث متمماً صالح الأخلاق، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج، وتعليمه لعامة الناس.

وكان ﷻ يرى الاعتماد على القرآن الكريم في تأصيل التعامل الحسن مع المخالفين، وبيان ثمره الرفق بهم، وبيان آداب المناظرة والجدل، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج، وتعليمه لعامة الناس، مستدلاً في ذلك بقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢)، وقوله ﷻ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَى مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾^(٣).

وكان ﷻ يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في تفسير الآيات القرآنية، أو في شرح الأحاديث النبوية، وكذلك يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بيان الأحكام الشرعية، والفتاوى والأقوال المتعلقة بها، وفي بيان المسائل الاجتهادية، وفي بيان مقاصد الشريعة، وفي بيان عدم جواز معارضة وإهمال النصوص الشرعية للأقوال الفقهية، وفي بيان مسألة عدم تعارض العقل والنقل في الإسلام، وبيان أن سبب ضعف الأمة وتأخرها في عدم الاعتماد على النصوص الشرعية مقابل كل ذلك خاصة أقوال الفقهاء، وتربية طلاب العلم على هذا المنهج.

وكان ﷻ يرى الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة في بيان السيرة النبوية الصحيحة للناس، مستدلاً بالآيات القرآنية المتعلقة بالسيرة وأسباب نزولها، والأحاديث الصحيحة الواردة في كتب الحديث المعتمدة^(٤).

(١) سورة البقرة: ٨٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٣) سورة النساء: ١٤٨.

(٤) سبقت الإشارة إلى اعتماد القاسمي على هذا الأصل في الصفحات: ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩، ١٦٨، ١٧٨.

المطلب الثاني

التمسك بمنهج السلف الصالح في جميع مسائل الدين

كان الشيخ القاسمي رحمته الله معظماً لطريق السلف الصالح، شديد التمسك بمنهجهم، حريصاً على أن لا يجيد عنهم، محباً لحملة فكرهم وناقلي طريقتهم، ورغم ما تعرض له من محن بسبب تمسكه بهذا الطريق إلا أنه كان يزداد ثباتاً وإصرار عليه، ولذا فقد كان يبحث عن أقوال السلف في مسائل العقيدة ويتبناها، ويجمع أقوال السلف في الفقه ويرجح بينها، وكان يُصرِّح دائماً بحبه لهم، وتقديمه أقوالهم على أقوال غيرهم، والقارئ في تفسيره مثلاً يرى منهج السلف ظاهراً، فهو يكثر النقل عن علماء السلف، ويورد حججهم وأدلتهم، وردودهم على شبه خصومهم، وقد كان يتحسر دوماً على عدم معرفة علماء زمانه فضلاً عن العامة مكانة وفضل علماء السلف، وكان يقول رحمته الله: "وقد رُميَ بالتجسيم كثير من المُحدثين، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وأقول: إن كل من رمى مثل هذا الإمام بالتجسيم فقد افترى وما درى، إلا أن عذره أنه لم ينقب عن غرر كلامه في فتاويه التي أوضح فيها الحق، وأنار بها مذهب السلف قاطبة"^(١)، وكان يعاتب أتباع السلف في زمانه في تقصيرهم بالقيام بواجباتهم تجاه علماء السلف قائلاً: "إن محبي السلف من الواجب عليهم أن ينهضوا لإحياء آثارهم، ونشرها بواسطة الطبع، وأن يجاروا في ذلك غيرهم من الذين ينشرون تلك الكتب التي لا تزيد إلا خبالاً وضعفاً في العقيدة، فإن أكثر المطابع الآن ترغب في التجارة، ولا يهْمُها إلا الكسب الدنيوي وإن فاتهم الربح الأخرى، مع أن في السلفيين بقية عظيمة من أهل الخير والصلاح، فما هذا التواني؟ إن أمثالنا ليحترق ألماً حينما يرى كتب الأشعرية وغيرهم امتلأت منها

(١) محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ٨٣/٥.

المخازن، ولا يرى للسلفيين إلا ما ندر، فأين الغيرة؟" (١)، ولقد غلب وصف القاسمي بالسلفي في العقيدة والمنهج على لسان معاصريه وطلابه وأعدائه ومخالفيه، وهو مع أنه نشأ نشأة صوفية بحتة، وسار على الطريقة النقشبندية، ودرس المتون والحواشي المنتشر تدريسها في زمانه، إلا أن نفسه طُبعت على الميل نحو التعليل والتدليل والبحث عن الأسباب، فانطلق للبحث عن المصادر والأصول التي لم يُعهد تدريسها في مجالس العلم في زمانه، مستعينا بخبرة وإطلاع صديقه الشيخ طاهر الجزائري على الكتب والمخطوطات، حتى وصل إلى ما كتبه علماء السلف في أصول الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم، حتى أولع بمؤلفات ابن تيمية وتلميذه ابن القيم والشاطبي وغيرهم، وأصبح أثر تلك الكتب واضحا في نفسه ومنهجه، وأسلوب حياته وتفكيره، وأصدقائه وأهل بيته، حيث أنه لم يرتض الكتب التي ألفها قبل الوصول إلى الحقيقة التامة في منهج السلفية، كما أخذ في مصاحبة من يتفق معه في هذا المنهج، سواء كان داخل الشام كالشيخ عبد الرزاق البيطار، أو خارجها كالألوسي من العراق، ومحمد نصيف من الحجاز، ومحمد رشيد رضا من مصر وغيرهم، وقد وصل أثر هذا المنهج الذي انتهجه رحمته الله إلى والده الذي كان صوفيا، فقد أخبر رحمته الله أن والده صار سلفيا في آخر حياته، وكذلك إخوته الذين تتلمذوا على يديه وبقيّة أهل بيته، ولم يُحْفِ القاسمي تأثره بابن تيمية ومنهجه، بل صرّح بذلك مرارا، وكان حريصا على نشر كتبه ورسائله وفتاويه (٢).

ولقد كان موقف أهل البدعة والجمود من أعدائه شديدا عليه، وقويا في الاتهام والهجوم، فقد تفتنوا في إصاق أقوى التهم به، كتهمة الدعوة إلى الاجتهاد، وتهمة تأسيس مذهب جديد، وتهمة الوهابية، وغيرها من التهم التي تدور حول منهجه السلفي، ولقد كان

(١) جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٥٨٦.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٨٣.

موقفه منها جميعاً صلباً وواضحاً^(١).

وقد أثنى على الشيخ القاسمي جمع من العلماء من أصدقاء وطلابه ومعاصريه ومن جاء بعده، وامتدحوه بسيره على المنهج السلفي، ومن ذلك ثناء صديقه الشيخ محمد رشيد رضا رحمته الله حيث قال: "كان يتحرى مذهب السلف في الدين، وينصره في دروسه ومصنفاته، وما مذهب السلف إلا العمل بالكتاب والسنة بلا زيادة ولا نقصان، على الوجه الذي كانوا يفهمونه في الصدر الأول، وقد أتهم - كما اتهم غيره من المستقلين - بأنه أحدث مذهباً جديداً في الإسلام"^(٢).

ويقول الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمته الله: "وهذه الدعوة السلفية التي عمل بها كانت شاقة جداً، لها معارضون متعصبون كثيرون، وأنصارها كانوا قليلين، وخاصة في بلاد الشام بعد توقف حركة الإصلاح العظيم الذي بدأها شيخ الإسلام ابن تيمية، غير أن جميع هذه الصعاب والمخاطر لم تثنه عن عزمه، ما دام يحمل قلباً ثائراً ورسالة فكرية، وهما إذا اجتمعا في رجل جعلاً منه شخصية تاريخية خالدة، لذلك كان عمل هذا المصلح عظيماً وجريئاً وخطيراً على حد سواء، بسبب ما للتقاليد من أثر في محاربة أهلها من المصلحين، فتملاً عليه طائفة من المتفكّهة ولمزة الحق فاتهموه فيمن اتهموهم بالإحداث في الدين"^(٣)، ويقول أيضاً: "هذه حال العصر الذي جاء فيه القاسمي، فأخذ يدعو إلى مدرسته الفكرية السلفية، بثلاثة أمور: دروسه، ومؤلفاته، وحسن أسوته، وكان يعاونه في دعوته الأساتذة: الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ سليم البخاري، ويمكن أن نقول أن السلفية اليوم في بلاد الشام مدينةً للقاسمي إلى حدٍّ ما، فهو الذي أحيا بذرتها بعدما كادت تموت بعد

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٧٠.

(٢) مجلة المنار: مجلد ١٧ ص ٦١٥، مقالة بعنوان: مصاب مصر والشام برجال العلم وحملة الأقلام، لمحمد رشيد رضا.

(٣) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٧.

ابن تيمية وابن القيم، ولم يفارق القاسمي حياته التي كانت قصيرة وعريضة إلا وترك السلفية في طريق الازدهار والنمو، يحملها بعض تلاميذ له سعوا لنشر دعوة أستاذهم"^(١).

ويقول تلميذه الشيخ محمد بهجة البيطار رحمته الله: "وكانت صلة ابن بدران"^(٢) بالقاسمي حسنة، وكان للشيخين أمل كبير وسعي عظيم في تجديد النهضة الدينية العلمية في ديار الشام، فقد أشبها -رحمهما الله- أئمة السلف؛ تعليماً للخواص، وإرشاداً للعوام، وتأليفاً للكتب النافعة، وزهداً في حطام الدنيا الزائلة"^(٣).

ويقول صديقه الشيخ محمد كرد علي رحمته الله: "وهو ولا مرء عالم الكتاب والسنة بلا مدافع، خلق ليعمل على بثّ الدين المين خالياً من حشو المتأخرين الجامدين، وتضليل المخرفين والمعطلين، ويهيب بالناس إلى الأخذ بمذاهب السلف، ويتلطف في إبلاغها العقول المظلمة في دروسه وتأليفه"^(٤).

ويقول الدكتور محمد إبراهيم الحمد: "إن الذي نقل هذه الفتوى -يقصد القاسمي- من أعظم الناس اطلاعاً في هذا العصر على كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكان يعيش في بلاد الشام بلاد الشيخين، ومؤلفات القاسمي وخاصة تفسيره طافحة بالنقول الكثيرة عنهما، ثم إنه أحد القلة في عصره الذين نهضوا بالمنهج السلفي ومناصرته، وأوذى في ذلك أذى كثيراً وما كان الشيخ ليُلصقَ بشيخ الإسلام قولاً يتطرق الشك في نسبته

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٤٤.

(٢) عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران الحنبلي الدومي الدمشقي، المشهور بابن بدران، فقيه أصولي أديب ناظر ناظم مؤرخ مشارك في أنواع من العلوم، ولد بدوما، وعاش بدمشق، كان صوفياً ثم أصبح سلفي العقيدة، تولى إفتاء الحنابلة والتدريس بالجامع الأموي، وتوفي بدمشق سنة ١٣٤٦هـ له مؤلفات. انظر ترجمته: الأعلام: خير الدين الزركلي ٣٧/٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة ١٨٤/٢.

(٣) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: عبد القادر بن بدران، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ص ٧.

(٤) مجلة المقتبس: العدد ٨٥ ص ٥٠، مقالة بعنوان: السيد جمال الدين القاسمي، لمحمد كرد علي.

إليه" (١).

وقد كان الشيخ القاسمي رحمه الله يرى التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان أهمية الدعوة ووجوب القيام بها على المستطيع لها، خاصة ما ورد في تفسير السلف لآيات الدعوة الواردة في القرآن الكريم، وذلك مما ورد في تفسيره "محاسن التأويل"، وكذلك التمسك بمنهج السلف الصالح في التأصيل للعقيدة، وبيان جميع المسائل الاعتقادية والاستدلال لها، مثل المسائل المتعلقة بعلم التوحيد وأنواعه خاصة مسائل الأسماء والصفات، ومسائل علم الكلام، والمناقشات في الفرق الإسلامية والرد عليها، كالمعتزلة القدرية والجبرية، والرد على بدع الصوفية وطرقها المحدثه، وما جاء به مشايخ الطرق من الابتداع في الدين، والمسائل المتعلقة بالتكفير، كما أنه كان يتمسك رحمه الله بمنهج السلف الصالح في بيان البدع والمنكرات التي تحدث في المساجد في عصر القاسمي، وأنها محدثة، وذلك مما ورد في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"، وكذلك التمسك بمنهج السلف الصالح في طريقة الاستدلال بالكتاب والسنة وعدم الخروج عنها، وتقديم أقوال كبار علماء السلف الصالح، كأقوال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما على غيرهم من أهل البدع والأهواء (٢).

وكان يرى رحمه الله التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان الأخلاق الحسنة، وأثرها في الدعوة والتعليم، ولذلك ألف كتابه "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، وكتاب "آداب المعلم والمتعلم والمفتي والمستفتي"، كما كان يرى أهمية التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان الطريقة الشرعية في إلقاء خطب الجمعة، والخروج بها من الأسلوب التقليدي الموروث الذي

(١) رسائل في العقيدة: د. محمد إبراهيم الحمد، بحث غير مطبوع وهو منشور في الموقع الرسمي لد. محمد بن إبراهيم الحمد

على الشبكة العنكبوتية العالمية ص ٢٦١.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ١٨٠ وما بعدها.

لا يجيده الخطباء ولا يتقنوه، والعودة بهم إلى طريقة السلف النافعة في الخطابة^(١).

وكان يدعو ﷺ إلى التمسك بمنهج السلف الصالح في بيان نشر العلم، وبيان فضل تعلمه وتعليمه، سواء العلوم الدينية أو الدنيوية، وكذلك التمسك بمنهج السلف الصالح في الاهتمام بالقرآن الكريم وعلومه على سائر العلوم، والحرص على تفسيره بالمأثور، والاهتمام بمسائل الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ومسائل القراءات وأحكام التجويد، ومسائل أصول التفسير، وقد ورد في تفسيره "محاسن التأويل"، أمثلة كثيرة على ذلك.

وكان يبين ﷺ ضرورة الاهتمام بالحديث النبوي وفق منهج السلف الصالح، وكان يبين حث السلف على الحديث رواية ودراية، ومنعهم من الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة، وعدم جواز معارضة الأحاديث الصحيحة الصريحة بأقوال الفقهاء، كما كان يرى ﷺ أهمية التمسك بمنهج السلف الصالح في الاهتمام بالفقه الإسلامي وأصوله، وبيان حاجة الفقه إلى تجديد وإعادة نظر في جميع المذاهب، وضرورة إعادته إلى طريقة السلف في التعامل مع الأقوال، وفي بيان بعض المسائل المتعلقة بالتعصب المذهبي، ومقاصد الشريعة، وشروط الإفتاء المنصوص عليها، والمسائل المتعلقة بإصلاح القضاء الشرعي، وبيان أهمية الاجتهاد الجماعي في المسائل الفقهية، وأهمية الاعتماد على المصادر الأصلية في الفقه الإسلامي^(٢).



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٢٢ وما بعدها.

(٢) سبقت الإشارة إلى اعتماد القاسمي على هذا الأصل في الصفحات: ٨٣، ١٨٠، ٢٤٠، ٢٥٤.

المطلب الثالث

الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة

كان الشيخ القاسمي رحمته الله ذا عقيدة إسلامية صحيحة في جميع المسائل المرتبطة بالعقيدة، مستدلاً بنصوص الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، مستشهداً بأقوال السلف الصالح - رحمهم الله -، معتمداً على لغة العرب في بيان المراد من المصطلحات العقدية، وقد سبق أن بينا أنه لم يكن على هذا المشرب في العقيدة ابتداءً، وأنه كان صوفياً نقشبندياً، ولكن الله تعالى هداه إلى الطريق الصحيح في العقيدة بفضل وحده، ثم بسبب اطلاعه على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله.

ولقد تأثر الشيخ القاسمي رحمته الله في طريقة دعوته إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، وقد كانت تتركز على دعوة الناس إلى صفاء التوحيد، ونبذ الشرك والخرافات، وهو عين ما جاء به الأنبياء والمرسلون، وقد حرص رحمته الله على نشر الإسلام بشكله الصحيح، والعودة بالمسلمين إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، ولقد انتشرت هذه الدعوة في مناطق متعددة من العالم العربي والإسلامي حتى وصلت إلى بلاد الشام، ولقد تسامع الناس بها في كافة الأقطار الإسلامية، حتى ألقى صداها في نفس القاسمي فتأثر بها، لكنه لم يظهر الدعوة بها صراحة؛ لأنه تعرض لمضايقات كثيرة بسببها، فقد اتهم بـ "الوهابية" وحقق معه بسبب ذلك.

والشيخ القاسمي رحمته الله وإن لم يكن يظهر التأثير بهذه الدعوة بسبب خصومه وأعداءه، إلا أن أثر ذلك كان بادياً في دعوته، ومما يدل على ذلك دفاعه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، حيث قال له أحد تلاميذه ذات مرة: إن مما يدل على بطلان دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفي أنني اطلعت على كتاب يرد عليه فيه أخوه سليمان، والأخ أعلم الناس بحقيقة أخيه، فرد الشيخ القاسمي على تلميذه بذلك حيث قال: ليس هذا دليل لك، فأنت تعلم أن أقرب الناس إلي فلانا -وسماه- إلا أنه نصب لسلفيتنا العداً لساناً وقلماً، وحق لك أن تذكر

بهذه المناسبة عداوة أبي لهب للرسول ﷺ^(١)، ومما يدل على تأثر الشيخ القاسمي بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله أيضا وصف الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمته الله للشيخ القاسمي رحمته الله وبيانه أنه كان متأثرا بهذه الدعوة حيث يقول: "وكان يدعو إلى التوحيد الصحيح الذي كان يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد ناظر كبار العلماء في التوحيد، وأوضح لهم ما داخله من الشرك الذي هو أعظم من شرك المشركين، فقد كان الكفار يدعون الله وحده في الشدائد بعكس المبتدعين في زماننا، فإنهم ينسون الله عند الشدائد ويدعون غيره، قال تعالى في وصف المشركين الأولين: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾^(٢) (٣)".

ويقول الدكتور محمد كمال جمعة: "انتهت المشيخة العليا في بلاد الشام في أوائل هذا القرن إلى الشيوخ الأجلاء: الشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد كامل قصاب، فدرسوا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأعجبوا بها، وقدروها حق قدرها، ورأوا أنها على حق وصواب، فنشروها في المجتمع الشامي، وبذروا بذورها، فأثمرت أطيب الثمار وانتهت إلى أبرك النتائج"^(٤).

وقد كان القاسمي رحمته الله يرى وجوب الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في عرض الدعوة إلى الله تعالى، وبيان منهج دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام المرتبط بتصحيح العقائد أولا، وبيان تفسير آيات الدعوة الواردة في القرآن الكريم، وكذلك الالتزام بالعقيدة

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٣٩.

(٢) سورة العنكبوت: ٦٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) انتشار دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية: د. محمد كمال جمعة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط ٢، ١٤٠١ هـ، ص ١٢٩ وما بعدها.

الإسلامية الصحيحة في الاستدلال لها من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وأقوال علماء السلف الصالح، ونبذ أقوال غيرهم من أهل البدع والأهواء. وكان رحمته الله ملتزماً بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في مسائل الاعتقاد، مثل المسائل المتعلقة بعلم التوحيد وأنواعه، خاصة المسائل المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات، والمسائل المتعلقة بالفرق الإسلامية والرد عليها، كالمعتزلة القدرية والجبرية، والمسائل المتعلقة بالتكفير، والمسائل المتعلقة بالصحابة رضي الله عنهم وغيرها من المسائل، كما كان رحمته الله ملتزماً بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في مسائل المتعلقة بالابتداع في الدين، مثل ما يتعلق بالترهيب من الابتداع، أو الرد على البدع والمبتدعة، أو النهي عن الاختلاط بأهل البدع، وقد ألف في ذلك كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد"^(١).



(١) سبقت الإشارة إلى اعتماد القاسمي على هذا الأصل في الصفحات: ١٥٠، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٨.

المطلب الرابع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كان الشيخ القاسمي رحمته الله ملتزماً في منهج الدعوة إلى الله تعالى بأصل عظيم من أصولها، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد إماماً وخطيباً في دمشق، وكان يلقي عدة دروس في اليوم الواحد للعامة والخاصة، ويرى أن من الواجب عليه في الدعوة والإصلاح القيام بالنصح والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لمواجهة البدع والخرافات، والانحرافات والضلالات، وتطبيقاً لما أخذ الله به العهد على العلماء والدعاة من الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذا فقد كان حريصاً على القيام بهذه الشعيرة الدينية، ولا تأخذه في إقامتها في الله لومة لائم، وذلك في زمن ضَعَفَ فيه المتمسكون بالدين، وقَلَّ فيه القائمون بهذه الشعيرة، وكان رحمته الله يرى أن وجوبها ثابت بالكتاب والسنة، بل من أعظم واجبات الشريعة المطهرة، وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها، ويستدل لذلك بقوله عَلَيْكُمْ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

وكان رحمته الله لا يجابي في ذلك أحداً أبداً، لا شيخاً ولا صديقاً ولا تلميذاً، وكان ينصح أهله وطلابه بأن يكونوا أولى الناس بإتباع ما يأمر الناس به أو ينهاهم عنه، وقد ذكر في مفكراته في طريق رحلته إلى بيت المقدس أنه زار شيخاً من الشراكسة في عمّان، ونزل ضيفاً عليه، فرآه وقومه عندما يصلون يرتدون الأسلحة، فلم تمنعه ضيافتهم له من الإنكار عليهم، ومناقشة شيخهم في كراهية هذا الأمر^(٢).

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ١٠٦.

وهو مع حرصه على القيام بهذا الأصل إلا أنه كان يرى ﷺ ضرورة التعامل مع الإنكار بفقهِ وعقل، وكان ينبه من يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الشروط الواجب عليه إتباعها، وأن أهم شرط في القيام به هو أن يكون المنكر من الأمور المجمع على تحريمها بين العلماء جميعاً، لا من المشابه أو المختلف فيه، وقد كان هذا واضحاً في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى.

ولقد اهتم ﷺ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع أحواله وأوقاته، وكان يرى أن ذلك من تقديم رضا الله تعالى على رضا المخلوقين، وقد ورد أمثلة تدل على ذلك في سيرته وشأنه، فقد كان يواجه البدع والخرافات المحدثه، ويتصدى لها بقوة الدليل.

وكان يستدل على ثبوت وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، وذلك بقول الله ﷻ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١)، وقول رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٢)، وغيرها من الآيات والأحاديث المشابهة لها، مما أورده في تفسيره "محاسن التأويل"، أو في كتابه "إصلاح المساجد من البدع والعوائد".

كان ﷺ يقول بوجوب معرفة الدعاة فقه انكار المنكر، فلا بد لهم من معرفة متى يكون الإنكار مناسباً، ومتى يكون السكوت مناسباً، وكان يبين أن كل ذلك مرتبط بالمصلحة، وأنه لا بد لهم من تعلُّم الشروط الواجب القيام بها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ﷺ يرى ضرورة معرفة الدعاة طريقة انكار المنكر، وأنها تكون بالتدرج من اللطف واللين

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم ٧٨، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٦٩.

ثم إلى الغلظة والشدة بعد ذلك.

وكان يؤكد ﷺ على أهمية موقف العلماء من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنهم أوجب الناس في الغضب لله ﷻ، وينبه على موقف القاعدين عن ذلك الأمر، كما يؤكد أيضا على تربية طلاب العلم على القيام بهذه الشعيرة، لأنها سبب للنجاة في الدارين^(١).



(١) سبقت الإشارة إلى اعتماد القاسمي على هذا الأصل ص ١٦٨ وما بعدها.

المطلب الخامس

الاعتماد على الحجة والمنطق والبرهان

كان الشيخ القاسمي رحمه الله قد طُبعت نفسه على الميل نحو التعليل والتدليل، وكان هذا أحد الأسباب الذي قادت به نحو المنهج السلفي، إذ هو لم يرتض الحياة الدينية والعلمية التي نشأ عليها، فأخذ في البحث حتى اهتدى إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فوجد فيها خطاباً مدعماً بالدليل، ومتوازناً مع الحجة والمنطق والبرهان، ولذا فقد أثر هذا المنهج في حياته، واستخدمه في عدة جوانب، وجعله أصلاً، وقد كان يدعو الناس إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة ونبذ رواسب الشرك والبدعة معتمداً على الحجة والبرهان، مع التخلق باللين والطف.

كما كان رحمه الله يعتمد هذا المنهج أيضاً مع المقلدين الجامدين من الفقهاء في عصره، ويدعوهم إلى إعمال العقل والاستدلال بالحجة، ونبذ رواسب التقليد المفضية إلى التأخر والجمود، وكان يدعو إلى فتح باب الاجتهاد في الدين، لأنه لا يخلو الزمان من قائم لله بالحجة. وكان يرد بالدليل والحجة والبرهان على الشروط التي وضعها الفقهاء الجامدون للاجتهاد. وكان رحمه الله يجادل خصومه بالأدلة والبراهين، دون التعرض إلى أشخاصهم أو انتمااتهم، وكان يُعوّد طلابه على هذا الأسلوب، بل كان يسمح لهم بالرد عليه وتقمص شخصيات مخالفيه لإيراد الشبهات عليه، ثم يحاولوا اقناعه أو يحاول اقناعهم، فإذا لم يقتنعوا قال لهم: لي رأي ولكم رأيكم، ولقد كان منهجه في دروسه قائماً على المناقشة ومقارعة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، ويرى أن هذه الطريقة في الدروس مفيدة في تثبيت المعلومات لدى الطلاب، وتطرد عنهم الملل والسأم^(١).

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ١٥٢ وما بعدها.

وكان رأيه ﷺ في المسائل بشكل عام أن ما يثبت بالدليل النقلي لا يستدل له إلا به، وكذلك ما يثبت بالدليل العقلي أو بدليل التجربة لا يستدل له إلا به أيضا، ثم بعد الاستدلال يُعقَّب ذلك كله بأقوال السابقين في تلك المسائل، كل ذلك من أجل أن يجمع بين الدليل والحجة في الاستدلال، ولذلك فقد كان كثير من خصومه يتهربون من البحث والمناظرة معه؛ لضعف حججهم أمامه، وكانوا يكتفون بصرف العامة عنه باتهامه بالتهم باطلة، كالتهمة بالجهل والاجتهاد ونحوها. ولأجل هذا المنهج فإن القاسمي ﷺ لم يتسرع في الحكم على الفرق والأشخاص سواء الحكم بالتكفير أو التفسيق أو نحو ذلك من الأحكام إلا بعد أن يقوم الدليل والحجة على ذلك، ولذا فقد وُصِفَ بالتساهل مع المخالفين، فهو لم يكن يكتفي بما اشتهر عنهم حتى يقوم الدليل على إثبات ذلك من أقوالهم أو أفعالهم، وكان هذا المنهج مطردا معه في الرد على كل الشبه التي تخالف الدين، فهو يرد عليها بالدليل النقلي ثم يعضده بالبرهان والحجة والمنطق، فإذا أورد هذه الحجج والبراهين لا يهمله بعد ذلك اقتناع المخالف بها أم لا، وإنما يهمله أن يكون الرد العقلي أو المنطقي سليما، لأن المخالف قد يردُّ الأدلة عن هوى أو جحود، أم العاقل فإنه يقبل الأدلة التي لا تنكرها العقول السليمة، ولذلك لما أورد عليه بعض تلاميذه شبهة على لسان بعض معانديه، وكانت الشبهة متعلقة بسبب قتل النبي ﷺ لليهود بني قريظة وعدم عفوهِ ﷺ عنهم، مع أنه كان متصفاً بالعفو، فأجابه القاسمي ﷺ: "أن مبلغ خيانة اليهود في هذه الغزوة كان في أرحح الأوقات، ولولا عناية الله تعالى لقُضِيَ على الإسلام، فلا يُسَوِّغُ العقل العفو عنهم، ليكونوا عبرة لكل خائن مثلهم"، فأجاب التلميذ: إن هذا الجواب لا يُفْنِعُ الخِصْمَ المعاند، فأجابه ﷺ: "لا يهمني إقناعه، وإنما يهمني ردُّ الشبهة بالدليل المُسَلِّمَ به لدى أرباب العقول السليمة، الراغبين في الحق"^(١).

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٥٩.

ولم يكتف الشيخ القاسمي رحمه الله بهذا المنهج في الحياة الدعوية والعلمية فحسب، بل كان يستخدمه في الأمور التربوية مع طلابه وأولاده وأهل بيته، ولذلك كان يوصي رحمه الله ويقول: "إياكم أن تأمروا أولادكم بشيء دون أن تذكروا حكمة الطلب وفائدته؛ ليتنبه أولادكم للحكمة، فلا يُطيع طاعة عمياء، وقد علمنا الله تعالى الأخذ بالدليل في كل شيء، حتى في الأخلاق التي تُعرف فائدتها بداهة، فقال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١)، فأعقب عزَّ من قائل الحكمة من الأمر بالدفع بالتي هي أحسن بقوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢).

وكان يرى رحمه الله أن الاعتماد على الحجة والبرهان في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى وبيان فضل الإسلام، أدعى لإقناع المدعويين للدخول فيه، لأن الدين جاء مبينا للعلة والحكمة من تشريعه، لذا كان يرى رحمه الله الاعتماد على الحجة والبرهان في تأييد أصول الدين، والمسائل المتعلقة بالعقائد، خاصة فيما يتعلق برد شبه الملحدين، لأنه علم رفيع عظيم، تجب العناية به على العلماء، ودراسته على أذكىاء النبهاء؛ لتصير دلائل أصول الدين راسخة في العقول، وقد أورد عددا من هذه الأدلة في كتابه "دلائل التوحيد"^(٣).

وكان يعتمد على الحجة والبرهان في الاستدلال للأحكام الفقهية، ويرى أن علم أصول الفقه يساعد في تحريك ملكة الاستنباط والاجتهاد في النصوص؛ لإخراج الأمة من الجمود على القديم الموروث غير النافع، والوصول بها إلى التجديد النافع في الفروع، ومواكبة المتطلبات الفقهية للعصر الحديث، بما لا يخرج عن دلالات النصوص المستقاة من الكتاب

(١) سورة فصلت: ٣٤.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٨.

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ١٩٢ وما بعدها.

والسنة وأقوال السلف الصالح.

وكان رحمته الله يهتم في دروسه بذكر الدليل والعلة والحكمة في جميع الأقوال، وكان يرجح جانب الاستنباط على الحفظ الصمّ، لأن الطالب متى أدام الحفظ أضرب ذلك بالاستنباط لديه، وقد كان يربي الطلاب على الاعتماد على الحجة والبرهان في الاستدلال بشكل عام، سواء كان ذلك في الدعوة أو التعليم أو الفقه أو التربية، وأن هذا المنهج يفضي إلى عدم التسليم دوماً إلا لما يُعضدُّ بالدليل الواضح^(١).



(١) سبقت الإشارة إلى اعتماد القاسمي على هذا الأصل في الصفحات: ٢٥٤، ٢٩٣

المطلب السادس

نبذ البدع والخرافات والمذاهب المنحرفة والضالة

كان الشيخ القاسمي رحمته الله قد انتشر في زمانه كثيرا من البدع والخرافات المنحرفة والضالة، فقد كانت الصوفية الغالية والحشوية الجامدة تضرب بأطنابها في أرض الشام وما حولها، فجعل الشيخ القاسمي رحمته الله هدفه مقاومة هذه البدع وهؤلاء المبتدعة، وتحذير الناس من خرافاتهم واختراعاتهم، وكان يرى رحمته الله أن محو الاعتقاد الفاسد من صدور عامة الناس تجاه هذه البدع بابٌ عظيم من أبواب تمحيص الحق، وهو جزء من الدعوة إلى سبيل الله، وقد لاقى في سبيل ذلك عنتاً شديداً، ولقد كان له منهج واضح في التعامل مع المبتدعة، فهو لم يترك جهداً في بيان خطئهم وضلالهم، مع تجنبه الدخول في اتهام أشخاصهم إلا نادراً، وكان يتصرف في التعامل معهم بالاعتدال، والتمسك بالدليل في الحوار، ولم يكن هذا التعامل الحسن إلا من طرفه فقط.

وكان من منهجه رحمته الله في التعامل مع البدع والمبتدعة أنه كان يرفض التسرع في إطلاق وصف التبديع على الأفعال والأشخاص، وكان يمنع تبديع من لم يكن مبتدعاً، ويبين أنه كان للسلطات وللحظوظ النفسية دور في الاتهام بالبدعة، فلا يكفي وصف أحد من السلف لآخر بالابتداع، بل يجب إخضاع مسائل البدعة إلى الدليل والعقل الرصين، ولذلك ألف كتابه "ميزان الجرح والتعديل"^(١).

وقد كان القاسمي رحمته الله يحذر من رؤوس أهل البدع، سواء كانوا من الصوفية الغلاة أو من الحشوية الحامدين، ويذكرهم بأسمائهم، ويعلن لهم العداء صراحة، ويصب اهتمامه في بيان سوء مشربهم، وبُعدهم عن جادة الصواب، وكان يرثي كثيرا لعامة الناس التي يسمعون

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٤٦ وما بعدها.

خطب الجمع من هؤلاء، لما تحويه من الخرافات والأمور المضحكة والسخيفة، مما جعل غير المسلمين ينفرون من الدين بسبب ذلك^(١).

وقد أثنى على الشيخ القاسمي رحمته الله جمع من أهل العلم في منهجه في نبد البدع والخرافات، ومن ذلك يقول الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمته الله: "كان يدعو الأستاذ القاسمي إلى تحذير الناس من الشرك ومن البدع والأفكار الدخيلة والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهدت جمال الإسلام، وحالت دون تقدم المسلمين ونهوضهم"^(٢).

ويقول الشيخ عبد الله بن مصطفى المراغي: "كان القاسمي في مقدمة علماء دمشق، وامتاز عن كثير منهم، واشتهر أمره، وكان مستقل الرأي، لا يميل إلى الخرافات، محتفظاً بكرامته، لا يحب الفضول والزلفى، ولم يكتف بالتبحر في العلوم الشرعية بل درس العلوم العصرية"^(٣).



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ١٨٢ وما بعدها.

(٢) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٣٣.

(٣) الفتح المبين في طبقات الأصوليين: عبد الله بن مصطفى المراغي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، مصر، ط ١، ١٣٦٦هـ،

المطلب السابع

التمسك بالوسطية والتخلي بالاعتدال

التزم القاسمي رحمه الله بالوسطية في الدين، وتخلي بالاعتدال في المنهج، وقد كان ذلك عن قناعة ورؤية واضحة، وقد ظهرت آثار ذلك في مصنفاته، واتضح في تفسيره، وكان يرى أن الوسط منزلة الاعتدال، وأن أتباع الوسط قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو والإفراط أو التفريط فأتباعه هم الأكثر، وكان رحمه الله يتأسف لأن صوت الغلاة هو الأكثر والأسرع استجابة من الناس، وفي ذلك يقول رحمه الله: "من المعروف في سنن الاجتماع أن كل طائفة قوي شأنها وكثر سوادها، لا بد أن يوجد فيها الأصيل والدخيل، والمعتدل والمتطرف، والغالي والمتسامح، وقد وجد بالاستقراء أن صوت الغالي أقوى صدًى وأعظم استجابة؛ لأن التوسط منزلة الاعتدال، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر، وأما الغلو فمشرب الأكثر، ورغبية السواد الأعظم، وعليه درجت طوائف الفرق والنحل، فحاولت الاستئثار بالذكرى، والتفرد بالدعوى، ولم تجد سبيلاً لاستتباع الناس لها إلا الغلو بنفسها، وذلك بالخط من غيرها، والإيقاع بسواها، حسب ما تسنح لها الفرص، وتساعد لها الأقدار، إن كان بالسنان، أو اللسان"^(١).

ونتيجة للتوسط عند القاسمي رحمه الله فقد ظهر عليه الانفتاح على جميع المذاهب والفرق التي تحمل الدليل، ولا تتقيّد برأي معين، ونتيجة لهذا أيضاً فقد ظهر عليه عدم التفريط في عرض جوانب الإسلام كلها، فلم يطغى عنده جانب على آخر، ويشهد لهذا شمول مصنفاته لمعظم العلوم الإسلامية من حديث ومصطلح وتفسير وفقه وأصول وزهد وتصوّف وغيرها، وهو ما أثار في فهمه للإسلام وتطبيقه له، فلم يتشدد في محاربة كل جديد في الدين، ولم يقبل ما

(١) الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي ص ٤.

ساد في عصره من بدع ومخالفات، ولم تكن صورته الدينية صورة المتشدد في أحكام الدين، ولا صورة المفرط المتساهل في شيء من الدين أو واجباته، بل كان في ذلك وسطاً، يميل للتيسير والتسهيل على الناس في فتاواه، وفي سيرته الشخصية.

وقد ظهرت نتائج وسطيته رحمته الله في خطابه لعامة الناس، فقد كان يتعمد ترك مواجهتهم في خطأ ما يعتقدون، ويميل معهم إلى الوعظ وترقيق القلوب، والتعلق بالله عز وجل، فإذا قويت علاقتهم بالله عز وجل مال نحو تصحيح عقائدهم، كما ظهرت نتائج وسطيته في خطابه مع الحكومة، فقد كان يتجنب ما يثير الشقاق والفتنة، واستطاع بهدوئه واتزانه أن يصل بحكمة إلى ما يطمح الوصول إليه المصلحون آنذاك، من التمسك بالهوية الإسلامية، وتعليم اللغة العربية، وإطلاق حريات الناس وغيرها^(١).



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٣٠٠ وما بعدها.

المطلب الثامن

التجديد في الدين ومجانبة التقليد

يعتبر القاسمي رحمه الله من دعاة التمسك بمذهب السلف، ومن دعاة التجديد والاجتهاد أيضاً، وقد بين رحمه الله وقوع الخلل كثيرا في هذا الباب في زمانه، فقد جمدت عقول كثير من علماء عصره على ما بين أيديهم من موروث، وظنوا أن هذا التقليد والجمود هو حقيقة الاتباع لآثار السلف، ونسوا أن عامة علماء السلف كانوا يدعون إلى الاجتهاد في الدين، خاصة من توفرت فيه شروطه وكملت أركانه، وأما تقليد الموروث وجمود العقول فهو محدث في القرون المتأخرة، وهو نتيجة عدم الفهم الصحيح لمنهج السلف في تلقي العلوم^(١).

لذلك عمل القاسمي رحمه الله على ربط الأمة بسلفها، ونشر روح التمسك بالكتاب والسنة، وإعمال النظر فيهما لترقي المجتمع، وإيجاد حلول للنوازل الجديدة، وقد كان ملتزما رحمه الله بالاجتهاد منهجاً وتطبيقاً، ولذا سهل عليه حل كثير من إشكالات المسائل، واستطاع إثبات تلبية الدين لمصالح الناس عموماً، وملائمته لكل زمان ومكان، وأثبت أن الاجتهاد وإعمال العقل بالنصوص الثابتة سبب ذلك كله.

وقد اهتم القاسمي رحمه الله بما يصلح حال الأمة في هذا الباب، فقد كان يدعو إلى إحياء التفكير الإسلامي، وإعمال العقول المسلمة للمشاركة في تقديم الحلول لمشكلات البشرية، وأن هذه الحلول يمكن أن تنبثق من المسجد وحلقات العلم كما كانت تنبثق منها عليه في العهد النبوي، وقد كان رحمه الله في أغلب المسائل يتجه نحو التخفيف والتيسير، وكان يدعو إلى نبذ التقديس والاتباع الأعمى لأي شخص كان^(٢)..

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٦٠.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٦٢.

ومن أبرز الأمثلة على سعيه رحمته الله نحو التجديد في الدين موقفه من المواد والأنظمة القانونية الحديثة، فلما سئل عنها شَبَّهها بالفروع المدونة في كتب الفقه مما يقبل معه الاجتهاد والاختلاف، وقد بيّن لمن سأله أنه بالإمكان تحويل نصوص الفقه الإسلامي في أي مذهب على شكل قوانين ومواد نظامية، ومن ثم يمكن للحكومات العمل بها كدساتير نظامية مقتبسة من الدين الإسلامي، وهو بهذا الاجتهاد سبق كثيرا من علماء عصره الذين كفروا بأدعاء العمل بالقانون ظنا منهم مخالفة ذلك للشريعة الإسلامية، وأنه لا يمكن للمسلمين عمل دستور إسلامي خاص بهم^(١).

وما سبق يدل على بعد النظر عند الشيخ القاسمي رحمته الله، وأن فهمه لقواعد الإسلام عميق، وأن المسلم يجب ألا يغيب عن ذهنه واقع عصره، وأن الجمود العقلي والفكري ليس أمرا محمودا، وليس هو من الدين في شيء.



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ١٨٩، ٢٥٩، ٢٦٠.

المطلب التاسع

الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة

رزق الله الشيخ القاسمي رحمه الله مكارم الأخلاق، حتى عُرفَ بها، وقد كان الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة منهجا له في سائر شؤون حياته، خاصة فيما يتعلق بشؤون الدعوة إلى الله تعالى، وكان يرى أن ذلك نابعا من قوله ﷺ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(١)، وأن الأخلاق الفاضلة لها تأثير على المدعوين في القبول، وكان يرى أن النصيحة لا تجدي نفعا إلا عرضت باللين في القول، والتجرد عن شوائب الخشونة والبذاءة مما تنفر منه الطباع السليمة، وأنه يجب على الناصح أن لا يكون نفورا ممن يهجره أو يطعن فيه، بل يتقرب منه ويجذبه بحسن أخلاقه، تأسيا بأخلاق النبي ﷺ في دعوة الناس، وكان يرى أن السلوك الإنساني يتغير بسبب المعاملة الحسنة الفاضلة، مثل ما أن تغيير سلوك البهائم يمكن بالمعاملة الفاضلة وهي لا تعقل، فكذلك تغيير السلوك الإنساني بالأخلاق، وأن هذا التغيير يحتاج إلى مجاهدة من الواعظ أو المؤدب، وذلك بعرض الوصايا والمواعظ المتعلقة بذلك.

وكان يرى رحمه الله ضرورة ربط الأخلاق بالعلم والتعليم، وأنه لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن المرء إذا حسنت تربيته وتعليمه، حسنت أخلاقه، وإذا فسدت تربيته وتعليمه، انتكست أعماله، وساء خلقه، وأن سعادة الأمة أفرادا وجماعات متعلق بحسن الخلق واستقامة العمل، وكان يرى أن أخلاق المعلم أو المتعلم لها أثر قوي في نشر العلم وتعليم الناس، وذلك لأن العلم آلة تديرها الأخلاق، فإذا كانت الأخلاق فاسدة كان العلم فاسدا، ويكون كالسيف في يد المجنون، يضر به ولا ينفع، فالرجل لا يكون عظيما إلا بعلومه الكاملة، وأخلاقه وأعماله الفاضلة، وكان يرى أن أهم الواجبات الأخلاقية على المعلم أن يكون قدوة حسنة لطلابه،

(١) سورة البقرة: ٨٣.

ويقوي فيهم كرم الخلق والصبر والثبات والشجاعة وحب الحق والعدل والعفة والصدق، وأن يريهم على احترام كل عظيم، حتى يكونوا أعضاء نافعة في المجتمع الذي يعيشون فيه، وأن المعلم لم يمنح حق سياسة تهذيب الطلاب إلا لتمثله بذلك في سلوكه.

وكان يرى ﷺ ضرورة حسن الأخلاق مع المخالفين، وأنها واجبة في حقه، لأن ذلك أدعى إلى جعله موافقا بدل أن يكون مخالفا، وكان يرى أنه من العدل أن لا يكون الاختلاف داعيا للتنافر فهادم أن صاحب الفكرة يعتقد بما يدعو إليه، فهو مخلص إذا في فكرته، والمخلص في فكرة ما إذا ناقش فيها يناقش بالحسنى؛ ليتغلب عليه بالبرهان، لا بالطعن وإغلاظ القول وهجر الكلام، لأن من صالحه تكثير سواد من يعتقد بفكرته، وكان يستدل بقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾^(١)، وأن الله بين طريقة إرشاد أهل الكتاب بالخصلة التي هي أحسن، وهي اللين والأناة، وكان يرى ﷺ أن الحق يصرع إذا عمد أصحابه إلى إظهاره بالسباب والشتائم وسوء الخلق. وقد جاءت أخلاق الشيخ القاسمي ﷺ في الدعوة إلى الله وفي العلم والتعليم وفي التعامل مع المخالفين منسجمة مع هذا المنهج الذي كان يراه ويدعو إليه^(٢).



(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) سبقت الإشارة إلى اعتماد القاسمي على هذا الأصل في الصفحات: ٢١٠، ٢١٣، ٢١٦.

المطلب العاشر

الحرص على وحدة الأمة ونبذ الفرقة والاختلاف في جميع الجوانب

انطلق القاسمي رحمته الله في منهجه الدعوي من مقاصد الدين الكبرى، فكان داعية إلى الوحدة لا التفرق، لأن الدين لم يُشرع ليتفرق الناس فيه، ولكن ليوحدتهم ويجمعهم، وإن من محاسن هذا الدين قيام أحكامه على جلب المصالح ودرء المفاسد، والمصلحة الكبرى للمسلمين الاعتصام بحبل الله وكلمته جميعاً، وعدم التفرق والاختلاف، فالواجب أن يتفقوا في الأصول، وأن يعذروا بعضهم في الفروع.

وقد تمثل القاسمي رحمته الله هذا في حياته، ولذلك اعتذر رحمته الله لجميع الدعاة المعاصرين له في مناهجهم المتنوعة حتى المخالفة له، وكان يبرر لبعضهم ما وقعوا فيه، وأن مقصدهم فيه كان حسناً، ولكنهم اجتهدوا فأخطأ، وقد كان رحمته الله يحاول جمع كلمة المسلمين ونبذ افتراقهم في مؤلفاته، فتراه أحياناً في مسائل الخلاف يجتهد في توضيح حجة كل فريق، ويحاول تقريب كل قول من الآخر، ولذا فكثيراً ما كان يتهمه كل فريق بالميل للفريق الآخر ظناً منهم أنه يقول بقولهم.

وفي آخر حياته لما كثر عليه المخالفون أثر العزلة حرصاً على عدم تفرق الأمة، وكان يتعدى عن الدخول في مواجهة مع العامة ولو كانوا على خطأ حسب اجتهاده، ولذلك لما ثارت عليه محنة مع بعض العلماء والعامة في دمشق انعزل عن الناس، وترك الصلاة في مسجده، وأوقف دروسه وخطبه؛ حتى لا تقع الفرقة وتحل الفتنة بالناس بسببه، ولذلك فضل رحمته الله في أواخر أيامه الانصراف إلى التأليف عن كثرة الدروس والمواعظ، لأنه كان يرى أنها أدوم وأبقى^(١).

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٧٨ وما بعدها.

المبحث الثاني

معالم منهج الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

وفيه مطلبان :

- المطلب الأول : أساليب الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله
- المطلب الثاني : وسائل الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

المطلب الأول

أساليب الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

تميز الشيخ القاسمي رحمه الله في مسيرته الدعوية والعلمية باللين والهدوء مع الجميع، وقد أثنى عليه جمع من العلماء والأصدقاء والطلاب بحسن أسلوبه، وروعة طريقته في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تنوع رحمه الله في استخدام الأساليب الدعوية حسب ما كان يراه مناسباً للمدعويين، ومن تلك الأساليب ما يلي:

١. أسلوب الحكمة.

أمر الله تعالى الدعاء إليه أن يتبعوا سبيل الحكمة في دعوتهم للناس، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾^(١)، كما امتن تعالى على من يؤتاه الحكمة من عباده حيث يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٢)، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن مما يحسد عليه المرء في الدنيا ما يؤتاه الله له من الحكمة، حيث يقول تعالى: ﴿لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا﴾^(٣).

ويعتبر أسلوب الحكمة من الأساليب الدعوية المهمة لأنه يساعد الداعية على ترتيب الأولويات، وتقديم الأهم على المهم، كما أنه يعينه على التدرج في تطبيق هذه الأولويات، لا سيما المسائل المتعلقة بعامة الناس، كما أن هذا الأسلوب يفيد الداعية إلى الله تعالى في اختيار المنهج الدعوي المناسب لحال المدعويين، وإنَّ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى تعتبر من أهم ما

(١) سورة النحل: ١٢٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم ٧٣، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، ٤٣/١. رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٦٨، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، ٥٥٩/١.

يجب على الدعاة فقه في الدعوة؛ لا سيّما الحكمة في الأسلوب والطرح والاختيار^(١). ولذا فقد كان اهتمام الدعاة إلى الله تعالى بهذا الأسلوب واضحا، وقد كان أسلوب الشيخ القاسمي رحمته الله متميزا به، فقد كان من حكمته رحمته الله يختار من الألفاظ والأقوال ما يناسب كل حال، وكان يرى أن ذلك واجبا على الدعاة إلى الله تعالى، ومن مظاهر تعامله بهذا الأسلوب في دعوته أنه كان رحمته الله لا يقبل قولاً إلا بالدليل عليه، ولا يرضى لأحد أيضاً قبول أي قول بدون دليل، ولذلك فقد ارتضى الأخذ من أقوال المذاهب كلها وأقوال العلماء كلها لكن بما يدل عليه الدليل.

ومن مظاهر حكمته رحمته الله أيضاً: أنه لم يكن يقتنع بالتقليد المبني على الهوى، وإنما يعمل عقله في الأقوال والأدلة، ويرى ما كان موافقا صحيحا للنص الشرعي يأخذه ويعمل به^(٢). ومن مظاهر حكمته رحمته الله أيضاً: أنه كان يردُّ على مخالفه بحكمة، فقد كان يناقش أفكارهم وآرائهم ويرد عليها ويبطلها من غير تجريح أو اتهام لذواتهم وأشخاصهم.

وكان رحمته الله إذا أراد الردَّ على بدعة لفرقة ما فإنه يرجع إلى أقوال المتقدمين من علماءها، ويجمع أقوالهم في التحذير من تلك البدعة؛ ليكون ذلك مدعاة إلى قبولهم واستجابتهم وتركهم لتلك المحدثات، كما كان من أسلوبه في الدعوة أنه إذا أراد صرف الناس عن عقيدة فاسدة أو بدعة فاشية يلجأ إلى التحذير منها بالنقل عن عالم موثوق به عند المدعويين، ليستجيبوا له، وقد سعى مع صديقه الشيخ طاهر الجزائري لنقل نسخة من كتاب: "العلم الشامخ في إثبات الحق على الآباء والمشايخ"، تأليف الشيخ صالح المقبل اليميني، والذي فيه عدة فتاوى لكبار العلماء والقضاة من المتصوفة بتكفير من يقول من الصوفية بالاتحاد ووحدة

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد البيانوني ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٠٨.

الوجود، مستدلين بنصوص كثيرة من كلامهم في كتبهم المعروفة، والتي فيها الكفر الصريح الذي لا يخالف في كونه كفرا إلا مكابرا أو جاهلا^(١).

ومن مظاهر تعامل القاسمي رحمه الله بأسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى أنه كان يتعامل مع البدع التي اعتاد الناس فعلها بحكمة، حيث كان يحاول قدر المستطاع التخفيف من تلك البدع، ونقل الناس من المحرم الظاهر الواضح إلى ما هو أخف منه، ومن الأمثلة على ذلك تعامله مع بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، والذي كان الاحتفال به شائعا في زمانه بغلو ومبالغة شديدة، وكان الناس يغالون كثيرا، ويتدعون أمورا عظاما توصل بالإنسان إلى الوقوع في الشرك الأكبر، فكان يحاول أن يخفف من ذلك، ولذلك كان يجمع الناس ليلة المولد النبوي لقراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة الخالية الأحاديث الضعيفة والموضوعة، بدلا من أن يجتمعوا مع غيره للابتداع أو القيام بأعمال منكرة ليست من الدين، ويخلل ذلك الدرس بقضايا متعلقة بمكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وحقوقه على أمته، وحرمة الغلو فيه أو رفعه فوق منزلته اللائقة به ونحو ذلك، ومن أجل ذلك ألف لعامة الناس كتابا في صحيح السيرة النبوية، سماه "شذرة من السيرة المحمدية"^(٢).

وقد وصف الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمه الله الأسلوب العام لدروس الشيخ القاسمي رحمه الله، حيث قال: "كان سهل الأسلوب حين إلقاء الدروس، فصيحاً بليغاً، يفهمه الخاصة والعامة، يراعي الحكمة حين الإلقاء، ويخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا ينفر أحدا ولو كان يخالفه في دعوته السلفية، فيدعوه براهين يسلم بها خصمه، وكان يقول: "تباعد ما استطعت عن كلمة "أقول"؛ لأنها تؤدي إلى حسد الحاسدين ونفورهم، وكان من حكمته إذا

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٨، ٢٩.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٤٩.

شعر في الدرس من التلاميذ مللا أو سامة أمرهم بإغلاق الكتب، ثم يشرع في ذكر القصص والنوادر الأدبية المنعشة المفيدة التي تعيد النشاط للحاضرين، ثم يرجع بعد ذلك إلى إتمام الدرس" (١).

ويصف الأستاذ ظافر القاسمي رحمته الله طريقة والده رحمته الله فيقول: "كانت طريقته في دروسه أنه كان يتبع الكلام بالدليل والعلة والحكمة منه في جميع أقواله، ويرجع جانب الاستنباط على الحفظ الصم، لأن الطالب متى أدام الحفظ أضر ذلك بالاستنباط لديه" (٢).

٢. أسلوب الموعدة الحسنة.

لما أمر الله تعالى الدعاء إليه أن يتبعوا سبيل الحكمة في دعوتهم للناس، أضاف إلى ذلك الأمر بالموعدة الحسنة، فقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٣)، وقال تعالى أيضا: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٤).

ويعتبر أسلوب الموعدة الحسنة من الأساليب الدعوية المهمة؛ لأن استخدام الوعد والنصح للناس بلطف ولين من دواعي استجابتهم، وقبولهم أوامر الله تعالى، وهذا هو عين مراد الله من خلق الخلق، كما أن هذا الأسلوب يؤلف قلوب المدعوين، ويغرس المودة والمحبة بينهم، ويؤدي إلى اختفاء المنكرات من المجتمعات الإسلامية، وإن من فقه الدعوة إلى الله تعالى أن يحاول الدعاء إتقان هذا الأسلوب الذي أوصى الله به في كتابه، ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك بمعرفة أنواع الوعد الذي ذكرها العلماء، ومعرفة الشروط التي يجب أن تتوفر في الموعدة

(١) شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٣٨.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٢٨٥.

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

لتكون حسنة مقبولة عند المدعويين^(١).

ولقد تميز الشيخ القاسمي رحمته الله بوعظه ونصحه للناس بأسلوب حسن، وقد كان يتعامل مع جميع الناس بالأخلاق الحسنة، وكان رحمته الله يرى أن هذا مما يحث الناس على الاقتناع بالدين والدخول إليه، وكان يضرب مثلا دائما بمواقف النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل من المدعويين، وكيف أن أعداءه اعترفوا بحسن أخلاقه، من الصدق والأمانة والوفاء ونحوها، وكان رحمته الله يحث طلابه على حسن التعامل مع الناس، ونصحهم بالحسنى، لأنه من الصعب أن يجعل الإنسان كل المجتمع من حوله على فكره وطريقته بشدة وقسوة، وهو إن فعل ذلك بغلظة فإنه لن يعيش إلا وحيدا بعيدا فريدا عن قومه ومن حوله، وقد كان رحمته الله يعتب على بعض العلماء في شدة تعاملهم مع مخالفيهم، ويردُّ سبب عدم استجابتهم لهم لهذا الأمر، وكان يضرب مثلا بشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله - مع حبه له - في شدته على مخالفيه، وأنه لو كان أكثر مسaire لهم لوصل معهم إلى الحق الذي يراه^(٢)، وقد مرَّ عرض نماذج من حسن تعامل القاسمي رحمته الله مع طلابه وأبنائه وإخوته وعامة الناس حتى المخالفين مما يصلح أن يكون مثالا على استخدامه لهذا الأسلوب الدعوي^(٣).

٣. أسلوب المجادلة.

لما أمر الله صلى الله عليه وسلم الدعوة إليه أن يتبعوا سبيل الحكمة والموعظة الحسنة في دعوتهم للناس، أضاف إلى ذلك الأمر بالمجادلة والتي هي أحسن، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد البيانوني ص ٢٦١.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣١٥.

(٣) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٦١، ٢٠٨.

(٤) سورة النحل: ١٢٥.

إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ^(١).

ويعتبر أسلوب المجادلة من الأساليب الدعوية المهمة؛ لأن الجدل أمر فطري جُبل عليه الإنسان، وقد يدفعه الجدل إلى رفض الحق مكابرة وعنادا، فكان لزاما على الدعاة إلى الله تعالى اتقان استخدام هذا الأسلوب، خاصة وأن الله ﷻ أمرهم به، وربطه ﷻ بالتي هي أحسن، فالداعية مأمور به، ولا بد أن يكون مقصده منه حسنا، كإرادة رفعة الملة، أو الدفاع عن العقيدة الصحيحة، أو دفع تهم الباطلة أو إسقاط بدع وخرافات، أو نصرة المظلوم وغيرها، فهذا كله من المقاصد الحسنة في الجدل، ويجب على الدعاة أن يسلكوه بأفضل الطرق وأحسنها معتمدين على العلم والمعرفة والدليل والبرهان، لإقامة الحجة على المعاندين والمكابرين^(٢).

وقد تميز الشيخ القاسمي ﷻ بأسلوب المجادلة بالتي هي أحسن في الدعوة إلى الله تعالى، فقد كان له ﷻ منهج واضح في التعامل مع جميع المخالفين، سواء كانوا من الأعداء أو الأصدقاء.

وكان ﷻ يعتمد في هذا الأسلوب على الحجة والبرهان والدليل، ولا يجابي في هذا أحدا، وإنما يناقش الأفكار والآراء والأقوال بكثير من الحياد والتجرد، ولذلك تجده قد خالف شيخ الإسلام ابن تيمية معتمدا على الدليل، وناقش الشيخ محمد عبده وخالفه في بعض آراءه.

وقد كان الشيخ القاسمي ﷻ يجادل بعض المبتدعة من الصوفية وغيرهم معتمدا على هذا الأسلوب، وكان يعقد معهم المناظرات، إلا أن أكثرهم كانوا يمتنعون عن المناظرة معه؛ نظرا لضعف حججهم أمامه ﷻ.

وكان ﷻ يُعوّد طلابه على التعامل بأسلوب المجادلة بالتي هي أحسن، ويطالبهم بأن

(١) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد البيانوني ص ٢٦٧.

يضعوا أنفسهم مكان خصومهم وينظروا في حججهم ويردوا عليها أو يوافقوه بالحجج ليرد هو عليها.

٤ . أسلوب القدوة الحسنة.

أمر الله ﷺ عباده بحسن الاقتداء والاهتداء بالأنبياء والصالحين، حيث يقول ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١)، ويقول ﷺ أيضا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(٢)، ويقول ﷺ أيضا: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾^(٣).

وتبرز أهمية أسلوب القدوة الحسنة من خلال هذه الأوامر الإلهية، والله ﷻ قد طبع البشر على محاكاة بعضهم البعض، ولذلك أرسل لهم الرسل، ويعتبر التأثير من خلال القدوة من أقوى وأسرع أنواع التأثير، فالأمة من الناس يتأثر بفطرته بالقدوة ويحاكي أفعالها وهو لا يحسن القراءة والكتابة، ويعد حسن الخلق وموافقة العمل للقول من أصول هذا الأسلوب الدعوي، ولذا كان هاما وحساسا بالنسبة للدعاة إلى الله تعالى، لأنه يمتاز بسهولة التعامل به وسرعة التأثير في نفوس الآخرين من خلاله إما سلبا أو إيجابا^(٤).

وكان الشيخ القاسمي ﷺ مثلا يحتذى في التعامل بأسلوب القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى، وكان ﷺ يدعو عامة الناس بأخلاقه أكثر من أقواله، خاصة مع مخالفته، وكان ﷺ يربي الطلاب من خلال التزامه أمامهم بما يأمرهم به أو ينهاهم عنه، وكان يبنه طلابه إلى أنه ينبغي أن يكونوا في أعلى وأرقى منازل التعامل، لأن الناس تنظر إليهم وتقتدي بأخلاقهم،

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الممتحنة: ٤.

(٣) سورة الأنعام: ٩٠.

(٤) انظر: المدخل إلى علم الدعوة: د. محمد البيانوني ص ٢٧٣. أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٨٥.

وكان يذرهم من أن يكونوا قدوة سيئة لهم^(١)، وقد كان ﷺ قدوة حسنة لطلابه في كثير من الأمور الفاضلة، فكانوا يرون حرصه على العلم وصبره عليه وتفانيه في تبليغه للآخرين، كما كانوا يرون تعففه عن المال الحرام وزهده في الدنيا رغم فقره وكثرة عياله، ويلمسون في كل أفعاله وأقواله القدوة الحسنة فيه، ولذلك كانوا يخبرون أن من يلازمه ﷺ قل أن يجد له نظيرا في زمانه، فضلا عن استطاعته ملازمة غيره^(٢).

وكان ﷺ يتعامل مع مخالفيه بهذا الأسلوب، فأسّرهم بأخلاقه، حتى أنهم كانوا يتحاشون المواجهة المباشرة معه أمام عامة الناس؛ خشية ميلهم معه بسبب أخلاقه، ولم يستطع أعداؤه أن يُمسكوا عليه في يوما ما خروجا عن هذا المبدأ الذي سار عليه.

٥. أسلوب الرفق واللين.

أوصى الله ﷺ بالرفق واللين مع المدعويين، ليكون ﷺ قدوة في ذلك للدعاة إلى الله ﷺ، يقول الله ﷻ: ﴿فَمَا رَحْمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣)، وقد أوصى الله ﷻ بذلك نبيه موسى ﷺ وذلك لما أرسله إلى فرعون، حيث قال ﷻ: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾^(٤) ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^(٥)، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في دعوته، وكان له أثرا بالغا على المدعويين ولذلك جاء في الحديث عنه ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٥)، ولذا كان لزاما على الداعية إلى الله تعالى استخدام، فأثره في قبول الناس أعظم، وفقد أسلوب الرفق عند الداعية من أعظم أسباب

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٩٤ وما بعدها.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٦١ وما بعدها.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٤) سورة طه: ٤٣، ٤٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٩٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، ٤/٢٠٠٤.

نفور المدعويين عنه، فالنفوس البشرية مفطورة على القرب من الرفق واللين، والنفور من العنف والشدة.

وقد كان الشيخ القاسمي رحمته الله يتمثل بهذا الأسلوب في دعوته، وكان يحث الدعوة إلى الله تعالى عند قيامهم بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة أن يكون ذلك بالرفق واللين، ومجانبة كل ما يصد الناس عن قبول أمر الله، وكان يتعامل مع مخالفه بقدر عال من الرحمة والشفقة، ويؤكد أن أسلوب الرفق عليه المدار الأعظم في المجادلة والمناظرة مع المخالفين، وكان رحمته الله يأسف إذا بلغه نفور الناس عن قبول الدعوة بسبب غلظة أصحابها، ولذا فقد كان رحمته الله يتحلى بخلق اللين والرفق في كافة شؤون حياته، في بيته ومسجده، ومع طلابه وأهل بيته، ولم يُر يوماً بخلافه رحمته الله ^(١).

ومن أقواله رحمته الله في هذا الشأن: "واعلم أن الأخذ بالرفق واللطف، وإظهار الشفقة والرحمة، عليه مدار كبير عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعليك به، ولا تعدل عنه ما دمت ترجو نفعه، وحصول المقصود به" ^(٢).



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٦١، ١٥٩، ١٧٤، ٢١٦.

(٢) إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٣١.

المطلب الثاني

وسائل الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

إن المتأمل في سيرة الشيخ القاسمي رحمه الله الدعوية والعلمية يجد أنه قد استخدم عددا من الوسائل في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، وفي نشر العلم الشرعي بين الناس، وتميزت هذه الوسائل بأنها جاءت متنوعة في عدد من المجالات، ومتلائمة مع طبيعة الزمان والمكان الذي كانت فيه، وهي بذلك قد آتت ثمارها - بحمد الله - في حياة الشيخ القاسمي وبعد مماته رحمه الله، ومن هذه الوسائل ما يلي:

١. وسيلة المحاضرات والدروس

القول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، فالقرآن هو قول رب العالمين، وقد أنزله الله على نبيه عليه السلام ليكون به التبليغ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(١)، وكان تبليغ رسول الله عليه السلام بالقول، قال تعالى مخاطباً رسوله وأمرأاً: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾^(٣)، وكذلك أمر الله جميع أنبياء ورسله بتبليغ أقوامهم رسالة ربهم بالقول المبين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمٍ أُعْبِدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(٤)، وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ لِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٥)، فهذه الآيات تدل على أن القول هو

(١) سورة التوبة: ٦.

(٢) سورة يونس: ١٠٨.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٤) سورة الأعراف: ٥٩.

(٥) سورة الأعراف: ١٠٤.

الوسيلة الأصيلة في إيصال الحق للناس، فلا يجوز إغفال مكانته في تبليغ الدعوة ولا أثره في النفوس^(١).

ومن صور البلاغ بالقول وسيلة المحاضرات الدعوية والدروس الشرعية، والفرق بينهما أن المحاضرة في الغالب تعالج موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطة وذكر للأدلة والبراهين، وذكر ما قيل حول الموضوع من جميع الجوانب، ويكون حاضرهما من عامة الناس، أما الدرس فالغالب فيه أن يكون شرحاً لآية قرآنية أو حديث نبوي، أو يكون فيه بيان لمسألة أو حكم من الفقه، ويكون حاضرهما في الغالب من طلاب العلم.

والمحاضرة الناجحة ما كانت تهدف إلى هدف معين ومحدد وتجلي هذا الهدف وتبينه البيان الشافي المقنع، ويجب على ملقيها أن يكون دقيقاً في كلامه، ولا يلقي القول جزافاً، ولا يكثر من العبارات العاطفية، وأن يُشرك السامعين معه في الوصول إلى ما يريده، وعليه أن يتجنب المسائل الدقيقة والمشتبهة، وعليه أن لا يكون في محاضراته جافاً، بل عليه أن يضيف على محاضراته شيئاً من التحريك الوجداني بما يذكره من حقائق الإسلام ومعاني العقيدة الإسلامية، فيثير ما في النفوس من معاني الإيمان، وأما الدرس فإنه لا بد للداعي من أن يحضر مادته مسبقاً تحضيراً جيداً، وأن لا يستطرد كثيراً وهو يلقي موضوعه؛ لأن الاستطرد يبعد السامع عن أصل الموضوع، ويبعث في نفسه السامة^(٢).

وقد كان الشيخ القاسمي رحمته الله أكثر في استخدامه لوسيلة المحاضرات والدروس في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تنوع استخدامه لهذه الوسيلة الدعوية على الأنواع التالية:

أ- المحاضرات والدروس في المسجد

اهتم الشيخ القاسمي رحمته الله بالتعليم والتدريس مبكراً، فقد عقد أول مجلس له للتدريس

(١) انظر: أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٧٦، ٤٧٧.

وهو لم يتجاوز ١٧ عاما من عمره، ثم توالى في التدريس وإلقاء المحاضرات على العامة والخاصة، وكان ذلك أولا بجامع "العنابة"، وكان يلقي دروسا على العامة بعد الفجر وبين العشاءين، وقد بقي بهذا المسجد على هذه الدروس ١٤ عاما، ثم لما انتقل إلى إمامة جامع "السناية" خلفا لوالده رحمته الله فواصل الدروس التي ابتدأها والده ومن قبله جده، فقد كانت دروسه الخاصة لطلبة العلم بعد الفجر وبعد العصر، وغالبا ما تكون في علوم الحديث وعلوم الآلة، وبين العشاءين كانت دروسه عامة لوعظ الناس، وقد ذاع صيته وعلا شأنه في دمشق بسبب هذه الدروس، وقد بقي مستمرا في إلقاء الدروس ١٥ عاما إلى وفاته رحمته الله، وقد كان في دروسه هذه يتطرق لكل ما يصلح شؤون المجتمع في الدين والدنيا، وكان يجب على استفسارات الطلاب والحاضرين مستدلا لذلك من الكتاب والسنة النبوية الصحيحة^(١).

ب- المحاضرات والدروس في المنزل

لم يكتفي الشيخ القاسمي رحمته الله بتعليم طلابه في المسجد فحسب، بل فتح لهم داره أيضا، وقد كان منزله أشبه بمدرسة يتوافد عليها الطلاب، وكانت دروسه لطلابها في بيته في ضحوة النهار في علوم الآلة من نحو وأصول فقه ومصطلح حديث، وبعد العشاء في التفسير وعلومه وأصوله، وقد مرت عليه فترة يسيرة أعطاها صديقه الشيخ طاهر الجزائري غرفة في المدرسة "العبدلية"؛ ليستقبل فيها طلابه في ضحوة النهار بدلا من بيته^(٢).

٢. وسيلة الإمامة والخطابة

تعتبر الإمامة من صور البلاغ بالعمل، والخطابة من صور البلاغ بالقول، وكلاهما من الوسائل الدعوية المهمة، فلا بد للإمام من أن يكون قدوة في أقواله وأفعاله وأخلاقه، وأن يستشعر حاجات المدعوين ويتلمس رغباتهم ويساعد في حل مشكلاتهم، وأن يوظف خطبة

(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٥٨.

(٢) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٣٨.

الجمعة لذلك، ولا بد للخطبة حتى تكون ناجحة أن يكون موضوعها في معنى محدد يريد الداعية بيانه ولفت الأنظار إليه، ويحسن أن يكون مما له علاقة في أحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة أو العبادة أو الأخلاق في الإسلام^(١).

وقد كان الشيخ القاسمي رحمته الله منذ بداية نشأته في العلم والدعوة متقلدا منصب الإمامة والخطابة، وقد مر ذكر طرف من ذلك، وقد اجتهد فيه أعظم اجتهاد، وكان يحرص على أداء الحق الذي يجب على الإمام والخطيب القيام به تجاه عامة الناس، فكان يقوم بالنصح والإرشاد والتوجيه والإنكار، وكذلك يشارك المصلين في نواحي الحياة الاجتماعية، فكان يجيب دعوات المصلين للزيارة أو الأفراح، ويواسيهم في الأتراح، ويعينهم على حل للمشكلات، ولقد اغتبط الناس لما وفد للصلاة بهم في جامع "العنابة"، وفرحوا لمقدمه وقيامه بشؤون مسجدهم، كما حزنوا على فراقه لما انتقل من عندهم، ولما توفي رحمته الله فقدته الناس وأسفوا لفراقه^(٢).

٣. وسيلة الكتاب.

تعد الكتابة أو التأليف من الوسائل القولية في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، لأنها تؤدي ما يؤدي إليه القول بالنسبة لمن لا يمكن للداعي الوصول إليهم ومشافهتهم، وتستخدم إما لكتابة رسائل إلى من يريد الداعي دعوتهم إلى الإسلام، أو لتأليف الكتب أو كتابة الأبحاث والمقالات في المجالات وغيرها، وهي وسيلة جيدة للدعوة إلى الله تعالى، وقد استخدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه أمر بكتابة الرسائل إلى الحكام لدعوتهم إلى اعتناق دين الإسلام، كرسائله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى في العراق، وهرقل في الشام، والمقوقس في مصر، وقد سار علماء الإسلام على هذا النهج، فكانوا يرسلون الرسائل إلى حكام المسلمين يدعونهم فيها إلى ما أمرهم الله به^(٣).

(١) انظر: أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٧٤.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٢.

(٣) انظر: أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٨١.

ويعتبر تأليف الكتب وكتابة الأبحاث والمقالات والرسائل من الوسائل الدعوية المفيدة جداً في الدعوة إلى الله، لأنها توجه إلى العموم، ويقرؤها كثير من الناس على اختلاف مستوياتهم في العلم والفهم، ولإمكان ترجمتها أو كتابتها بلغات أخرى، فيمكن بهذه الوسيلة تبليغ الإسلام إلى ملايين الناس الذين لا يعرفون اللغة العربية، ولم تصلهم معاني الإسلام، ولذا فإنه يجب على الداعي أن يكتب بأسلوب سهل ومفهوم وواضح حتى يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب، وأن تكون المعاني التي يبينها مما لا يسع الداخل في الإسلام عدم معرفتها، وأن تكون خالية من ذكر المسائل الدقيقة والخلافية، وأن تكون مختصرة دون إخلال^(١).

وقد كان الشيخ القاسمي رحمه الله مكثراً في استخدامه لوسيلة الكتابة في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تنوع استخدامه لهذه الوسيلة الدعوية على الأنواع التالية:

أ- تأليف الكتب

اعتمد الشيخ القاسمي رحمه الله على تأليف الكتب اعتماداً كبيراً في حياته الدعوية والعلمية، وكان يرى أنه أفضل وسيلة دعوية في عصره؛ لأن الكتاب يطلع عليه الموافق لمنهجه والمخالف له، ولذا كان يصرف أكثر وقته في التأليف، وكان يكتب ويدون على كل حال، في البيت والمسجد والطريق وفي السفر والإقامة، وكان لا يوقفه شيء عن الكتابة إلا المرض، وقد كان له منهج خاص في تأليف الكتب، فهو قد عاش في زمن جُمِد فيه كثير من العلماء والفقهاء على نصوص الفقهاء السابقين، ومنعوا الاحتجاج بنصوص الكتاب والسنة مباشرة، وعللوا ذلك بأن العلماء المعاصرين لا يستطيعون فهم نصوص الكتاب والسنة إلا عن طريق كتب وأقوال من سبقهم، فأدى ذلك إلى اتجاه الشيخ القاسمي في مؤلفاته إلى الإكثار من الاستدلال

(١) انظر: أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان ص ٤٨١.

بنصوص الكتاب والسنة مبينا استطاعة المعاصرين فهمها، والاستنباط منها، ومن ثمَّ الاحتجاج بها، خاصة من ملك الآلة العلمية لذلك، وكان يستشهد بعد ذلك بأقوال العلماء السابقين، خاصة أقوال العلماء الذين يقلدهم بعض المخالفين أو الجامدين؛ ليكون ذلك أدعى إلى قبولهم واستجابتهم للحق كونهم من أتباعهم، وكان لا يصرح برأيه في كثير من المسائل ولا يبيده إلا نادرا، خشية قول هؤلاء الجامدين والعامّة أنه قد أدخل في الدين باجتهاده مما ليس منه، وهو يريد أن يبين لهم أن كثيرا من المسائل التي يستدل بنصوص الكتاب والسنة عليها إنما هي من طريقة العلماء السابقين، وأنهم -رحمهم الله- قد نصوا كثيرا على أن أي قول أو رأي لهم يخالف النصوص فلا عبرة له، ومن خلال تلك الأقوال والنقول عن العلماء كان يعرض ما يراه ويميل إليه أو يرجحه من المسائل والآراء، حيث أن من المعلوم أن اختيار المرء قطعة من عقله كما يقال، فاختياره كان بناء على ما يرجحه. وقد كان في نقله عن العلماء لا يتقيد بمذهب معين أو اتجاه محدد، وإنما كان ينقل الحق الذي يؤيده الدليل ممن قاله كائنا من كان، دون النظر إلى معتقده أو دينه أو مذهبه، طالما أن الدليل يعضد قوله، ولذا فقد نقل عن بعض المعتزلة والأشاعرة وغلاة الصوفية وعن بعض المستشرقين، وكان يكره رد أقوالهم لأجل معتقداتهم، فهو يدور مع الحق حيث دار. ومن منهجه في كتبه بشكل عام أنه كان يتلطف في العبارات خاصة في الرد على المخالفين، فلا يعرض أسمائهم؛ وذلك رغبة في هدايتهم، وقبولهم للحق الذي معه، كما كان يُسهل العبارات ويبسطها؛ رغبة في فهمها من العوام والخواص، وقد استفاد هذا الأسلوب من طريقة كتابات ومؤلفات الشيخ محمد عبده -مفتي مصر- لما زاره سنة ١٣٢٠هـ، فقد جاءت جلُّ كتاباته بعد هذا العام سهلة ويسيرة بخلاف المؤلفات السابقة، فإنها كانت مشتملة على كثير من السجع على عادة الأقدمين في التأليف^(١).

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٧٠ وما بعدها.

ومن منهجه في كتبه بشكل عام أنه لم يصدر كتاباً إلا بعد تنقيحه ثم إعادة النظر فيه لمُرّاتٍ، وقد يأخذ هذا وقتاً ليس بالقصير، فقد استغرق كتابه "الفضل المبين في عقد الجواهر الثمين" ٩ سنوات قبل أن يُطبع، ومثله كتاب "جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب"، وكثير من مصنفاته لم تر النور في حياته لأنه لم يجد وقتاً لِيُنقِّحها ويَهْدِّبها، وكانت طريقته في التهذيب أن يراجع الكتاب ويهذبه بمفرده، ومنها ما كان يراجع مع أصدقائه من علماء دمشق مباشرة أو أصدقائه من خارجها مراسلة، وأهمُّهم الشيخ الألويسي، والشيخ البيطار، والشيخ طاهر الجزائري، ومن كتبه ما كان يقررها على تلامذته، وأثناء الدروس يجري التصحيح والحذف، وقد بلغت المراجعة عنده أن لم يرتض بعضاً من مصنفاته بأكملها، فتخلَّى عنها ورفض نسبتها إليه، ومن ذلك رسالته الأولى في "المسح على الجورين" والتي أرسلها لصديقه الشيخ محمد نصيف لما طلبها منه، وكانت مخطوطة، لكنه بدا له فيها رأي فعدّها، وطلب ردّها من الشيخ نصيف، وطلب عدم نسبتها إليه لأنه تراجع عن ما فيها، ومن ذلك أيضاً رسالته المسماة "تنبيه الغمر في رد شبهة طهارة الخمر"، فقد أحرقها بعدما تراجع عن ما ذهب إليه فيها، وقد نبّه رحمته الله على أن كل ما ألفه قبل عام ١٣٢٠هـ يجب إعادة النظر فيه قبل طبعه، خلافاً لما صنّفه بعد هذا التاريخ، وقد أوصى بذلك أخاه وبنيه من بعده، وهذا سبب أن أكثر آثاره ما زالت مخطوطة إلى يومنا هذا^(١).

ب- تحقيق الكتب

لم يقتصر الشيخ القاسمي رحمته الله في الوسائل الدعوية على تأليف الكتب فحسب، بل اتجه أيضاً إلى تحقيقها وإخراجها للناس ومن ثم نشرها، وكان جُلُّ اهتمامه في هذا الجانب على إخراج كتب كبار علماء السلف، خاصة كتب ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وتلميذه

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣٢ وما بعدها.

ابن القيم رحمته الله، وقد كان يتحرى أيضا في التحقيق كتب أئمة المذاهب ليخرجها للناس عامة والفقهاء الجامدين خاصة، وذلك لأنهم جُمِدُوا على نصوص وكتابات متأخري رجال المذاهب وتشددوا في تقليدهم، تاركين وراءهم أقوال العلماء الكبار المتبوعين أئمة المذاهب، ولذلك كان حريصا في مجال التحقيق على الرجوع إلى أصول المخطوطات المكتوبة بخطوط أصحابها، حتى يتحرى الصحة والصواب في النسبة للأئمة، وليكون ذلك حجة قاطعة في الرد على الأقوال المخالفة، لأنه كلام مكتوب بخط قائله، وقد كان يُفيد كثيرا من خبرة صديقه الشيخ طاهر الجزائري رحمته الله، الذي اطلع على كثير من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق والمكتبة الخالدية بالقدس، وكان القاسمي رحمته الله يتحل معه لأجل هذه المخطوطات خاصة، فقد ورد في سبب رحلته إلى القدس وإلى المدينة المنورة وأنه كان لأجل الاطلاع على الكتب والمخطوطات، إلا أن القاسمي رحمته الله لم يكن حريصا على أن يُكتب اسمه على المخطوطات التي حققها، بل كان أكبر همهم في إخراجها للناس لا في وضع اسمه عليها، وهذا يُرجح أن ما نسب إليه من الكتب المحققة قليل، مع كونه ساعد في نشر الكثير منها^(١).

٤. وسيلة المقالات في الصحف أو المجلات.

انتشرت في زمن الشيخ القاسمي رحمته الله عدد من المجلات العلمية التي كانت تصدر من أماكن متعددة من العالم الإسلامي، وكان القاسمي شغوفًا باقتنائها والإفادة منها، وكان يرى أن انتشار المجلات في مجتمع دليل على رقيه وحضارته، لأنه من مفاتيح التعلم والتعليم فيه، ولذا فقد كان حريصا على كتابة المقالات في هذه المجلات^(٢)، وكان يرأسها في كل مكان حتى تصل إليهم مقالاته، حتى أنه حرص على نشر بعض كتبه كمقالات علمية في بعض المجلات؛ وذلك لعلمه حرص العلماء والمثقفين عليها، ولسعة انتشارها وتوزيعها في العالم العربي

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٨٠.

وخارجه أيضا، ومن أبرز المجلات التي نُشر فيها الكثير من مقالات القاسمي مجلة "المنار" من مصر، وكان صاحبها صديقه الشيخ محمد رشيد رضا، ومجلة "المقتبس" من دمشق، وكان صاحبها صديقه الشيخ محمد كرد علي وغيرها من المجلات، وقد كانت مجلة "المقتبس" تُرسل أعدادها قبل نشرها إلى القاسمي؛ لتصحيحها لغويا ونحويا وذلك لثقتهم في علمه وضبطه^(١).

٥. وسيلة الرسائل.

من وسائل الدعوة التي كان يستخدمها الشيخ القاسمي ﷺ وسيلة المراسلات بين أصدقاءه وطلابه وبين غيرهم من عامة الناس، وكانت تدور في الغالب حول مسائل علمية أو دعوية متعلقة ببعض النوازل أو البدع، وكان يناقش فيها مع أصدقائه طرق حل هذه المشكلات والنوازل، وسبل صرف الناس عن هذه البدع والمنكرات، ومن أمثلة على ذلك الرسائل المتبادلة بينه وبين صديقه الشيخ محمود الألوسي من العراق، وصديقه الشيخ محمد نصيف من جدة، والشيخ عبد العزيز السناني من نجد، وغيرهم، وكان بعض العامة من خارج دمشق ممن يثق بقول القاسمي ورأيه يرسل له بعض المسائل ليعرف قوله فيها، أو ليعرف الجواب مدعما بالدليل، وكان القاسمي ﷺ يرد على تلك الرسائل، ومن ذلك جوابه على بعض المسائل الواردة له من منطقة حوران جنوب دمشق^(٢).

٦. وسيلة جلسات المناقشة أو المذاكرة.

المناقشة تكون بين شخصين أو أكثر لعرض وجهات النظر بينهما في بعض الأمور، والمذاكرة تكون لمراجعة بعض العلوم، والداعية يحتاج إلى المذاكرة والمناقشة، فإنه يواجه المدعويين وهم بحاجة لعرض العلوم بالأدلة، فلا بد على الداعية من

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٢٤٨ وما بعدها.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٧٩ وما بعدها. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، جمع:

محمد ناصر العجمي ص ١١.

استذكارها ومراجعتها، وقد يواجه من المدعوين من لا يقبل منه فيلجأ لمناقشته و مجادلته. وينبغي أن لا يخرج الداعية عن في كل أمر كان سواء في مناقشة أو مذاكرة عن هدوئه واتزانه وشفقته، وأن يكون كلامه بالحسنى، ويتحلى بالأدب الجم والتواضع والهدوء وعدم رفع الصوت.

وقد كان الشيخ القاسمي رحمته الله حريصاً على كل وسيلة لتحصيل العلم وتبليغه للناس، ومن تلك الوسائل جلسات المناقشة والمذاكرة، وكانت هذه الجلسات تعقد بين أصدقاءه وأقرانه، وقد يحضرها النابهين من الطلبة، وكانت اللقاءات تعقد لقراءة كتاب معين والتعليق عليه، أو لمناقشة قضايا علمية أو دعوية أو مجتمعية أو سياسة، وكانت اللقاءات تعقد في بيت القاسمي نفسه، أو في بيوت غيره من الأصدقاء، وكان رحمته الله يحدث الحاضرين في الأمور النافعة، أو في القضايا التي تصلح المجتمع المسلم، و ينبههم إلى ما يجب التنبيه إليه من أمور الدين، ولقد امتحن هو وأصدقاءه العاملون بسبب هذه المجالس واللقاءات، حيث وشى بهم بعض الجامدين إلى الحكومة بتهمة الاجتهاد في الدين، والخروج عن أقوال السلف، وإحداث مذهب جديد غير المذاهب الفقهية الأربعة، وقد خرج من ذلك سالماً بريئاً^(١).

وقد كان القاسمي يتأثر بهذه الجلسات واللقاءات، فكان كثيراً ما تكون هذه الجلسات دافعا إلى التأليف إثر مذاكرة في مسألة علمية أو مناقشة في بدعة محدثة؛ فيحرر المسألة العلمية ويضبطها، ويناقش تلك البدعة ويرد عليها.

٧. وسيلة الرحلة العلمية والدعوية

من الوسائل الدعوية التي سار بها الشيخ القاسمي رحمته الله في حياته الدعوية من مبتدأ إلى أواخرها الرحلات الدعوية والعلمية، فقد كانت بلاد الشام تموج بالمنكرات والمحدثات،

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٧١، ٢٨٨.

وغلب فيها على أهل العلم الجمود، فكان يحاول قدر استطاعته التخفيف من هذا الأمر، وربط العامة بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة، ولذا فقد ارتحل إلى عدة أماكن داخل ولاية سورية وخارجها، وهي وإن كانت في بعضها لأجل أمور علمية فقط، إلا أنها كانت تصب كلها في خدمة الدعوة من خلال الكتب والرسائل التي يؤلفها رحمه الله^(١).

٨. وسيلة المناظرة العلمية

من الوسائل الدعوية التي كان يستخدمه الشيخ القاسمي رحمه الله وسيلة المناظرات العلمية، وكان غالباً ما يستخدمها مع المخالفين، وذلك للرد على شبههم واقتراءاتهم، وقد استخدم هذه الوسيلة مع بعض الصوفية الذين خلطوا عبادة الله تعالى بأنواع من الشرك، من طواف وذبح ونحوها، وكانوا يتهمونه لأجل ذلك بـ"الوهابية"، لأن هذه الدعوة تماثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله التي انتشرت من نجد، وكان لا يرد في مناظراته إلا بالدليل من الكتاب والسنة وأقوال أفعال الصحابة السلف الصالح -رحمهم الله- مما اضطر مخالفيه إلى عدم مواصلة المناظرات معه، وذلك نظراً لافحاهم بالدليل، وخشية من رواج فكره وما يدعو إليه عند عامة الناس، وإنما اكتفوا بالصد عنه، وتحذير الناس منه رحمه الله.



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٣٠٧ وما بعدها.

الفصل الرابع

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي في الدعوة إلى الله

وفيه تمهيد ومبحثان :

■ المبحث الأول : آثار جهود الشيخ جمال الدين

القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله.

■ المبحث الثاني : آثار جهود الشيخ جمال الدين

القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله.

تهييد

تعريف كلمة "أثر".

أ- التعريف في اللغة:

كلمة "أثر" جمع، ومفردتها: أثر، وتطلق على عدة معان متقاربة، هي: بقية الشيء، أو العلامة في الشيء، أو الخبر، أو الأجل.

قال في لسان العرب: "الأثر: بقية الشيء، وخرجت في إثره أو في أثره، أي: بعده، وأثر في الشيء ترك فيه علامة بعده، والأثر بالتحريك: ما بقي من رسم الشيء، وفي الحديث قوله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(١)، والأثر: الأجل، وسمي بذلك لأنه يتبع العمر، والأثر: الخبر، وفي التنزيل قوله ﷻ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثِرَهُمْ﴾^(٢)، أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم وأخبارهم"^(٣).

وقال في المعجم الوسيط: "الأثر: العلامة ولمعان السيف وأثر الشيء بقيته، وما يحدثه الإنسان، وجاء في أثره في عقبه، وما خلفه السابقون، والخبر المروي والسنة الباقية"^(٤).

ب- التعريف في الاصطلاح:

يمكن تعريف كلمة "الأثر" في الاصطلاح بأنها: "النتيجة والحاصل من شيء ما"^(٥)، أو: "حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة منه"^(٦).

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم ٥٩٨٥، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم ٨ / ٥. رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٥٥٦، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ٤ / ١٩٨٢.

(٢) سورة الأعراف: ٥٩.

(٣) لسان العرب: لابن منظور، ١ / ٢٥، مادة (أثر) بتصرف.

(٤) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية ١ / ٥، مادة (أثر) بتصرف.

(٥) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني ص ٢٣.

(٦) التوقيف على مهيات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي ص ٣٣.

المبحث الأول

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في منهج الدعوة.**
- **المطلب الثاني: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعاة.**
- **المطلب الثالث: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في المدعوين.**

المطلب الأول

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في منهج الدعوة

لقد أمضى الشيخ القاسمي رحمته الله حياته في الدعوة إلى الله تعالى، ولقد تميز في دعوته بوفرة علمه، وسعة اطلاعه، وقوة حجته، وثباته على الحق، وقد كانت له رحمته الله آثار واضحة على منهج الدعوة إلى الله تعالى في الشام في عصره وما بعده، ويمكن إبراز هذا الآثار من خلال النقاط التالية:

(١) إن من أبرز الآثار للشيخ القاسمي رحمته الله في منهج الدعوة الإسلامية في بلاد الشام أنه أرجعها إلى منهج السلف الصافي، فقد أحيا الله به هذه الدعوة في الشام بعد اندراسها بعد زمن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله- ومنهجها في الدعوة، فقد أرجع رحمته الله المنهج الدعوي إلى طريق السلف -رحمهم الله- في الفهم والتلقي، ولذلك كان يحرص على نقل أقوال كبار علماء السلف وآراءهم، بل أنه لم يكن يصرح بأقواله وآرائه اكتفاء بأقوالهم، وقد بذل في سبيل ذلك جهدا ووقتا كبيرا، وتعرض لأجل ذلك إلى محن وبلايا متعددة، حتى تمكن من إحياء هذه الدعوة من جديد، وقد بقيت ثمرة دعوته من بعده، وظهرت آثارها من خلال طلابه ومؤلفاته^(١).

(٢) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله أيضا أنه أعاد بعث العقيدة الإسلامية الصافية في منهج الدعوة إلى الله تعالى، وجدد أهمية البدء بالعقيدة في دعوة الناس، وأن الإصلاح الديني لا يكون إلا بتصحيح مسائل الاعتقاد، وأن كل ما يصدر عن المسلم من قربات لا بد من صرفها لله عز وجل خالصة ثم لا بد أن تكون صحيحة^(٢).

(١) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٢٧.

(٢) سبقت الإشارة إلى جهوده في العقيدة ص ١٧٧.

(٣) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله أنه أحيا في منهج الدعوة إلى الله تعالى ضرورة الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة للأخذ عنهما مباشرة، وكان يجارِب القائلين بأنه يسع كل مسلم عدم الرجوع إلى هذين المصدرين، وكان يأتي بالأدلة على أنه قول باطل، فالله تعالى جعلها سببا في هداية الناس إلى الطريق الحق، فلا بد للدعاة إلى الله تعالى من الرجوع إليهما للأخذ عنه؛ والإفادة من المنهج الدعوي في القرآن الكريم والسنة النبوية، خاصة في منهج دعوات الرسل عليهم السلام^(١).

(٤) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في منهج الدعوة إلى الله تعالى دعوته إلى هجر التقليد في الدين، وضرورة نبذ ما توارثته الأجيال عن آباءهم وأجدادهم مما يخالف الدين الحنيف، لأن أكثر ما يصاد المنهج الصحيح للدعوة إلى الله تعالى هو الإصرار على التقليد، فهو يفضي إلى تعطيل النصوص الشرعية، والعمل بالأهواء والآراء المخالفة لها^(٢).

(٥) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في منهج الدعوة إلى الله تعالى محاربة البدع والمنكرات التي اعتادها الناس وألفوها، حتى أصبحوا ينكروا على من لا يفعلها فضلا على من ينكر عليهم القيام بها، وقد خالف في هذا المنهج شيوخه وأفراد أسرته وكثيرا ممن حوله، وكان يتحلى في سبيل ذلك اللطف واللين والرأفة مع الناس، خاصة أنهم ألفوا تلك المنكرات وتوارثوها من زمن قديم، دون علم منهم ببطلانها وبدعية القيام بها^(٣).

(٦) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في منهج الدعوة إلى الله تعالى بيانه للطريقة المثلى للتعامل مع المخالفين، وأنه لا شيء أقوى لرد شبه المخالفين من التمسك بالدليل الصحيح، والحجة القوية، والبرهان الساطع، مع التحلي بالأخلاق الفاضلة، والآداب العالية، وأن

(١) سبقت الإشارة إلى منهجه في الاعتماد على الكتاب والسنة ص ٣٢٣.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٣ وما بعدها.

(٣) انظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ١٠ وما بعدها.

المخالفين الذين يقفون أمام نشر الدعوة الصحيحة ولهم تأثير على عامة الناس لا بد من الوقوف لهم بالقوة، وأنهم لا يعاملون بالرفقة والرحمة، بل يشهر بهم ويحذر الناس من مكرهم؛ لأنهم دعاة شر وباطل^(١).



(١) سبقت الإشارة إلى جهوده في هذا الجانب ص ١٨٢.

المطلب الثاني

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في الدعوة

كان لدعوة الشيخ القاسمي رحمته الله آثارا واضحة في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك من خلال أقواله وأفعاله وأخلاقه، وكان يحرص رحمته الله على تربية هؤلاء الدعاة ليحملوا راية نشر السلفية في الشام من بعده، ويمكن إبراز آثار القاسمي في الدعوة من خلال النقاط التالية:

(١) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى حرصه على البيان لهم بأهمية الدعوة إلى الله تعالى، وأنها السبيل لإصلاح المجتمع، وأن على أهل العلم وطلاب العلم دورا هاما في تبليغ الناس الدين الصحيح، وأن عرض الدعوة يحتاج إلى الدليل الصحيح والبرهان الواضح من جهة، كما يحتاج إلى تحلي الداعية بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة من جهة أخرى^(١).

(٢) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى تأصيله لهم قضايا ومسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحثهم على الاهتمام بهذا الجانب من جوانب الدعوة، وأنه لا بد من تغيير ما اعتاده المجتمع من منكرات متوارثة، وأن ذلك التغيير إن لم يكن باليد، فإنه يكون باللسان قولاً أو كتابة أو تأليفاً، وأنه يجب في كل ذلك مراعاة شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحري فقه الإنكار، ومعرفة واجباته وموانعه^(٢).

(٣) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى تخريج عدد من الدعاة من طلابه، وقد كان لهم أثر بارز في الحياة الدعوية بالشام في زمانه رحمته الله وبعده، وقد تأثروا بدعوته السلفية، وأخذوا ينشرونها في الناس، بل قد أصبح عدد منهم من كبار علماء بلده، سواء

(١) سبقت الإشارة إلى جهوده في هذا الجانب ص ١٤٩.

(٢) سبقت الإشارة إلى جهوده في هذا الجانب ص ١٦٧.

بالشام أو خارجها، ومن برز من أولئك الدعاة داخل الشام الشيخ حامد التقي رحمه الله وهو أخص تلاميذه كما مر، وقد تصدى الشيخ التقي للإمامة والخطابة والتدريس ونشر دعوة السلف في الناس، وقد كان له أثر ملموس وخرّج عدد من الطلاب عليه منهم الشيخ محمود مهدي الإستانبولي رحمه الله، ومن برز أيضا من أولئك الدعاة الشيخ محمد بهجة البيطار رحمه الله، والذي كان في بداية أمره صوفيا غالبا ثم هداه الله إلى مذهب السلف بسبب تأثره بشيخه القاسمي رحمه الله، وقد كان له أثر كبير في نشر الدعوة السلفية في الشام، فقد عمل بالإمامة والخطابة والتدريس في المساجد والمدارس، وكانت له حلقة في الجامع الأموي، ولما سافر إلى السعودية كان له أثرا واضحا أيضا، فقد درّس في الحرمين الشريفين، وأدار عددا من المعاهد العلمية، وألف عددا من الكتب، وألقى الكثير من المحاضرات والدروس، ونشر مذهب السلف -رحمهم الله-، وكان من طلابه في الشام الشيخ الألباني رحمه الله والشيخ علي الطنطاوي رحمه الله، ومن أولئك الدعاة أيضا الشيخ محمد جميل الشطي رحمه الله والذي أصبح شيخ الحنابلة في عصره، فقد تأثر بدعوة شيخه القاسمي رحمه الله، ونشرها في الناس من خلال الإمامة والخطابة والتدريس، حتى أصبح مرجعا في الفقه الحنبلي وشيخا عاما له، وخرّج عددا من الطلاب، ومن أولئك الدعاة خارج الشام الشيخين المصريين محمد بخيت المطيعي رحمه الله، والذي أصبح مفتيا للديار المصرية في زمانه، والشيخ أحمد شاكر رحمه الله والذي أصبح محدث للديار المصرية في زمانه، وكلاهما كان على المنهج السلفي في نشر الدعوة إلى الله تعالى^(١).



(١) سبقت الإشارة إلى أبرز تلاميذ القاسمي ص ١٢٠ وما بعدها.

المطلب الثالث

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي النظرية في المدعوين

تأثرت دعوة الشيخ القاسمي رحمته الله في زمانه بكثرة المحن التي تعرض لها، والتهم الباطلة التي اتهم بها، فأدى ذلك إلى ضعف التفاف الناس حوله، وانصرافهم عنه، وقَلَّ اتصافهم به خشية من الحكومة العثمانية، ولم يبق حوله إلا طلابه، وأفراد أسرته، وجمع من جماعة مسجده، ولذا فقد اتجه رحمته الله في دعوة عامة الناس إلى التأليف والكتابة، بعدما رأى انصرافهم عن الدروس والمحاضرات، وتعد كتبه ومؤلفاته من آثار جهوده الدعوية للمدعوين، ويمكن إبراز بعض الآثار الأخرى من خلال النقاط التالية:

(١) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في المدعوين تأليفه عددا من الكتب الخاصة بوعظ عامة الناس، مثل كتابه "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، و"الوعظ المطلوب من قوت القلوب"، وقد حثَّ الدعاة إلى الله تعالى على قراءة هذه الكتب على الناس في المساجد والجموع، خاصة وأن محتوى تلك المؤلفات ملائم للعامة، لسهولة عبارته، وتنوع موضوعاته في قضايا متعددة^(١).

(٢) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في المدعوين إلى الله تعالى أنه كلما كان في مجلس عام أو مناسبة حافلة استغل هذا لنصح الناس وتنبههم إلى بعض الأخطاء العامة سواء في العقيدة أو العبادة أو الأخلاق، وكان يحث العلماء على أخذ زمام المبادرة في هذا الأمر، حتى لا ينفرد الناس بالسفهاء والجهلاء، فيضلوا ويضلوا^(٢).

(١) انظر سبب تأليفه لهذين الكتابين: الوعظ المطلوب من قوت القلوب: جمال الدين القاسمي، ص ٢٧. موعظة المؤمنين من

إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٢٢، ٣٣٧.

(٣) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في المدعوين إلى الله تعالى أنه كان يكتب المقالات في الجرائد والمجلات، وكان موضوعات المقالات موجهة إلى العامة، فتارة يكتب عن بدع بعض الطرق الصوفية، وتارة يكتب عن بعض القضايا المتعلقة بالطلاق وأحكامه، وتارة يكتب عن يسر الشريعة، وغير ذلك من الموضوعات، التي تبين حرصه رحمته الله على نشر الدعوة لعامة الناس بشتى الوسائل والسبل^(١).

(٤) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله في المدعوين أنه استطاع صرفهم عن المحرمات الخالصة، إلى أمور أخف وأقل منها، مراعاة لأحوالهم، فقد اشتهر في زمانه بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وكان عامة الناس يشاركون في هذه الاحتفالات، فكان رحمته الله يجمع جماعة مسجده ليلة الاحتفال ويقرأ لهم صحيح السيرة النبوية، ويحذرهم من الغلو في مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، ويحذرهم من البدع التي تنتشر في الاحتفال بالمولد النبوي، وكان يرى أن جمعهم بهذه الصورة أولى من تركهم يشاركون في الاحتفالات الأخرى^(٢).



(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٨١.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣٢٣.

المبحث الثاني

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في منهج الدعوة.**
- **المطلب الثاني: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعاة.**
- **المطلب الثالث: آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في المدعوين.**

المطلب الأول

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في منهج الدعوة

أمضى الشيخ القاسمي رحمته الله حياته في الدعوة إلى الله تعالى، وقد كانت له جهود تطبيقية في الدعوة، وقد حققت هذه الجهود عددا من الآثار، والتي يمكن إبرازها من خلال النقاط التالية:

(١) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في منهج الدعوة تعامله بالأخلاق الحسنة في دعوة الناس، وبيانه أثر ذلك في قبول الدعوة لدى المدعوين، وأن الإنسان قد يستجيب للحق الذي يدعى إليه بسبب التعامل الحسن من قبل الداعي، وقد ظهرت آثار ذلك المنهج السديد في الدعوة باستجابة عدد من أعداء القاسمي ومخالفيه لبعض آراءه، بل وثنائهم عليه بسبب أخلاقه العالية التي جذبتهم لذلك، ولما توفى أجمعوا جميعا موافقوه ومخالفوه على عظيم أثره في دعوتهم^(١).

(٢) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في منهج الدعوة تفعيل أسلوب القدوة الحسنة بشكل واضح، ودعوة الآخرين من خلال الأفعال أكثر من الأقوال، وقد ظهر أثر هذا الأسلوب في الدعوة مع طلاب القاسمي بشكل واضح، وكان أكثر تأثيره عليهم من هذا الباب، وقد كان بعض طلابه من أهل البدع والخرافات، ولم يلازمه إلا بعد أن ظهر له صدق كلامه، وموافقة أقواله لأفعاله، ولذا كان رحمته الله يدعو طلابه مفارقة أهل البدع والشركيات وعدم مخالطتهم حتى لا يكونوا قدوة سيئة لغيرهم^(٢).

(١) سبقت الإشارة إلى جهوده في هذا الجانب ص ٢٠٨.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٦١ وما بعدها.

٣) ومن آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في منهج الدعوة تفعيل أسلوب المناقشة والحوار، مع الطلاب والمخالفين، والاستدلال بالحجج والبراهين والأدلة، فقد كان رحمته الله يقيم مناظرات علمية مع طلابه، ويأمرهم بإيراد الحجج والشبهه عليه خاصة فيما يتعلق بالدعوة السلفية؛ ليقوم بالرد عليها، ويترك المجال لطلابيه لإبداء آراءهم على كلامهم، فإن قبلوا وإلا فكل يحتفظ برأيه، وكان لذلك أثرا ملموسا في نفوس طلابه، فقد تعلموا من هذا الأسلوب عدم التسليم في الآراء والأفكار إلا بما تسانده الحجة والدليل، وكما كان يقيم المناظرات العلمية مع طلابه فإنه كان يقيم المناظرات الحقيقية مع خصومه، سواء في المسائل الفقهية أو في القضايا العقدية، ويرد على شبههم وأقوالهم بالحجة والبرهان، حتى أن عدد من خصومه امتنع عن المناظرات، بسبب إفحامهم بالأدلة من الشيخ القاسمي رحمته الله (١).



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٣٧٢.

المطلب الثاني

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في الدعوة

قضى الشيخ القاسمي رحمته الله حياته في الدعوة إلى الله تعالى، وقد كانت له جهود تطبيقية في الدعوة، وقد ظهرت عدة آثار لتلك الجهود على الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن إبراز تلك الآثار من خلال النقاط التالية:

(١) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في الدعوة إلى الله تعالى تربيتهم على الاهتمام بالأخلاق، وتنشئتهم على الصفات الواجبة على الدعوة إلى الله تعالى بصورة عملية، وأنه يجب على الداعية أن يصبر على أذى الناس وأن يقابل الإساءة بالإحسان، وأن تكون الأخلاق الفاضلة شعاراً للداعية في تعامله مع زملائه وأهله وعامة الناس حوله، وقد ضرب القاسمي لتلاميذه أروع الأمثلة التطبيقية في ذلك^(١).

(٢) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في الدعوة إلى الله تعالى حثهم على الاهتمام بالعلم وبذل الجهد في التعلم والصبر على ذلك، وأن الداعية إلى الله تعالى لا بد له من طلب العلم أولاً حتى يتمكن من دعوة الناس وتعليمهم، وكان يربي طلابه على الاهتمام باكتساب العلم دائماً وفي كل مكان ومن أي شخص كان، ويرشدهم إلى ضرورة تعليم الناس ورفع الجهل عنهم مع الصبر على ذلك رحمته الله.

(٣) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في الدعوة إلى الله تعالى أنه يوجه طلابه إلى الاهتمام بنشر الدعوة إلى الله تعالى، وكان يصحبهم معه في رحلاته الدعوية، ليغرس في نفوسهم الاهتمام بالدعوة، ومن ثم الصبر في سبيل إيصالها للمدعوين، ولما أرسل بعض طلابه للتعليم في ناحية نائية أرسل له يصبر ويثبتته، ويبين له عظيم الأجر في الدعوة إلى الله تعالى،

(١) انظر: إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي ص ٣٤.

وأن ذلك يعظم كلما عظم حاجة الناس إلى الدعوة، وكلما ظهر فيهم الجهل والأخطاء^(١).
 (٤) من آثار الشيخ القاسمي رحمه الله التطبيقية في الدعوة إلى الله تعالى حثهم على أن مما يقبح بالدعوة إلى الله تعالى التهافت على الدنيا، والسعي وراء العطايا والصدقات، وكان يأمر طلابه بالكسب من عمل اليد، وأن الداعية إلى الله تعالى إذا شعر أن رزقه ارتبط بعطايا الخلق فإنه يجنب عن نصحه للخير أو الإنكار عليهم في الشر، وكان يريهم بفعله على هذه الخصلة، فكان لا يطلب من أحد شيئاً، ولا يأخذ من أحد شيئاً أيضاً، وليس له دخل إلا مقدار ما خصص لكل إمام أو خطيب من الأوقاف فقط^(٢).

(٥) من آثار الشيخ القاسمي رحمه الله التطبيقية في الدعوة إلى الله تعالى إرشادهم إلى ضرورة استغلال الداعية إلى الله تعالى الوسائل الحديثة في عصره، فكان يحث طلابه على كتابة المقالات في الجرائد والمجلات، لأنها وسيلة عصرية في توعية الناس في زمانه، خاصة وأنها تنتقل من بلد لآخر، وكان يشجع من يكتب المقالات منهم، ويراجعها لهم قبل نشرها، كما أنه كان يأمرهم بمراجعة مقالاته لبيان الملاحظات عليها وتصحيحها.

(٦) من آثار الشيخ القاسمي رحمه الله التطبيقية في الدعوة إلى الله تعالى عقد الاجتماعات مع الدعوة إلى الله تعالى لمناقشة الهموم المشتركة، أو لحل بعض قضايا المجتمع النازلة، وغير ذلك، وقد كان يجتمع مع شيوخه وطلابه وأصدقائه بشكل مستمر، فكان لتلك الجلسات آثار نافعة على الدعوة، وقد استمرت تلك الجلسات الدعوية والعلمية بعد وفاته في بيته وقد قام عليها طلابه من بعده، استشعاراً منهم لفائدتها وعظيم نفعها للخاصة والعامه^(٣).



(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٩٦.

(٢) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٩٤.

(٣) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٩٢.

المطلب الثالث

آثار جهود الشيخ جمال الدين القاسمي التطبيقية في المدعوين

قضى الشيخ القاسمي رحمته الله حياته في الدعوة إلى الله تعالى، وقد كانت له جهود تطبيقية في الدعوة، وقد ظهرت عدة آثار لتلك الجهود على المدعوين، ويمكن إبراز تلك الآثار من خلال النقاط التالية:

(١) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في المدعوين استجابة عدد من شيوخه وطلابه وأهل بيته ومن عامة الناس حوله لدعوته السلفية، واقتناعهم بها، وبصحة مصادرها وأدلتها، ولذا فقد فارقوا كثير ما كانوا عليه من بدع شركية وطرق صوفية أو منكرات محدثة تأثرا بدعوة القاسمي رحمته الله، حتى أن والده رحمته الله رجع إلى السلفية في أواخر حياته اقتناعا بدعوة ابنه له، وقد كان ثبات القاسمي وصبره من أبرز الدواعي إلى استجابة المدعوين لدعوته، وكذلك أخلاقه وتعامله الحسن مع المدعوين، وقد صرح أحد طلابه أنه إنما لازمه رغبة في الوقوف على أخطاءه، وبسبب تعامل وأخلاقه ولينه في دعوته تحول وصار على منهاجه ودعوته.

(٢) من آثار الشيخ القاسمي رحمته الله التطبيقية في المدعوين العناية بالوعظ والإرشاد والخطابة والدروس وغير ذلك مما هو موجه للمدعوين، والابتعاد عما ألفه العامة وحفظوه من تلك الخطب التي كثر تراددها على ألسنة الدعاة، مما أفقدها روحها وفائدتها، وقد ظهر أثر ذلك من محبة الناس للقاسمي رحمته الله وسرورهم بمقدمه عليهم، وكذلك من الحزن على فراقه بعد موته رحمته الله ^(١).



(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٥٨.

الفصل الخامس

الدروس والعبر المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر

وفيه تمهيد ومبحثان :

■ المبحث الأول : الدروس والعبر النظرية المستفادة

من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر

■ المبحث الثاني : الدروس والعبر التطبيقية

المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر

الحاضر

تهييد

إن أهمية الدراسات الدعوية تكمن في الدروس والعبر المستفادة منها وكيفية ربطها وتنزيلها على العصر الحاضر، لأن المناهج والتجارب الدعوية تحتاج إلى القدوة والمثال الذي يحتذى ويقتدى، وإن أعظم مثال للدعوة والدعاة على الدوام هو منهج النبي ﷺ ودعوته، ولذا حرص العلماء والدعاة على الاقتداء بها وضرب الأمثلة منها.

وقد حرص العلماء والدعاة على الاقتداء والاهتداء بمن سار على منهج النبي ﷺ ممن جاء بعده من سلف الأمة -رحمهم الله-، ومن أولئك الدعاة الأعلام الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله، فقد جاءت حياته الدعوية على هذا المنهج المبارك، وقد احتفت بحياته الدعوية كثير من الظروف والأحداث التي قد تتكرر مع الدعاة في عصرنا الحاضر، خاصة وأن الشيخ القاسمي من هذه العصور المتأخرة، فكان حريا بالدعوة والدعاة الإفادة من هذه السيرة العطرة، والحياة الدعوية الرائعة، وربطها بواقعنا المعاصر، رغبة في النهوض بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وحرصا على الاقتداء بالمنهج النبوي، وتأكيذا على ملائمته لكل زمان ومكان.

وللتأكيد على فوائد دراسة سير العلماء والدعاة السابقين ومعرفة طرائقهم في الدعوة والبلاغ أشير إلى النقاط التالية مبينا تلك الفوائد^(١):

١. أن العلماء والدعاة لهم منزلة عالية، ومكانة رفيعة، لأنهم ورثة الأنبياء، ولم يورث الأنبياء دينارا ولا درهما، بل ورثوا العلم، فمن وقف على سيرهم وحياتهم وقف على إرث النبوة واطلع على نور الرسالة.
٢. أن دراسة سير العلماء والدعاة تمكن من التعرف على جهودهم في التأليف والتعليم،

(١) هذه الفوائد مقتبسة بتصرف واختصار من مذكرة لمادة دراسية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: سير الدعاة إلى الله تعالى ص ١.

ومناهجهم في تقرير العلوم ودعوة الناس، وتمكن من معرفة الوسائل والأساليب التي استخدموها وتعاملوا معها، وتمكن من معرفة أبرز ركائز منهج الدعوة عند أولئك الأعلام، وغير ذلك مما يفيد الدعوة والدعاة.

٣. أن دراسة سير العلماء تساعد في التعرف على المخالفات والانحرافات التي كانت تعج بها المجتمعات التي عاش فيها أولئك العلماء والدعاة، وتعطي دلالات تاريخية عن الممارسات الخاطئة في تلك العصور، وتبين كيفية تعامل أولئك العلماء والدعاة معها.

٤. أن دراسة سير العلماء والدعاة تبين كيف أن الدعوة إلى الله قد أخذت جزءا كبيرا من اهتمام أولئك الأعلام، وتبين كيف اجتهدوا في نشر الدين، وتبصير الناس وتعليمهم ودالتهم على رب العالمين.

٥. أن دراسة سير عالم أو داعية واحد تثير الحماس لدى طلبة العلم، فالتعرف على سيرة واحد منهم يقود إلى الرغبة في التعرف على سير غيره من علماء الإسلام، وفي هذا اطلاع على علم أولئك الأعلام، وفقههم، ومؤلفاتهم، وما ألف عنهم، ومعرفة الفوارق بينهم في تقرير المسائل واستنباط الأحكام، ومعرفة طرائقهم في النظر إلى المصالح والمفاسد وغير ذلك من الفوائد.

٦. أن دراسة سير العلماء والدعاة تساعد على النظر في أوجه الإفادة من سير العلماء ومؤلفاتهم في العصر الحاضر، والتي يمكن على ضوءها إفادة الدعوة والدعاة.

٧. أن في دراسة سير العلماء والدعاة شحذا للهمم وارتقاء بها وذلك بعد الاطلاع على الآثار التي تركها العلماء والدعاة في الدعوة وطلب العلم.



المبحث الأول

الدروس والعبر النظرية المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر

أمضى الشيخ القاسمي رحمته الله حياته في الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم والاهتمام بالتعليم، وقد رحمته الله خلفه تراثا كبيرا ومتنوعا، والعصر الحاضر بحاجة إلى الاستفادة من هذا التراث الكبير في مسيرة الدعوة إلى الله تعالى، وللإفادة في الجانب النظري من جهود الشيخ القاسمي رحمته الله نبرز النقاط التالية:

١. الاستفادة من جهود الشيخ القاسمي رحمته الله في ضرورة الالتزام بمنهج السلف الصالح - رحمهم الله - وأن الأمة لا يصلح أخراها إلا بما صلح به أولها، وأن المناهج الدعوية المخالفة لدعوة السلف لا يكتب لها البقاء ولا النجاح، ولا يكتب لأربابها النصر ولا الفلاح.

٢. الاستفادة من تمسك الشيخ القاسمي رحمته الله بالعتيدة الإسلامية الصحيحة النقية من الشوائب، وأن المرجع فيها كتاب الله تعالى، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة، وما صح من أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من سلف الصالح - رحمهم الله -، وأن أول ما يبدئ بتصحيحه عند المدعويين هي أمور ومسائل العقيدة؛ وذلك لأن الله تعالى ربط صحة العقيدة بصحة ما بعدها من القرب والطاعات، وكان أنبياء الله ورسله - عليهم السلام - إنما يبدؤون بتصحيح العقيدة أولا، ولذلك فإن المناهج الدعوية التي لا تعنى بعقيدة المدعويين أول الأمر فإنها مناهج جانبها الصواب كثيرا^(١).

٣. الاستفادة من جهود الشيخ القاسمي رحمته الله في محاربة البدع والرد المبتدعين، وأن ذلك بحاجة إلى منهج معتدل وواضح كما كان عليه القاسمي رحمته الله، فإنه كان عندما يدعو عامة الناس يتعامل معهم باللين والتلطف والرفق، لأن هذه البدع ألفتها منذ طفولتهم، وتوارثوها

(١) سبق عرض أهمية العقيدة وضرورة البدء بها في الدعوة إلى الله تعالى ص ١٧٧.

من آباءهم وأجدادهم، ولن تجدي معهم القسوة والغلظة في التغيير، بل لا بد من الرفق واللين، وأن هذا التغيير لن يأتي سريعا، بل يحتاج معه إلى وقت وصبر، وكذلك يحتاج معه إلى إقناع بالدليل والحجة، ويحتاج معه إلى ربط العامة بما كان عليه السلف الصالح في القرون المفضلة، والتبيين لهم هذه البدع لم تكن موجودة عندهم وهم أقرب الناس بالعهد النبوي، وأما رؤوس أهل البدع ودعاتهم فإن الشيخ القاسمي رحمته الله كان يتعامل معهم بشيء من الحزم في الإنكار على البدع، والرد عليهم بالأدلة القطعية الواضحة، مع الالتزام بالأخلاق الفاضلة، والحرص على نقد الأفكار لا الأشخاص، ونقد الفعل لا الفاعل، فإذا وجد أن هؤلاء الرؤوس والدعاة إلى البدع من أهل المكابرة والعناد فإنه يحذر الناس منهم بأعيانهم، وينبه على أخطائهم وبدعهم، ويذكرهم بأسائهم^(١).

٤. الإفادة من جهود الشيخ القاسمي رحمته الله في التعامل مع الآخرين بشكل عام، فقد كان يعامل الناس بأخلاقه هو، ولا يجعلهم يجرونه إلى أخلاقهم، وكان يرى أن هذا المنهج النبوي مفيد مع كل أحد، فهو لا يكثر المراء ولا الجدال مع مخالفه، وإنما يرد الحجة بمثلها، ويبطل الدليل بالدليل، ولذا فقد أسر كل من تعامل معه بأخلاقه الفاضلة حتى جعل كبار مخالفه وأعداءه يعترف بفضله، بل ويعتذر له في آخر حياته، وبعد موته حضر جنازته الموافق والمخالف مثنيا وذاكر فضله وخلقه^(٢).

٥. الإفادة من الجهود العلمية للشيخ القاسمي رحمته الله في تعلم العلم، فقد أخذ نفسه بالهمة العالية، والحرص على اغتنام الوقت، واجد في حضور الدروس والحلق، والجلوس بين يدي العلماء والمشايخ، والحرص على تعلم العلوم بأنواعها المختلفة، علوم الدنيا وعلوم

(١) انظر: جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة ص ٣١٩.

(٢) انظر: شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي ص ٩٥.

الدين، لأن الداعية إلى الله تعالى يحتاج في مسيرته الدعوية إلى الإمام بجزء من تلك العلوم؛ لمواكبة العصر الذي هو فيه، ولإمكان استخدامها في الدعوة إلى الله تعالى، والتأكيد على أن الغرض الأسمى لتعلم العلوم هو خدمة دين الله تعالى، وتبليغ دينه للناس عامة^(١).

٦. الإفادة من الجهود العلمية الشيخ القاسمي رحمته الله في تأليفه للكتب والمؤلفات، وأن التأليف لا بد أن يكون له هدف خدمة الدعوة، فإن الشيخ القاسمي رحمته الله كان له هدف واضح من كل مؤلف ألفه، وكل الأهداف تصب في خدمة الدعوة سواء كانوا دعاة أو مدعويين، ولذا فقد جاءت مؤلفاته مفيدة ومتنوعة، وجاءت ملامسة لحاجة في المجتمع، فهو يؤلف تارة لتصحيح عقيدة فاسدة، أو للرد على بدعة منكرة، أو للحث على فضيلة غائبة، وهكذا، وقد كانت المطبعة في عصره في بدايتها في الشام، وأكثر الكتب كان مخطوطا، فكان قبل تأليف لأي كتاب يبحث في المكتبة الظاهرية عن مخطوط خدم الهدف الذي يراه، فإن وجد فإنه يخرج للناس محققا ومصححا على وفق مراد مؤلفه، ولا يختار من مخطوطات السلف أهل من عرف بالتحقيق والتدقيق، ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب الإمام الشاطبي وغيرهم، وإن لم يجد ما يخدم الهدف المطلوب شمر ساعده للتأليف^(٢).

٧. الإفادة من جهود الشيخ القاسمي رحمته الله في ضرورة الاهتمام بنصوص الكتاب والسنة النبوية الصحيحة، وأنه يجب على طلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى الاهتمام بتبليغ المدعويين نصوص الوحيين، وأن أهم ما يجب صرف الجهود عليه هو علمي التفسير والحديث، لأنها يعتمدان على الكتاب والسنة، والأمة كلما تأخر زمانها عن زمان النبوة

(١) انظر: جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي ص ٤١.

(٢) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣٢.

كلما ضعف ارتباط أفرادها بهذين المصدرين العذيين في العلم والتعليم، لذا كان هذا الواجب على الدعاة في هذه الأزمان المتأخرة أوجب، والحمل عليهم أثقل.

٨. الإفادة من منهج الشيخ القاسمي رحمته الله في وعظ الناس ونصحهم، وأنه لا بد من الاقتصار في ذلك على الوارد في القرآن الكريم، والصحيح الثابت من السنة النبوية، وأن ما ورد فيها غنية عن غيرهما من الضعيف فضلا عن الموضوع أو المكذوب، وكان ينبه طلابه دائما إلى هذا المنهج في الوعظ والنصح، خاصة وأن زمانه قد راجت فيه الأحاديث الضعيفة، ووجدت لها آذانا صاغية، وقلوبا متعطشة، وقد هذا المنهج هو سبب لتأليفه كتاب "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"، وكتاب "الوعظ المطلوب من قوت القلوب"، ولذا فمن المناسب الإفادة من هذين الكتابين، وقراءتهما على العامة في المساجد، فهما قد جمعا بين الوعظ ومراعاة الصحة والاختصار.

٩. الإفادة من كتب الشيخ القاسمي رحمته الله التي ما زالت مخطوطة، وهي موجودة اليوم في مكتبة أسرته بدمشق، مع الحرص على مراجعتها وتصحيحها، لأن الشيخ القاسمي قد أوصى بعدم طبعها إلا بعد المراجعة والتصحيح، خاصة من ألفه قبل سنة ١٣٢٠هـ، فقد نص على أن له فيها وقفة^(١).

وإن من الغبن الشديد أن تختار دمشق سنة ١٤٢٨هـ عاصمة للثقافة العربية، ولا يلفت الانتباه ولو بإشارة يسيرة إلى الجهود العلمية للشيخ القاسمي رحمته الله، خاصة وأن له كتابا كبيرا في تاريخ دمشق، فقد أرخ لها منذ وصول الفتح الإسلامي إليها وحتى زمانه رحمته الله، ثم ضم إليه كثيرا من المعلومات والفوائد المتعلقة بالشام، وهو كتاب كبير يقع في ٤ أجزاء، ولعل المطلع على أحوال الشام في هذا الزمان لا يخفى عليه السبب الذي جعل مثل هذا العلم العظيم

(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٦٣٣.

من أعلام دمشق لا يلتفت إليه، فإن الزمرة الطاغية الحاكمة في سوريا اليوم من البعثية ومن لف لفهم -والذين يضطهدون إخواننا من أهل السنة اليوم- يبغضون السلفية ودعاتها، والشيخ القاسمي رحمته الله لاشك أنه أول من أدخل دعوة السلف إلى الشام كلها، فإبراز علمٍ مثله يكون فيه دعاية وترويج لمنهجه، وهذا ما لا يرضاه أولئك المجرمون، ولذا كان أفضل تعامل منهم معه هو إغفال اسمه، وإغفال مؤلفاته وتناسيها، وعدم إبرازها أو الاهتمام بإخراجها في مثل هذه المناسبة العلمية الثقافية، ولن يضره ذلك رحمته الله، فإن التاريخ لا ينسى آثار الشيخ القاسمي ومآثره رحمته الله في خدمة الإسلام والمسلمين عامة، وخدمة بلده ووطنه دمشق الشام خاصة^(١).



(١) انظر: مقالة بعنوان: جمال الدين القاسمي وكتابه عن تاريخ دمشق الذي لم يطبع بعد، لـ: أ.د. محمد محمود الأرنؤوط، نشرت بجريدة "الحياة"، بتاريخ ١٢ / ٠١ / ٢٠٠٨ م، بمناسبة اختيار دمشق عاصمة للثقافة العربية، وللإطلاع على المقالة راجع أرشيفها في موقعها الرسمي على الشبكة العنكبوتية العالمية.

المبحث الثاني

الدروس والعبر التطبيقية المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر

الحاضر

اهتم الشيخ القاسمي رحمته الله حياته الدعوية بالتعليم والتربية، ودعوة الناس للإلتزام بأوامر الدين ظاهرا وباطنا، قولاً وعملاً، وقد كانت له جهود واضحة وملموسة في هذه الجوانب، وللإفادة من هذه الجهود في الجانب التطبيقي نبرز النقاط التالية:

١. الإفادة من الشيخ القاسمي رحمته الله في حرصه على بذل العلم للناس عامة، وتعليم وتربية طلاب خاصة، والحرص على تنشئتهم نشأة صحيحة، والاهتمام بكل جزء في حياة طلابه، حتى في شؤونهم الخاصة، والاهتمام بشؤون الدين والدنيا، ليتوازن لديهم الاهتمام بالعلم والعمل، وكان من شدة حرصه ودقته في تربيتهم أنه كان يصحبهم في رحلاته وسفاراته، وينص على أن اصطحابه لهم إنما هو لغرض متابعة التربية لهم حضراً وسفراً، وكان لا يغفل عنهم حتى في طريقة أكلهم ولباسهم وتعاملهم مع الآخرين، وتراه في كل ذلك ينصح ويوجه ويأمر وينهى، وكان يرى طلاب العلم في كل مكان وزمان يحتاج لهم مثل ذلك، حتى لا تكون لديهم فجوة بين العلم والعمل، أو تكون لديهم فجوة بين العلم والأخلاق، وهذا من أبرز ما يستفاد من الشيخ القاسمي في النواحي التطبيقية^(١).

٢. الإفادة من الشيخ القاسمي رحمته الله في دعوته إلى الله تعالى، وأن كان يراعي الواقع الذي يعيش فيه، فقد كثر في زمانه كبت الحريات، واضطهاد المصلحين، فلم يمنعه ذلك من العمل للدين وخدمة الإسلام والمسلمين، بل اجتهد في العمل وفق ما توفر له من وسائل، مع مراعاة عدم إثارة الحكومة أو الأعداء المتسلطين؛ حتى لا ينقطع نور الخير الذي يحمله،

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٢٩٠ وما بعدها.

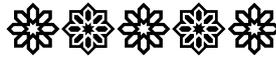
ولذا نراه لما كثرت عليه المحن والمصائب بسبب دعوته السلفية، ومنع من العمل الدعوي ومن مخالطة الناس ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه لم ينقطع عن الدعوة إلى الله البتة، بل صرف جزءاً من وقته في تربية خواص طلابه، وجزءاً آخر في التأليف، وكان يرى أن وسيلة تأليف الكتب في زمانه تؤدي نفس النتيجة التي تؤديها المحاضرات والدروس وغيرها من صنوف العمل الدعوي بل تزيد، لأن الكتاب يقع في يد الموافق والمخالف، وقد ينتفع به ويهديه الله بسببه، فلم يقطع على نفسه هذا الباب من الخير، ولم يصدده ذلك أيضاً أن يعمل للدين مراعيًا لما توفر لديه من أسباب ممكنة، حتى أنه في تأليفه للكتب أيضاً لم يكن يصرح بأقواله وآرائه، وإنما كان يكتفي بما ينقله من أقوال السلف الصالح -رحمهم الله- مما يعبر عن رأيه، والسبب في ذلك أنه كان يراعي الحال في زمانه، فقد اتهم رحمهم الله بالإتيان بمذهب جديد في الدين، وخشي إن صرح بذكر آراءه دون ذكر أقوال السلف أن يعتقد أن هذا من كلامه، وأنه لم يسبقه فيه أحد، فتصدق التهمة عليه، فلذا كان يكثر من النقل والجمع من أقوال السلف في كتبه، وهذه فائدة عملية للدعاة إلى الله تعالى أن ينهجوا مثل هذا المنهج في طريقهم في الدعوة إلى الله تعالى، مع مراعاة ما يتوفر لهم من ظروف وأسباب^(١).

٣. الإفادة من جهود الشيخ القاسمي رحمهم الله في الرحلة والسفر لأجل تبليغ الناس العلم الشرعي، والدعوة إلى الله تعالى، وأن الداعية كلما وجد حاجة الناس له في مكان أكثر، والأثر أبلغ كلما حرص على ذلك المكان، فإن القاسمي ~ لما انتدبته الحكومة للنصح والإرشاد في بلاد حوران، ولم تندبه مرة أخرى رحل إليهم بنفسه، لأنه أدرك حاجة الناس له، مع ما هم فيه من الجهل والغفلة، وهذه فائدة عملية للدعاة في إيصال الخير الذي

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك ص ٣٥٥ وما بعدها.

وصل إليهم إلى الناس، وكم في زماننا من الحاجة إلى الدعوة إلى الله مع سهولة ويسر الوسائل، فإن الدعاة بإمكانهم إبلاغ الدعوة دون الرحلة والسفر مثل ما كان في زمان القاسمي رحمه الله.

٤. الإفادة من جهود الشيخ القاسمي رحمه الله في التعامل السياسي، وفي التعامل العلماء والدعاة مع السلاطين بشكل عام، فهو مع حرصه على الإصلاح السياسي العام، وإعطاء الناس حقوقهم وحريةهم، إلا أن ذلك لم يقربه من السلاطين، ولم يقرب إليهم أو يطرق أبوابهم، وإنما تعامل معهم وفق المنهج الشرعي في النصيحة لهم، ولم يتأثر من القرب ولا البعد، بل كان يدعو إلى ضرورة أن يكون الدعاة بمنأى عن الحكام، حتى لا تختلط نياتهم، وحتى لا يتهموا في دعوتهم، وكلما كان الداعية بعيدا عن هدايا الحكام وأرزاقهم فإنه يكون أكثر إخلاصا في دعوته^(١).



(١) انظر: جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي ص ٤٦٧، ٤٦٨.

الخاتمة

وتشتمل على:

- أهم النتائج
- أهم التوصيات

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:
فقد منَّ الله تبارك وتعالى عليّ، وأعانني على إتمام هذا البحث، حول هذه الشخصية العلمية الدعوية الفذة للشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله، وإنني أرجو أن أكون قد أتيت على جلّ الجوانب الدعوية والعلمية المتعلقة بالشيخ القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى، وها أنا أصل إلى خاتمة هذا البحث، وسأعرض أولاً أهم النتائج من دراسة هذا الموضوع، ثم أعقبها بأهم التوصيات المتعلقة بالموضوع.

أولاً: النتائج.

بعد دراسة المباحث السابقة والمتعلقة بالشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله أصل إلى أهم النتائج المستخلصة والمتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى:

1. كانت الأوضاع السياسية مضطربة في بلاد الشام في عصر جمال الدين الشيخ القاسمي رحمته الله، والأوضاع الدينية تطغى عليها البدع والجمود، ويكثر فيها التعصب والتقليد، والأوضاع العلمية في تأخر وضعف ورجوع.
2. الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله من العلماء العاملين، والدعاة الفاعلين، وكان إماماً وقدوة ومثلاً حياً لمقتفي ومحبي آثار السلف الصالح في جميع شؤون حياته الشخصية والعلمية والدعوية.
3. الظروف المحيطة بالشيخ القاسمي رحمته الله في أغلب النواحي لم تكن ملائمة ومناسبة للدعوة إلى الله تعالى، ولكنه استطاع أن يطوعها ويتغلب على كثير من مصاعبها.
4. الشيخ جمال الدين القاسمي رحمته الله طرق أغلب الأساليب، واستخدم عدداً من الوسائل، وتنقل بين عدة مناهج في الدعوة إلى الله تعالى، حسب الزمان والمكان والظروف والأحوال.
5. اهتمام الشيخ القاسمي رحمته الله بالعلم وتمكّنه منه وحرصه على الإزدياد منه وحبّه

- للعلماء وحرصه على الإفادة منهم كل ذلك كان واضحا وملموسا في حياته الشخصية والدعوية، ولذا فقد كان عالما موسوعيا، وداعية مجتهدا.
٦. الثبات على المبدأ، والقوة في الحق، صفات لازمت الشيخ القاسمي رحمته الله كثيرا في حياته، خاصة بعد جهره وإعلانه لأفكاره وآرائه السلفية.
٧. بذل الشيخ القاسمي رحمته الله جهودا متعددة في خدمة الدعوة إلى الله تعالى، جهودا نظرية وتطبيقية، علمية عملية، وكلها آتت ثمارها وأكلها، على أحسن صورة.
٨. نهج الشيخ القاسمي رحمته الله في الدعوة إلى الله تعالى نهج الدعاة السابقين من الأنبياء والمرسلين ومن جاء بعدهم، فقد اهتدى بهديهم، واقتفى سننهم، ولم يخرج عنهم.
٩. تميز الشيخ القاسمي رحمته الله كثيرا في جانب الأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، في جميع الأحوال، ومع كافة الأشخاص، وقد كان لذلك أثر واضح وملموس في مسيرته العلمية والدعوية.
١٠. ركز الشيخ القاسمي رحمته الله في دعوته على تصحيح العقيدة، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع والخرافة، وعمل على الرد على كثير من البدع المتعلقة بذلك، سواء في دروسه أو مؤلفاته أو في مناظراته.
١١. حرص الشيخ القاسمي رحمته الله في حياته على التجديد في عرض الدعوة، للخروج بها عن المألوف غير النافع، والرجوع بها الطريق النافع طريق سلف الأمة.
١٢. اهتم الشيخ القاسمي رحمته الله في مسيرته الدعوية بمسائل الاجتهاد في الدين، داعيا إلى إطلاق العلماء وطلبة العلم نظرهم في الأدلة؛ لاستنباط الأحكام منها مباشرة، مما يعين عن مواكبة العصر.
١٣. كان الشيخ القاسمي رحمته الله شديد الحرص على تربية الشباب وطلبة العلم على منهج السلف، ويؤكد على أهمية ذلك في حفظ اتجاه الأمة جيلا بعد آخر، وأن تكون على يد العلماء العاملين.

ثانياً: التوصيات.

بعد دراسة المباحث السابقة والمتعلقة بالشيخ جمال الدين القاسمي ~ أوصي طلبة العلم والباحثين والدعاة وعموم المسلمين بالوصايا التالية:

١. تقوى الله تعالى في السر والعلن.
٢. الاهتمام بالدعوة إلى الله تعالى علماً وعملاً وسلوكاً.
٣. قراءة سير العلماء والدعاة ودراستها للإفادة من تجاربهم الناجحة في الدعوة إلى الله.
٤. العناية بتكوين الدعاة، واعدادهم إعداداً شاملاً ومتكاملاً في جميع الجوانب.
٥. العناية بمؤلفات الشيخ القاسمي، ومحاولة تحقيق المطبوع، وإعادة طباعة المطبوع سابقاً، وجمع مؤلفاته وتصنيفها وإخراجها في سلسلة واحدة.
٦. الاهتمام بالقدوات المغمورين، وتعريف الدعاة وطلبة العلم بجهوده وشؤون حياتهم، سواء كان ذلك بالبرامج التلفازية، أو في بعض المؤتمرات الدعوية، أو في المواقع الإلكترونية، أو في بعض الندوات العلمية.

هذا ما تم جمعه وتحقق إيراده فإن كان فيه صواب فمن الله وحده تعالى، وإن كان فيه خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله تعالى منه.

والله أسأل أن يغفر للشيخ القاسمي، وأن يرفع درجته في المهديين، ويخلفه في عقبه في الغابرين، وأن يغفر لنا وله يا رب العالمين، اللهم افسح له في قبره، ونور له فيه. يا رب عجل بنصرك وفرجك لأهلنا في بلاد الشام، وكن لهم عوناً ومعيناً ونصيراً وظهيراً.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾﴾

(١) سورة الصافات: ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

الفهارس

وتشمل الفهارس التالية:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
٦	آل عمران	١٠٢	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا لآ أَنفُمْ مُسْلِمُونَ﴾
٦	النساء	١	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيَ فَسَّءَ لُونِ يَوْمِهِ ءَالْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾
٦	الأحزاب	٧٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾
٦	الأحزاب	٧١	﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
٦	فُصِّلَتْ	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَجِلَ صَلِيحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
٦	يوسف	١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
٧	آل عمران	١١٠	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
١٢٤	الأعراف	٤٣	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ﴾
١٤٠	الأحزاب	٧٢	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
١٤٣	المائدة	٥	﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾
١٤٦	التوبة	٧٣	﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾
١٤٦	المائدة	٥٣	﴿جَهْدَ أَيْدِيهِمْ﴾
١٤٧	البقرة	٢٣	﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
١٤٧	الأحقاف	٣١	﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾
١٥٠	فُصِّلَتْ	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَجِلَ صَلِيحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
١٥١	فُصِّلَتْ	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَجِلَ صَلِيحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
١٥١	فُصِّلَتْ	٣٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾
١٥٢	فُصِّلَتْ	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَجِلَ صَلِيحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
١٥٣	آل عمران	١٠٤	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
١٥٤	يوسف	١٠٨	﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
١٥٤	النساء	١٢٥	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَبِيبًا﴾
١٥٥	الأنعام	١٩	﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ وَجِدُّ وَإِنِّي بِرَبِّي مُؤْتَمِرٌ﴾
١٥٦	البقرة	٢١٦	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
١٥٦	الأنفال	٦٠	﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
١٥٦	البقرة	٢٤٤	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
١٥٧	البقرة	٢٥٦	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾
١٥٧	البقرة	١٩٣	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْ أَغْوَازٍ لَا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
١٥٨	يوسف	١٠٨	﴿قُلْ هَذَا سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
١٥٩	النحل	٤٢	﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾
١٥٩	البقرة	٢١٦	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾
١٥٩	الأنفال	٦٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾
١٥٩	البقرة	٢٤٤	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
١٦٠	النحل	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ﴾
١٦١	الشرح	٦	﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾
١٦٨	آل عمران	١٠٤	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
١٦٨	آل عمران	١١٠	﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
١٦٨	التوبة	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
١٦٩	آل عمران	١٠٤	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
١٦٩	آل عمران	١١٠	﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
١٦٩	المائدة	٧٩، ٧٨	﴿لَوْ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
١٧١	لقمان	١٧	﴿يَبْقَى أَقْبَرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
١٧٢	المائدة	١٠٥	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾
١٧٣	الحجرات	١٢	﴿وَلَا تَحْسَبُوا﴾
١٧٥	البقرة	٢٥١	﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾
١٧٨	محمد	١٩	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾
١٧٨	الأنبياء	٢٥	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
١٧٨	النحل	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
١٧٨	الذاريات	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
١٧٨	الأنعام	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
١٨٠	الأنعام	٣٨	﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
١٨٠	الحجرات	١٥	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
١٨٠	البقرة	٢٥	﴿وَيَسِّرَ اللَّهُ لِيَأْتِيَهُمْ آيَاتِهِمْ وَلِيُنزِلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَوَاتِهِ مَاءً غَدِيرًا يَشْرَبُونَ﴾
١٨٣	آل عمران	٣١	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾
١٨٣	الأنعام	١٥٣	﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾
١٨٤	النساء	٥٩	﴿وَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾
١٨٥	الأنفال	٣٥	﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾
١٩٠	المجادلة	٥	﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْتًا كَثِيرًا وَبَغِيلًا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا الدِّينَ مَتَاعًا لِيُضِلَّ اللَّهُ أَعْيُنَهُمْ﴾
١٩٠	المائدة	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
١٩٧	الإسراء	١	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِلرَّبِّ الْعَلِيِّ الْعَلِيِّ﴾
٢٠٠	الذاريات	٥٨-٥٦	﴿وَمَا خَلَقْنَا الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَا ﴿٥٨﴾ مَا أُرِيدُ مِنْكُمْ مِنْ زِينَةٍ وَأُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾
٢٠٠	النحل	٣٦	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
٢٠٤	البقرة	١٨٤	﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾
٢٠٧	النساء	١٧	﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يُتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾
٢٠٩	القلم	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
٢٠٩	الفرقان	٦٨-٦٣	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَلَى الْآرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾
٢٠٩	العنكبوت	٢٩	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِئَلَّا تُكْفَرَ وَتَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ هَذِهِ سَبِيلَ اللَّهِ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ دِينًا كَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾
٢١١	القلم	٤	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
٢١١	البقرة	٨٣	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
٢١٣	فصلت	٣٤	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
٢١٨	العنكبوت	٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٢١٨	البقرة	٨٣	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
٢١٨	النساء	١٤٨	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾
٢٢٧	العلق	٥-١	﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
٢٢٧	آل عمران	١٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٢٢٧	الزمر	٩	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
٢٢٧	المجادلة	١١	﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾
٢٣٠	ابراهيم	١٤	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُلْقِيَانِ قَوْلَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾
٢٣٠	فصلت	٤٤	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا نُفِصَلَتْ آيَاتُهُ بِهِ عَجَجًا وَعَرَفِي﴾
٢٣٠	الأعراف	١٥٨	﴿قُلْ يَتَّبِعُنَا النَّاسُ لِي بِي رَسُولٍ اللَّهُ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
٢٣٠	الشورى	٢٩	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾
٢٦٤	الأنعام	١٠٨	﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
٢٩٢	القلم	٥٢، ٥١	﴿وَلَنْ يَكَادِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُكَلِّمَهُمْ أَبْصَاهُمْ لَنَا بِصِيرِهِمْ لَنَأْسَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَنْجُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾
٣١٧	المائدة	٤٨	﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ فِرْعَوْنًا وَمِنهَا جَا﴾
٣٢٢	الإسراء	٥٧	﴿يَبْتَغُونَ إِلَيْكَ رِيحَهُمُ الْوَسِيلَةَ أَيْتُمُ اقْرُبْ﴾
٣٢٥	فصلت	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
٣٢٥	يوسف	١٠٨	﴿قُلْ هَذَا سَبِيلِي آدَعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
٣٢٦	النساء	١٢٥	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾
٣٢٦	النحل	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُمُ الْبَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
٣٢٧	آل عمران	١٠٤	﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٣٢٧	آل عمران	١١٠	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
٣٢٧	المائدة	٧٩، ٧٨	﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾
٣٢٧	لقمان	١٧	﴿يَنْبَغِي أَقْرَبُ الصَّلَاةِ وَأَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾
٣٢٨	البقرة	٨٣	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
٣٢٨	العنكبوت	٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
٣٢٨	النساء	١٤٨	﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَىٰ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾
٣٣٦	العنكبوت	٦٥	﴿فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفَالِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَحْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾
٣٣٨	آل عمران	١٠٤	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٣٣٩	آل عمران	١١٠	﴿كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾
٣٤٣	فصلت	٣٤	﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
٣٥١	البقرة	٨٣	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
٣٥٢	العنكبوت	٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٣٥٥	البقرة	٢٦٩	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾
٣٥٥	النحل	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
٣٥٨	البقرة	٨٣	﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾
٣٥٩	النحل	١٢٥	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾
٣٥٩	العنكبوت	٤٦	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٣٥٩	الأحزاب	٢١	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾
٣٥٩	المتحنة	٤	﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾
٣٦١	الأنعام	٩٠	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتِدَةٌ﴾
٣٦٢	آل عمران	١٥٩	﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾
٣٦٢	طه	٤٣، ٤٤	﴿أَذْهَبًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلًا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَمَلَكٌ مِّنْ دُونِكَ أَتَىٰ خَشْيًا﴾
٣٦٤	التوبة	٦	﴿وَلِإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾
٣٦٤	يونس	١٠٨	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾
٣٦٤	الأعراف	١٥٨	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
٣٦٤	الأعراف	٥٩	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾
٣٦٤	الأعراف	١٠٤	﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٣٧٦	الأعراف	٥٩	﴿وَنَكَسِبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاخِرَهُمْ﴾
٤٠٤	الصفات	-١٨٠ ١٨٢	﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨١﴾ وَسَلٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
١٨١	"كُنَّا - وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ - نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ السُّنَنُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا"
٣٢١	«آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ»
١٥٠	«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»
٢٠٩، ١٧٩	«الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةٌ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»
٢١٠	«أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟»، فقال: بلى، قالت: «فَإِنَّ خُلِقَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»
١٧٨	«أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابِهِ عَلَى اللَّهِ»
٣٦١، ١٧٤	«إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»
٢٢٧	«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحَوْتِ لَيَصَلُونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»
٢٠٩	«إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»
١٩٩	«إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فُتْرَدُ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَاهِمَ أَمْوَالِهِمْ»
١٤٩	«قَوْلُ اللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»
١٧٥	«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»
٣٥٤	«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»
٢١٨	«لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُودِي»
٣٢٦، ١٨٣	«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِذَا تَخَلَّفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ»
١٤٥	«مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبُدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَفَهَا الْجَهْدُ عَنِ النَّعْمِ
١٤٩	«مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»
٣٢٦، ١٦٩، ٣٣٨	«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُبْعِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»

الصفحة	الحديث
٣٧٥	«مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسِطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ»
٢٢٧	«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»
٢٠٩	«مَنْ كَانَ يَوْمًا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فليقل خيرًا أو ليصمت»
٢٢٧	«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»
٣٢٥، ١٤٩	«نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَغَهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ غَيْرِ فَقِيهِ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»
١٧١	«وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرَدَلٍ»
٣١٩	«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ»
٦	إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، فَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
١٤٥	قِيلَ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ﷺ: «جُهْدُ الْمُتَقِلِّ»
٦٣	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ



فهرس الآثار

الصفحة	الأثر
١٨١	"كُنَّا - وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ - نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ السُّنَّةُ بِهِ مِنْ صِفَاتِهِ جَلَّ وَعَلَا"



فهرس الأعلام

الصفحة	العلم
١٠٠	ابراهيم بن علي السقا
٩٦	إبراهيم بن محمد الباجوري
١١٦	ابراهيم بن ناصيف اليازجي
١٠٣	أحمد بن أحمد الحسيني
١٠٣	أحمد بن إسماعيل تيمور باشا
١٢٩	أحمد بن حسن الشطي
٩٢	أحمد بن علي الحلواني
٩٣	أحمد بن محمد المرزوقي
١٢٠	أحمد بن محمد شاكر الحسيني
١٢١	أحمد بن محيي الدين الأغريسي
٢٤	أحمد حمدي باشا
١١٦	أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي
٣١٠	أحمد عارف حكمت باشا
١١٦	أحمد فارس بن يوسف الشدياق
٢٥١	إسماعيل بن محمد العجلوني
٩٧	بكري بن حامد العطار
٩٨	تقي الدين بن حسن الحصني
٧٤	توفيق البزرة
٧٥	جرجي بن موسى حداد

الصفحة	العلم
١٢١	حامد بن أديب التقي
٥٤	حسن بركات
١٠١	حسن بن أحمد جبينه
٢٤	حسن رفيق باشا
١٠٧	حسين بن محمد الجسر
٢٤	حسين ناظم باشا
٧٤	خير الدين بن محمود الزركلي
٩٥	رشيد بن عمر قزّيها
٣١٣	رفيق بن محمود العظم
٩٢	سعيد بن حسن الحلبي
١٢٢	سليم بن اسماعيل الآمدي
٩٥	سليم بن ياسين العطار
٥٤	سميح الغبرة
٥٤	شفيق الغبرة
١١٥	شكيب بن حمود أرسلان
٤٣	صالح الدسوقي
٢٣٧	صلاح الدين سليم أرقه دان
٤٩	صلاح الدين يوسف بن محمد سعيد القاسمي
١٠٩	طاهر بن صالح الجزائري
٢٣	عارف بك المارديني

الصفحة	العلم
٧٠	عاصم بن محمد بهجة البيطار
٢١	عبد الحميد الثاني
٢٧٥	عبد الحميد بن محمد شاكر الزهراوي
٨٠	عبد الرحمن القرصي
٤٣	عبد الرحمن الكزبري
٧٢	عبد الرحمن بن صالح الشهبندر
٧٣	عبد الرحمن بن عبد الحميد القصار
٩٣	عبد الرحمن بن علي العجلوني
٩٢	عبد الرحمن بن علي المصري
٤٥	عبد الرحمن بن قاسم الحلاق
١٠١	عبد الرحمن بن مصطفى بايزيد
٩٤	عبد الرحيم بن عبد الله دبس وزيت
١١٣	عبد الرزاق بن حسن البيطار
٢١	عبد العزيز الأول
٢٦٦	عبد العزيز بن محمد السناني
١٠٧	عبد الغني بن أحمد الرافي
١٠٩	عبد الغني بن طالب الغنيمي
٣٩	عبد القادر الجيلاني
٣٣١	عبد القادر بن أحمد بن بدران
١١٥	عبد الله بن مخائيل البستاني

الصفحة	العلم
٩٦	عبد المحسن بن عبد القادر الأسطواني
٨٨	عبد الوهاب بن أحمد الانكليزي
٣١٢	علي بن محمد الببلاوي
١٢٢	علي بن مصطفى الطنطاوي
٤٤	عمر العطار
٢٩٧	عمر بن أحمد الميداني
٤٢	قاسم بن صالح الحلاق
٥٢	محب الدين بن محمد الخطيب
١٢١	محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني
٤٤	محمد الطنطاوي
١٢٠	محمد بخيت بن حسين المطيعي
٧٨	محمد بن حسين بن نصيف
١٠٤	محمد بن صفدر الحسيني
٢٧٠	محمد بن عبد الوهاب التميمي
٩٩	محمد بن عفيفي الباجوري
١٩٥	محمد بن عقيل العلوي
٤٦	محمد بن قاسم الحلاق
٩٩	محمد بن محمد الخاني
١٢٠	محمد بن محمود البزم
١٢٥	محمد بن يوسف المراكشي

الصفحة	العلم
١٢٤	محمد بهجة البيطار
١٢٨	محمد جميل الشطي
٣١٢	محمد حافظ بن إبراهيم فهمي
٢٣	محمد راشد باشا
٢١	محمد رشاد الخامس
١٠٦	محمد رشيد بن علي رضا القلموني
٩٨	محمد سعيد بن عبد الرحمن الباني
٤٤	محمد سعيد بن قاسم الحلاق
٩٣	محمد سليم بن أحمد الحلواني
٥٧	محمد ظافر بن جمال الدين القاسمي
٢٢١	محمد عارف بن أحمد سعيد الحسيني
١٠٣	محمد عبده بن حسن خير الله التركماني
٤٧	محمد عيد بن محمد سعيد القاسمي
٤٨	محمد قاسم بن محمد سعيد القاسمي
٣٢	محمد كرد علي
٩٦	محمود بن عبد الله الألوسي
١٠٧	محمود بن محمد بن عبد الدائم
١١٦	محمود سامي بن حسن البارودي
٧٣	محمود شكري بن عبد الله الألوسي
٦٦	محمود مهدي الإستانبولي

الصفحة	العلم
٢٣	مدحت باشا
٢١	مراد الخامس
١٢٩	مراد بن حسن الشطي
١٠٠	مصطفى المبلط المصري
٧٦	مصطفى بن محمد سليم الغلاييني



فهرس المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم، جل منزله وعلا.
٢. آداب الدارس والمدرس: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ
٣. إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق: جمال الدين القاسمي، مطبعة المقتبس، دمشق، ط ١، ١٣٢٩هـ
٤. إرواء الغليل: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
٥. الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس: جمال الدين القاسمي، دار عمار، عمان، ط ٢، ١٤٠٩هـ
٦. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية: د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط ٢، ١٤٣١هـ
٧. الأسماء والصفات: البيهقي، مكتبة السوادي، جدة، ط ١، ١٤١٣هـ
٨. إصلاح المساجد من البدع والعوائد: جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٣٩٩هـ
٩. أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٠، ١٤٢٦هـ
١٠. الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
١١. أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر: محمد جميل الشطي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٩٧٢م.
١٢. آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ.
١٣. الألفاظ الفارسية المعربة: أدى شير، دار العرب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م.
١٤. انتشار دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية: د. محمد كمال جمعة، دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط ٢، ١٤٠١هـ
١٥. تاريخ الجهمية والمعتزلة: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ
١٦. تاريخ الدولة العثمانية: شكيب أرسلان، دار ابن كثير، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.

١٧. تاريخ الدولة العلية العثمانية: محمد فريد بك المحامي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ.
١٨. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٤٠٦هـ.
١٩. التعريفات: علي بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٢٠. تكملة معجم المؤلفين: محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
٢١. تنبيه الطالب إلى معرفة الفرض والواجب: جمال الدين القاسمي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ.
٢٢. التوقيف على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
٢٣. ثمرة التسارع إلى الحب في الله تعالى وترك التقاطع: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ.
٢٤. جامع الأحاديث: السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ.
٢٥. الجرح والتعديل: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٣٩٩هـ.
٢٦. جمال الدين القاسمي سيرته الذاتية بقلمه، جمع: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ.
٢٧. جمال الدين القاسمي علمه ودعوته: عبد العزيز بن إبراهيم الأحيدب، بحث غير منشور، وهو رسالة ماجستير محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٤٨٧٥٠.
٢٨. جمال الدين القاسمي وعصره: ظافر القاسمي، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط ١، ١٣٨٥هـ.
٢٩. جمال الدين القاسمي: د. نزار أباطة، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٨هـ.
٣٠. جوامع الآداب في أخلاق الأنجاء: جمال الدين القاسمي، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤١٧هـ.
٣١. الجوانب التربوية عند جمال الدين القاسمي: علي مهاما ساموه، بحث غير منشور، وهو رسالة ماجستير محفوظة بالمكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم ٩٤٩٢.
٣٢. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: عبد الرزاق البيطار، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ.

٣٣. حياة البخاري: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٣٤. خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه: الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٠ هـ.
٣٥. خطط الشام: محمد كرد علي، مكتبة النوري، دمشق، ط ٣، ١٤٠٣ هـ.
٣٦. الدكتور صلاح الدين القاسمي، آثاره، المطبعة السلفية، القاهرة، ط ١، ١٣٧٩ هـ.
٣٧. دلائل التوحيد: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
٣٨. رحلتي إلى المدينة المنورة: جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
٣٩. رسالة في الدعوة إلى الله: محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن، عنيزة، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
٤٠. رسالة في الشاي والقهوة والدخان: جمال الدين القاسمي، مطبعة روضة الشام، دمشق، ط ١، ١٣٢٢ هـ.
٤١. الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، جمع: محمد ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٤٢. رسائل في العقيدة: د. محمد إبراهيم الحمد، بحث غير مطبوع وهو منشور في الموقع الرسمي للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد على الشبكة العنكبوتية العالمية.
٤٣. ريُّ الغليل من محاسن التأويل: د. صلاح الدين أرقه دان، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
٤٤. سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف، الرياض، ط ٢، ١٤١٧ هـ.
٤٥. سنن أبي داود، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٤٦. سنن الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
٤٧. سير أعلام النبلاء: الإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ.
٤٨. سير الدعاة إلى الله تعالى: مذكرة مادة دراسية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٤٩. شذرة من السيرة المحمدية: جمال الدين القاسمي، مطبعة المنار، القاهرة، ط ١، ١٣٢٢ هـ.

٥٠. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني: الإمام الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
٥١. شرح العقيدة الواسطية: ابن أبي العز الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
٥٢. شرح لقطه العجلان: جمال الدين القاسمي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ط ١، ١٣٢٣هـ.
٥٣. شرف الأسباط: جمال الدين القاسمي، مطبعة الترقى، دمشق، ط ١، ١٣٣١هـ.
٥٤. شيخ الشام جمال الدين القاسمي: محمود مهدي الإستانبولي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
٥٥. الشيخ جمال الدين القاسمي واختياراته الفقهية: سامي الفريضي، دار كنوز أشبيليا، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ.
٥٦. الشيخ محمد جمال الدين القاسمي وجهوده الحديثية: محمد أنس سرميني، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٣١هـ.
٥٧. صحيح البخاري، دار طوق النجاة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٥٨. صحيح سنن ابن ماجه: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.
٥٩. صحيح سنن أبي داود: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ.
٦٠. صحيح سنن الترمذي: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ.
٦١. صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
٦٢. ضعيف الجامع الصغير وزيادته: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ.
٦٣. طبقات مشاهير الدمشقيين من أهل القرن الرابع عشر الهجري: جمال الدين القاسمي، دار البيروتي، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٦٤. العلامة جمال الدين القاسمي: محمد رياض المالح، مركز جمعة الماجد، دبي، ط ١، ١٤١٤هـ.
٦٥. علماء دمشق وأعيانها في القرن الثالث عشر الهجري: محمد مطيع الحافظ و نزار أباطة، دار الفكر،

دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ.

٦٦. علماء دمشق وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري: نزار أباطة، دار الفكر، دمشق، ط ١،

١٤٢٧هـ.

٦٧. علي الطنطاوي أديب الفقهاء وفقه الأدباء: مجاهد مأمون ديرانية، دار القلم، دمشق، ط ١،

١٤٢١هـ.

٦٨. الفتاوى الكبرى: شيخ الاسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.

٦٩. فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط ١، ١٣٩٩هـ.

٧٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٧٩هـ.

٧١. الفتح المبين في طبقات الأصوليين: عبد الله بن مصطفى المراغي، مطبعة أنصار السنة المحمدية،

مصر، ط ١، ١٣٦٦هـ.

٧٢. الفتوى في الإسلام: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ،

٧٣. الفضل المبين على عقد الجوهر الثمين: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط ١،

١٤٠٣هـ.

٧٤. الفكر التربوي عند محمد جمال الدين القاسمي، من خلال كتابه جوامع الآداب في أخلاق

الأنجاب: عالي بن محمد القرني، بحث غير منشور، وهو رسالة ماجستير محفوظة بالمكتبة المركزية

بجامعة أم القرى برقم ٣٧٧١.

٧٥. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة: أبو حامد الغزالي، دار البيروتي، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ.

٧٦. القاسمي وآراؤه الاعتقادية: علي محمود دبدوب، دار المحدثين، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ.

٧٧. القاسمي ومنهجه في تفسيره محاسن التأويل: إبراهيم بن علي بن صالح الحسن، بحث غير منشور،

وهو رسالة ماجستير محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٥٠٦٩٨.

٧٨. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: جمال الدين القاسمي، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط ١، ١٤٢٥هـ.

٧٩. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة: د. عبد الوهاب أبو سليمان، دار الشروق، جدة، ط٦، ١٤١٦هـ.
٨٠. كلمات وأحاديث: محمد بهجة البيطار، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
٨١. لسان العرب: لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.
٨٢. مجلة التمدن الإسلامي، أسستها الجمعية المصرية التاريخية، ١٩٤٥م، القاهرة.
٨٣. مجلة المقتبس، أسسها الشيخ محمد كرد علي، ١٩٠٨م، دمشق.
٨٤. مجلة المنار، أسسها محمد الشيخ رشيد رضا، ١٣١٥هـ، القاهرة.
٨٥. مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، دار الوفاء، المنصورة، ط٣، ١٤٢٦هـ.
٨٦. مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٨٧. مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي.
٨٨. محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٨٩. المستدرک على الصحيحين للحاكم، كتاب الهجرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٩٠. المسح على الجوربين: جمال الدين القاسمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٩هـ.
٩١. مشكاة المصابيح: محمد التبريزي، تحقيق ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
٩٢. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية: ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٩٣. معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين: عبد القادر عياش، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط١، ١٤٠٥هـ.
٩٤. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
٩٥. المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ.

- ٩٦ . مكتب عنبر: ظافر القاسمي، المطبعة الكاثوليكية، دمشق، ط ١، ١٩٦٤ م.
- ٩٧ . منادمة الأطلال ومسامرة الخيال: عبد القادر بن بدران، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.
- ٩٨ . منتخب التوسلات: جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧ هـ.
- ٩٩ . منهج جمال الدين القاسمي في تقرير العقيدة: محمد بن أحمد خضي، بحث غير منشور، وهو رسالة ماجستير محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم ٦٧٧٧٢.
- ١٠٠ . الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية العالمية (ويكيبيديا).
- ١٠١ . موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: جمال الدين القاسمي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٠١ هـ.
- ١٠٢ . موقع "ثانوية جودت الهاشمي" على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٣ . الموقع الرسمي لجامعة القديس يوسف بيروت على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٤ . الموقع الرسمي لجريدة الحياة على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٥ . الموقع الرسمي للجامعة الأمريكية ببيروت على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٦ . الموقع الرسمي للمكتبة الخالدية بالقدس على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٧ . الموقع الرسمي لمكتبة الأسد الوطنية على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٨ . الموقع الرسمي لمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١٠٩ . موقع تاريخ بيروت من العصر الروماني إلى اليوم على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١١٠ . موقع رابطة أدباء الشام على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١١١ . موقع ملتقى أهل التفسير على الشبكة العنكبوتية العالمية.
- ١١٢ . النفحة الرحمانية شرح متن الميدانية: جمال الدين القاسمي، روضة الشام، دمشق، ط ١، ١٣٢٣ هـ.
- ١١٣ . نقد النصائح الكافية: جمال الدين القاسمي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط ١، ١٤٢١ هـ.
- ١١٤ . النور والنار في مكتب عنبر: مطيع المرابط، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩١ م.

١١٥. الواضح في أصول الفقه: د. محمد سليمان الأشقر، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٤٢٥هـ

١١٦. الوعظ المطلوب من قوت القلوب: جمال الدين القاسمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١،

١٤٢١هـ



فهرس الموضوعات

٤.....	ملخص الرسالة
٥.....	Summary of the Study
٦.....	المقدمة
١٨.....	شكر وتقدير
١٩.....	تمهيد: الأوضاع السياسية والعلمية والدينية في الشام في عصر الشيخ القاسمي
٣٧.....	الفصل الأول: حياة الشيخ القاسمي الشخصية والعلمية.
٣٨.....	المبحث الأول: حياة الشيخ القاسمي الشخصية
٣٩.....	المطلب الأول: اسم القاسمي ومولده
٤٢.....	المطلب الثاني: أسرة القاسمي
٥٣.....	المطلب الثالث: زواج القاسمي وأولاده
٦١.....	المطلب الرابع: صفات القاسمي وشمائله
٧٢.....	المطلب الخامس: وفاة القاسمي وراثؤه
٧٩.....	المبحث الثاني: حياة الشيخ القاسمي العلمية
٨٠.....	المطلب الأول: نشأة القاسمي العلمية
٨٣.....	المطلب الثاني: عقيدة القاسمي ومذهبه
٨٧.....	المطلب الثالث: ثقافة القاسمي العامة
٩١.....	المطلب الرابع: أبرز شيوخ القاسمي
١٠٣.....	المطلب الخامس: أبرز أصدقاء القاسمي
١٢٠.....	المطلب السادس: أبرز تلاميذ القاسمي
١٣١.....	المطلب السابع: آثار القاسمي

- ١٤٤ الفصل الثاني: جهود الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله
- ١٤٥ تمهيد
- ١٤٨ المبحث الأول: جهود الشيخ القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله
- ١٤٩ المطلب الأول: جهود الشيخ القاسمي النظرية في جانب التأصيل الدعوي
- المطلب الثاني: جهود الشيخ القاسمي النظرية في جانب الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ١٦٧
- المطلب الثالث: جهود الشيخ القاسمي النظرية في جانب العقيدة ١٧٧
- المطلب الرابع: جهود الشيخ القاسمي النظرية في جانب العبادات ١٩٩
- المطلب الخامس: جهود الشيخ القاسمي النظرية في جانب الأخلاق ٢٠٨
- المطلب السادس: جهود الشيخ القاسمي النظرية في جانب العلوم الشرعية ٢٢٦
- المطلب السابع: محن الشيخ القاسمي ٢٧٠
- ٢٨٤ المبحث الثاني: جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله
- المطلب الأول: جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في جانب العمل الدعوي ٢٨٥
- المطلب الثاني: جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في جانب التعليم ٢٨٧
- المطلب الثالث: جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في جانب التربية ٢٩٠
- المطلب الرابع: جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في جانب السياسة ٣٠٠
- المطلب الخامس: رحلات الشيخ جمال الدين القاسمي ٣٠٧
- ٣١٥ الفصل الثالث: منهج الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله
- ٣١٦ تمهيد
- ٣٢٢ المبحث الأول: أصول منهج الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله
- المطلب الأول: الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة ٣٢٣
- المطلب الثاني: التمسك بمنهج السلف الصالح في جميع مسائل الدين ٣٢٨

- المطلب الثالث: الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ٣٣٤
- المطلب الرابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٣٧
- المطلب الخامس: الاعتماد على الحجة والمنطق والبرهان ٣٤٠
- المطلب السادس: نبد البدع والخرافات والمذاهب المنحرفة والضلالة ٣٤٤
- المطلب السابع: التمسك بالوسطية والتحلي بالاعتدال ٣٤٦
- المطلب الثامن: التجديد في الدين ومجانبة التقليد ٣٤٨
- المطلب التاسع: الالتزام بالأخلاق الإسلامية الفاضلة ٣٥٠
- المطلب العاشر: الحرص على وحدة الأمة ونبد الفرقة والاختلاف ٣٥٢
- المبحث الثاني معالم منهج الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله ٣٥٣
- المطلب الأول: أساليب الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله ٣٥٤
- المطلب الثاني: وسائل الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله ٣٦٣
- الفصل الرابع: آثار جهود الشيخ القاسمي في الدعوة إلى الله ٣٧٤
- تمهيد ٣٧٥
- المبحث الأول: آثار جهود الشيخ القاسمي النظرية في الدعوة إلى الله ٣٧٦
- المطلب الأول: آثار جهود الشيخ القاسمي النظرية في منهج الدعوة ٣٧٧
- المطلب الثاني: آثار جهود الشيخ القاسمي النظرية في الدعاة ٣٨٠
- المطلب الثالث: آثار جهود الشيخ القاسمي النظرية في المدعوين ٣٨٢
- المبحث الثاني: آثار جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في الدعوة إلى الله ٣٨٤
- المطلب الأول: آثار جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في منهج الدعوة ٣٨٥
- المطلب الثاني: آثار جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في الدعاة ٣٨٧
- المطلب الثالث: آثار جهود الشيخ القاسمي التطبيقية في المدعوين ٣٨٩

٣٩٠	الفصل الخامس: الدروس والعبر المستفادة من جهود الشيخ القاسمي في العصر الحاضر.
٣٩١	تمهيد
	المبحث الأول: الدروس والعبر النظرية المستفادة من جهود الشيخ القاسمي
٣٩٣	في العصر الحاضر
	المبحث الثاني: الدروس والعبر التطبيقية المستفادة من جهود الشيخ القاسمي
٣٩٨	في العصر الحاضر
٤٠١	الخاتمة
٤٠٦	فهرس الآيات القرآنية
٤١١	فهرس الأحاديث النبوية
٤١٢	فهرس الآثار
٤١٤	فهرس الأعلام
٤١٩	فهرس المراجع والمصادر
٤١٩	فهرس الموضوعات

